



جامعة أفريقيا العالمية
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي والنشر
كلية الدراسات الإسلامية
قسم الدعوة والسيرة



السيرة النبوية من خلال كتب السنن الأربعة

(جمعاً ودراسة)

أطروحة مقدمة لنيل درجة التخصص العليا (الدكتوراه) في الدعوة والسيرة

إشراف الدكتور:
عماد أحمد علي

إعداد الباحث:
علي برك علي باجيدة

١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

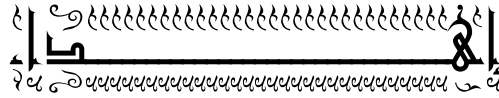
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استعمال

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ
لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[سورة الفتح: آية ٢٩]



إلى نبع الحب والحنان، وإلى مركز العطاء والأمان، إلى من كان دعاؤهما
لي - بعد توفيق الله - سرّ ناجحي

إلى روح أمي وأبي

طيب الله ثراهما وأسكنهما الفردوس الأعلى من الجنة اللذين رحلا قبل أن
يريا ثمرتهما قد اكتملت

و إلى بسمتي روعي، وسر سعادتي، الدرتين المصونتين، واللؤلؤتين
المكنونتين، زوجتي الغاليتين: {أم الحسين و أم محمد} اللتين وقفتا
معي وشجعنني حتى وصلت إلى هذه المرحلة
إلى أولادي وفلذة كبدي وبلسم حياتي وثمره فؤادي

الشيء فاطمة ورحمة والحسين والحسن وحسام وحنين

وإلى كل شهداء معارك الدين والإيمان في يمن الإيمان ضد الروافض وأنصارهم،
وإلى كل إخواني وأخواتي وأحبابي وكل من دعاء لي ودعمني، وإلى أهل السودان
وأرض السودان الحبيب برأ بهم ووصلاً لرحمهم ووفاءً بإخوتهم. يا من يعجز
لساني ويقف بناني عن أن أؤدي شكرهم وجميل فعالهم على كل ما قدّموه لي من
دعمٍ حسيٍّ أو معنوي.

وإلى كل من يريد أن يرتوي بسيرة الحبيب ﷺ.

أهدي هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

انطلاقاً من قول ربنا الشكور في كتابه المبين: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(١) وامتنالاً لقول الرسول الأمين - ﷺ - : (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر)^(٢)، فإنني تلهج لساني ببالغ الشكر والتقدير لأستاذي وقودتي الدكتور الفاضل: عماد أحمد علي الذي تفضل مشكوراً ومجزياً بكل خير بالإشراف على رسالتي هذه، وأسدل لي ثماراً يانعة من توجيه ونصح وإرشاد، فبذل لي من وقته وعلمه وخبرته ما نفعتني الله به، والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة بما تفضلوا به من قبول مناقشة هذه الرسالة، وبما أثروها من نصائح؛ ليخرج هذا البحث في مظنّتي بصورة جميلة وذات بهاء وحسن وجمال، وهما: الدكتور: عبدالرحيم عبيد محمد {مناقشاً خارجياً}. والدكتور: حسن علي الشايقي {مناقشاً داخلياً}. وأعدهما بأني سأخذ ما يبديانه من ملاحظات وتصويبات عل هذه الرسالة بعين الاعتبار..

وأقدم بالشكر الجزيل لإدارة جامعة أفريقيا العالمية، وكلية الدراسات العليا، وكلية الشريعة الإسلامية، والتي كان لي الشرف بالانتساب إليها.

وأقدم بجزيل الشكر وخالص الوفاء لبرنامج النخبة التأهيلي برابطة أهل الحديث باليمن ممثلةً بشيخنا ووالدنا أبي الحسن مصطفى السليماني حفظه الله، ونائبه الشيخ محمد بن سعيد العدني، والشيخ حميد قايد العتمي، وجميع العاملين فيها، وأخص بالذكر الشيخ الدكتور خالد السليماني، وأخاه الشيخ الفاضل حمزة السليماني على دعمهم المباشر واللا محدود لي، فجزاهم الله عني كل خير، وبارك الله سعيهم، فقد كان لهذا البرنامج الفضل الكبير عليّ حتى أكملت هذه الرسالة.

وأوجه بعظيم الامتنان إلى كل من له بصمة أو لمسة ظاهرة أو خفية في نصيح أو توجيه أو تنسيق لهذه الرسالة، فجزاهم الله عني كل خير...

والحمد لله رب العالمين...

(١) سورة الأعراف الآية: (١٤٤)، وسورة الزمر الآية: (٦٦).

(٢) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٤١٩٩/٨) برقم: (١٨٧٤٠)، والبخاري في مسنده (٢٢٦/٨) برقم: (٢٣٨٢)، والطبراني في الكبير (٨٥/٢١) برقم: (٨٤).

مستخلص الأطروحة

تهدف هذه الأطروحة إلى استخراج السيرة النبوية الصحيحة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام من (كتب السنن الأربعة) فهي مصادر موثوقة؛ وذلك ليسهل الوصول إليها؛ ولتتمثلها البشرية في حياتها، فما تلك المرويات التي تطرقت لأحداث السيرة النبوية وتطرّق لها أصحاب السنن الأربعة في كتبهم والشارحين لهذه الكتب؟ وخلصنا إلى أنه توجد أخبار وأحداث صحيحة ذكرتها مرويات السيرة النبوية، والتي من الممكن إضافتها للأحاديث النبوية بشكل عام وللسيرة النبوية بشكل خاص من السنن الأربعة، وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي والتاريخي والاستقرائي، وقد جاءت هذه الأطروحة في مقدمة، وخمسة أبواب: المقدمة: وضّحت فيها أهمية التعرف على سيرة النبي -ﷺ- والافتداء به. والباب الأول: احتوى على: أساسيات البحث. والباب الثاني على: الدراسات السابقة: ما كانت مختصة بمرويات السيرة النبوية، وما كانت مختصة بالسيرة النبوية. والباب الثالث: احتوى على الأحداث التي قبل البعثة والدعوة في مكة والتعرّف على النبي -ﷺ-. والباب الرابع على: بناء الدولة في العهد المدني وأسماء المدينة المنورة والهجرة والمؤاخاة بين الصحابة، ومرحلة الدفاع وبدء الغزوات والسرايا. والباب الخامس: احتوى على أحداث المعارك الكبرى -غزوة بدر وغزوة أحد- والأحداث العظيمة التي بعدها، كبعث الرجيع ومأساة بئر معونة وغزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة، وما في هذه الأحداث من دروس للأمة، وخلصت الأطروحة إلى أن كتب السنن الأربعة حوت الكثير من مرويات السيرة النبوية الصحيحة، والملينة بالأحداث العظيمة والدروس للأمة، ويوصي الباحث بضرورة نشر جهود علماء الأمة قديماً وحديثاً باستخراج مرويات سيرة رسول الله -ﷺ- الصحيحة من أمهات كتب الحديث كمسند الإمام أحمد، وإكمال هذه الأطروحة من استخراج مرويات ما بعد غزوة بني قريظة إلى وفاة النبي -ﷺ- من كتب السنن الأربعة.

وُدِّلت الأطروحة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، ومن ثمّ كانت الفهارس.

Abstract

This study aims at extracting the veracious Biography of the Prophet Muhammad, the Messenger of Allah, peace be upon him, from the reliable sources *The Four Books of Sunnah*. Thus, people can easily access it and, therefore, imitate it in their life. What are the tales of the Prophetic Biography that the writers of the Four Books of Sunnah and those who explained them have tackled? It is found that there are true events and news about the Prophetic Biography which can be particularly taken from the Four Books of Sunnah and added to the Prophetic Haidths. This study follows the descriptive, historical and inductive approach. It consists of an introduction and five chapters; the introduction tackled the importance of knowing and following the Biography of the Prophet Muhammad, the Messenger of Allah, peace be upon him. Chapter one discusses the fundamentals of the research. Chapter two reviews the relevant literature that tackled the tales of the Prophetic Biography in particular and the Prophetic Biography in general. Chapter three discusses the events before Islam and the Da'awa in Makkah as well as introducing the Prophet Mohammad, peace be upon him. Chapter four portrays the construction of the state in the Madani Era, the names of Madina, the mutual brotherhood between Al-Ansar and Al-Muhajireen, and the beginning of the battles and detachments. Chapter five depicts the events of the big battles, Badr and Uhud, and the great following events like Ba'ath Al-Ragiea' and the tragedy of Maounah Well, the Battles of Al-Ahzaab and Bani Quraydha, and the lessons taken from those events. This study found that the four books of Sunnah have included a lot of the tales about the true Prophetic Biography which are full of events and rich of lessons. The researcher recommended that future studies pursue this study by extracting the tales of the Prophetic Biography from after the Battle of Bani Quraydha till the death of the Prophet Mohammad, peace be upon him, which were mentioned in the Four Books of Sunnah. The researcher also recommended the extraction and the publication of the tales of the true Prophetic Biography from the books of scholars, past and present, like the Musnad of Imam Ahmad. The study ends with the references and the sources that the researcher depended on as well as the table of contents.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ب	استهلال
ج	إهداء
د	شكر وتقدير
هـ	مستخلص الأطروحة
و	Abstract
ز	فهرس الموضوعات
٢	مُتَكَمِّمَةٌ، وتمهيد
١٧	الباب الأول: أساسيات البحث
١٨	الفصل الأول: أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، وأهميته، وبيان مشكلته، وأسئلته، وفروضه.
١٩	أسباب اختيار الموضوع
١٩	أهداف البحث
٢٠	أهمية البحث
٢٠	مشكلة البحث
٢١	أسئلة البحث
٢١	فروض البحث
٢٢	الفصل الثاني: منهج البحث، وسائله وأدواته، وحدوده، ومصطلحاته، وهيكله، ومساهمته في الفكر الإنساني العالمي.
٢٣	منهج البحث
٢٤	وسائل البحث وأدواته
٢٤	حدود البحث
٢٥	مصطلحات البحث

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الصفحة	الموضوع
٢٥	هيكل البحث
٣٠	الباب الثاني: الدراسات السابقة
٣١	الفصل الأول: الدراسات السابقة المختصة بمرويات السيرة النبوية
٣٨	الفصل الثاني: الدراسات السابقة المختصة بالسيرة النبوية
٤٧	الباب الثالث: السيرة النبوية قبل البعثة والأحداث التي بعدها
٤٩	المبحث الأول: حال الناس قبل البعثة، وبعض أعمال أهل (الجاهلية)
٥٩	المبحث الثاني: قصة أصحاب الفيل
٦٣	المبحث الثالث: نسب النبي -ﷺ-، وأسماءه
٧٥	المبحث الرابع: مولده ﷺ
٨٠	المبحث الخامس: خاتم النبوة، ولقاء بحيرى الراهب
٨٨	المبحث السادس: أعماله ﷺ قبل البعثة، وزواجه بخديجة ﷺ
٩٤	المبحث السابع: بناء الكعبة، ومقام إبراهيم
١١٠	المبحث الثامن: صفة رسول الله ﷺ عند أهل الكتاب
١١٥	الفصل الثاني: البعثة والدعوة في مكة
١١٦	المبحث الأول: بدء الوحي
١٢٥	المبحث الثاني: إسلام السابقين
١٣٢	المبحث الثالث: مرحلة الجهر بالدعوة وموقف قريش من ذلك، وأذيتهم للرسول ﷺ وللمسلمين
١٤٣	المبحث الرابع: انشقاق القمر
١٤٧	المبحث الخامس: الهجرة إلى الحبشة
١٥٨	المبحث السادس: قصة أبي طالب
١٦٤	المبحث السابع: الخروج إلى الطائف، وإسلام الجن
١٧٤	المبحث الثامن: حديث الإسراء
١٨٨	الباب الرابع: العهد المدني

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الصفحة	الموضوع
١٨٩	الفصل الأول: بناء الدولة
١٩٠	المبحث الأول: أسماء المدينة وفضائلها وبيان حرمتها
٢٠٥	المبحث الثاني: رؤيا الرسول ﷺ - لأرض الهجرة
٢٠٨	المبحث الثالث: عَرَضُ رسول الله الإسلام على القبائل، وإسلام الأنصار
٢١٣	المبحث الرابع: طلائع المهاجرين، وتحرك الرسول ﷺ - إلى المدينة
٢٢٠	المبحث الخامس: استقبال أهل المدينة للرسول ﷺ -
٢٢٥	المبحث السادس: بناء مسجد قباء، والمسجد النبوي
٢٣٣	المبحث السابع: لقاء عبدالله بن سلام
٢٣٦	المبحث الثامن: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
٢٤٢	الفصل الثاني: أول العهد المدني، ومرحلة الدفاع
٢٤٣	المبحث الأول: وَعَكُ المهاجرين في أول قدومهم المدينة
٢٤٧	المبحث الثاني: شراء عثمان لبئر رومة وحفرها
٢٤٩	المبحث الثالث: تحويل القبلة إلى مكة
٢٥٤	المبحث الرابع: بناء الرسول ﷺ - بعائشة وزينب وأم سلمة وغيرهنّ رضي الله عنهنّ
٢٧٤	المبحث الخامس: تشريع الجهاد
٢٨٢	المبحث السادس: سرية الأبواء (ودّان)
٢٨٥	المبحث السابع: سرايا أخرى
٢٩٢	المبحث الثامن: عدد غزوات النبي ﷺ
٢٨٤	الباب الخامس: المعارك الكبرى، والحدّات العظيمة التي بعدها
٢٩٧	الفصل الأول: غزوة بدر الكبرى وغزوة أحد
٢٩٨	المبحث الأول: مشاورة الرسول ﷺ لأصحابه
٣٠٦	المبحث الثاني: مناشدة الرسول ﷺ ربه عزّ وجل
٣١٢	المبحث الثالث: شهود الملائكة بدرّاً، وفضل أهل بدر

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الصفحة	الموضوع
٣٢٢	المبحث الرابع: قتلى المشركين ببدر، وقصة أسراهم
٣٣٥	المبحث الخامس: في أعقاب بدر (مقتل كعب بن الأشرف)
٣٤١	المبحث السادس: ما ورد عن جبل أحد، ورؤيا الرسول ﷺ قبل الغزوة
٣٥٠	المبحث السابع: تخاذل المنافقين، وقصة الرماة
٣٥٧	المبحث الثامن: إصابة الرسول ﷺ - وبعض أصحابه
٣٦٧	المبحث التاسع: قتال الملائكة مع المسلمين في أحد، وذكر شهداء أحد
٣٨٠	الفصل الثاني: أحداث متفرقة، وغزوة الأحزاب وبني قريظة
٣٨١	المبحث الأول: مأساة بعث (الرجيع)، وبئر معونة
٣٩٧	المبحث الثاني: غزوة بني النضير، وغزوة ذات الرقاع
٤١٣	المبحث الثالث: غزوة بني المصطلق (المريسيع)
٤٢١	المبحث الرابع: حديث الإفك
٤٣٦	المبحث الخامس: غزوة الأحزاب وحفر الخندق
٤٤٧	المبحث السادس: دعاء رسول الله ﷺ - على المشركين
٤٥٢	المبحث السابع: بشارة رسول الله ﷺ - بفتح الشام والمدائن واليمن
٤٥٨	المبحث الثامن: نهاية غزوة الخندق
٤٦٧	المبحث التاسع: غزوة بني قريظة
٤٧٧	الخاتمة
٤٧٨	الفهارس
٤٧٩	فهرس الآيات القرآنية
٤٩١	فهرس الأحاديث النبوية
٥٠٣	فهرس الأعلام
٥١٣	فهرس المصادر والمراجع

مُتَكَمِّمًا

الباب الأول

أساسيات البحث

وفيه فصلان:

الفصل الأول

أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، وأهميته،
وبيان مشكلته، وأسئلته، وفروضه.

الفصل الثاني

منهج البحث، وحدوده، وبيان وسائله
وأدواته، ومصطلحاته، وهيكله، ومساهمته في
الفكر الإنساني العالمي.

مَقَدِّمَةٌ

الحمد لله القائل في كتابه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^(١)، والقائل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(٢)، والصلاة والسلام على مُعَلِّمِ البشرية، أرسله الله إلى الناس كافة على حين فترة من الرسل قد عَمَّتْ فيها الظلمات - ظلمات الكفر والظلم - فهدى الله به بعد ضلالة وبصر به بعد عمى وجمع به بعد فرقة وشتات، فكان للبشرية سراجاً منيراً ونوراً مبيناً، فما أحوج الأمة في هذه الأيام أن تتعرف على سيرته وهديه عليه الصلاة والسلام! ولن يكون لها ذلك إلا إذا تعلّمت سيرته من مصادرها الموثوقة وأخبارها الثابتة الصحيحة، إذ لا هداية للبشرية جمعاء إلا بالسير على هديه واتباع طريقته، ولن يكون لها ذلك إلا بدراسة سيرته العطرة لتتعرف كيف كانت علاقته بربه جل وعلا في عباداته، وكيف كانت علاقته بالخلق في معاملاته مع الصغير والكبير والذكر والأنثى والصاحب والعدو، وكيف كان تعامله في حالي السلم والحرب وفي حالي القوة والضعف ثم بعد ذلك تطبقها في حياتها، وحينها فلتبشر البشرية بعزّها ومجدها ونورها، ولما كانت السيرة بهذه المكانة الرفيعة كان موضوع الباحث لمرحلة الدكتوراه هو:
(السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة "جمعاً ودراسة").

وها أنا أضع بين أيديكم سيرته - ﷺ - من حال العرب قبل البعثة إلى غزوة بني قريظة، أستخرجها لكم من جهود علماء الأمة الذين أفنوا أعمارهم في حفظ سنته ونشرها وتعليمها للناس، ولاشك أن لكتب السنن في قلوب الأمة منزلة عظيمة، وقد أولاها العلماء قديماً وحديثاً اهتماماً كبيراً شرحاً ودراسةً وتعليماً ونشراً بين الناس، ومن هؤلاء العلماء: {الأئمة الأربعة أصحاب السنن} - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -، فهم أصحاب الباع الطويل في هذا الباب.

(١) سورة الفتح الآية: (٢٩).

(٢) سورة الأحزاب الآية: (٢١).

تمهيد

ترجمة أصحاب كتب السنن الأربعة^(١)

الإمام ابن ماجه

هو الحافظ، الكبير، الحجة، المفسر، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الرَّبَّعي بالولاء القزويني، مصنف (السنن)، و (التاريخ)، و (التفسير)، وحافظ قزوين في عصره، ولد: سنة تسع ومائتين.

قال القاضي (أبو يعلى الخليلي)^(٢): كان أبوه؛ يزيد يُعرف بـماجه، وولاه لربيعة. وابن ماجه ثقة كبير، متفق عليه، محتج به، له معرفة بالحديث وحفظه، ارتحل إلى العراقين، ومكة والشام، ومصر والري لكتب الحديث وتعلمها.

مات يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان، وصلى عليه أخوه؛ أبو بكر، وتولى دفنه أخواه؛ أبو بكر، وأبو عبد الله، وابنه؛ عبد الله، وكان ذلك في رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وقيل: سنة خمس، والأول أصح. وعاش أربعاً وستين سنة، وعدد كتب (سنن) ابن ماجه اثنان وثلاثون كتاباً. وقال (أبو الحسن القطان)^(٣): في (السنن) ألف وخمس مائة باب، وجملة ما فيه أربعة آلاف حديث^(٤).

(١) ترتيب ترجمتهم بحسب تاريخ وفياتهم.

(٢) الخليلي: هو القاضي خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم ابن الخليل القزويني، أبو يعلى الخليلي: قاض، من حفاظ الحديث، العارفين برجاله، له (الإرشاد في علماء البلاد) في الرباط (٥٢٨) ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه إلى زمانه. ينظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، (٣١٩/٢).

(٣) القطان: الإمام، الحافظ، القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القزويني، القطان، عالم قزوين، ولد في سنة أربع وخمسين ومائتين، سمع من: أبي عبد الله بن ماجه (سننه)، وغيره، وجمع وصنف، وتقنن في العلوم، وثابر على القرب، توفي في سنة خمس وأربعين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٦٣/١٥-٤٦٦).

(٤) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، (د.ت) (٢٨١-٢٧٧/١٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعن ابن ماجه قال: عرضت هذه "السنن" على (أبي زرعة الرازي)^(١)، فنظر فيه، وقال: أظنّ إن وقع هذا في أيدي الناس، تعطلت هذه الجوامع، أو أكثرها، ثم قال: لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً، مما في إسناده ضعف، أو نحو ذا.

قال (الذهبي)^(٢): قد كان ابن ماجه حافظاً ناقدًا صادقاً، واسع العلم، وإنما غَضَّ من رتبة "سننه" ما في الكتاب من المناكير، وقليل من الموضوعات، وقول أبي زرعة -إن صح- فإنما عَنَى بثلاثين حديثاً الأحاديث المطرحة الساقطة، وأما الأحاديث التي لا تقوم بها حجة، فكثيرة، لعلها نحو الألف.

وقال (الحافظ ابن حجر)^(٣) في "تهذيب التهذيب": (كتابه في السنن جامع جيد كثير الأبواب والغرائب، وفيه أحاديث ضعيفة جداً)^(٤).

(١) أبو زرعة الرازي: الإمام، سيد الحفاظ، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ: محدث الري، ودخول (الرازي) في نسبه غير مقيس، كالمروزي، ولد بعد نيف ومائتين، وقيل: توفي سنة إحدى عشرة ومائتين، وطلب العلم وهو حدث، وارتحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكتب ما لا يوصف كثرة. قال الذهبي: يعجبني كثيراً كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل، يبين عليه الورع والمخبرة، بخلاف رفيقه أبي حاتم، فإنه جراح. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٣/٦٥-٨٣).

(٢) الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبوعبد الله: حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل، من أهل ميافارقين، مولده في (٦٧٣هـ)، ووفاته في (٧٤٨هـ)، ولد وتوفي في دمشق، رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١هـ، تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها "المشتبه في الأسماء والأنساب"، والكنى والألقاب و"تاريخ الإسلام الكبير"، و"سير أعلام النبلاء"، و"طبقات القراء"، و"تهذيب التهذيب الكمال"، و"ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، و"الإعلام بوفيات الإعلام"، و"الرواة الثقات" رسالة، و"الطب النبوي". ينظر: للزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٣٢٦/٥)، وينظر: الذهبي، مقدمة سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٧).

(٣) الحافظ ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي الكناني العسقلاني، الشافعي، صاحب أشهر شرح لصحيح البخاري، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة، عالم محدث وفقه ولع بالأدب والشعر، صبيح الوجه، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، أما تصانيفه فكثيرة جليلة ومنها: (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)، و(بلوغ المرام من أدلة الأحكام)، و(إتحاف المهرة بأطراف العشرة) في الحديث، و(فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، وغيرها، ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي في سنة ٨٥٢هـ. ينظر: للزركلي، الأعلام، مرجع سابق (١٧٨/١-١٧٩). وينظر: الموقع الإلكتروني للمكتبة الشاملة: (<http://shamela.ws/index.php/author/202>).

(٤) ينظر: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ/١٩٠٤م، (٥٣١م).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال الباحث: وذكر بعض العلماء والحفاظ أن الإمام ابن ماجه إذا انفرد بخبر فهو ضعيف.

وقال الشيخ (محمد بن علي بن آدم)^(١): هذا الكلام ليس بصحيح على إطلاقه، فإن فيه أحاديث انفرد بها، وهي إما صحيحة وإما حسان، وكذا حمل الحافظ هذا الكلام في "التهذيب" على الرجال غير صحيح، لأنه انفرد برجال ثقات وسوف تراهم حين أنبه عليهم في هذا الشرح -إن شاء الله تعالى-.

وقال أيضاً: (تنبيه): قد تبينَ بما ذكر أن الصواب أن "ماجه" يقرأ بالهاء الساكنة وصلًا ووقفًا، وأما ما اشتهر في الآونة الأخيرة من قراءته وكتابته بالتاء المربوطة، فغلط؛ لأنه لم يثبت ممن يُعتمد قوله، والحاصل أن قراءة "ابن ماجه" وكتابته بالهاء الساكنة وصلًا ووقفًا هو الصواب الذي لا يجوز سواه، فإنه اسم عجمي، يُنطق به كما سُمع، والله تعالى يتولى هداك، اللهم اهدنا فيمن هديت آمين.

[تنبيه آخر]: عدد كتب "سنن ابن ماجه" اثنان وثلاثون كتابًا. وقال أبو الحسن القطان: في "السنن" ألف وخمسمائة باب، وجملة ما فيه أربعة آلاف حديث. ذكره الذهبي في "سيره". وذكر الأستاذ محمد فؤاد أن عدد كتبه (٣٧) عدا المقدمة، وعدد أبوابه (١٥١٥) بابًا، وعدد أحاديثه (٤٣٤١) انتهى. وعدد الأحاديث الصحيحة منه على ما حققه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى (٣٥٠٣) وعدد الأحاديث الضعيفة منه (٩٤٨). لكن المجموع يخالف ما قاله محمد فؤاد، ويحتاج إلى تدقيق، وإمعان، وسأحققه عند متابعة العمل في الشرح، إن شاء الله تعالى. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب^(٢).

(١) هو محمد ابن الشيخ العلامة علي بن آدم بن موسى الإتيوبي عفا الله تعالى عنه، وعن والديه آمين، مؤلف كتاب مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه.

(٢) ينظر: محمد بن علي بن آدم بن موسى، مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، الطبعة: الأولى، الناشر: دار المغني، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، (١١-٦/١).

الإمام أبو داود^(١):

هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن بشير الأزدي السجستاني، الإمام، شيخ السنة، مقدم الحفاظ، أبو داود الأزدي، السجستاني، محدث البصرة. ولد: سنة اثنتين ومائتين، ورحل، وجمع، وصنف، وبرع في هذا الشأن.

قال الذهبي: مات في شعبان، من سنة عشرين، وسكن البصرة بعد هلاك الخبيث طاغية الزنج، فنشر بها العلم، وكان يتردد إلى بغداد.

قال (الخطيب أبو بكر)^(٢): يقال: إنه صنف كتابه (السنن) قديماً، وعرضه على أحمد بن حنبل، فاستجاده، واستحسنه. وقال أبو بكر بن داسة: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله - ﷺ - خمس مائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني: كتاب (السنن) - جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمان مائة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه ويقاربه، وكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث:

(١) ينظر: ترجمة الإمام أبي داود عند الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٠٣/١٣ - ٢٢١).

(٢) الخطيب أبو بكر: هو الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، الإمام والعلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ، ولد: سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة، وكان أبوه أبو الحسن خطيباً بقرية درزيجان، وممن تلا القرآن على أبي حفص الكتاني، فحضر ولده أحمد على السماع والفقه، فسمع وهو ابن إحدى عشرة سنة، وارتحل إلى البصرة وهو ابن عشرين سنة، وإلى نيسابور وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وإلى الشام وهو كهل، وإلى مكة، وغير ذلك، وكتب الكثير، وتقدم في هذا الشأن، وبذ الأقران، وجمع وصنف وصحح، وعلل وجرح، وعدل وأرخ وأوضح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق. وتوفي: في رابع ساعة من يوم الاثنين سابع ذي الحجة من سنة ثلاث وستين، ثم أخرج بكرة الثلاثاء، وعبروا به إلى الجانب الغربي، وحضره القضاة والأشراف والخلق، ودفن بجانب قبر بشر الحافي. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٧٠/١٨ - ٢٨٦).

أحدها: قوله - ﷺ -، (الأعمال بالنيات)^(١).

والثاني: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)^(٢).

والثالث: قوله: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه)^(٣).

والرابع: (الحلال بين)^(٤).. الحديث.

(١) أخرجه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، الطبعة: الأولى، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (٣٩/١) برقم: (١/٧٥)، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ترقيم الأحاديث، وفق طبعة: المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، (د.ت)، (٢٣٠/٢) برقم: (٢٢٠١)، والترمذي محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، جامع الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م/١٩٩٨م، (٢٨٢/٣) برقم: (١٦٤٧)، وابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية، (د.ب)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، (٣٠٥/٥) برقم: (٤٢٢٧)، وأخرجه البخاري في صحيحه: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، الطبعة: الأولى، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ، (٦/١) برقم: (١) (٢٠/١)، وأخرجه الإمام مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ -، والمشهور بصحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، (صحيح مسلم)، دار الجيل، بيروت، لبنان (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤هـ)، (٤٨/٦) برقم: (١٩٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (١٤٨/٤) برقم: (٢٣١٧)، وابن ماجه في "سننه" (١١٨/٥) برقم: (٣٩٧٦). ولم أجده في سنن أبو داود.

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" (٩٧٠/١) برقم: (٤/٥٠٣١)، والترمذي في "جامعه" (٢٨٤/٤) برقم: (٢٥١٥)، وابن ماجه في "سننه" (٤٦/١) برقم: (٦٦)، والبخاري في "صحيحه" (١٢/١) برقم: (١٣)، ومسلم في "صحيحه" (٤٩/١) برقم: (٤٥). بلفظ (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" (٨٧٢/١) برقم: (١/٤٤٦٥)، وأبو داود في "سننه" (٢٤٧/٣) برقم: (٣٣٢٩)، والترمذي في "جامعه" (٤٩٤/٢) برقم: (١٢٠٥)، وابن ماجه في "سننه" (١٢٣/٥) برقم: (٣٩٨٤)، والبخاري في "صحيحه" (٢٠/١) برقم: (٥٢)، ومسلم في "صحيحه" (٥٠/٥) برقم: (١٥٩٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال (الحافظ أبو عبد الله بن مندة)^(١): الذين خرجوا وميزوا الثابت من المعلول، والخطأ من الصواب أربعة: البخاري، ومسلم، ثم أبو داود، والنسائي.

وقال (أبو عبد الله الحاكم)^(٢): (أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، سمع بمصر والحجاز، والشام والعراقين، وخراسان، وقد كتب بخراسان قبل خروجه إلى العراق، في بلده وهرة، قال: وكان قد كتب قديماً بنيسابور، ثم رحل بابنه؛ أبي بكر إلى خراسان).

قال (ابن داسة)^(٣): سمعت أبا داود، يقول: ذكرت في (السنن) الصحيح وما يقاربه، فإن كان فيه وهن شديد بينته.

(١) ابن مندة هو: أبو عبد الله محمد بن يحيى العبدى، الإمام الكبير، الحافظ، المجود، واسم مندة: إبراهيم بن الوليد بن سنده بن بطة بن أستدار بن جهار بخت العبدى مولاهم الأصبهاني، جد صاحب التصانيف الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد، ولد في حدود العشرين ومائتين في حياة جدهم مندة، مات ابن مندة في رجب سنة إحدى وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٤ / ١٨٨-١٨٩).

(٢) الحاكم هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه، الإمام، الحافظ، الناقد، العلامة، شيخ المحدثين، الضبي، الطهماني، النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف، ويعرف بابن البيع، مولده: في يوم الاثنين، ثالث شهر ربيع الأول، سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة، بنيسابور، وطلب هذا الشأن في صغره بعناية والده وخاله، وأول سماعه كان في سنة ثلاثين، ولحق الأسانيد العالية بخراسان والعراق وما وراء النهر، وسمع من نحو ألفي شيخ، ينقصون أو يزيدون، فإنه سمع بنيسابور وحدها من ألف نفس، وارتحل إلى العراق وهو ابن عشرين سنة، وولي قضاء نيسابور سنة (٣٥٩) ثم قلد قضاء جرجان، فامتتع، صنف كتباً كثيرة جداً، قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء. منها: (تاريخ نيسابور)، و(المستدرك على الصحيحين)، و(الإكليل)، و(المدخل) في أصول الحديث، ومات فجأة في صفر سنة خمس. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٧/١٦٢-١٧٧)، وينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٢٢٧/٦).

(٣) ابن داسة: هو الشيخ، الثقة، العالم، أبوبكر بن محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرزاق بن داسة البصري، التمار، راوي (السنن)، سمع: أبا داود السجستاني وهو آخر من حدث (بالسنن) كاملاً عن أبي داود، وقد عاش بعده أبو بكر النجاد عامين وعنده عن أبي داود أحاديث من (السنن)، وجزء (الناسخ والمنسوخ)، وآخر من روى عن ابن داسة بالإجازة الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، توفي سنة ست وأربعين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٥/٥٣٨-٥٣٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال الذهبي: (قلت: فقد وفى - رَحِمَهُ اللهُ - بذلك بحسب اجتهاده، وبين ما ضعفه شديد، ووهنه غير محتمل، وكاسر عن ما ضعفه خفيف محتمل، فلا يلزم من سكوته - والحالة هذه- عن الحديث أن يكون حسناً عنده، ولا سيما إذا حكمنا على حد الحسن باصطلاحنا المولد الحادث، الذي هو في عرف السلف يعود إلى قسم من أقسام الصحيح، الذي يجب العمل به عند جمهور العلماء، أو الذي يرغب عنه أبو عبد الله البخاري، ويمشيه مسلم، وبالعكس، فهو داخل في أداني مراتب الصحة، فإنه لو انحط عن ذلك لخرج عن الاحتجاج، ولبقي متجاذباً بين الضعف والحسن، فكتاب أبي داود أعلى ما فيه من الثابت ما أخرجه الشيخان، وذلك نحو من شطر الكتاب، ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين، ورغب عنه الآخر، ثم يليه ما رغبا عنه، وكان إسناده جيداً، سالمًا من علة وشذوذ، ثم يليه ما كان إسناده صالحاً، وقبله العلماء لمجيئه من وجهين لينين فصاعداً، يعضد كل إسنادهما الآخر، ثم يليه ما ضعف إسناده لنقص حفظ راويه، فمثل هذا يمشيه أبو داود، ويسكت عنه غالباً، ثم يليه ما كان بين الضعف من جهة راويه، فهذا لا يسكت عنه، بل يوهنه غالباً، وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونكارتة، والله أعلم.

وقال (الحافظ زكريا الساجي)^(١): كتاب الله أصل الإسلام، وكتاب أبي داود عهد الإسلام.

قلت: كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دقائق المسائل في الفروع والأصول، وكان على مذهب السلف في اتباع السنة والتسليم لها، وترك الخوض في مضائق الكلام.

(١) الساجي: هو أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر بن عدي بن عبد الرحمن بن أبيض بن الديلم بن باسل بن ضبة الضبي، البصري، الشافعي، الإمام، الثبت، الحافظ، محدث البصرة وشيخها ومفتيها، وله مصنف جليل في علل الحديث يدل على تبحره وحفظه، مات: بالبصرة، سنة سبع وثلاث مائة، وهو في عشر التسعين رَحِمَهُ اللهُ - . ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٤/١٩٧-٢٠٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال ابن داسة: كان لأبي داود كم واسع، وكم ضيق، فقل له في ذلك، فقال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه.

وقال الحاكم: سليمان بن الأشعث السجستاني مولده بسجستان، وله ولسلفه إلى الآن بها عقد وأملاك وأوقاف، خرج منها في طلب الحديث إلى البصرة، فسكنها، قال أبو داود: في (سننه) : شبرت قنائة بمصر ثلاثة عشر شبراً، ورأيت أترجة على بعير، وقد قطعت قطعتين، وعملت مثل عدلين. فأما سجستان، الإقليم الذي منه الإمام أبو داود: فهو إقليم صغير منفرد، متاخم لإقليم السند، غربيه بلد هراة، وجنوبيه مفازة بينه وبين إقليم فارس وكرمان، وشرقيه مفازة وبرية بينه وبين مكران التي هي قاعدة السند، وتما هذا الحد الشرقي بلاد الملتان، وشماليه أول الهند، فأرض سجستان كثيرة النخل والرمل، وهي من الإقليم الثالث من السبعة، وقصبة سجستان هي: زرنج، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، وتطلق زرنج على سجستان، ولها سور، وبها جامع عظيم، وعليها نهر كبير، وطولها من جزائر الخالدات تسع وثمانون درجة، والنسبة إليها أيضاً: (سجزي).

قيل: توفي أبو داود: في سادس عشر شوال، سنة خمس وسبعين ومائتين.

قلت: كان أخوه محمد بن الأشعث أسن منه بقليل، وكان رفيقاً له في الرحلة^(١).

(١) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٠٣/١٣-٢٢١).

الإمام الترمذي:

هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، الحافظ، الإمام، البارع، الضرير، مصنف (الجامع)، وكتاب (العلل)، وغير ذلك، اختلف فيه، فقيل: ولد أعمى، والصحيح أنه أضر في كبره، بعد رحلته وكتابته العلم، ولد: في حدود سنة عشر ومائتين، وارتحل، فسمع بخراسان والعراق والحرمين، ولم يرحل إلى مصر والشام، وقد كتب عنه شيخه أبو عبد الله البخاري. وقال الحاكم: سمعت (عمر بن علك)^(١) يقول: مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى، في العلم والحفظ، والورع والزهد، بكى حتى عمي، وبقي ضريراً سنين^(٢).

قال الترمذي: صنف هذا الكتاب، وعرضته على علماء الحجاز، والعراق وخراسان، فرضوا به، ومن كان هذا الكتاب -يعني: (الجامع) - في بيته، فكأنما في بيته نبي يتكلم^(٣).

قال الذهبي: في (الجامع) علم نافع، وفوائد غزيرة، ورؤوس المسائل، وهو أحد أصول الإسلام، لولا ما كدره بأحاديث واهية، بعضها موضوع، وكثير منها في الفضائل^(٤).

(١) عمر بن علك هو أبو حفص عمر بن أحمد بن علي بن علك المروزي، الجوهري، الشيخ، الإمام، الحافظ، الثقة، سمع: سعيد بن مسعود، وأحمد بن سيار، والعباس بن محمد الدوري، وأبا قلابة، ومحمد بن الليث وطبقتهم، وقد قدم، وحدث ببغداد، توفي سنة خمس وعشرين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٤٣/١٥-٢٤٤).

(٢) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٧٠/١٣-٢٧٢).

(٣) ينظر: محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤ هـ)، شرح الترمذي «النفح الشذي شرح جامع الترمذي»، تحقيق: أبو جابر الأنصاري، عبد العزيز أبو رحلة، صالح اللحام، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م. (١٩/١).

(٤) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٧٤/١٣).

وقال (أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق)^(١): (الجامع) على أربعة أقسام:

قسم مقطوع بصحته، وقسم على شرط أبي داود والنسائي كما بينا، وقسم أخرجه للزبدية، وأبان عن علته، وقسم رابع أبان عنه، فقال: ما أخرجت في كتابي هذا إلا حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء، سوى حديث: (فَإِذَا شَرِبَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ)^(٢)، وسوى حديث: (جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِالْمَدِينَةِ فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا سَفَرٍ)^(٣). قلت: (جامعه) قاض له بإمامته وحفظه وفقهه، ولكن يترخص في قبول الأحاديث، ولا يشدد، ونفسه في التضعيف رخو^(٤).

وقال (غنجار)^(٥) وغيره: مات أبو عيسى في ثالث عشر رجب، سنة تسع وسبعين ومائتين بترمز. مات في ثالث عشر رجب، سنة تسع وسبعين ومائتين بترمز^(٦).

(١) أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف البغدادي، الخياط. الشيخ الصالح، روى عن: ابن نيهان، وابن بيان، وأبي طالب اليوسفي. وعنه: ابن الأخضر، والشيخ الموفق، والبيهاء عبد الرحمان، والشمس البخاري، وكتائب بن مهدي، وعبد الحق الفيالي، وعبد الحق بن خلف، وآخرون. توفي: بمكة، قبل أخيه، في سنة أربع وسبعين وخمس مائة، وله تسع وستون سنة، وكان ديناً، خيراً، ذا مروءة تامة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٨/٢١-٤٩).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١٠٧٩/١) برقم: (٤/٥٦٧٨)، وأبو داود في "سننه" (٢٨١/٤) برقم: (٤٤٨٤)، وابن ماجه في "سننه" (٦٠٣/٣) برقم: (٢٥٧٢).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١٣٨/١) برقم: (١/٥٨٨)، وأبو داود في "سننه" (٤٦٩/١) برقم: (١٢١٠)، والترمذي في "جامعه" (٢٢٩/١) برقم: (١٨٧)، وابن ماجه في "سننه" (١٧٥/٢) برقم: (١٠٦٩)، والبخاري في "صحيحه" (١١٥/١) برقم: (٥٤٣)، ومسلم في "صحيحه" (١٥١/٢) برقم: (٧٠٥).

(٤) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٧٥/١٣-٢٧٦).

(٥) غنجار: هو عيسى بن موسى البخاري، محدث بخارى، ومؤرخها، الشيخ، الأزرق، له: رحلة، ومعرفة، حدث عن: سفيان الثوري، وغيره. قال الحاكم: هو إمام عصره، طلب الحديث على كبر السن، ورحل، وهو في نفسه صدوق، تتبعت رواياته عن الثقات، فوجدتها مستقيمة، يروي عن أكثر من مائة شيخ من المجهولين. وقال الدارقطني: غنجار لا شيء. له "تاريخ بخارى" قال ابن ناصر الدين: من أجل المصنفات. توفي: في آخر سنة ست وثمانين ومائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٨٧/٨-٤٨٨)، وينظر: الأعلام، للزركلي، مرجع سابق (٣١٣/٥).

(٦) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٧٠/١٣-٢٧٧).

الإمام النسائي:

هو الإمام، الحافظ، الثبت، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، النسائي، صاحب (السنن)، ولد بنسأ في سنة خمس عشرة ومائتين، وطلب العلم في صغره، فارتحل إلى (قتيبة)^(١) في سنة ثلاثين ومائتين، فأقام عنده ببغلا ن سنة، فأكثر عنه^(٢).

وكان من بحور العلم، مع الفهم، والإتقان، والبصر، ونقد الرجال، وحسن التأليف، جال في طلب العلم في خراسان، والحجاز، ومصر، والعراق، والجزيرة، والشام، والشغور، ثم استوطن مصر، ورحل الحفاظ إليه، ولم يبق له نظير في هذا الشأن، وكان شيخاً مهيباً مليح الوجه ظاهر الدم حسن الشبهة، قال عن نفسه: أقمت عند قتيبة بن سعيد سنة وشهرين.

وكان يسكن بزقاق القناديل بمصر، وكان نضر الوجه مع كبر السن، يؤثر لباس البرود النوبية والخضر، ويكثر الاستمتاع، له أربع زوجات، فكان يقسم لهن، ولا يخلو مع ذلك من سرية، وكان يكثر أكل الديوك تشتري له وتسمن وتخصى^(٣).

(١) قتيبة: هو شيخ الإسلام، المحدث، الإمام، الثقة، الجوال، راوية الإسلام، أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف النقي مولا هم، البلخي، البغلاني، من أهل قرية بغلان، من موالى الحاج بن يوسف الأمير الظالم، وهو ابن أخي وشيم بن جميل النقي. ولد: في سنة تسع وأربعين ومائة، وارتحل في طلب العلم، وكتب ما لا يوصف كثرة، وذلك في سنة ثنتين وسبعين ومائة، وروى عنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي في كتبهم، فأكثرُوا، وكان أبو رجاء رجلاً ربعة، أصلع، حلو الوجه، حسن اللحية، واسع الرجل، غنياً من ألوان الأموال من الدواب والإبل والبقر والغنم، وكان كثير الحديث، ومات لليلتين خلتا من شعبان، سنة أربعين ومائتين، وهو في تسعين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١١/١٣-٢٤)، وينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (١٨٩/٥).

(٢) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٤/١٢٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق (١٤/١٢٧-١٢٨).

(ذكر الذهبي)^(١) أن (الوزير ابن حنظلة)^(٢) قال: (سمعت (محمد بن موسى المأموني)^(٣) صاحب النسائي قال: سمعت قوماً ينكرون على أبي عبد الرحمن النسائي كتاب (الخصائص) لعلي - عليه السلام - وتركه تصنيف فضائل الشيخين، فذكرت له ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير، فصنفت كتاب (الخصائص) رجوت أن يهديهم الله تعالى. ثم إنه صنف بعد ذلك فضائل الصحابة.

وقال الحاكم: كلام النسائي على فقه الحديث كثير، ومن نظر في (سننه) تحير في حسن كلامه.

وقال (ابن الأثير)^(٤) في أول (جامع الأصول): كان شافعيًا له مناسك على مذهب الشافعي وكان ورعاً متحرياً.

-
- (١) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٤/١٢٥-١٣٣).
- (٢) ابن حنظلة: هو الإمام، الحافظ، الثقة، الوزير الأكمل، أبو الفضل جعفر ابن الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات البغدادي، نزيل مصر، ولد: ببغداد في ذي الحجة سنة ثمان وثلاث مائة، ووزر أبوه للمقتدر عام مصرعه، وكان يملئ الحديث بمصر، وبسببه خرج الدارقطني إليها، فإن ابن حنظلة كان يريد أن يصنف مسنداً، فخرج الدارقطني إلى مصر، وأقام عنده مدة، وحصل له منه مال كثير. وحنظلة: جارية هي والدة الفضل الوزير، وفي اللغة: الحنظلة: هي القصيرة السمينة. كان ينفق في البر والمعروف الأموال، وأنفق كثيراً على أهل الحرمين إلى أن اشترى داراً أقرب شيء إلى الحجرة النبوية، وأوصى أن يدفن فيها، وأرضى الأشراف بالذهب، فلما حمل تابوته من مصر تلقوه ودفن في تلك الدار. توفي: في ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٦/٤٨٤-٤٨٧).
- (٣) محمد بن موسى: هو الشيخ، المسند، المحدث، ابن فضالة أبو عمر محمد بن موسى بن فضالة بن إبراهيم بن فضالة بن كثير الأموي القرشي، مولى الخليفة عمر بن عبد العزيز، دمشق معروف. ينظر: الهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٦/١٥٧-١٥٩).
- (٤) ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، ثم الموصل، الكاتب صاحب (جامع الأصول)، و(غريب الحديث)، وغير ذلك، مولده بجزيرة ابن عمر، في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمس مائة، ونشأ بها، ثم تحول إلى الموصل وولي ديوان الإنشاء، وعظم قدره، ثم عرّض له فالج في أطرافه، وعجز عن الكتابة، ولزم داره، وأنشأ رباطاً في قرية وقف عليه أملاكه، وله نظم يسير، من تصانيفه كتاب (الفروق في الأبنية)، وكتاب (الأدواء والذوات) وغيرها، عاش ثلاثاً وستين سنة، وتوفي سنة ست وست مائة بالموصل. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢١/٤٨٨-٤٩١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال (محمد بن المظفر الحافظ)^(١): (سمعت مشايخنا بمصر يصفون اجتهد النسائي في العبادة بالليل والنهار، وأنه خرج إلى الفداء مع أمير مصر فوصف من شهامته وإقامته السنن المأثورة في فداء المسلمين، واحترازه عن مجالس السلطان الذي خرج معه، والانبساط في المأكّل، وأنه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد بدمشق من جهة الخوارج).

وقال (الدارقطني)^(٢): (خرج حاجاً فامتحن بدمشق، وأدرك الشهادة فقال: احملوني إلى مكة. فحمل وتوفي بها، وهو مدفون بين الصفا والمروة، وكانت وفاته في شعبان سنة ثلاث وثلاث مائة. قال: وكان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعلمهم بالحديث والرجال).

(١) ابن المظفر: هو الشيخ، الحافظ، المجود، محدث العراق، أبو الحسين محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن محمد البغدادي. قال عن نفسه: أبي من سامراء، وولدت أنا ببغداد، في أول سنة ست وثمانين ومائتين، وأول سماعي في سنة ثلاث مائة. وقيل: إنه من ذرية سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه-، فسئل عن هذا، فقال: لا أعلم صحة ذلك. كان ابن المظفر فهماً، حافظاً، صادقاً، مكثراً، مات: في جمادى الأولى، سنة تسع وسبعين وثلاث مائة، يوم الجمعة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤١٨/١٦ - ٤٢٠).

(٢) الدارقطني: الإمام، الحافظ، المجود، شيخ الإسلام، علم الجهادية، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي، المقرئ، المحدث، من أهل محلة دار القطن ببغداد. ولد: سنة ست وثلاث مائة، هو أخبر بذلك. صنف التصانيف، وسار ذكره في الدنيا، وهو أول من صنف القراءات، وعقد لها أبواباً قبل فرش الحروف. قال الحاكم: دخل الدارقطني الشام ومصر على كبر السن، وحج واستفاد وأفاد، ومصنفاته يطول ذكرها. وقال أبو عبد الرحمن السلمي فيما نقله عنه الحاكم، وقال: شهدت بالله إن شيخنا الدارقطني لم يخلف على أديم الأرض مثله في معرفة حديث رسول الله -ﷺ- وكذلك الصحابة والتابعين وأتباعهم. قال: وتوفي يوم الخميس، لثمان خلون من ذي القعدة من سنة خمس وثمانين وثلاث مائة، وكذا أرخ الخطيب وفاته. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٤٧/١٦ - ٤٥٧)، وينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٣١٤/٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال (أبو سعيد بن يونس)^(١) في (تاريخه): كان أبو عبد الرحمن النسائي إماماً حافظاً ثباتاً، خرج من مصر في شهر ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاث مائة، وتوفي بفلسطين في يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر، سنة ثلاث.

قال الذهبي: هذا أصح، فإن ابن يونس حافظ يقظ وقد أخذ عن النسائي، وهو به عارف. ولم يكن أحد في رأس الثلاث مائة أحفظ من النسائي، هو أحق بالحديث وعلمه ورجاله من مسلم، ومن أبي داود، ومن أبي عيسى، وهو جار في مضمار البخاري، وأبي زرعة إلا أن فيه قليل تشيع وانحراف عن خصوم الإمام علي، ك معاوية وعمرو، والله يسامحه. وقد صنف (مسند علي) وكتاباً حافلاً في الكنى، وأما كتاب: (خصائص علي) فهو داخل في (سننه الكبير) وكذلك كتاب (عمل يوم وليلة) وهو مجلد، هو من جملة (السنن الكبير) في بعض النسخ، وله كتاب (التفسير) في مجلد، وكتاب (الضعفاء) وأشياء^(٢).

(١) أبو سعيد بن يونس: هو الإمام، الحافظ المتقن، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد ابن الإمام يونس بن عبد الأعلى الصدفي، المصري، صاحب (تاريخ علماء مصر)، ولد: سنة إحدى وثمانين ومائتين. سمع من أبيه ومن النسائي وغيرهما، ما ارتحل ولا سمع بغير مصر، ولكنه إمام بصير بالرجال فهم متيقظ، مات في جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وثلاث مائة عن ستة وستين عاماً. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٥/٥٧٨-٥٧٩).

(٢) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٤/١٢٥-١٣٣).

الباب الأول

أساسيات البحث

وفيه فصلان:

الفصل الأول

**أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، وأهميته،
وبيان مشكلته، وأسئلته، وفرضه.**

الفصل الثاني

**منهج البحث، وبيان وسائله وأدواته،
وحدوده، ومصطلحاته، وهيكله، ومساهمته
في الفكر الإنساني العالمي.**

الفصل الأول

**أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، وأهميته،
وبيان مشكلته، وأسئلته، وفروضه.**

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

- ألخص دوافع اختيار الباحث لهذا البحث في الآتي:
- نشر ما ثبت من السيرة النبوية واستخراجها للناس في صورة تُسهّل الوقوف عليها من خلال كتب أصحاب السنن الأربعة، ولحد من انتشار الأخبار غير الثابتة.
- سيرة النبي الكريم - ﷺ - جميعنا بأمس الحاجة إليها.
- معرفة السيرة النبوية تزيد الإيمان في القلوب، وتُصحّح المسار في الطريق إلى الله، فالداعية والمربي والقائد والعالم وغيرهم في أمس الحاجة إليها.
- تيسير التراث الإسلامي وتسهيله لإفادة الباحثين منه بسهولة ويُسر.
- تلخيص بعض الأمهات من المصنفات التراثية وجعلها في متناول الأجيال الصاعدة.
- خدمة الدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية.

ثانياً: أهداف البحث:

- تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:
- (١) معرفة سيرة رسول الله - ﷺ - معرفة شاملة.
 - (٢) معرفة الهدى النبوي في إدارة الأمور في حال القوة والضعف، وفي حال السلم والحرب، والتعامل مع كل الناس الصاحب منهم والعدو والمسلم والكافر، والمعاهد وغير المعاهد.
 - (٣) الوقوف على التطبيق العملي لأحكام الإسلام التي وردت في القرآن الكريم في مجالات الحياة المختلفة، وهذا يعين بقدر كبير على فهم كتاب الله.
 - (٤) التعريف بجهود العلماء في خدمة الحديث الشريف والسيرة النبوية من خلال كتب السنن الأربعة.
 - (٥) ربط الناس بالمرويات الصحاح في السيرة النبوية، والحد من انتشار القصص الموضوعية والضعيفة في السيرة النبوية.
 - (٦) خدمة التراث العلمي الإسلامي ووضعه في متناول القراء لتسهيل الوصول إليه.
 - (٧) نشر علم السلف وتوضيح أهميته للخلف.
 - (٨) حاجة الناس الماسة للقدوة الصالحة، وربطهم بسيرة نبيهم - ﷺ -.

ثالثاً: أهمية البحث:

- تظهر أهمية هذا البحث في ما يلي:
- ارتباطه بسيرة خير البشرية ﷺ ، وكفى بذلك شرفاً وقدرًا.
- تيسير الوصول إلى سيرة الرسول ﷺ -.
- يمكن أن يضيف للمكتبة العلمية سيرة خير البشرية ﷺ - من مصادرها الصحيحة.
- سيساعد في سرعة الوصول للمعلومة المستخرجة من بطون هذه الأمهات.
- استخراج سيرة خير قائد للبشرية ديناً وعلماً ودعوة وتعاملاً بشكل صحيح موثوق.
- معرفة جهود علماء السلف ومنهم الأئمة الأربعة أصحاب السنن - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - في خدمة الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية.

رابعاً: مشكلة البحث:

هناك جهود للعلماء قديماً وحديثاً، واهتمام منهم - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - بالحديث الشريف والسيرة النبوية الصحيحة، ومن هؤلاء العلماء الأئمة الأربعة أصحاب السنن، فقد ذكروا في سننهم كثيراً من الأحاديث عن سيرة النبي ﷺ -، وهناك جهود عظيمة من العلماء الذين اهتموا بشرح هذه السنن - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -، فما هي هذه الأحاديث وما هي تلك الجوانب التي تطرّقوا لها في السيرة النبوية؟ وما هي تلك الآثار والأخبار من سيرته وهديه - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - التي يمكن أن تضاف إلى المكتبة العلمية للأمة الإسلامية من خلال كتب أصحاب السنن الأربعة؟ وإني لأرجو الله أن ييسر من يكمل هذا المشوار من بعدي، فيكمل ما سيبقى من السيرة إلى وفاة النبي ﷺ -.

خامساً: أسئلة البحث:

من خلال معالجة هذه الدراسة لمرويات السيرة النبوية من خلال كتب أصحاب السنن الأربعة، سأحاول أن أظهر وأجلي الإجابة عن بعض الأسئلة المهمة التي يحتاجها الباحثون، ومنها:

(١) ما الجهود التي بذلها الأئمة الأربعة - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - في خدمة السيرة النبوية من خلال سننهم؟

(٢) ما أبرز الجوانب التي بحثها الأئمة الأربعة - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - عن حياة النبي - ﷺ - قبل البعثة وبعدها؟

(٣) ما الأخبار والأحداث الصحيحة من مرويات السيرة النبوية التي يمكن إضافتها للأحاديث النبوية بشكل عام وللسيرة النبوية بشكل خاص في تبليغ الرسول - ﷺ - للدعوة في مكة، ثم الهجرة إلى المدينة وتأسيس دولة الإسلام هناك، وعن غزواته وحياته الدعوية فيها من خلال السنن الأربعة؟

(٤) ما الأخبار والآثار الصحيحة عن الصحابة وغيرهم، والتي ذكرها بعض علماء أهل السير عن سيرة نبيِّنا محمد - ﷺ -؟

سادساً: فروض البحث: يفترض الباحث الآتي:

- هناك جهود بذلها الأئمة الأربعة - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - في خدمة السيرة النبوية من خلال سننهم.
- بحث الأئمة الأربعة - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - جوانب عظيمة في سننهم عن حياة النبي - ﷺ - قبل البعثة وبعدها.
- توجد أخبار وأحداث صحيحة من مرويات السيرة النبوية يمكن إضافتها للأحاديث النبوية بشكل عام وللسيرة النبوية بشكل خاص في تبليغ الرسول - ﷺ - للدعوة في مكة، ثم الهجرة إلى المدينة وتأسيس دولة الإسلام هناك، وعن غزواته وحياته الدعوية فيها من خلال كتب أصحاب السنن الأربعة - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -.
- هناك أخبار وآثار صحيحة عن الصحابة وغيرهم ذكرها بعض علماء أهل السير عن سيرة نبيِّنا محمد - ﷺ - .

الفصل الثاني

منهج البحث، وسائله وأدواته، وحدوده،

ومصطلحاته، وهيكله، ومساهمته في الفكر

الإنساني العالمي.

أولاً: منهج البحث:

سيعتمد الباحث في دراسته للسيرة النبوية من خلال كتب أصحاب السنن الأربعة على المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي من خلال وصف الأخبار والآثار بعد جمعها من كتب أصحاب السنن الأربعة وترتيبها بحسب حدوثها وفقاً للترتيب الزمني لسيرة الرسول - ﷺ - ثم دراستها.

وسيكون عمل الباحث فيها وفقاً للمنهجية العلمية المتبعة بما يلي:

- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها في الهامش، وترقيمها، ثم توضع بين قوسين مزهرين: ﴿...﴾.
- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها في كتب العلماء المحققين، وما حكموا عليها من صحة أو تضعيف مع دراسة ذلك، وتوضع بين تنصيص مميز: "...".
- عند تخريج الحديث سأذكر تخريجه من الصحيحين أولاً إن كان فيهما، ثم السنن.
- التعريف بالمصطلحات، وشرح المفردات الغريبة.
- التعريف بالأعلام غير المشهورين، والترجمة لهم مع أول ذكرٍ وارد لهم في البحث، وأقصد بغير المشهورين أي: (غير العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة، والمكثرين منهم من رواية الحديث، وهم: أبو هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعائشة، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن عمر، وأبو سعيد الخدري - رضي الله عنهم -، ومن المشهورين أيضاً زوجات رسول الله - ﷺ - وأبنائه وبناته، ومن العلماء الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -).
- إبراز العناوين والفصول والمباحث.
- ضبط الشكل لما يحتاج إلى ضبط.
- العناية بعلامات الترقيم.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

- يكتب الباحث عبارة (بتصرف) إذا كان هناك تصرف في النص المنقول.
- الجمع بين بعض الأقوال التي فيها خلاف بين العلماء عندما يكون الجمع ممكناً.
- الرموز المختصرة لبعض العبارات المستخدمة عند الباحث، وهي كالتالي:
إلى آخره: (...إلخ)، الجزء: (ج)، الصفحة: (ص)، التاريخ الهجري: (هـ)، التاريخ الميلادي: (م)، الطبعة: (ط)، تاريخ: (ت)، (د.ن) بدون دار نشر، (د.ب) بدون بلد نشر، (د.ت) بدون تاريخ نشر.
- عمل فهرس للبحث على النحو الآتي:
أ- فهرس الآيات القرآنية بحسب ترتيبها في القرآن الكريم.
ب- فهرس الأحاديث النبوية بحسب ذكرها في الرسالة.
ج- فهرس الأعلام وترتيبه ترتيباً أبجدياً.
د- فهرس المصادر والمراجع، بذكر اسم المؤلف، ثم الكتاب، ثم عدد الطبعة، ثم دار النشر، وبلاد النشر والطباعة، وسنة الطباعة.
هـ- فهرس الموضوعات.

ثانياً: وسائل البحث وأدواته:

- (١) المصادر والمراجع الأصلية والحديثة.
- (٢) البحوث والرسائل العلمية والأوراق البحثية.
- (٣) الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت).
- (٤) المجالات العلمية.

ثالثاً: حدود البحث:

- حدود زمانية: من حال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة، وترتيبها على حسب زمن حدوثها.
- حدود موضوعية: أخذ الباحث مرويات السيرة النبوية من كتب أصحاب السنن الأربعة - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -.

رابعاً: مصطلحات البحث:

- السيرة: السنة والطريقة والهيئة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره.
- السيرة النبوية: أي تاريخ حياة الرسول - ﷺ - وكل ما يختص به، كاسمه، ومولده، وأسرته، وغزواته، ووفاته..... إلخ.
- كتب السنن الأربعة: هي من أهم كتب الحديث النبوي عند المسلمين، والمقصود بها: (سنن الإمام ابن ماجه، سنن الإمام أبي داود، سنن الإمام الترمذي، سنن الإمام النسائي)، وهذا ترتيب أسمائهم على حسب تاريخ وفياتهم - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -.
- البعثة: أي بعثة النبي - ﷺ - بنزول الوحي عليه وإعلامه بأنه نبي مبعوث من ربه لتبليغ الرسالة.
- غزوة: مفرد غزوات، والغزو من غزا يغزو غزواً، وهو القصد.

خامساً: هيكل البحث:

يتكوّن البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة أبواب، وخاتمة، ويحتوي كل باب على فصول، وكل فصل على مباحث، موضحة على النحو التالي:

المقدمة.

التمهيد.

الباب الأول: أساسيات البحث، وفيه فصلان:

الفصل الأول: أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، وأهميته، وبيان مشكلته، وأسئلته، وفروضه.

الفصل الثاني: منهج البحث، وبيان وسائله وأدواته، وحدوده، ومصطلحاته، وهيكله، ومساهمته في الفكر الإنساني العالمي.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الباب الثاني: الدراسات السابقة، وفيه فصلان:

الفصل الأول: الدراسات السابقة المختصة بمرويات السيرة النبوية.

الفصل الثاني: الدراسات السابقة المختصة بالسيرة النبوية.

الباب الثالث: حال الناس قبل بعثة النبي - ﷺ - وحياته في مكة قبل البعثة وبعدها، ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: الأحداث التي قبل البعثة، ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: حال الناس قبل البعثة وبعض أعمال أهل الجاهلية.

المبحث الثاني: قصة أصحاب الفيل.

المبحث الثالث: نسب النبي - ﷺ -، وأسماءه.

المبحث الرابع: مولده عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: خاتم النبوة، ولقاء بحيرى الراهب.

المبحث السادس: أعماله عليه الصلاة والسلام قبل النبوة، وزواجه بخديجة - ﷺ -.

المبحث السابع: بناء الكعبة، ومقام إبراهيم - عليه السلام -.

المبحث الثامن: صفة رسول الله - ﷺ - عند أهل الكتاب.

الفصل الثاني: البعثة والدعوة في مكة، ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: بدء الوحي.

المبحث الثاني: إسلام السابقين.

المبحث الثالث: مرحلة الجهر بالدعوة.

المبحث الرابع: انشقاق القمر.

المبحث الخامس: الهجرة إلى الحبشة.

المبحث السادس: قصة أبي طالب.

المبحث السابع: الخروج إلى الطائف، وإسلام الجن.

المبحث الثامن: الإسراء والمعراج.

الباب الرابع: العهد المدني، ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: بناء الدولة، ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: أسماء المدينة وفضائلها وبيان حرمتها.

المبحث الثاني: رؤيا الرسول - ﷺ - لأرض الهجرة.

المبحث الثالث: عَرَض رسول الله - ﷺ - الإسلام على القبائل، وإسلام الأنصار.

المبحث الرابع: طلائع المهاجرين، وتحرك الرسول - ﷺ - إلى المدينة.

المبحث الخامس: استقبال أهل المدينة للرسول - ﷺ -، ونزوله عند أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه -.

المبحث السادس: بناء مسجد قباء، والمسجد النبوي.

المبحث السابع: لقاء عبدالله بن سلام.

المبحث الثامن: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

الفصل الثاني: أول العهد المدني، ومرحلة الدفاع، ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: وَعَك المهاجرين في أول قدومهم المدينة.

المبحث الثاني: شراء عثمان - رضي الله عنه - لبئر رومة وحفرها.

المبحث الثالث: تحويل القبلة إلى مكة.

المبحث الرابع: بناء الرسول - ﷺ - بعائشة وزينب وأم سلمة وغيرهن - رضي الله عنهن -.

المبحث الخامس: تشريع الجهاد.

المبحث السادس: سرية الأبواء (ودّان).

المبحث السابع: سرايا أخرى.

المبحث الثامن: عدد غزوات النبي - ﷺ -.

الباب الخامس: المعارك الكبرى، والأحداث العظيمة بعدها، ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: غزوة بدر الكبرى وغزوة أحد، ويحتوي على تسعة مباحث:

المبحث الأول: مشاوره الرسول - ﷺ - لأصحابه.

المبحث الثاني: مناشدة الرسول - ﷺ - ربه عز وجل.

المبحث الثالث: شهود الملائكة بدرًا، وفضل أهل بدر.

المبحث الرابع: قتلى المشركين ببدر، وقصة أسراهم.

المبحث الخامس: في أعقاب غزوة بدر (مقتل كعب بن الأشرف).

المبحث السادس: ما ورد عن جبل أحد، رؤيا الرسول - ﷺ - قبل الغزوة.

المبحث السابع: تخاذل المنافقين، وقصة الرماة.

المبحث الثامن: إصابة الرسول - ﷺ - وبعض أصحابه.

المبحث التاسع: قتال الملائكة مع المسلمين في أحد، وذكر شهداء أحد.

الفصل الثاني: أحداث متفرقة، وغزوة الأحزاب وبني قريظة، وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: مأساة بعث الرجيع، وبئر معونة.

المبحث الثاني: غزوة بني النضير، وغزوة ذات الرقاع.

المبحث الثالث: غزوة بني المصطلق.

المبحث الرابع: حادثة الإفك.

المبحث الخامس: غزوة الأحزاب وحفر الخندق.

المبحث السادس: دعاء رسول الله - ﷺ - على المشركين.

المبحث السابع: بشاره رسول الله - ﷺ - بفتح الشام والمدائن واليمن.

المبحث الثامن: نهاية غزوة الخندق.

المبحث التاسع: غزوة بني قريظة.

سادساً: مساهمة البحث في الفكر الإنساني العالمي:

- (١) يسهم البحث بجمع مادة علمية دقيقة متعلقة بسيرة خير البشرية عليه الصلاة والسلام من حال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة.
- (٢) يسهم البحث في التأكيد على أهمية السيرة النبوية والتي تتجسد في الحياة الاجتماعية للمسلمين في تعاملاتهم مع بعضهم البعض ومع غيرهم.
- (٣) يسهم البحث بتقديم نموذج لجمع ودراسة ما أخرجه الأئمة أصحاب الكتب الأربعة من أحداث في السيرة النبوية فيجمعها هذا البحث ويدرسها.
- (٤) يسهم البحث بإظهار جهود الأئمة الأربعة أصحاب السنن في خدمة الحديث الشريف عامة، والسيرة النبوية خاصة.
- (٥) يسهم البحث بتسهيل الوصول إلى المعلومة عن السيرة النبوية والموجودة في السنن الأربعة.

الخاتمة: وتحتوي على:

- (١) أهم النتائج والتوصيات.
- (٢) الفهارس:
 - أ- فهرس الآيات القرآنية.
 - ب- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
 - ج- فهرس الأعلام المترجم لهم.
 - د- فهرس المصادر والمراجع.

الباب الثاني

الدراسات السابقة

وفيه فصلان:

الفصل الأول

الدراسات السابقة المختصة بمرويات السيرة النبوية

الفصل الثاني

الدراسات السابقة المختصة بالسيرة النبوية

الفصل الأول

الدراسات السابقة

المختصة بمرويات السيرة النبوية

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاع الباحث القاصر وسؤالي لأهل الاختصاص لم أجد بحثاً بهذا العنوان يُعنى باستخلاص مرويات السيرة النبوية من كتب أصحاب السنن الأربعة، ولكنني وجدت الآتي:

الدراسات السابقة المختصة بمرويات السيرة النبوية:

الدراسة الأولى: لمحمد الأمين بن محمد محمود الشنقيطي^(١)، وتهدف هذه الدراسة لاستخراج مرويات السيرة النبوية من شرح الحافظ ابن حجر لصحيح الإمام البخاري لدراستها، وترتيبها ترتيباً زمنياً على حسب وقوعها، وتوصلت الدراسة إلى أن صحيح البخاري جمع أصح المرويات في السيرة النبوية، وقد أضاف شرح الحافظ ابن حجر لها فوائد عظيمة.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن أحداث سيرة النبي -ﷺ-، واستخراج مروياتها من مصادرها الصحيحة، ودراسة هذه الأحداث.

الاختلاف: ووجه الخلاف بين الدراستين أنَّ الباحث الشنقيطي أخذها من شرح الحافظ ابن حجر على صحيح الإمام البخاري، ودراستنا هذه مأخوذة من كتب أصحاب السنن الأربعة -رحمهم الله جميعاً-، وكذلك تحدثت هذه الدراسة عن أحداث السيرة النبوية من الولادة وحتى الوفاة، ودراستنا عن أحداث السيرة من أحوال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة.

(١) بعنوان: السيرة النبوية من شرح الإمام الحافظ ابن حجر على صحيح الإمام البخاري، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، وقد تمت طباعة ونشر هذه الأطروحة، وكانت الطبعة الأولى، في دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الدراسة الثانية: لسلطان بن غويزي بن عتيق المقاضي^(١)، وتهدف الدراسة إلى جمع الأحاديث والآثار الواردة في السيرة النبوية من تفسير الثعلبي ودراساتها وتوثيقها من مصادرها الأصلية، ومن ثم ترتيبها ترتيباً زمنياً على حسب وقوعها، وقد توصلت الدراسة إلى قيمة التفسير العظيمة؛ كونه مصدراً من مصادر السيرة النبوية، وإلى غزارة المادة التاريخية في تفسير الثعلبي.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: التعرض لأحداث السيرة النبوية والحديث عنها وأخذ العبر والعظات منها، وترتيبها ترتيباً زمنياً حسب وقوعها.

الاختلاف: تختلف دراستنا عن هذه الرسالة بتحدثها عن أحداث السيرة من مرويات كتب الحديث، وهذه الدراسة تحدثت عن أحداث السيرة من كتاب التفسير للإمام الثعلبي، وتحدثت عن أحداث السيرة من السنة الأولى للهجرة وحتى السنة الرابعة، ودراستنا ستتحدث عن أحداث السيرة النبوية من الولادة وحتى غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة.

الدراسة الثالثة: لصالح بن أحمد بن جاسر الضويحي^(٢)، وتهدف الدراسة إلى إظهار الأثر على العقيدة من خلال الكتابة في السيرة النبوية لبعض الطوائف وإخراجها على وفق معتقداتها ولباس خاص، وتوصلت الدراسة إلى ملاحظة توجه أصحاب العقيدة المنحرفة إلى أحداث السيرة وتوظيفها في خدمتهم، والحاجة الماسة والمستمرة من أهل السنة للدفاع عن العقيدة الصحيحة.

(١) بعنوان: السيرة النبوية من خلال تفسير الثعلبي (٤٢٧هـ) - من السنة الأولى حتى نهاية السنة الرابعة من الهجرة - "دراسة مقارنة"، إشراف الدكتور/ سعد بن موسى بن حمد الموسى، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الأولى الماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية من جامع أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ/١٤٣٠هـ.

(٢) بعنوان: اتجاهات الكتابة في السيرة النبوية خلال القرن السابع عشر هجري (عرض ونقد)، إشراف كل من: د. جميل بن عبدالله المصري، ود. علي بن نقيع العلياني، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، لعام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: أن موضوعهما عن سيرة النبي -ﷺ- مع التنبيه على الأحاديث الضعيفة والقصص الغير صحيحة في السيرة النبوية.

الاختلاف: تختلف الدراستان بأن هذه الدراسة تُعنى باتجاهات من كتبوا في السيرة النبوية والتحذير من أصحاب العقائد الفاسدة ومن أهل البدع والأهواء الذين استغلوا الكتابة في السيرة النبوية؛ لإدخال ما ينشر عقائدهم وبدعهم وأكاذيبهم عن النبي -ﷺ-، ودراستنا تُعنى بأحداث السيرة من حال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة، دراسة قصصية ومرتببة زمنياً على حسب حدوث وقائعها.

الدراسة الرابعة: لمحمد حسني عطا القواقنة^(١)، وتهدف الدراسة إلى جمع الأحاديث الواردة في فضائل قريش وتخريجها والحكم عليها، ونتجت هذه الدراسة إلى أن هناك عدد كبير من الأحاديث التي وردت في فضائل قريش في الدنيا والآخرة وفي حبهم وإمامتهم.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن أحداث السيرة النبوية وأخذها من مصادرها الأصلية، وهي كتب أهل الحديث خصوصاً والسير عموماً.

الاختلاف: وتختلف الدراستان في الآتي:

- هذه الدراسة أخذت مرويات السيرة من مصادر كثيرة، ودراستنا ستركز على استخراج مرويات السيرة النبوية من كتب أصحاب السنن الأربعة فقط.
- هذه الدراسة ركزت على الأحاديث الواردة في فضائل قريش فقط، بينما رسالتنا ركزت على الأحاديث الواردة في السيرة بشكل عام وفي فضائل المدينة المنورة وأهل بدر وأهل أحد.
- هذه الدراسة تحدثت عن الأحاديث الواردة في فضل نسب قريش بصورة عامة، بينما رسالتنا هذه تتحدث عن الأحاديث الواردة في فضل نسب النبي -ﷺ- خاصة.

(١) بعنوان: الأحاديث الواردة في فضائل قريش "جمعاً ودراسة"، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في السيرة والدعوة من كلية الدراسات الإسلامية من جامعة أفريقيا العالمية، إشراف الدكتور: محمد موسى حماد، عام ١٤٢١هـ/١٩٩٩م.

الدراسة الخامسة: لمنى محمد علي سيد أحمد النقيب^(١)، وتهدف الدراسة إلى استخراج الأحاديث الواردة في الهجرة من نواحي عقدية واجتماعية وعن هجرة الأنبياء والصحابة وغيرهم، ثم دراستها دراسة موضوعية توثيقية نقدية، وتوصلت الدراسة إلى أن كتب الحديث مليئة بالأحاديث التي تتحدث عن الهجرة، وللحجرة من بلد إلى آخر تأثير كبير على عقيدة المسلم.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن أحداث السيرة النبوية من الهجرة النبوية الشريفة والأحاديث الواردة فيها وهجرة الصحابة -رضي الله عنهم-.

الاختلاف: درستنا هذه نتحدث عن أحداث السيرة النبوية من حال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة، وتختلف أيضاً من جهة أن رسالتنا نتحدث عن مرويات السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة، بينما هذه الدراسة تتحدث عن مرويات الهجرة من مصادر كثيرة، وكان تركيزها على جانب الهجرة في السيرة النبوية فقط.

الدراسة السادسة: لإبراهيم بن إبراهيم قريبي اليماني^(٢)، وتهدف الدراسة إلى تخريج الروايات الواردة في غزوة بني المصطلق، وتحقيقها مع الكلام على الأحكام الفقهية المستتبطة منها، ونتجت الدراسة إلى أهمية دراسة مرويات هذه الغزوة؛ لأنها من أهم الغزوات خطورة في حياة المسلمين في عهدهم الأول؛ لأنها كانت مرتعاً خصباً للمنافقين حيث اتخذوا فيها صنوفاً من الكيد للإسلام والمسلمين ولرسول الله -ﷺ- وعرضه الشريف.

(١) بعنوان: أحاديث الهجرة النبوية المشرفة (دراسة موضوعية توثيقية نقدية)، إشراف الدكتور/ أبشر عوض محمد إدريس، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الحديث وعلومه من كلية الدراسات الإسلامية، بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٢) بعنوان: مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، إشراف الدكتور: أكرم ضياء العمري، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالملكة العربية السعودية، وقد نشرت هذه الرسالة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٧م.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن بعض الروايات التي تعرّضت لأحداث من السيرة النبوية.

الاختلاف: تختلف دراستنا عن هذه الدراسة من جهة أنها تتحدث عن حال الناس قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة، بينما هذه الرسالة اقتصرت على مرويات غزوة بني المصطلق، وتختلف أيضاً من جهة أننا في دراستنا أخذنا أحداث السيرة النبوية من كتب أصحاب السنن الأربعة، وكانت بعرض قصصي لأحداث السيرة حسب تاريخ وقوعها، بينما هذه الرسالة كانت من مصادر كثيرة.

الدراسة السابعة: لإبراهيم بن إبراهيم قريبي اليماني^(١)، وتهدف الدراسة إلى استخراج الروايات الواردة في غزوة حنين وحصار الطائف من كتب أهل الحديث، وتحقيقها مع الكلام على القضايا المتعلقة بالعقيدة، والجوانب التربوية في هذه الأحداث، والتخطيطات العسكرية للنبي -ﷺ-، واستنباط الأحكام الفقهية، وتوصلت الدراسة إلى أن كتب أهل الحديث مليئة بمرويات هذه الحوادث؛ ولذلك لا بد من دراستها دراسة حديثة وعلمية.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن بعض الروايات التي تعرّضت لأحداث من السيرة النبوية.

الاختلاف: تختلف دراستنا عن هذه الدراسة من جهة أنها تتحدث عن حال الناس قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة، فهي لن تتطرق لغزوة حنين ولا لحصار الطائف، وتختلف أيضاً من جهة أننا في دراستنا ستأخذ أحداث السيرة النبوية من كتب أصحاب السنن الأربعة، وستكون بعرض قصصي لأحداث السيرة حسب تاريخ وقوعها، بينما هذه الرسالة كانت من مصادر كثيرة.

(١) بعنوان: مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، وقد نشرت هذا البحث عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، وكانت الطبعة الأولى، عام ١٤١٢هـ/١٩٩٠م.

الدراسة الثامنة: لإبراهيم بن محمد المدخلي^(١)، وتهدف الدراسة إلى استخراج الروايات الواردة في غزوة الخندق من كتب أهل الحديث، وتخريجها ودراستها دراسة حديثة لرجال السند والترجمة لهم ثم الحكم على الحديث صحةً وضعفاً، واستنباط الدروس المستفادة من أحداث هذه الغزوة.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن بعض الروايات التي تعرّضت لأحداث من السيرة النبوية في غزوة الخندق.

الاختلاف: تختلف دراستنا عن هذه الدراسة من جهة أنها ستتحدث عن حال الناس قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة، بينما هذه الرسالة اقتصرت على مرويّات غزوة الخندق فقط، وتختلف أيضاً من جهة أننا في دراستنا سنأخذ أحداث السيرة النبوية من كتب أصحاب السنن الأربعة، وستكون بعرض قصصي لأحداث السيرة حسب تاريخ وقوعها، بينما هذه الرسالة كانت من مصادر كثيرة.

(١) بعنوان: مرويّات غزوة الخندق، إشراف الشيخ الدكتور: عبد المحسن بن أحمد العباد، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بالملكة العربية السعودية، وقد نشرت هذه الرسالة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، وكانت الطبعة الأولى عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.

الفصل الثاني

الدراسات السابقة المختصة بالسيرة النبوية

الدراسات السابقة المختصة بالسيرة النبوية:

الدراسة الأولى: لأحمد سليمان عوض البشير^(١)، وتهدف الدراسة إلى الحديث عن الآيات القرآنية التي تحدثت عن السيرة النبوية في المرحلة المكية، ونتجت الدراسة إلى أن القرآن الكريم حوى الكثير من الآيات التي تحدثت عن السيرة النبوية في المرحلة المكية.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في ذكر أحداث السيرة النبوية في المرحلة المكية فقط.

الاختلاف: تختلف الدراستان في أخذ أحداث السيرة النبوية من المصادر، فمصدر هذا البحث هو الآيات القرآنية التي تحدثت عن أحداث السيرة النبوية في المرحلة المكية، بينما رسالتنا هذه مصدر الأخذ فيها هو الأحاديث النبوية التي تحدثت عن أحداث السيرة النبوية، وتختلف أيضاً من جهة أن الرسالة عن المرحلة المكية فقط، بينما دراستنا هذه عن المرحلة المكية والمدنية إلى غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة.

الدراسة الثانية: لخميس بن صالح بن محمد الغامدي^(٢)، وتهدف الدراسة إلى إبراز الدراسات التي عُنيت بمنهج النقد في السيرة النبوية وتحقيقها، وإظهار المعارف والعلوم التي لا توجد في غيره من الكتب، ونتجت الدراسة إلى غزارة المادة العلمية في كتاب الزهر الباسم، وكذلك الفوائد النقدية المستفادة في بابه.

(١) بعنوان: السيرة النبوية في القرآن الكريم (المرحلة المكية)، إشراف الدكتور/ عبدالرحيم علي محمد إبراهيم مدير جامعة أفريقيا، وهو عبارة عن أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الإسلامية بجامعة أفريقيا العالمية في السودان .

(٢) بعنوان: الزهر الباسم في سير أبي القاسم - ﷺ -، تأليف: الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي (٦٩٠-٧٦٢هـ)، عشرة أجزاء من السفر الأول ((١١-١٤٣))، إشراف الدكتور/ محمد بن صامل السلمي، وأ.د/ سعدي الهاشمي (مشفراً حديثاً) أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في عرض أحداث السيرة النبوية وخصوصاً مآلقات النبي -ﷺ- من أمور شديدة في دعوته بمكة المكرمة.

الاختلاف: تختلف الدراستان في أن دراستنا تعرضت لأحداث السيرة من حال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة، بينما هذه الدراسة تعرضت لأحداث السيرة النبوية إلى قبل الهجرة من مكة، وتختلف أيضاً أن دراستنا ستأخذ السيرة النبوية من كتب أصحاب السنن الأربعة فقط، بينما مؤلف هذه الرسالة أخذها من مصادر كثيرة، ويركز فيها على المنهج النقدي وتحقيق هذا الكتاب.

الدراسة الثالثة: لسليم بن مسعد الأحمدى^(١)، وتهدف الدراسة إلى إظهار سياسة النبي -ﷺ- في الحرب والمهادنة، ونتجت الدراسة إلى أن النبي -ﷺ- أفضل قائد عرفته البشرية في الدعوة إلى الله وفي الحنكة والخبرة العسكرية والأخذ بالشورى وسعيه للصالح والسلم لا للحرب والقتال.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في أن موضوعهما عن السيرة النبوية.

الاختلاف: تختلف الدراستان من جهة أن هذه الدراسة لم تتحدث عن حال العرب قبل الإسلام ولا عن حياة النبي -ﷺ- قبل البعثة، وتحدثت عن سيرة النبي -ﷺ- إلى بيعة الرضوان فقط، وكان التركيز فيها على الحديث عن الدروس المستفادة من سورة الفتح، ودراستنا هذه ستتحدث عن حال العرب قبل الإسلام وحياة النبي -ﷺ- قبل البعثة إلى غزوة بني قريظة، وستأخذ أحداث السيرة من خلال كتب السنن الأربعة.

(١) بعنوان: سياسة الرسول -ﷺ- في الحرب والمهادنة كما تصورها سورة الفتح، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بالمملكة العربية السعودية، عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الدراسة الرابعة: لعبدالكريم بن عيسى بن عبدالله الرحيلي^(١)، وتهدف الدراسة إلى دراسة الجوانب العقديّة في غزوات النبي -ﷺ- وحرصه على الحفاظ على العقيدة الإسلامية ومبادئها الراسخة، وتوصلت الدراسة إلى أن أعظم حكمة من الغزوات النبوية هو الحفاظ على العقيدة الإسلامية.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة وبعض الغزوات الأخرى.

الاختلاف: تختلف الدراستان في أن هذه الدراسة اقتصرت على الحديث عن غزوات النبي -ﷺ- وبحثها بحثاً عقائدياً، بينما رسالتنا هذه ستتحدث عن حياة النبي -ﷺ- إلى غزوة بني قريظة دراسة زمنية حسب الأحداث والوقائع، والاستفادة منها عقائدياً وفقهياً واجتماعياً، كما أن دراستنا ستأخذ أحداث السيرة من السنن الأربعة فقط، وهذه الرسالة أخذ مؤلفها من مصادر كثيرة.

الدراسة الخامسة: لأحمد عبدالعزيز بن قاسم الحداد^(٢)، وتهدف الدراسة إلى التركيز على أخلاق النبي -ﷺ- وتعاملاته مع الأهل والأصحاب والأعداء، ومع المسلم والكافر، وفي حالي السلم والحرب من خلال السيرة النبوية الشريفة، ونتجت الدراسة إلى أن نبينا محمد -ﷺ- كان قرآناً يمشي على الأرض في تطبيق الآداب التي حث عليها القرآن الكريم، وفي تطبيق الأخلاق الإسلامية العالية.

(١) بعنوان: المباحث العقديّة في الغزوات النبوية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المملكة العربية السعودية، لعام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) بعنوان: أخلاق النبي ﷺ في الكتاب والسنة (دراسة تطبيقية لقول عائشة ؓ) [كان خلقه القرآن]، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن أخلاق النبي -ﷺ-، وأخذ ذلك مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية.

الاختلاف: تختلف الدراستان من جهة أن هذه الدراسة كانت كلها عن أخلاق النبي -ﷺ-، ولم تتحدث عن أحداث حصلت له عليه الصلاة والسلام في حياته، كما أن دراستنا هذه ستكون مأخوذة في الجملة من السنة المطهرة والتركيز عليها، وتتحدث عن أحداث السيرة النبوية من حال العرب قبل البعثة إلى غزوة بني قريظة.

الدراسة السادسة: لمحمد بن عيطة بن سعيد بامدحج^(١)، وتهدف الدراسة إلى الحديث عن غزوة أحد ودراسة أحداثها دراسة دعوية من خلال الاستفادة من مواقف النبي -ﷺ- وأصحابه الكرام في الدعوة إلى الله في أحداث غزوة أحد، وتوصلت إلى أن خير داعية عرفته البشرية هو نبينا محمد -ﷺ-.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن غزوة أحد وما فيها من دروس للأمة الإسلامية.

الاختلاف: تختلف الدراستان من جهة أن هذه الدراسة عن غزوة أحد فقط، وأما دراستنا فهي عن حال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة، وهذه الرسالة أخذت أحداث غزوة أحد من كتب كثيرة لأهل الحديث والسيرة وتعتبر دراسة دعوية، أما دراستنا فستأخذ هذه الأحداث من السنن الأربعة دراسة زمنية على حسب الأحداث والوقائع ودراسة موضوعية.

(١) بعنوان: غزوة أحد (دراسة دعوية)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة والإعلام بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

الدراسة السابعة: لإمام أبو الفردوس باشا البجلي^(١)، وتهدف الدراسة إلى دراسة أحوال النبي -ﷺ- الشخصية في غزوة الأحزاب من خلال سورة الأحزاب، وتوصلت الدراسة إلى أن النبي -ﷺ- كان نعم القائد مشاركة مع أصحابه في حال أمنهم وخوفهم، وسلمهم وحربهم، وشبعهم وجوعهم، وكل أحوال حياتهم.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في ذكر أحداث السيرة النبوية في غزوة الأحزاب، وأيضاً في الحديث عن زوجات النبي -ﷺ- وخصوصاً زواجه عليه السلام من أم المؤمنين زينب بنت جحش، وأيضاً خطورة مكر المنافقين واليهود بالمسلمين.

الاختلاف: تختلف دراستنا عن هذه الدراسة في أخذ أحداث السيرة النبوية من مصادر أهل الحديث عامة ومن كتب أصحاب السنن الأربعة خاصة، وهذه الدراسة أكثر ما أخذت من آيات القرآن الكريم من سورة الأحزاب، وتختلف أيضاً أن دراستنا هذه درست أحداث السيرة من حال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة، بينما هذه الدراسة اقتصرت دراستها على سورة الأحزاب فقط.

الدراسة الثامنة: لصالح بن محمد بن إبراهيم اليحيى^(٢)، وتهدف الدراسة إلى دراسة مظاهر الرحمة التي تجلت في غزوات النبي -ﷺ- لأصحابه ولغيرهم، وتوصلت الدراسة إلى أن النبي -ﷺ- كان حريصاً على دعوة الكفار بالتبلي هي أحسن، وإدخالهم في دين الإسلام، وإعطائهم الفرص السانحة لهم، والحرص على الأسراء ليدخلوا في دين الله.

(١) بعنوان: أحوال النبي -ﷺ- الشخصية من خلال سورة الأحزاب (جمعاً ودراسة)، إشراف الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من كلية العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية بماليزيا، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(٢) بعنوان: مظاهر الرحمة في غزوات النبي -ﷺ-، إشراف الدكتور/ عبدالرحمن بن جميل بن عبدالرحمن القصاص، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، عام ١٤٣٥هـ/١٤٣٦هـ.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في عرض أحداث السيرة النبوية في الغزوات، وكيف كانت رحمته -ﷺ- بأصحابه، وحتى كيف كان تعامله مع أعدائه بأخلاق الإسلام.

الاختلاف: تختلف دراستنا عن هذه الدراسة في الحديث عن أحداث السيرة النبوية إلى غزوة بني قريظة، بينما هذه الدراسة تحدثت عن أحداث السيرة النبوية ورحمته في الغزوات، وتختلف أيضاً بجمع ودراسة أحداث السيرة من كتب أصحاب السنن الأربعة، بينما هذه الدراسة تحدثت عن مظاهر رحمته عليه (ﷺ) وأخذتها من مصادر كثيرة.

الدراسة التاسعة: لمنال كمال عوض حسين^(١)، وتهدف الدراسة إلى الحكمة من تشريع الجهاد في السيرة النبوية ومراحل ذلك التشريع، ونتجت الدراسة إلى أن تشريع الجهاد كان بداية لرد أذية الكفار، ثم لنشر الدعوة الإسلامية، ثم للحفاظ على الحياة واستمراريتها.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في عرض أحداث السيرة النبوية في الحديث عن الجهاد والغزوات وتشريعه، وكيف أنه كان في البداية لرد أذية الكفار، ثم لنشر الدعوة، ثم الحفاظ على الحياة، وللإعلام بقوة المسلمين وعدم ضعفهم.

الاختلاف: تختلف دراستنا عن هذه الدراسة في الحديث عن أحداث السيرة النبوية من حال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة، بينما هذه الدراسة تحدثت عن أحداث السيرة النبوية من ناحية الجهاد والغزوات فقط، وتختلف أيضاً بجمع ودراسة أحداث السيرة من كتب أصحاب السنن الأربعة، بينما هذه الدراسة أخذت أحداث الغزوات والجهاد من كتب كثيرة.

(١) بعنوان: الجهاد في عصر النبوة والخلافة الراشدة (مفهومه وآدابه ومبادئه)، إشراف الدكتور/ أحمد موسى علي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من كلية عبد السلام الخبير للدراسات الإسلامية والقرآنية جامعة الرباط الوطني بالسودان، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

الدراسة العاشرة: لفريد إسماعيل أحمد^(١)، وتهدف الدراسة إلى إظهار حقوق الأسرى في الدولة الإسلامية خلال العهدين النبوي والراشد، ومآلهم من واجبات تجاه الأمة الإسلامية على حسب تشريعات ديننا الإسلامي الحنيف، وتوصلت الدراسة إلى أن للأسير حقوق مشروعة شرعها الإسلام، وهي حق من حقوقه.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في عرض أحداث السيرة النبوية في الحديث عن حقوق الأسرى في المعارك خلال العهد النبوي.

الاختلاف: تختلف دراستنا عن هذه الدراسة في الحديث عن أحداث السيرة النبوية من حال العرب قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة، بينما هذه الدراسة ركزت على حقوق الأسرى في المعارك فقط، وتختلف أيضاً من جهة أنها تحدثت عن عهد الخلفاء الراشدين، ونحن في رسالتنا لم نتطرق لذلك العهد، وتختلف كذلك من جهة أن دراستنا اقتصرنا على الأخذ من كتب السنن الأربعة، بينما هذه الدراسة أخذت من مصادر كثيرة.

الدراسة الحادية عشر: لزكية عبدربه عاتق اللحاني^(٢)، وتهدف الدراسة إلى تحقيق واختصار سيرة ابن هشام من بيعة الرضوان إلى نهاية حجة الوداع، ونتجت الدراسة إلى أن سيرة ابن هشام مرجع مهم من مراجع السيرة النبوية.

(١) بعنوان: حقوق الأسرى في الدولة الإسلامية خلال العهدين النبوي والراشد (١هـ-٤٠هـ)،

(٦٢٢م-٦٦١م)، إشراف الدكتور: غسان محمود وشاح، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في

التاريخ الإسلامي من كلية الآداب بالجامعة الإسلامية بغزة فلسطين، ١٤٣٧م/٢٠١٦م.

(٢) بعنوان: مختصر سيرة ابن هشام للإمام عماد الدين الواسطي (٦٥٧هـ-٧١١هـ)، من بيعة

الرضوان إلى نهاية حجة الوداع، إشراف الدكتور: عبدالعزيز عبدالله السلومي، بحث مقدم لنيل

درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى بالمملكة

العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الاتفاق والاختلاف بين الدراستين:

الاتفاق: تتفق الدراستان في الحديث عن بعض الأحداث التي تعرّضت للسيرة النبوية.

الاختلاف: تختلف دراستنا عن هذه الدراسة من جهة أنها تتحدث عن حال الناس قبل الإسلام إلى غزوة بني قريظة، بينما هذه الرسالة تحدثت عن بيعة الرضوان إلى حجة الوداع، وتختلف أيضاً أننا في دراستنا أخذنا أحداث السيرة النبوية من كتب أصحاب السنن الأربعة، وستكون بعرض قصصي لأحداث السيرة حسب تاريخ وقوعها، بينما هذه الرسالة كانت عبارة عن تحقيق ودراسة لمختصر سيرة ابن هشام.

الباب الثالث

السيرة النبوية قبل البعثة

والأحداث التي بعدها

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول

الأحداث التي قبل البعثة

الفصل الثاني

البعثة والدعوة في مكة

الفصل الأول

الأحداث التي قبل البعثة

ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: حال الناس قبل البعثة وبعض أعمال أهل الجاهلية.

المبحث الثاني: قصة أصحاب الفيل.

المبحث الثالث: نسب النبي - ﷺ -، وأسماءه.

المبحث الرابع: مولده ﷺ.

المبحث الخامس: خاتم النبوة، ولقاء بحيرى الراهب.

المبحث السادس: أعماله ﷺ قبل النبوة، وزواجه بخديجة .

المبحث السابع: بناء الكعبة، ومقام إبراهيم - عليه السلام -.

المبحث الثامن: صفة رسول الله - ﷺ - عند أهل الكتاب.

المبحث الأول

حال الناس قبل البعثة، وبعض أعمال أهل (الجاهلية) ^(١):

كانت أحوال الناس قبل البعثة سيئة جداً، وقد كانت الحالة الدينية عند العرب قبل الإسلام في أسوأ مراحلها، بل كانت كذلك الحالة عند أهل الأرض أجمعين إلا النزر اليسير من أهل الكتاب، ورغم إيمان بعض العرب بالله إلا أنهم اتخذوا إليه شفعاء ووسطاء وقالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ^(٢)، وبمرور الأيام أصبحوا يعتقدون أن هذه الأصنام التي هي عندهم بمثابة الشفعاء تملك قدرة ذاتية على النفع والضرر والخير والشر، فأصبحوا يتوجهون إليها بالعبادة مباشرة، مما استوجب أن يحل عليهم غضب الله ومقته بسبب أفعالهم، جاء في حديث (عياض بن حمّار المجاشعي) ^(٣) -
 قال: قال رسول الله - ﷺ -: "وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" ^(٤).

(١) الجاهلية: زمان الفترة قبل الإسلام، وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك. ينظر: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ب)، (د.ت) (٣/٣٠٩). وينظر: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي، الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الطبعة: الثالثة، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٢م، (١١/١٣٠).

(٢) سورة الزمر الآية: (٣).

(٣) عياض ابن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وفد على النبي - ﷺ - قبل أن يسلم ومعه نجبية يهديها، إلى رسول الله - ﷺ -، فقال: أسلمت؟ قال: لا، قال: إن الله نهانا أن نقبل زيد المشركين، قال: فأسلم فقبلها رسول الله - ﷺ -، فقال: يا نبي الله، الرجل من قومي من أسفل مني يشتمني أفأنتصر منه؟ فقال: (المستبان شيطانان يتكاذبان)، ثم نزل البصرة فروى عنه البصريون. ينظر: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، (٧/٢٥-٢٦).

(٤) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى للنسائي، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، (٧/٢٧٨) برقم: (٨٠١٦). وأخرجه الإمام مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق (٨/١٥٨) برقم: (٢٨٦٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فانظر كيف مقتهم الله، والمقت هو: أشد البغض، ولا شك ولا ريب أن ذلك لم يكن عليهم إلا بحالة سيئة جداً وصلوا إليها، ولم يسلم من هذا المقت إلا بقية من أهل الكتاب الباقيون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل ولا تحريف، وهنا رسول الله - ﷺ - ذكر النظر والمقت وكل هذا كان قبل بعثة رسولنا الكريم عليه (الصلوة والسلام) ^(١).

وانظر إلى استخدام الرسول - ﷺ - لكلمة (بقايا) التي توحى بالآثرية، أي كأنهم آثار من عهود سحيقة لا قيمة لها في واقع الناس، ومن جانب آخر فإن هذه البقايا لم تُشكّل مجتمعات كاملة، بل كانت أفراداً معدودين.

وإن كان العرب يَحْجُونَ إلى البيت الحرام في كل عام، إلا إنهم كانوا يقومون بعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، والتي فيها من الشرك الذي حُرِّفَ بسببه الملة الحنيفية السمحاء-ملة نبي الله إبراهيم عليه السلام- ما الله به عليم، وهذا كله يُلَخَّص ما كان عندهم من جهل في تلك الأيام، وقد كان طوافهم حول الكعبة عُراً، رجالاً كانوا أو نساءً، يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: (كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول من يُعِزُّني تطوفاً تجعله على فرجها، وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله، فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ^{(٢)(٣)}.

قال السندي ^(٤): (أي تطوف عريانة وتتشد هذا الشعر، وحاصله اليوم أي يوم الطواف أما أن ينكشف كل الفرج أو بعضه، وعلى التقديرين: فلا أحل لأحد أن ينظر إليه قصداً تريد أنها كشفت الفرج لضرورة الطواف لا لإباحة النظر إليه والاستمتاع به، فليس لأحد أن يفعل ذلك، والله تعالى أعلم) ^(٥).

(١) ينظر: أبو زكريا محي الدين، شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين النووي الدمشقي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت) (١٩٣/١٧).

(٢) سورة الأعراف الآية: (٣١).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **سنن النسائي**، الطبعة: الأولى، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (٥٨٤/١) برقم: (١/٢٩٥٦)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٣٣/٤) برقم: (٣٩٣٣)، وأخرجه مسلم في "صحيحه"، مرجع سابق (٢٤٣/٨) برقم: (٣٠٢٨).

(٤) **السندي محمد بن عبد الهادي التتوي**، أبو الحسن، نور الدين السندي: فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير والعربية، أصله من السند ومولده فيها، وتوطن بالمدينة إلى أن توفي، له (حاشية على سنن ابن ماجة)، و(حاشية على سنن أبي داود)، و(حاشية على صحيح البخاري)، و(حاشية على مسند الإمام أحمد)، و(حاشية على صحيح مسلم)، و(حاشية على سنن النسائي)، و(حاشية على البيضاوي)، وغير ذلك، توفي: في ١١٣٨هـ-١٧٢٦م. ينظر: للزركلي، **الأعلام**، مرجع سابق (٢٥٣/٦).

(٥) ينظر: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، **شرح سنن النسائي بشرح السندي**، والمسمى **بحاشية السندي على سنن النسائي** (مطبوع مع السنن)، المؤلف: الطبعة: الثانية، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، (٢٣٣/٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال (الإمام النووي)^(١): (تطوفاً: هو ثوب تلبسه المرأة تطوف به، وكان أهل الجاهلية يطوفون عراة، ويرمون ثيابهم، ويتركونها مُلقاة على الأرض ولا يأخذونها أبداً، ويتركونها تُداس بالأرجل حتى تُتلى، ويُسمى اللقاء، حتى جاء الإسلام فأمر الله تعالى بستر العورة، فقال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢).

ولعل مقصدهم من ذلك الفعل ما أشار إليه (الجصاص)^(٣) في أحكام القرآن حيث قال: (روي عن ابن عباس، و(إبراهيم النخعي)^(٤)، و(مجاهد)^(٥)، و(الضحاك)^(٦)،

(١) النووي: هو أبو زكريا يحيى شرف بن مري بن حسن الحزامي النووي، ولد بنوى في سوريا سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وكنيته أبو زكريا، مع أنه من العلماء العزّاب، له تصانيف مفيدة، منها: (منهاج الطالبين)، و(المنهاج في شرح صحيح مسلم)، و(حلية الأبرار) والذي يُعرف بالأذكار النووية، و(رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)، وهو أشهر كتاب له، و(التبيان في آداب حملة القرآن)، و(الأربعون حديثاً النووية)، وغيرها، وله مسودات كثيرة، توفي ليلة الأربعاء، الرابع والعشرين من رجب، سنة ست وسبعين وسبعمائة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) بنوى، ودُفِن بها. ينظر: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، الطبعة الأولى، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، عمان - الأردن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (١/٣٩-٤٣).

(٢) سورة الأعراف الآية: (٣١).

(٣) الجصاص أحمد بن علي بن بوبكر الرّازي الجصاص: فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وخطب في أن يلي القضاء فامتنع، وألف كتاب (أحكام القرآن)، وكتاباً في (أصول الفقه) مصور في معهد المخطوطات بالقاهرة، ولد في ٣٠٥هـ، وتوفاه الله في ٣٧٠هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (١/١٧١).

(٤) إبراهيم النخعي الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي، اليماني، ثم الكوفي، ولم يكن له سماعاً من الصحابة المتأخرين الذين كانوا معه بالكوفة، وكان بصيراً بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن، وكان مفتي أهل الكوفة، مات سنة ست وتسعون وله سبع وخمسون سنة أو نحوها، وقيل عاش نحو الخمسين سنة. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، (د.ت) (٤-٥٢٧).

(٥) مجاهد بن جبر، ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي، كان أبيض الرأس واللحية، مات وهو ساجد، توفي بمكة سنة ثلاث ومائة، وبلغ يوم مات ثلاثاً وثمانين سنة، وكان فقيهاً عالماً ثقة كثير الحديث. ينظر: لابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٦/١٩-٢٠).

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي يكنى أبا القاسم، قال عن نفسه ولدتني أُمي في سنتين -يعني حملة سنتين-، قيل عنه أنه كان يُعلّم ولا يأخذ شيئاً، ولم يلق ابن عباس وإنما لقي سعيد بن جببر بالري فأخذ عنه التفسير، ومات سنة خمس ومائة. ينظر: لابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، (٦/٣٠٢-٣٠٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

و(طاوس بن كيسان)^(١)، و(الزهري)^(٢): أَنَّ المشركين كانوا يطوفون بالبيت عُرَاة، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٣)، وَقِيلَ إِنَّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةَ لِأَنَّ الثِّيَابَ قَدْ دَنَسَتْهَا الْمَعَاصِي فِي زَعْمِهِمْ فَيَتَجَرَّدُونَ مِنْهَا، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ تَفَاؤُلًا بِالتَّعْرِیِّ مِنَ الذُّنُوبِ^(٤).

ولمَّا جَاءَ رَسُولُ الْهُدَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنُّورِ الْمُبِينِ نَهَاَهُمْ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَصَحَّحَ لَهُمْ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُؤَدِّوَهَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ سَبَبًا فِي نَزُولِ الرَّحْمَاتِ عَلَيْهِمْ لَا السَّخَطَ وَالْغَضَبَ مِنْهُ سَبْحَانَهُ؛ بِسَبَبِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الَّتِي كَانُوا يَرْتَكِبُونَهَا، فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ عِنْدَمَا أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- الصَّدِيقَ -ﷺ- لِيَحْجَّ بِالنَّاسِ نَادِي مُنَادِيهِ أَنْ لَا يَحْجَّ بِالْبَيْتِ عَرِيَانًا، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -ﷺ-، قَالَ: "بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي مَنْ يُؤَدِّنُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنْى أَنْ: لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرِيَانًا، وَيَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَالْحَجِّ الْأَكْبَرِ الْحَجُّ"^(٥).

(١) **طاووس بن كيسان** الفقيه القدوة، عالم اليمن، أبو عبدالرحمن الفارسي، ثم اليمني، الجندي، الحافظ، كان من أبناء الفرس الذين جهّزهم كسرى لأخذ اليمن له، ولعله وُلِدَ فِي عَهْدِ عَثْمَانَ -ﷺ- أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ بِسَنَوَاتٍ، لَازَمَ ابْنَ عَبَّاسٍ مُدَّةً وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي كِبَرَاءِ أَصْحَابِهِ، تَوَفَّى فِي عَامِ سِتَّةٍ وَمِائَةٍ. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٨/٥-٤٩).

(٢) **الزهري** محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام العَلَمُ حَافِظُ زَمَانِهِ، وَلِدَ بِالْمَدِينَةِ، وَنَزَلَ بِالشَّامِ، مَاتَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ، سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٢٦/٥-٣٥٠).

(٣) سورة الأعراف الآية: (٣١).

(٤) ينظر: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، (٤١/٣).

(٥) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٥٨٥/١) برقم: (٢/٢٩٥٧)، (٥٨٥/١) برقم: (٣/٢٩٥٨)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٣٣/٤) برقم: (٣٩٣٤)، وأبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق (١٣٩/٢)، برقم (١٩٤٦)، وأخرجه البخاري في صحيحه، صحيح البخاري، مرجع سابق (٨٢/١) برقم: (٣٦٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٦/٤) برقم: (١٣٤٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال العظيم آبادي: (قوله: (من يؤذن): من التأذين أو الإيذان بمعنى الإعلام، (يوم النحر): ظرف لقوله بعثني، (لا يحج بعد العام): أي بعد هذا العام (مشارك): قال النووي: موافق لقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(١)، والمراد بالمسجد الحرام هنا: الحرام كله، فلا يمكن مشارك من دخول الحرم بحال، حتى لو جاء في رسالة أو أمر مهم لا يمكن من الدخول، ولو دخل خفية ومرض ومات نبش وأخرج من الحرم)^(٢).

وقال النووي: (قوله - ﷺ -: (وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ) هذا إبطال لما كانت الجاهلية عليه من الطواف بالبيت عراة، واستدل به أصحابنا وغيرهم على أن الطواف يشترط له ستر العورة، والله أعلم)^(٣) انتهى.

وكذلك كانت الحياة الاجتماعية عند العرب فيها من الظلم والجهل العظيم، وخصوصاً ما كان منهم في معاملة المرأة - حُرَّةً كانت أو أَمَةً - الشيء الكثير، ونأخذ من ذلك مثلاً، وهو عن (حدادها)^(٤) على زوجها بعد وفاته، وما في ذلك من ظلم لها

(١) سورة التوبة الآية: (٢٨).

(٢) ينظر: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الطبعة: الثانية، عدد دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٣م، (٢٩٤/٥).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١١٦/٩).

(٤) الحداد: تَرْكُهَا الزَّيْنَةُ، وهو مأخوذ من المنع لأنها قد مُنعت من ذلك. ينظر: لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، كتاب تهذيب اللغة، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، (٢٧١/٣). وقال النووي: قال أهل اللغة (الإِحْدَادُ وَالْحِدَادُ) مشتق من الحَدِّ وهو الْمُنْعُ لأنها تمنع الزينة والطيب يقال أحدث المرأة تحد إحداداً وحدت تحد بضم الحاء وتحد بكسرهما حدّاً كذا، قال الجمهور أنه يقال أحدثت وحدت، وقال الأصمعي: لا يقال إلا أحدث رباعياً ويقال امرأة حاد ولا يقال حادة، وأما الإحداد في الشرع: فهو ترك الطيب والزينة وله تفاصيل مشهورة في كتب الفقه. ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١١١/١٠).

وتشديد عليها بما لم ينزل الله به سلطاناً، فعن (حُميد بن نافع)^(١) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن (زينب بنت أم سلمة)^(٢) أنها قالت: وسمعت أُمِّي أُمَّ سلمة تقول: "جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَتِي تُؤْفِي زَوْجَهَا عَنْهَا، وَقَدْ اشْتَكَّتْ عَيْنُهَا فَتَكْحُلُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: لَا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ. قَالَ حُمَيْدٌ: فَقُلْتُ لِرَزِينَبَ: وَمَا تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ؟ فَقَالَتْ رَزِينَبُ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا تُؤْفِي عَنْهَا زَوْجَهَا دَخَلَتْ حِفْشًا، وَلَبِسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا، وَلَمْ تَمَسَّ طَبِيبًا، وَلَا شَيْئًا حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ، ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ حِمَارٍ، أَوْ شَاةٍ، أَوْ طَائِرٍ فَتَقْتَضُ بِهِ، فَقَلَمًا تَقْتَضُ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعْرَةً فَتَرْمِي بِهَا، ثُمَّ تُرَاجِعُ بَعْدَ مَا شَاءَتْ مِنْ طَبِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: الْحِفْشُ: بَيْتٌ صَغِيرٌ"^(٣).

(١) **حُميد بن نافع** هو مولى صفوان بن خالد الأنصاري، وقيل أنه مولى لأبي أيوب الأنصاري، وقد روى عن أبي أيوب وحج معه، وروى عن ابن عمر، وهو أبو أفلح بن حميد الذي روى عنه الثوري ورجال من أهل المدينة وغيرهم. ينظر: لابن سعد، **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق (٢٣٣/٥).

(٢) **زينب بنت أم سلمة** هي بنت أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمها أم سلمة، ولدت بأرض الحبشة وكان اسمها برة فسمها رسول الله - ﷺ - زينب، ماتت في ولاية طارق على المدينة سنة ثلاث وسبعين، وحضر ابن عمر جنازتها، وكانت أسماء بنت أبي بكر أرضعتها فهي أحب أولادها من الرضاعة، وكانت تعد من فقهاء المدينة. ينظر: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **التهذيب**، الطبعة الأولى، الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ/١٩٠٥م، (٤٢١/١٢).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٩٣/٥) برقم: (٥٦٦٣)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٥٨/٢) برقم (٢٢٩٩)، والترمذي، **جامع الترمذي**، مرجع سابق، (٤٨٥/٢) برقم: (١١٩٥)، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، مرجع سابق، (٢٢٩/٣) برقم: (٢٠٨٤)، وأخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧٨/٢) برقم: (١٢٨٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٢/٤) برقم: (١٤٨٦).

قال (الآبادي)^(١) في عون المعبود: (قوله - ﷺ -: (تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ) هي روث البعير، (عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ) أي في أول السنة، (وَمَا تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ) أي بيئي لي المراد بهذا الكلام الَّذِي خُوِطِبَتْ بِهِ هذه المرأة، (دَخَلْتُ حِفْشًا) أي بيتاً صغيراً حقيراً قريب السمك، (وَلَمْ تَمَسَّ حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ) أي من وفاة زوجها، (ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ) بالتَّنْوِينِ.

قال في (الْقَامُوسِ)^(٢): مَا دَبَّ مِنَ الْحَيَوَانِ وَغَلَبَ عَلَى مَا يُرْكَبُ وَيَقَعُ عَلَى الْمَذْكُورِ، (حِمَارٍ) بِالتَّنْوِينِ وَالْجَرِّ عَلَى الْبَدَلِ، (أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ) أَوْ لِلتَّنْوِينِ لَا لِلشَّكِّ وَإِطْلَاقِ الدَّابَّةِ عَلَيْهِمَا بِطَرِيقِ الْحَقِيقَةِ اللَّغْوِيَّةِ كَمَا مَرَّ، (فَتَقَنَّضُ بِهِ) قَالَ (ابْنُ قُتَيْبَةَ)^(٣): (سَأَلْتُ الْحَجَازِيِّينَ عَنِ الْإِفْتِضَاضِ، فَذَكَرُوا أَنَّ الْمَعْتَدَةَ كَانَتْ لَا تَمَسُّ مَاءً وَلَا تَقْلَمُ ظَفَرًا وَلَا تَزِيلُ شَعْرًا، ثُمَّ تَخْرُجُ بَعْدَ الْحَوْلِ بِأَقْبَحِ مَنْظَرٍ ثُمَّ تَقْتَضُ أَيَّ تَكْسِرُ مَا هِيَ فِيهِ مِنَ الْعِدَّةِ بِطَائِرٍ تَمَسُّ بِهِ قَبْلَهَا وَتَنْبِذُهُ، فَلَا يَكَادُ يَعِيشُ بَعْدَ مَا تَقْتَضُ بِهِ).

(١) الآبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو الطيب، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي: علامة بالحديث، هندي، من تصانيفه (التعليق المغني على سنن الدارقطني)، و(عون المعبود على سنن أبي داود)، و(المكتوب اللطيف إلى المحدث الشريف) ضمن مجموعة في دار الكتب، و(عقود الجمان) في تعليم المرأة، و(القول المحقق) في الحديث، توفي بعد ١٣١٠ هـ. ينظر: للزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٣٨/٦-٣٩).

(٢) أي القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة: الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م، ص (٨٢/١).

(٣) ابن قتيبة أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الدينوري، وقيل: المروزي، العلامة، الكبير، ذو الفنون، صاحب التصانيف، نزل بغداد، وصنف وجمع، وبَعُدَ صيته، ومن تصانيفه: (غريب القرآن)، و(غريب الحديث)، و(جامع النحو)، وكتاب (الصيام)، و(أدب القاضي)، و(الرد على من يقول بخلق القرآن)، و(إعراب القرآن)، و(القراءات)، و(التسوية بين العرب والعجم)، والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمة، وعلوم مهمة، توفي في شهر رجب، سنة ست وسبعين ومائتين. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٩٦/١٣-٣٠٠).

وقال (الخطّابي)^(١): (هو من فَضَّضْتُ الشيء إذا كسرتَه وفرَّقته أي أنها كانت تَكْسِرُ ما كانت فيه من الحداد بتلك الدَّابَّة)^(٢).

وقال النووي: (ثُمَّ تَفْتَضُّ أي: تَكْسِرُ ما هي فيه من العِدَّة بطائر تمسح به فُئْلُها وتَتَبَّدُّه، فلا يكاد يعيش ما تَفْتَضُّ به، وقيل معناه تمسح به ثم تَفْتَضُّ أي تغتسل والافتِضاضُ الاغتسال بالماء العذب للإنقاء وإزالة الوسخ حتى تصير بيضاء نقيَّة كالفضة، قوله -ﷺ-: (فِي شَرِّ أَحْلَاسِهَا) جمع حِلْس بكسر الحاء والمراد في شر ثيابها كما قال في الرواية الأخرى، وهو مأخوذ من حِلْس البعير وغيره من الدَّواب وهو كالمِسْح يُجْعَل على ظهره)^(٣) انتهى كلامه بتصرف.

وقيل: (إن المقصود بذلك: أنها كانت إذا مضى الحول وقد بقيت على هذه الهيئة الكريهة، وصبرت على هذا الأذى وهذه المشقة فإنها ترمي بالبعرة، وهذا معناه: أن هذه المدة التي قطعناها من أجل الوفاء للزوج لا تساوي هذه البعرة التي ترمي بها، وأنه شيء يسير، أي: أن هذا الذي عملته من المكث هذه المدة الطويلة في مسكن ضيق مظلم صغير لا يساوي شيئاً في جانب حق الزوج والوفاء به، وأن البقاء هذه المدة على هذه الهيئة لا يساوي هذه البعرة، وأن المدة التي مضت سهلة عليها كهذه البعرة التي ترمي بها بيدها.

والحفش: هو مكان ضيق تجلس فيه ولا تخرج ولا تمس طيباً ولا تأخذ شعراً، ولا تقلم أظفاراً، وتكون في ذلك المكان أيضاً في حر وفي عرق، وتبقى هذه المدة الطويلة فتكون مثل الجيفة، فإذا مضى الحول أُعْطِيَتْ طائراً أو حماراً أو شاة فقلماً تفتض

(١) الخطّابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، صاحب التصانيف، ولد: سنة بضع عشرة وثلاث مائة، وأخذ الفقه على مذهب الشافعي وله: (شرح الأسماء الحسنی)، وكتاب (الغنية عن الكلام وأهله)، وغير ذلك، قال أبو يعقوب القراب: توفي الخطابي بست، في شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة). ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٧/٢٣-٢٣).

(٢) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، مرجع سابق، (٦/٢٨٧-٢٨٨).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٠/١١٣-١١٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

بشيء إلا مات؛ أي: بسبب نتن رائحتها، ومعنى تقتض به: أي: تدلك به جسدها، فلشدة النتن الذي كان على جسدها خلال هذه السنة من أولها إلى آخرها فإنها لو أخذت طائراً حياً ودلكت به جسدها فإنه يموت من شدة هذه الرائحة، وهذا واضح بالنسبة للطائر، وأما بالنسبة للحمار وللشاة فلعل المقصود به أنها لو فعلت ذلك برأسه فإنه يموت؛ لشدة الرائحة الكريهة^(١).

ومن تلك الأعمال المشينة التي كان يعملها أهل الجاهلية ما ذكره (جعفر بن أبي طالب)^(٢) - عليه السلام - عندما قال (لنجاهي ملك الحبشة)^(٣)، وهو يصف حال العرب قبل الإسلام: "أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَاقَهُ"^(٤).

(١) ينظر: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، شرح سنن أبي داود، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتقريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، [الكتاب مرقم آلياً، ورقم الجزء هو رقم الدرس ٥٩٨ درساً]، (١٠-٢٦٣).

(٢) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكان لجعفر من الولد عبد الله وبه كان يكنى، ومحمد وعون لا عقب لهما، ولدوا جميعاً لجعفر بأرض الحبشة في المهاجر إليها، وأمهما أسماء بنت عميس، استشهد في موته، وثبت عن رسول الله - ﷺ - أن الله أبدله عن يديه اللتين قطعتا في غزوة مؤتة بأجنحة يطير بهما في الجنة. ينظر: لابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤/٢٤-٣١).

(٣) النجاهي ملك الحبشة، واسمه: أصحمة، معدود في الصحابة - رضي الله عنهم -، وكان ممن حسن إسلامه، ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي - ﷺ - فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلى - ﷺ - على غائب سواه؛ فخرج بالصحابة إلى الصحراء، وصفهم صفوفاً، ثم صلى عليه، فنقل بعض العلماء: أن ذلك كان في شهر رجب، سنة تسع من الهجرة. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١/٤٢٨-٤٤٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، وقال الشيخ أحمد شاكر (إسناده صحيح). ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (٢/٣٥٤)، برقم (١٧٦٤)، الأحاديث التي حققها الشيخ أحمد شاكر.

فانظر إلى هذه الحالة الشنيعة التي كان أهل الجاهلية يعيشونها قبل بعثة النبي - ﷺ -، وكأن جعفر - ﷺ - يتحدث عن حياة الغاب، عبادة لأحجار لا تضر ولا تنفع، يُطلب منها المدد والنصرة والحفظ وهي لا تملك لنفسها من ذلك شيئاً، أكل للميتة وكأن القوم وحوش، وإتيان للفواحش، وقطع للأرحام وتفريق للأسر، وإساءة لجوار الجيران، وأكل القوي للضعيف، فلا مكان للضعفاء في تلك المجتمعات، وبشكل عام فقد لخص الصحابي الجليل (حذيفة بن اليمان) ^(١) - ﷺ - حال العرب قبل الإسلام بقوله: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ" ^(٢).

فهذا تلخيص عام لما كانت عليه أحوال الناس قبل بعثة نبي الهدى عليه (الصلوة والسلام) لخصها حذيفة بن اليمان - ﷺ - بكلمتين (جاهلية وشر)، وما ذكرناه هو جزء بسيط مما كانوا عليه في الجاهلية، ولكن لما جاءهم الله بهذا الدين العظيم تغيرت أحوالهم وسكنت قلوبهم واطمأنت، وعرف كل واحد منهم حق الآخر، فعاشوا في سلام وأمان ومحبة وإخاء وسطروا للبشرية تاريخاً عظيماً بعد أن كانوا في جاهلية يأكل القوي منهم الضعيف، ويأكلون الميتة، ويئدون البنات وهنّ أحياء، ويكرهون الإماء على البغاء، وينسبون إلى أنفسهم من ليس من أولادهم، وغيرها من الأمور القبيحة التي كانوا يفعلونها قبل الإسلام.

(١) حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي، اليماني، من نجباء أصحاب محمد - ﷺ - وهو صاحب السر، واسم اليمان: حسل، ويقال: حسيل، أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين، وكان والده حسل قد أصاب دماً في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه اليمان؛ لحلفه لليمانية، وهم الأنصار، مات حذيفة: بالمدائن بعد عثمان، سنة ست وثلاثين، وقد شاخ، وله عقب. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٦١/٢-٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٩٩/٤) برقم: (٣٦٠٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠/٦) برقم: (١٨٤٧)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٦٤/٧) برقم: (٧٩٧٨)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٥٥/٤) (بدون ترقيم).

المبحث الثاني

قصة أصحاب الفيل

قد أفرد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم لهذه القصة سورة كاملة، وهي خاصة بهذه القصة وتسمى بسورة الفيل، قال تعالى: ﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾^(١).

وسمّيت العرب ذلك العام (بعام الفيل)^(٢)، وهو الذي وُلِد فيه النبي -ﷺ- وقد ذكر عليه الصلاة والسلام أن الله حبس الفيل عن مكة، أخرج ذلك الإمام أبو داود من حديث أبي

(١) سورة الفيل الآيات: (١-٥).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٦-١٣) برقم: (٣٦١٩) عن محمد بن إسحاق، يحدث عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، عن أبيه، عن جده، قال: (وُلِدَت أنا ورسول الله -ﷺ- عام الفيل، وسأل عثمان بن عفان، قباث بن أشيم أبا بني يعمر بن ليث: أنت أكبر أم رسول الله -ﷺ-؟ فقال: رسول الله -ﷺ- أكبر مني، وأنا أقدم منه في الميلاد، قال: ورأيت خذق الفيل أخضر محيلاً). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق. انتهى.

وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس، أخرجه الطبراني في "الكبير" (٤٧/١٢) برقم: (١٢٤٣٢)، والبخاري في "مسنده" (٦٤/١١) برقم: (٤٧٦٢)، والحاكم في "مستدرکه" (٦٠٣/٢) برقم: (٤٢٠٢)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٣٢٤/١٠) برقم: (٣٤٨)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢١٦/١٥) برقم: (٥٩٦٧).

وضعفه الألباني محمد ناصر الدين (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صحيح وضعيف سنن الترمذي، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، (٨/١١٩). وقال معلقاً عليه كما في السلسلة الصحيحة: قلت: كان يكون كما قال -بعد أن صرح ابن إسحاق بالتحديث- لو أن شيخه المطلب بن عبد الله هذا كان معروفاً بالعدالة والضبط، وليس كذلك؛ لأنه لم يرو عنه غير ابن إسحاق، ولم يوثقه غير ابن حبان (٥٠٦/٧)، ولذلك مرّض توثيقه إياه الذهبي بقوله في "الكاشف": "وثق"! واقتصر الحافظ في "التقريب" على قوله فيه: "مقبول". يعني: عند المتابعة، وقد توبع من سعيد بن جبير عن ابن عباس كما تقدم، الحديث -به- حسن إن شاء الله تعالى، ويقويه اتفاق العلماء عليه، فقد ذكر الحافظ ابن عساكر (٤٠١/١) عن ابن المنذر أنه قال: "لا يشك أحد من علمائنا: أن رسول الله -ﷺ- ولد عام الفيل، وبُعث على رأس أربعين سنة من الفيل". ينظر: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الطبعة: الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، عام النشر: ج (٤-١): ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج (٦): ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، (٧): ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، (١٣/٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

هريرة - رضي الله عنه - قال: "لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَكَّةَ، قَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ"^(١)، وأيضاً ذكر الفيل في حديثٍ عارضٍ في قصة الحديبية كما في حديث: (المِسُور بن مَخْرَمَةَ)^(٢)، و(مروان بن الحكم)^(٣)، عندما ذكرا خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الحديبية ووصول الأخبار إليه بعزم قريش على منعه من دخول مكة، فأمر الجيش بأن يستمر في المسير، قال المِسُور ومروان: "وَسَارَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ خَلَّتِ الْقَصَوَى مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: مَا خَلَّتْ، وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ"^(٤).

و(الحديبية) قال (ابن الأثير): (هي قرية قريبة من مكة، سميت ببئر هناك، وهي مخففة الياء وكثير من المحدثين يشددوها)^(٥).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٩٣١/١) برقم: (١/٤٧٩٩)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٣٦٧/٥) برقم: (٥٨٢٤)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٦٠/٢) برقم: (٢٠١٧)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٧٥/٣) برقم: (١٤٠٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٦٤٥/٣) برقم: (٢٦٢٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٣٣/١) برقم: (١١٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٠/٤) برقم: (١٣٥٥).

(٢) المِسُور بن مَخْرَمَةَ بن نوفل بن أهيب الزهري، ابن عبد مناف بن زهرة بن قصي بن كلاب، الإمام الجليل، أبو عبد الرحمن، وأبو عثمان القرشي، وعداده في صغار الصحابة، قيل: أنه وُلِدَ بمكة، بعد الهجرة بعامين، وبها توفي لهلال ربيع الآخر، سنة أربع وستين، وكذا أرخه فيها: جماعة، وغلط المدائني، فقال: مات في سنة ثلاث وسبعين من حجر المنجنيق. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٩٠-٣٩٤).

(٣) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الملك أبو عبد الملك القرشي، الأموي، وقيل: يكنى: أبا القاسم وأبا الحكم، مولده بمكة، قيل له رؤية، وذلك محتمل، استولى مروان على الشام ومصر تسعة أشهر، ومات خنقاً من أول رمضان سنة خمس وستين، وقيل مات بالطاعون. ينظر: نفس المرجع (٤٧٦-٤٧٩).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٥٥٣/١) برقم: (١/٢٧٧٠)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٥/٨) برقم: (٨٥٢٨)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٩/٣) برقم: (٢٧٦٥) والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٩٣/٣) برقم: (٢٧٣١).

(٥) ينظر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي (٩٤٣/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال (الحافظ ابن حجر): (هي بئر سُمِّي المكان بها، قال ووقع عند ابن سعد أنه -ﷺ- خرج يوم الإثنين لهلال ذي العقدة (في بضع عشرة مائة) البضع بكسر الموحدة وفتح، ما بين الثلاثة إلى التسعة)^(١).

قال صاحب عون المعبود: (بالثنية: هي الجبل الذي عليه الطريق، و(التي يهبط) بصيغة المجهول، (عليهم) أي على أهل مكة، (منها) أي من الثنية، (بركت به) أي بالنبي -ﷺ- والباء للمصاحبة، (حل حل) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير، وقال الخطابي: إن قلت حل واحدة فالسكون، وإن أعدتها نونت في الأولى. وحكى غيره السكون فيهما والتتوين كنظيره في بخ بخ ذكره الحافظ، (خلأت) أي بركت من غير علة وحرنت، (القصوى) كذا في بعض النسخ، وفي بعضها القصواء بالمد، قال الحافظ: هو اسم ناقة رسول الله -ﷺ- وقيل كان طرف أذنها مقطوعاً، والقصو قطع طرف الأذن، (وما ذلك) أي الخلاء وهو للناقة كالحران للفرس، (لها بخلق) : أي بعادة ولكن حبسها حابس الفيل، وقصة الفيل مشهورة، ومناسبة ذكرها أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصددهم قريش عن ذلك لوقع بينهم قتال قد يفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه مكة، لكن سبق في علم الله تعالى في الموضعين أنه سيدخل في الإسلام خلق منهم، ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون وبجاهدون، وكان بمكة في الحديبية جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، فلو طرق الصحابة مكة لما أمن أن يصاب ناس)^(٢).

(١) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الطبعة (بدون)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ/١٩٥٨م، (٣٢٤/٥).

(٢) ينظر: الآبادي، عون المعبود، مرجع سابق (٣١٥-٣١٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعلى ذلك فحادثة أصحاب الفيل حادثة عظيمة، ذكرها الله في القرآن الكريم مرة واحدة ولم تُكرَّر، ولعل الحكمة في ذلك أنه لا يتعلق بها تكذيب للرسول ﷺ، فهي واقعة رأتها العرب أمام أعينها، وهذه القصة فيها رسائل عظيمة لقريش ومنها:

(١) أن انظروا كيف صنع الله بمن أراد أن يذهب بحرمة الكعبة المشرفة، وماذا سيصنع الله بكم لو أردتم أن تذهبوا برسالة محمد ﷺ -.

(٢) وهي رسالة تحذير لهم. فما أنتم تعادون رسول الله ﷺ - وأنتم لستم بئذ لأبرهة وجيشه، وقد رأيتم كيف أهلكه الله، فكيف تتجروون على معاداته.

(٣) وكذلك في هذه القصة رسالة لقريش أن الله سبحانه وتعالى لم يوكل إليهم حماية بيته، ولم يُمكن للأحباش مع أنهم من أهل الكتاب، بل حماه بنفسه، فهو سبحانه قوي عظيم لا يحتاج إلى الخلق.

(٤) ولأن هذا المكان سيكون منطلق رسالة الدين القيم الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً.

(٥) وفيها كذلك رسالة لكفار قريش الذين كانوا يتفاخرون على المسلمين بخدمتهم للبيت

وللحجاج، ويجعلون ذلك كالإيمان بالله تعالى، كما قال جلّ في علاه: ﴿أَجَعَلْتُمْ

سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا

يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾، رسالة لهم أن العمل الحقيقي الذي

ينفعكم هو إيمانكم بالله تعالى وتوحيده.

(١) سورة التوبة الآية: (١٩).

المبحث الثالث

نسب النبي - ﷺ -، وأسماءه

أولاً: نسبه: نسبُ نبينا محمد - ﷺ - أفضل الأنساب، فهو من نسل كريم ومبارك، وهو نسل أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام -، وهذا شرفٌ عظيمٌ له، جاء من حديث (واثلة بن الأسقع) ^(١) - ﷺ - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ " ^(٢).

قال (صاحب تحفة الأحوذى) ^(٣): (قوله: (إن الله اصطفى) أي: اختار يقال: استطفاه واصطفاه إذا اختاره وأخذ صفوته، والصفوة من كل شيء خالصه وخياره، (من ولد إبراهيم) أي: من أولاده، (واصطفى من بني كنانة قريشاً)، وهم أولاد نضر بن كنانة،

(١) **وَإِثْلُهُ بَنُ الْأَسْقَعِ** بن عبد العزى من بني كنانة، ويكنى أبا قرصافة، كان ينزل ناحية المدينة، ثم وقع الإسلام في قلبه فَقَدِمَ على رسول الله - ﷺ - وهو يتجهز إلى تبوك فأسلم وخرج مع رسول الله - ﷺ - إلى تبوك، وكان من أهل الصفة، قيل: أنه مات بالشَّام سنة خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة، وقيل مات سنة ثلاث وثمانين وهو ابن مائة وخمس سنين، وكان ينزل بيت المقدس ومات بها، وكان يشهد المغازي فيمُرُ بدمشق وحمص. ينظر: لابن سعد، **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق (٢٨٦/٧).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٥/٦) برقم: (٣٦٠٥)، مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥٨/٧) برقم: (٢٢٧٦).

(٣) **المباركفوري** عبد الرحمن بن عبد الرحيم الأعظم كدهي، ولد ببلدة مبارك بور سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف، وكان عالماً عاملاً، مكباً على العلم والتأليف، والمطالعة، كف بصره في آخر عمره، ثم عاد بعملية القدر، واعتزته أمراض أخرى، ووافته المنية في السادس عشر من شوال سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف. ينظر: عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالب (المتوفى: ١٣٤١هـ)، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ** (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، الطبعة: الأولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، (١٢٧٣/٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

كانوا تفرقوا في البلاد، فجمعهم قصي بن كلاب في مكة، فسُموا قريشاً؛ لأنه قرشهم أي: جمعهم، ولكنانة ولد سوى النضر وهم لا يُسمون قريشاً لأنهم لم يقرشوا، (واصفاني من بني هاشم) في شرح السنة هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن النضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان). انتهى. وقوله: (هذا حديث حسن صحيح)، وأخرجه مسلم^(١).

وجاء من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ"^(٢).

وبوّب الإمام مسلم في صحيحه، فقال: (باب تفضيل نبينا -ﷺ- على جميع الخلائق) وذكر حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ"^(٣).

وهذا يدل على بيان فضله وعلو نسبه ورفعة قدره عليه السلام، قال النووي: (قال (الهروي)^(٤): السيد هو الذي يفوق قومه في الخير، وقال غيره هو الذي يفرغ إليه في النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارهم ويدفعها عنهم، وأما قوله -ﷺ-:

(١) ينظر: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) (٥٣/١٠).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٥١/٤) برقم: (٤٦٧٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٨/٦) برقم: (٣٦١١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥٩/٧) برقم: (٢٢٧٨).

(٣) أخرجه وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٥١/٤) برقم: (٤٦٧٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥٩/٧) برقم: (٢٢٧٨).

(٤) الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي، ارتحل في طلب العلم، وكان رأساً في اللغة والفقه، وكان ثقة، ثباتاً، ديناً، قال الذهبي: (وقع لي من عالي حديثه)، له كتاب (التفسير)، وكتاب (علل القراءات)، وكتاب (الروح)، وكتاب (الأسماء الحسنى)، و(تفسير إصلاح المنطق)، وغيرها، مات: في ربيع الآخر سنة سبعين وثلاث مائة، عن ثمان وثمانين سنة. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣١٥-٣١٧/١٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

(يوم القيامة) مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد ولا يبقى مناع ولا معاند ونحوه بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١)، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك أو من يضاف إليه مجازاً فانقطع كل ذلك في الآخرة، قال العلماء: وقوله - ﷺ - : (أنا سيد ولد آدم) لم يقله فخراً، بل صرح بنفي الفخر في غير صحيح مسلم في الحديث المشهور من حديث أبي سعيد الخدري - ﷺ - مرفوعاً: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ"^(٢)، وإنما قاله لوجهين أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٣)، والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه - ﷺ - بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى، وهذا الحديث دليل لتفضيله - ﷺ - على الخلق كلهم؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو - ﷺ - أفضل الآدميين وغيرهم، وأما الحديث الآخر (لا تفضلوا بين الأنبياء) فجوابه من خمسة أوجه، أحدهما: أنه - ﷺ - قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به، والثاني: قاله أدباً وتواضعاً، والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضل، والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث، والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ولا بد من اعتقاد التفضيل، فقد قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾^(٤) (٥).

(١) سورة غافر الآية: (١٦).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٢١٣/٥) برقم: (٣١٤٨)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق

(٣٦٢/٥) برقم: (٤٣٠٨).

(٣) سورة الضحى الآية: (١١).

(٤) سورة البقرة الآية: (٢٥٣).

(٥) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٣٧/١٥-٣٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وكما يُقال والحق ما شهدت به الأعداء، فشرف نسب رسول الله -ﷺ- قد شهد به أعداؤه، فاستمع لهذا الحوار الذي كان في أرض الروم، والذي كان بين هرقل ملك الروم وبين (أبي سفيان بن حرب)^(١) قبل إسلامه، وعندما كان عدواً لرسول الله -ﷺ- وذهب إلى هرقل ملك الروم في الشام، وسأله هرقل فقال: (كيف حسبه فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو حسب، فقال: وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا)، فانظر إلى الشهادة بشرف نسب النبي -ﷺ- من أبي سفيان ومن هرقل ملك الروم، قال ابن عباس رضي الله عنهما، إن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه، ثم ذكر له قصة دخوله على هرقل، عند وصول (دحية الكلبي اليماني)^(٢) -ﷺ- بكتاب رسول الله -ﷺ- إلى هرقل وسؤال هرقل أبا سفيان عن نسب النبي -ﷺ-؟، قال أبو سفيان: "ثُمَّ قَالَ لَتَرْجُمَانِهِ: سَلُهُ كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فَيُكْم؟ قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، - إلى أن قال هرقل لَتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَيُكْم، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فَيُكْم ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا"^(٣).

(١) أبو سفيان هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو سفيان، والد معاوية وإخوته، كان رئيس المشركين يوم أحد ورئيس الأحزاب يوم الخندق، أسلم زمن الفتح ولقي النبي -ﷺ- بالطريق قبل دخول مكة وشهد حنيناً والطائف، مات لست خلت من خلافة عثمان -رضي الله عنه-، وكان مولده قبل الفيل بعشر سنين. ينظر: الحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، مرجع سابق (٤/٤١١-٤١٢).

(٢) دحية الكلبي هو خليفة بن فزارة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج، بن كلب، أسلم دحية بن خليفة قديماً ولم يشهد بدرًا، وكان يشبهه بجبرائيل، وبعثه رسول الله -ﷺ- بكتابه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى القيصر، وشهد دحية مع رسول الله -ﷺ- المشاهد بعد بدر وبقي إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤/١٨٨-١٨٩).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٥/٣٦٩) برقم: (٥٨٢٧)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٤/٤٩٩) برقم: (٥١٣٦)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٤/٤٤٠) برقم: (٢٧١٧) البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١/٨) برقم: (٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥/١٦٣) برقم: (١٧٧٣).

قال العظيم آبادي: (قوله: (إلى هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف غير منصرف، وهو اسم علم لملك الروم في ذلك الوقت، وقصر لقب لجميع ملك الروم، وقيل: كلاهما واحد، (عظيم الروم) بدل أو بيان، (سلام على من اتبع الهدى) أي: الهداية بالإسلام والديانة، وفيه إشارة إلى أنه لا يجوز الابتداء بالسلام لغير أهل الإسلام إلا على طريق الكناية)^(١).

قال النووي: (قوله: (وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابٍ قَوْمَهَا)^(٢) يعني في أفضل أنسابهم وأشرفها قيل الحكمة في ذلك أنه أبعد من انتحاله الباطل وأقرب إلى انقياد الناس له)^(٣) انتهى.

قال الإمام (ابن القيم)^(٤) عن نسبه عليه السلام: (وهو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى ها هنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسّابين ولا خلاف فيه البتّة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول

(١) ينظر: الآبادي، عون المعبود، مرجع سابق (٤/٤٩٩)، وقال: (قال المنذري: وأخرجه

البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي مطولاً ومختصراً).

(٢) وهو لفظ الإمام مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥/١٦٣) برقم (١٧٧٣).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢/١٠٥).

(٤) ابن القيم هو الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية، وابن قيمها، ولد في سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في العلوم المتعددة، لازم ابن تيمية إلى أن مات فأخذ عنه علماً جمّاً، توفي في ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء، وصلي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير. ينظر: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، (١٤/٢٧٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام (ابن تيمية)^(١) - قدس الله روحه - يقول: هذا القول إنما هو مُتلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم، فإنَّ فيه أنَّ الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيدة، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده^(٢) انتهى.

فسبحان الله الذي شرف وكرم هذا الرسول العظيم في نسبه وزكاه في عقله وفي نطقه، ورفع له ذكره، وأعلى منزلته في الدنيا وأعلاها في الأخرى، فهو صاحب الشفاعة العظمى، وصاحب الحوض المورود، وأول من تُفتح له أبواب الجنان، فلا يدخل عبداً من أمته الجنة إلا من طريقه، ولا يصح إيمان أحد من الناس بعد مبعثه إلا بالإيمان به، - ﷺ - أعظم هذه الأمة عملاً، وأزكاها وأطهرها قلباً، لا يمكن أن ننال محبة الله لنا إلا باتباع هديه والسير على منهجه - ﷺ -.

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، ولد في حران، سجن عدة مرات بسبب اجتهاداته ودفاعه عن العقيدة، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، وأفتى ودرس وهو دون العشرين، أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، توفي سنة ثلاث وستين ومائتين بعد الألف. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (١/١٤٤-١٤٥).

(٢) ينظر: الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، الطبعة (٢٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، (١/٧٠-٧١).

ثانياً: أسماء النبي ﷺ - :-

تعدّد أسماء الشيء وكثرتها تدل على عظمته ورفعت قدره، ولنبينا محمد ﷺ - عدة أسماء، جاء في القرآن الكريم ذكر اسمين منها: (محمد وأحمد)، فأما محمد فقد تكرر في القرآن الكريم أربع مرات، وهي كالاتي:

(١) في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

(٢) في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٢).

(٣) في سورة محمد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾^(٣).

(١) في سورة الفتح قال تعالى: ﴿ثُمَّ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٤).

وأما أحمد فقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرة واحدة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعْ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران الآية: (١٤٤).

(٢) سورة الأحزاب الآية: (٤٠).

(٣) سورة محمد الآية: (٢).

(٤) سورة الفتح الآية: (٢٩).

(٥) سورة الصف الآية: (٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأما الأحاديث في ذكر أسمائه - ﷺ - فكثيرة ومنها: حديث (جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ) ^(١) - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَ نَبِيِّ". وفي الباب عن حذيفة، هذا حديث حسن صحيح ^(٢).

وورد اسم نبي الرحمة من حديث عثمان بن حُنَيْفٍ - ﷺ - "أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ: (ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يُعَافِيَنِي) فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ أَخَرْتُ لَكَ وَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ. فَقَالَ: ادْعُهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ، وَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَاتَّوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِنُقْضَى، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِي" ^(٣).

(١) جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ بن عدي بن عبد مناف بن قصي، أبو محمد، ويقال: أبو عدي القرشي، النوفلي، من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه، وكان موصوفاً بالحلم، ونبل الرأي كأبيه، توفي جبير بن مطعم سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٩٥/٣-٩٩).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٩٩/١٠) برقم: (١١٥٢٦)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٥٢٤/٤) برقم: (٢٨٤٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٥/٤) برقم: (٣٥٣٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٨٩/٧) برقم: (٢٣٥٤).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٤٤/٩) برقم: (١٠٤١٩)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٥٣٦/٥) برقم: (٣٥٧٨)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٣٩٥/٢) برقم: (١٣٨٥). أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٩٥/٢) برقم (١٣٨٥). وأحمد في "مسنده" (٣٨٣٧/٧) برقم: (١٧٥١٣). وقال عنه الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح، ورجاله ثقات، ينظر: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، (د.ب)، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، المحقق: شعيب الأرناؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي (٤٧٨/٢٨). وصححه الشيخ الألباني محمد ناصر الدين (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، (٣٨٥/٣).

قال المباركفوري: (قوله: (أن رجلاً ضرير البصر) أي ضعيف النظر أو أعمى، (ادع الله أن يعافيني) أي من ضرري في نظري، (قال إن شئت) أي اخترت الدعاء، (دعوت) أي لك، (وإن شئت) أي أردت الصبر والرضا، (فهو) أي الصبر، (خير لك) فإن الله تعالى قال إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة، (قال) أي الرجل، (فادعه) بالضمير أي ادعه الله واسأل العافية، ويحتمل أن تكون الهاء للسكت، وأسند النبي -ﷺ- الدعاء إلى نفسه وكذا طلب الرجل أن يدعو هو ثم أمره أن يدعو هو أي الرجل كأنه لم يرض منه اختياره الدعاء لما قال الصبر خير لك، لكن في جعله شافعاً له ووسيلة في استجابة الدعاء ما يفهم أنه شريك فيه، (فيحسن وضوءه) أي يأتي بكمالاته من سننه وآدابه، وزاد في رواية ابن ماجه: ويصلي ركعتين، (اللهم إني أسألك) أي أطلبك مقصودي فالمفعول مقدر، (وأتوجه إليك بنبيك) الباء للتعدي، (محمد نبي الرحمة) أي المبعوث رحمة للعالمين، (إني توجهت بك) أي استشفعت بك والخطاب للنبي -ﷺ-، ففي رواية ابن ماجه: يا محمد إني قد توجهت بك، (لتقضى لي) بصيغة المجهول أي لتقضى لي حاجتي بشفاعتك، (فشفعه) بتشديد الفاء أي أقبل شفاعته، (في) أي في حق، قوله: (هذا حديث حسن صحيح غريب) وأخرجه النسائي وزاد في آخره: فرجع وقد كشف الله عن بصره^(١).

قال الإمام (الشوكاني)^(٢): (وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى وأنه المعطي المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن)^(٣).

(١) ينظر: المباركفوي، تحفة الأحوذى، مرجع سابق (١٠/٢٣-٢٤).

(٢) الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) عام ١١٧٣هـ، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، ومات حاكماً بها، له ١١٤ مؤلفاً منها: (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار)، و(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع)، و(الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة)، و(فتح القدير) في التفسير، و(السيال الجرار)، و(إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات)، وغير ذلك، توفي عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٦/٢٩٨).

(٣) ينظر: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، الطبعة: الأولى، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ص(٢١٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ورد اسم نبي التوبة من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ نَبِيُّ التَّوْبَةِ -رضي الله عنه-، قَالَ: مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَدًّا"^(١).

قال صاحب عون المعبود: (نبي التوبة سُمِّيَ بذلك؛ لأنه بعث -رضي الله عنه- بقبول التوبة بالقول والاعتقاد، وكانت توبة من قبلنا بقتل أنفسهم، ويحتمل أن يكون المراد بالتوبة الإيمان والرجوع عن الكفر إلى الإسلام، وأصل التوبة الرجوع -كذا قال النووي تبعاً للقاضي-^(٢).

ورد اسم (المقفي) في صحيح الإمام مسلم، من حديث (أبي موسى الأشعري)^(٣) -رضي الله عنه-، قال: "كان رسول الله -ﷺ- يُسَمِّي لَنَا أَسْمَاءً، فَقَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمَقْفِيُّ، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ"^(٤).

قال النووي: (قال أهل اللغة يقال رجل محمد ومحمود إذا كثرت خصاله الحمودة، وقال (ابن فارس)^(٥) وغيره: وبه سمي نبينا -ﷺ- محمداً وأحمد أي ألهم الله تعالى أهله أن سموه به لما علم من جميل صفاته، وقوله -ﷺ-: (وأنا الماحي الذي يمحي

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٩٠/٦) برقم: (٧٣١٢)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٥٠٧/٤) برقم: (٥١٦٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٤٩٩/٣) برقم: (١٩٤٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٥/٨) برقم: (٦٨٥٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٢/٥) برقم: (١٦٦٠).

(٢) ينظر: الآبادي، عون المعبود، مرجع سابق (٥٠٧/٤).

(٣) أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب التميمي، الإمام الكبير، الفقيه، المقرئ، وهو معدود فيمن قرأ على النبي -ﷺ- أقرأ أهل البصرة، وفقههم في الدين، أسلم أبو موسى بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وأول مشاهده خبير، ومات سنة اثنتين وأربعين، ولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٨٠-٣٨٢/٢).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٠/٧) برقم: (٢٣٥٥).

(٥) ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، الإمام، اللغوي، المحدث، نزيل همذان، وصاحب كتاب (المجمل)، ثقة يتشيع، مات سنة تسع وتسعين وثلاث مائة، وله رحلة إلى بغداد، ولقي أبا سهل بن زياد وأمثاله. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٠٣/١٧-١٠٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

والذي يتأمل مثل هذه الأسماء يجد أنَّها أسماء عظيمة، ومتصلة بصفات عظيمة، وأعظم ما يدل على عظم قدرها أنها متعددة ومن عظم قدره تعددت أسماؤه، قال العلامة القاضي (ابن العربي)^(١): (إنَّ الله سبحانه وتعالى خطط النبي -ﷺ- بخطه، وعدد له أسماءه، والشيء إذا عظم قدره، عظمت أسماؤه)^(٢).

وكل أسمائه عليه (الصلوة والسلام) تستوجب المدح الكامل له، لما فيها من صفات جميلة وحسنة، وكانت خلقاً عظيماً فيه -ﷺ-، قال ابن القيم: (فصل في أسمائه -ﷺ-: وكلها نعوت ليست أعلاماً محضةً لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به، توجب له المدح والكمال)^(٣).

وهذا فضل من الله عليه -ﷺ-، وفضل لأُمَّته التي كان لنبيها هذه الأسماء العظيمة التي تدل على صفات عظيمة لنبيها الكريم عليه (الصلوة والسلام).

(١) ابن العربي الإمام، الحافظ، القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، صاحب التصانيف، ولد في سنة ثمان وستين وأربع مائة، وكان ثاقب الذهن، عذب المنطق، كريم الشرائف، كامل السؤدد، ولي قضاء إشبيلية، فحمت سياسته، وكان ذا شدة وسطوة، فعزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه، توفي في سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٠/١٩٧-٢٠٣).

(٢) ينظر: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، أحكام القرآن، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (٣/٥٨٠).

(٣) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق (١/٨٤-٨٥).

المبحث الرابع

مولده عليه الصلاة والسلام

على حسب معلوماتي القاصرة، ونظرتي القصيرة في كتب السير، وجدتُ أنَّ العلماء لم يتفقوا على تاريخ مُعين بذكر مولد النبي -ﷺ- إلا بعض الأمور التي دعمها الدليل، ولذلك فهناك أمور هي محل اتفاق بين كثير من العلماء، وأمور أخرى هي محل اختلاف بينهم، وسأذكر هنا المتفق عليه والمختلف فيه:

(أ) فأما مواضع الاتفاق في ميلاده -ﷺ-، فهي في تحديد العام، وتحديد اليوم، أما العام: فقد كان عام الفيل، قال ابن القيم: (لا خلاف أنَّه ولد -ﷺ- بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل)^(١).

وقال (ابن إسحاق)^(٢): (عام الفيل)^(٣)، وخالف النووي في الاتفاق على عام الفيل كما سيأتي، وقال الدكتور (أكرم ضياء بن علي العمري)^(٤): (والحق أنَّ الروايات المخالفة كلها معلولة الأسانيد، وهي تفيد أنَّ مولده بعد الفيل بعشر سنوات، أو ثلاث وعشرين سنة، أو أربعين سنة، وقد ذهب معظم العلماء إلى القول بمولده عام الفيل،

(١) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق (٧٦/١).

(٢) ابن إسحاق هو محمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، ويكنى أبا عبد الله، وكان محمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله -ﷺ- وألفها، وكان كثير الحديث، وقد كتب عنه العلماء ومنهم من يستضعفه، مات ببغداد سنة خمسين ومائة، ودفن في مقابر الخيزران، وقيل توفي سنة إحدى وخمسين ومائة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤٥٠/٥-٤٥١).

(٣) ينظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية لابن هشام، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، (١٥٨/١).

(٤) أكرم ضياء بن علي العمري ولد في الموصل شمال العراق سنة ١٩٤٢م، دكتوراه في التاريخ الإسلامي، عمل أستاذًا للتاريخ الإسلامي في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، وأشرف على أكثر من ستين أطروحة للماجستير والدكتوراه خلال السنوات العشرين الماضية في الجامعات العربية وخاصة الجامعات السعودية، وهو معاصر. ينظر: الموقع الإلكتروني للمكتبة الشاملة: (<http://shamela.ws/index.php/author/1003>).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأيدتهم الدراسة الحديثة التي قام بها باحثون مسلمون ومستشرقون اعتبروا عام الفيل موافقاً للعام السبعين والخمسمائة م، أو الواحد والسبعين والخمسمائة م^(١).

وأما اليوم: فهو يوم الإثنين، ففيه وُلد -ﷺ-، وفيه بُعث، وفيه توفي، فعن (أبي قتادة الأنصاري)^(٢) -ﷺ- قال: "سُئِلَ -ﷺ- عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ؟ قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ"^(٣).

ب) وأما مواضع الاختلاف، فقد اختلف أهل السير والتاريخ في تحديد اليوم والشهر منه في ولادة النبي -ﷺ-، وهو أمر له سببه المعقول حيث لم يُعلم ما سيكون لهذا المولود من شأن، فكان حاله كحال غيره من المواليد، ولذا لم يكن لأحد أن يجزم على وجه اليقين بوقت ميلاده -ﷺ-، قال بعض أهل العلم: (ولعل السر في هذا الخلاف أنه حينما وُلد لم يكن أحد يتوقع له مثل هذا الخطر، ومن أجل ذلك لم تتسلط عليه الأضواء منذ فجر حياته، فلمَّا أذن الله أن يبلغ الرسول -ﷺ- دعوته بعد أربعين سنة من ميلاده، أخذ الناس يسترجعون الذكريات التي علقت بأذهانهم حول هذا النبي -ﷺ-، ويتساءلون عن كل شاردة وواردة من تاريخه، وساعدهم على ذلك ما كان يرويه الرسول -ﷺ- عن نفسه عن الأحداث التي مرَّت به أو مر بها منذ نشأته الأولى، وكذلك ما كان يرويه أصحابه والمتصلون به عن هذه الأحداث، وبدأ المسلمون-حينئذٍ- يستوعبون كل ما يسمعون من تاريخ نبيهم -ﷺ- لينقلوه إلى الناس على توالي العصور)^(٤).

(١) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة السادسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، (١/٩٧).

(٢) أبو قتادة هو أبو قتادة الأنصاري السلمي الحارث بن ربيعي، فارس رسول الله -ﷺ- شهد أحداً والحديبية، وله عدة أحاديث، اسمه: الحارث بن ربيعي على الصحيح، وقيل: اسمه: النعمان، وقيل: عمرو، توفي بالمدينة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٤٩-٤٥٦).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢/٢٩٧) (بدون ترقيم)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٦٨/٣) برقم: (١١٦٢).

(٤) ينظر: محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، عدد الطبعة (بدون)، (د.ن)، بيروت، لبنان، (د.ت) ص(٧٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقد ذكر (الحافظ ابن كثير)^(١) عدة أقوال لبعض أهل السير في يوم مولده -ﷺ- وهي كالآتي:

- أن ميلاده -ﷺ- : كان لليلتين خلتا من ربيع الأول.
- وقيل: في ثامن ربيع الأول.
- وقيل: في عاشر ربيع الأول.
- وقيل: في ثاني عشر ربيع الأول.
- وقيل: ولد في رمضان.
- وقيل في صفر، وقيل غير ذلك^(٢).

وبالعودة إلى القول بأن مولده عليه السلام كان يوم الإثنين، والذي دَعَّمته الأدلة الصحيحة والثابتة عن النبي -ﷺ- كما ذكرناه سابقاً، وما جاء منه -ﷺ- في الحث على صيام ذلك اليوم لأنه ولد فيه، فقد حَقَّق بعض علماء المسلمين من أهل الحساب والفلك أن يوم الإثنين يوافق التاسع من شهر ربيع الأول، ومن ذلك يمكن أن يكون هذا قولاً آخرًا وفيه قوة، وهو يعادل العشرين من نيسان لعام واحد وسبعين وخمسمائة للميلاد، وهو ما رجحه بعض العلماء من كتَّاب السيرة النبوية من المعاصرين، ومن هؤلاء العلماء -رَحِمَهُمُ اللَّهُ-: (الأستاذ محمد الخضري)^(٣)، وصفي الرحمن المباركفوري^(٤).

(١) **الحافظ ابن كثير** هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القَيْسي البصري، ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير ونشأ بدمشق، له تصانيف مفيدة، من أشهرها تفسير القرآن العظيم، وهو مؤرخ كبير ومن أشهر مؤلفاته في التاريخ كتاب البداية والنهاية، مات في شعبان سنة ٧٧٤هـ، وكان قد أضرَّ في أواخر عمره. ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الطبعة الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، (١/٤٤٥-٤٤٦).

(٢) ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، السيرة النبوية (من البداية والنهاية)، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م، (١/١٩٩-٢٠٣).

(٣) **محمد الخضري** هو محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري، باحث، خطيب، من العلماء بالشريعة والأدب وتاريخ الإسلام، مصري، كانت إقامته في (الزيتون) من ضواحي القاهرة، وتوفي ودفن بالقاهرة، تخرج بمدرسة دار العلوم وعين قاضياً شرعياً في الخرطوم، ثم مدرساً في مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة، مدة اثني عشرة سنة، ولد عام ١٢٨٩هـ، وتوفي ١٣٤٥هـ، وله ست وخمسون سنة. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٦/٢٦٩).

(٤) **المباركفوري** هو صفي الرحمن المباركفوري، ولد في قرية حسين آباد قريبة من مدينة بنارس في شمال الهند عام ١٣٦١هـ، ودرس على الطريقة النظامية في القارة الهندية، في مدرسة قيص وتفرغ لطلب العلم، كتبه (الرحيق المختوم) من أشهر كتب السيرة المعاصرة على الإطلاق، والذي فاز بمسابقة السيرة النبوية العالمية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٩٦هـ، وفي آخر حياته وقبل وفاته بأربعة أشهر تقريباً أصيب بجلطة دماغية، مما جعله ملازماً للفرش وفي يوم الجمعة ١٠-١١-١٤٢٧هـ فارق الحياة، وصلي عليه يوم السبت ودفن في مقبرة قريته. ينظر: الموقع الإلكتروني للمكتبة الشاملة: (<http://shamela.ws/index.php/author/451>).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال الأستاذ محمد الخضري: (وقد حقق المرحوم (محمود باشا الفلكي)^(١) -عالم فلكي مصري- له باع في الفلك والجغرافيا والرياضيات وكتب وأبحاث، توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة بعد الألف للميلاد: أن ذلك كان صبيحة يوم الإثنين تاسع ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من أبريل/نيسان، سنة واحد وسبعين وخمسمائة من الميلاد، وهو يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل، وكانت ولادته عليه الصلاة والسلام في دار أبي طالب بشعب بني هاشم)^(٢).

وقال النووي عن ولادته عليه الصلاة والسلام: (وولد عام الفيل على الصحيح المشهور، وقيل بعد الفيل بثلاث سنين وقيل بأربع سنين، وادّعى (القاضي عياض)^(٣) الإجماع على عام الفيل وليس كما ادعى، واتفقوا أنه ولد يوم الإثنين في شهر ربيع الأول، وتوفي يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، واختلفوا في يوم الولادة هل هو ثاني الشهر أم ثامنه أم عاشره أم ثاني عشره، والله أعلم)^(٤).

(١) محمود باشا هو محمود أحمد حمدي باشا، ويقال له محمود حمدي، الفلكي: مهندس رياضي من علماء مصر، ولد في بلدة الحصنة (من الغربية، بمصر)، وهو أول واضع لمدفع الظهر بالقلعة في القاهرة باتجاه خط الزوال، وأنشأ على سطح منزله بالجهة الغربية بميدان الأزهار بالقاهرة مزولة تبين ساعات النهار وأنصاف الساعات وأرباعها ووقتي الظهر والعصر، أزيلت بعد وفاته، ولد عام ١٢٣٠هـ، وتوفي عام ١٣٠٢هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (١٦٣/٧-١٦٤).

(٢) ينظر: محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الطبعة الثانية، دار الفيحاء، دمشق، سوريا، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، (٩/١). وينظر: صفي الرحمن بن عبدالله بن محمد أكبر بن محمد علي المباركفوري الأعظمي، الرحيق المختوم، الطبعة الأولى، دار العصماء، دمشق، سوريا، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، (٧/١).

(٣) القاضي عياض هو الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام، القاضي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي، ولد: في سنة ست وسبعين وأربع مائة، توفي في سنة أربع وأربعين وخمس مائة، في رمضانها، وتوفي القاضي مغرباً عن وطنه، وقال ولده محمد: توفي في ليلة الجمعة، نصف الليلة التاسعة من جمادى الآخرة، ودفن بمرakash، سنة أربع، قال الذهبي: بلغني أنه قتل بالرماح. وله كتاب اسمه: (الإكمال في شرح صحيح مسلم) وهو أكثر ما ينقل منه الإمام النووي في شرحه على صحيح الإمام مسلم. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢١٢/٢٠-٢١٧).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥/١٠٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وكذلك علق رحمه الله عند شرحه لحديث أبي قتادة الأنصاري - رضي الله عنه -، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن صومه؟ - إلى أن قال أبو قتادة - وسئل عن صوم الإثنين؟ فقال: "ذاك يوم وُلِدْتُ فيه، ويوم بُعِثْتُ، أو أُنْزِلَ عليَّ فيه" (١).

قال النووي: (قال القاضي: ويرجع الوصف بالولادة والإنزال إلى الإثنين دون الخميس، وهذا الذي قاله القاضي متعين، والله أعلم) (٢) انتهى.

- وخلاصة هذا الأمر: أن هذه الدنيا أشرقت بنور الحبيب - صلى الله عليه وسلم -، واستقبلت الجسد الشريف عليه الصلاة والسلام، الذي كان سبباً عظيماً في تغيير حياة البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن العمى إلى البصيرة، ومن الفرقة إلى الجماعة، كان في يوم الإثنين من شهر ربيع الأول - على القول الأقوى - من عام الفيل والذي يصادف بالسنة الميلادية سنة واحد وسبعين وخمسائة للميلاد، ويوم الإثنين من كل أسبوع رغب النبي الكريم في صيامه تقرباً إلى الله عز وجل، وهو كذلك اليوم الذي أنزل فيه القرآن الكريم على نبيِّنا عليه الصلاة والسلام، وعانقت الأرض فيه السماء وتنزل الحق المبين من الآي والذكر الحكيم، وجاء بأعظم رسالة (رسالة اقرأ)، وهو كذلك يوم البعثة العظيمة التي نشرت التوحيد وبددت الشرك.

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢/٢٩٧) (بدون ترقيم)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٦٨/٣) برقم: (١١٦٢).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٥٢/٨).

المبحث الخامس

خاتم النبوة، ولقاء بحيرى الراهب

أولاً: خاتم النبوة: أيد الله نبيه - ﷺ - بدلائل تدل على صدق نبوته، وفيها من التأييد العظيم له ما يجعل أتباعه وأنصاره على يقين في أنفسهم ويكونون أصحاب حجة لإقناع غيرهم، وخاتم النبوة هو أحد علامات ودلائل نبوته - ﷺ -، وخاصة من خصوصياته الكثيرة، التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها، ويسألون عنها، ويطلبون الوقوف عليها، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر عند تعليقه على الباب الذي أورده الإمام البخاري في صحيحه في [كتاب المناقب] (قال باب خاتم النبوة) فقال: (باب خاتم النبوة أي صفته، وهو الذي كان بين كتفي النبي - ﷺ -، وكان من علاماته التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها)^(١).

وقد جاء ذكر خاتم نبوته - ﷺ - ووصفه في أحاديث صحيحة، وكذلك هناك من الصحابة من رأى الخاتم، وتكررت أسماء الذين رأوه منهم، ووردت في ذلك أحاديث صحيحة - سنورها فيما بعد إن شاء الله - والصحابة - رضي الله عنهم - الذين اكتحلت عيونهم برؤية خاتم نبوته - ﷺ - هم: (السائب بن يزيد)^(٢)، جابر بن سمرة^(٣)، عبدالله بن سرجس^(٤)، سلمان الفارسي^(٥)، أم خالد بنت خالد بن سعيد^(٦).

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٥٦١/٦).

(٢) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي، أبو عبد الله، وأبو يزيد الكندي، المدني، ابن أخت نمر، وذلك شيء عرفوا به، وكان جده سعيد بن ثمامة حليف بني عبد شمس، قال السائب: حج بي أبي مع النبي - ﷺ - وأنا ابن سبع سنين، له نصيب من صحبة ورواية، توفي سنة أربع وتسعين، وقيل: توفي سنة إحدى وتسعين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٣٧/٣-٤٣٨).

(٣) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب السوائي، أبو خالد، ويقال: أبو عبد الله، له: صحبة مشهورة، ورواية أحاديث، وهو وأبوه من حلفاء زهرة، وله بالكوفة دار، وعقب، وشهد فتح المدائن، قال ابن سعد: مات جابر بن سمرة في ولاية بشر بن مروان على العراق، وقيل: توفي سنة ست وسبعين، وقيل: مات سنة ست وستين، والأول أصح. ينظر: المصدر السابق (١٨٦/٣-١٨٧).

(٤) عبد الله بن سرجس المزني، الصحابي المعمر، نزيل البصرة، من حلفاء بني مخزوم، صح أن رسول الله - ﷺ - استغفر له، مات: في دولة عبد الملك بن مروان، سنة نيف وثمانين بالبصرة، روايته في الكتب سوى صحيح البخاري. ينظر: المصدر السابق (٤٢٦/٣-٤٢٧).

(٥) سلمان الفارسي ابن الإسلام، أبو عبد الله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام، صحب النبي - ﷺ - وخدمه، وحدث عنه، قال عن نفسه: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، من أهل قرية منها، يقال لها: جي، وكان أبي دهقانها، قال الواقدي: مات سلمان في خلافة عثمان بالمداين، وكذا قال ابن زنجويه، وقيل: توفي سنة ست وثلاثين، وكان لبيباً، حازماً، من عقلاء الرجال، وعبادهم، ونبلائهم. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٥٠٥/١-٥٠٤).

(٦) أم خالد أمة بنت خالد الأموية بن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية، الأموية، المكية، الحبشية المولد، اسمها: أمة، ولها صحبة، وروت حديثين، وتزوجها الزبير بن العوام، فولدت له: عمراً وخالدًا، قال الذهبي: وأظنها آخر الصحابييات وفاة. ينظر: المصدر السابق (٤٧٠/٣-٤٧١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال جابر بن سمرة -رضي الله عنه-: "كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يَعْني الَّذي بَيْنَ كَتِفَيْهِ غُدَّةٌ حَمْرَاءٌ مِثْلُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ"^(١).

ومن حديث السائب بن يزيد -رضي الله عنه-، قال: "ذَهَبْتُ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعَ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضْؤِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِثْلَ زَرِّ الْحَجَلَةِ"^(٢).

وفي حديث عبدالله بن سرجس -رضي الله عنه-، قال: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ: ثَرِيدًا، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُ لَكَ النَّبِيُّ -ﷺ-؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾"^(٣)، قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عِنْدَ نَاحِيَةِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى، جُمْعًا عَلَيْهِ خِيَلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ^(٤)^(٥).

قال النووي: (قوله: (وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يَشْبُهُ جَسَدَهُ) أما بيضة الحمامة فهو بيضتها المعروفة، وأما زر الحجلة قال بعضهم: المراد بالحجلة واحدة الحجال وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى. هذا هو الصواب المشهور الذي قاله الجمهور، وقال بعضهم: المراد بالحجلة الطائر المعروف، وزرّها بيضتها وأشار

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٢/٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٨٦/٧) برقم: (٢٣٤٤).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٦٣/٧) برقم: (٧٤٧٦)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣١/٦) برقم: (٣٦٤٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤٩/١) برقم: (١٩٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٨٦/٧) برقم: (٢٣٤٥).

(٣) سورة محمد الآية: (١٩).

(٤) الثاليل: جمع ثولول، وهو فرد الندي وهو حلمته. ينظر: للهيوي، تهذيب اللغة (١٩٦/٢).

(٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١١٨/٩)، برقم: (١٠٠٥٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٨٦/٧)، برقم: (٢٣٤٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

إليه الترمذي وأنكره عليه العلماء، وقال الخطَّابي: روي أيضاً بتقديم الراء على الزاي ويكون المراد البيض يقال أَرَزَّتِ الْجَرَادَةُ إِذَا كَبَسَتْ ذَنَبَهَا فِي الْأَرْضِ فَبَاضَتْ، وجاء في صحيح البخاري: كانت بضعة ناشزة أي مرتفعة على جسده، وأما ناغض كتفه فبالنون والغين والضاد المعجمتين والغين مكسورة، وقال الجمهور: النغض والنغض والناغض أعلى الكتف، وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه، وقيل ما يظهر منه عند التحرك، وأما قوله: (جُمعاً) معناه أنه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها، وأما الخيلان جمع خال وهو الشامة في الجسد، والله أعلم، قال (القاضي): وهذه الروايات متقاربة متفقة على أنها شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة، وهو نحو بيضة الحجلة وزر الحجلة، وأما رواية جمع الكف وناشز فظاهرها المخالفة فتؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف، لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة، والله أعلم) انتهى كلامه بتصرف^(١).

وكذلك جاءت خارج الصحيحين قصة سلمان الفارسي -رضي الله عنه-، وفيها ذكرُ خاتم النبوة، قال سلمان -رضي الله عنه-: "ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ بِبَيْعِ الْعَرَقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبَعَ حِزَاةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ شَمَلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَدْرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- اسْتَدْبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي اسْتَنْتَبْتُ فِي شَيْءٍ وَصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَتَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَأَنْكَبْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: تَحَوَّلْ، فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي"^(٢).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥/٩٦-٩٩).

وينظر: ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذني، مرجع سابق (١٠/٨٧-٨٩).

(٢) أخرجه أحمد في "المسند" مرجع سابق برقم (٢٤٢٣٤)، (١٠/٥٦٥)، وقال الشيخ شعيب

الأرناؤوط: إسناده حسن.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ومن الصحابيَّات اللاتي رأينَ خاتمَ رسولِ الله -ﷺ-: أم خالد بنت خالد بن سعيد -رضي الله عنها-، فقد قالت: "أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: سَنَةُ سَنَةٍ، قَالَ (عَبْدُ اللَّهِ)^(١): وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فزَيَّرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: دَعَهَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَبْلِي وَأَخْلَقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلَقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلَقِي"^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (وأما ما ورد من أنها كانت كأثرٍ مُحْجَمٍ، أو كالشَّامة السوداء أو الخضراء، أو مكتوبٌ عليها (مُحَمَّدٌ رسولُ الله) أو (سِرٌّ فَأَنْتَ الْمَنْصُور) أو نحو ذلك، فلم يثبت منها شيء، ولا تغتر بما وقع منها في صحيح ابن حبان فإنه غفل حيث صحح ذلك، والله أعلم)^(٣).

(١) قال الحافظ ابن حجر: (عبد الله هو بن المبارك)، وقال الذهبي في ترجمته: هو (عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم، التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، وكانت أمه خوارزمية، مولده: في سنة ثمان عشرة ومائة، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وصنف التصانيف النافعة الكثيرة، وحديثه حجة بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول، ويقع لنا حديثه عالياً، وبينه بالإجازة العالية ستة أنفس، ارتحل ابن المبارك إلى: الحرمين، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان، وحدث بأماكن، مات لعشر مضى من رمضان، سنة إحدى وثمانين ومائة، ومات سحرًا، ودفناه بهيت). ينظر: للحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٤٢٥/١٠). وينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤١٩-٣٧٨/٨).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٧٥/٤) برقم: (٤٠٢٤)، والبخاري في "صحيحه" واللفظ له (٧٤/٤) برقم: (٣٠٧١).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٥٦٣-٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وهناك من الصحابة من مَسَّ خاتم النبوة بأصابعه، وهو (أبو زيد عمرو بن أخطب)^(١) الأنصاري - ﷺ -، فقد أخرج الإمام الترمذي في (الشمائل)، قوله: قال لي رسول الله - ﷺ -: " يَا أَبَا زَيْدٍ، اذْنُ مِئِّي فَاَمْسَحْ ظَهْرِي. فَمَسَحْتُ ظَهْرَهُ، فَوَقَعَتْ أَصَابِعِي عَلَى الْخَاتَمِ. قُلْتُ: وَمَا الْخَاتَمُ؟ قَالَ: شَعْرَاتُ مُجْتَمِعَاتٍ"^(٢).

ويتلخَّص من ذلك كله أنَّ خاتم النبوة دليل من دلائل نبوة نبينا محمد - ﷺ -، وهي من العلامات التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها كما في قصة سلمان الفارسي - ﷺ -، وأنَّ مكان وجوده في جسده الشريف في (ظهره) من ناحية كتفه الأيسر، وأن بعض الصحابة رآه بعينه ومنهم من تحسسه بأصبعه.

ثانياً: لقاء بحيرى الراهب:

من الوقائع التي حصلت للنبي - ﷺ - قبل مبعثه لقاء بحيرى الراهب وكان عُمر النبي - ﷺ - ثنتي عشرة سنة وقيل تسع سنوات^(٣)، وقد ذُكر في هذه الواقعة خاتم النبوة وفيها دلالة على شهادة بعض علماء أهل الكتاب بنبوة النبي - ﷺ - بل وحرصهم على الحفاظ عليه من مكر وحسد اليهود والروم، أخرج الإمام الترمذي في جامعه من

(١) عمرو بن أخطب أبو زيد الأنصاري، الخزرجي، المدني، الأعرج، من مشاهير الصحابة الذين نزلوا البصرة، روي أن رسول الله - ﷺ - مسح رأسه، وقال: (اللهم جملهُ)، فبلغ مائة سنة، وما ابيض من شعره إلا اليسير، وله بالبصرة مسجد يعرف به، روى عن: النبي - ﷺ - أحاديث، وغزا معه ثلاث عشرة غزوة، توفي: في خلافة عبد الملك بن مروان. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣/٤٧٣-٤٧٤).

(٢) هي الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، برقم (٢٠)، (٤٤/١). وصححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، (د.ت) (١/٣٠).

(٣) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق (١/٧٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: "خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا، فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ، فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ، قَالَ: فَهُمْ يَحْلُونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ، فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ؟ فَقَالَ: إِنِّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيِّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النَّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفٍ كَتَفِهِ مِثْلَ الثُّقَاةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الْإِبِلِ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تَظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فِيءِ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انظُرُوا إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِذَا رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأَنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أَخْبَرْنَا خَبْرَهُ، فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: هَلْ خَلَفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّمَا أَخْبَرْنَا خَبْرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدُّهُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ، قَالَ: أَنَشُدُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا، وَرَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ" (١).

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (١٤/٦) برقم: (٣٦٢٠)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح إسناده قوي (٥٨٥/٨)، وقال الشيخ الألباني حديث صحيح ولكن ذكر بلال فيه منكر. ينظر: الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي، مرجع سابق (١٢٠/٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي هذا الحديث لم يُذكر أن اسم الراهب بحيرى، ولكن ذكر ذلك بعض أهل العلم من علماء الحديث والسير، فقد قال الإمام الحافظ ابن حجر في الفتح عند الحديث عن طرق الوحي (قوله: (من الوحي) يعني: إليه، وهو إخبار عما رآه من دلائل نبوته من غير أن يوحى بذلك إليه، وهو أول ذلك مطلقاً ما سمعه من بحيرا الراهب، وهو عند الترمذي بإسناد قوي عن أبي موسى^(١)).

قال المباركفوري في التحفة: (قوله: (في أشياخ من قريش) أي في جملتهم، والمراد منهم أكابرهم شرفاً أو سناً، (فلما أشرفوا) أي طلّعوا، (على الراهب) اسمه: بحيرا بضم الباء، وفتح الحاء ممدوداً على المشهور، وهو زاهد النصراني، (هبط) من الهبوط أي نزل أبو طالب ومن معه في ذلك الموضع، وهو بصرى من بلاد الشام، (فحلوا رحالهم) أي فتحوها، (وكانوا) أي الناس من قريش وغيرهم، (قال) أي أبو موسى، (فجعل يتخللهم الراهب) أي أخذ يمشي فيما بين القوم، ويطلب في خللهم شخصاً، (يبعثه الله) أي يجعله نبياً ويظهر رسالته، (ما علمك؟) أي ما سبب علمك، (إلا خر) من الخور أي سقط، (وإني أعرفه) أي النبي أيضاً، (أسفل) بالنصب أي في مكان أسفل، (من غضروف كتفه) وهو رأس لوح الكتف، (ثم رجع) أي الراهب من عندهم، (فلما أتاهم به) أي بالطعام، (فكان هو) أي النبي -ﷺ- (في رعية الإبل) أي في رعايتها، (فقال) أي الراهب لهم، (أرسلوا إليه) أي إلى النبي -ﷺ- من يدعوه للطعام، (وعليه غمامة) أي سحابة، (تظله) أي تجعله تحت ظلها، (وجدتهم) أي وجد النبي -ﷺ- (إلى فيء شجرة) أي ظلها، (مال فيء الشجرة عليه) أي مال ظلها واقعاً عليه، (فقال) أي الراهب، (وهو يناشدهم) أي يقسم عليهم، قال في النهاية: يقال: نشدتك الله، وأنشدك الله وبالله، وأنشدتك الله وبالله أي: سألتك وأقسمت عليك، ونشدته نشدة ونشداناً ومناشدة، وتعديته إلى مفعولين إما لأنه بمنزلة دعوت، حيث قالوا: نشدتك الله وبالله كما قالوا دعوت زيدا أو بزید، أو لأنهم ضمنوه معنى ذكرت انتهى، (أيكم وليه) أي قريبه، (قالوا: أبو طالب) أي وليه، (فلم يزل) أي الراهب، (يناشده) أي يناشد أبا طالب، ويطالب رده -ﷺ- خوفاً عليه من أهل الروم أن يقتلوه في الشام، ويقول لأبي طالب: بالله عليك أن ترد محمداً إلى مكة، وتحفظه من العدو، (حتى رده

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٥٨٥/٨). وينظر: محمد بن إسحاق بن

يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)،

الطبعة: الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، تحقيق: سهيل زكار، ص (٧٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أبو طالب) أي إلى مكة شرفها الله تعالى، (وزوده الراهب من الكعك) هو الخبز الغليظ على ما في الأزهار، وقيل: هو خبز يعمل مستديراً من الدقيق والحليب والسكر أو غير ذلك، الواحدة كعكة، والجمع كعكات، وقال في القاموس هو خبز معروف فارسي معرب (والزيت) أي لإدام ذلك الخبز، قوله: (هذا حديث حسن غريب) قال الجزري: إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين أو أحدهما، وذكر أبي بكر، وبلال فيه غير محفوظ وعده أئمتنا وهماً، وهو كذلك؛ فإن سنّ النبي - ﷺ - إذ ذاك اثنتا عشرة سنة، وأبو بكر أصغر منه بسنتين، وبلال لعله لم يكن ولد في ذلك الوقت انتهى، وقال في ميزان الاعتدال: قيل مما يدل على بطلان هذا الحديث قوله: وبعث معه أبو بكر، بلالاً، وبلال لم يخلق بعد، وأبو بكر كان صبيّاً انتهى، وضعف (الذهبي) هذا الحديث لقوله: وبعث معه أبو بكر، بلالاً، فإن أبا بكر إذ ذاك ما اشترى بلالاً، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: رجاله ثقات، وليس فيه سوى هذه اللفظة، فيحتمل أنها مدرجة فيه، منقطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته، وقال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد: ثم كفله عمه أبو طالب، واستمرت كفالته له، فلما بلغ ثنتي عشرة سنة خرج به عمه إلى الشام، وقيل: كانت سنه تسع سنين، وفي هذه الخرجة رآه بحيرا الراهب، وأمر عمه أن لا يقدم به إلى الشام؛ خوفاً عليه من اليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانهم إلى المدينة، ووقع في كتاب الترمذي وغيره أنه بعث معه بلالاً، وهو من الغلط الواضح؛ فإن بلالاً إذ ذاك لعله لم يكن موجوداً، وإن كان فلم يكن مع عمه، ولا مع أبي بكر، وذكر البزار في (مسنده)^(١) هذا الحديث ولم يقل: وأرسل معه عمه بلالاً، ولكن قال رجلاً^(٢). انتهى.

ويتضح من ذلك لقاء بحيرى الراهب بالنبي - ﷺ - قبل البعثة وشهادته بنبوته عليه الصلاة والسلام، وحرصه وخوفه عليه أن تطاله أيادي اليهود أو الروم بالقتل أو غيره إذا عرفوه بالصفات المذكورة عندهم في كتبهم، فحفظ الله نبيه - عليه الصلاة والسلام - ورجع إلى مكة.

(١) ينظر: أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، الطبعة: الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) (٩٧/٨).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى، مرجع سابق (٢٩٦/٤).

المبحث السادس

أعماله عليه الصلاة والسلام قبل البعثة، وزواجه بخديجة -ﷺ-

من حكمة الله جل في علاه أن جعل أنبياءه ورسله بشراً كغيرهم، لا يتميزون عن البشر إلا بما اختصهم به سبحانه وتعالى من صفات النبوة وما تطلبها رسالتهم، وإلا فهم يشتركون مع سائر الخلق في الجوع والشبع والعطش والمرض والصحة وغيرها، والفقهاء من العلماء يُقسّمون أفعال الرسول -ﷺ- من حيث زمن وقوعها إلى: (ما حدث قبل البعثة، وما حدث بعد البعثة) فأفعال النبي -ﷺ- قبل البعثة، هي خارجة عن السُّنة التشريعية، ولا يلزمنا متابعتها والافتداء به فيها، إلا ما جاء به شرعه بعد البعثة بمشروعيتها، إما على جهة الوجوب أو الاستحباب، من نحو: (الوفاء بالوعد، وإعانة الملهوف، وإكرام الضيف، والإعانة على نوائب الحق، ونحو ذلك) فيلزمنا الاقتداء به فيه؛ لأنّه صار شريعة لنا بعد نبوّته، لا لمجرد أنّه عليه الصلاة والسلام فعله قبل النبوة، وعلى هذا فيوجد في أفعاله -ﷺ- قبل البعثة ما لا يلزم اتباعه فيه، إما لأنه لم يثبت في حقنا تشريعه، وإما لورود ما ينسخه ويعارضه بعد البعثة^(١).

وأما المحدثون فإنّهم يعتنون بذكر ما ورد عنه -ﷺ- في كل وقت، ولو كان قبل البعثة، فهي تدخل في السُّنة على تعريف المحدثين، الذين يعتبرون كل ما نقل عن النبي -ﷺ- سُنّة، فيروونه في كتبهم بناء على ذلك^(٢).

(١) ينظر: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، الطبعة الأولى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (١٨/١٠-١١).

(٢) ينظر: محمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، أفعال الرسول -ﷺ- ودلالاتها على الأحكام الشرعية، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (١/١٨٦ وما بعدها).

أعماله عليه الصلاة والسلام قبل النبوة:

(١) من حكمة الله عز وجل في رسله أنهم يرعون الأغنام ليتعلموا من ذلك: (يقظة الراعي، الحرص على الرعية، حسن السياسة، الرفق، الأمانة)، وأخبر النبي -ﷺ- عن نفسه برعيه للغنم قبل البعثة، بل ذكر عليه الصلاة والسلام أنه ما من نبي إلا ورعى الغنم، قال: جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- نَجْنِي الْكَبَاثَ، فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ هُوَ أَطْيَبُهُ، قُلْنَا: وَكُنْتَ تَرَعَى الْغَنَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا رَعَاهَا"^(١).

قال النووي: (الْكَبَاثُ قال: أهل اللغة هو النضيج من ثمر الأراك، وفيه فضيلة رعاية الغنم قالوا والحكمة في رعاية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لها ليأخذوا أنفسهم بالتواضع وتصفو قلوبهم بالخلة ويترقوا من سياستها بالنصيحة إلى سياسة أمهم بالهداية والشفقة، والله أعلم)^(٢).

وكان عليه الصلاة والسلام يرعاها لأهل مكة على (قراريط)^(٣)، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ- "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَاعِي غَنَمٍ. قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وَأَنَا كُنْتُ أَرْعَاهَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْقَرَارِيطِ. قَالَ سُؤَيْدٌ^(٤): يَغْنِي كُلَّ شَاةٍ بِقَرَارِطٍ"^(٥).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٥٤/٦) برقم: (٦٧٠١) واللفظ له، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٧/٤) برقم: (٣٤٠٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٥/٦) برقم: (٢٠٥٠)،

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٦-٥/١٤).
(٣) القراريط جزء من الدينار أو الدرهم، قاله سويد بن سعيد. ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٤٤١/٤).

(٤) سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار، الإمام، الصدوق، شيخ المحدثين، أبو محمد الهروي، ثم الحدثاني، الأنباري، نزيل حديثة النورة، بليدة تحت عانة، وفوق الأنبار، رحال، جوال، صاحب حديث وعناية بهذا الشأن، لقي الكبار، وحدث عن: مالك بن أنس ب (الموطأ)، وحماد بن زيد، وخلق كثير بالحرمين والشام والعراق ومصر، قال البخاري: مات سويد يوم الفطر، سنة أربعين ومائتين، بالحديثة، وقال البغوي: بلغ مائة سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤١٠/١١-٤٢٠).

(٥) أخرجه ابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٧٨/٣) برقم: (٢١٤٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٨/٣) برقم: (٢٢٦٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال السندي: (قوله: (إلا راعي غنم) اسم فاعل من الرعي، ولعل ذلك لأن الغنم أكثر من المواشي انتشاراً وضعفاً فراعيها يكون أقدر لجمع المتفرق وأعرف بتدبيره، ويكون أرق قلباً؛ يراعي الضعيف وجمع المتفرق (بالقرايط) جمع قيراط على أن ياءه بدل من الواو، وهو من أجزاء الدينار وهو نصف عشره في أكثر البلاد، وأهل الشام يجعلونه جزءاً من أربعة وعشرين)^(١).

(٢) لقد لخصت أم المؤمنين خديجة -عليها السلام- أعماله عليه السلام قبل البعثة في عدة جمل، فعندما نزل عليه الوحي وخاف على نفسه عليه السلام، كان قولها له: "كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَ اللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ...."^(٢).

قال النووي في كلام نفيس وجميل له: (أما قولها: (كلا) فهي هنا كلمة نفى وإبعاد وهذا أحد معانيها، وقد تأتي كلا بمعنى حقا وبمعنى ألا التي للتنبيه يستفتح بها الكلام، وأما قولها: (لا يخزيك) والخزي الفضيحة والهوان، وأما صلة الرحم فهي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك، وأما الكل بفتح الكاف، وأصله الثقل ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾^(٣)، ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك، وهو من الكلال وهو الإعياء، وأما قولها: (وتكسب المعدوم) فهو بفتح التاء هذا هو الصحيح المشهور ونقله القاضي عياض عن رواية الأكثرين قال: ورواه بعضهم بضمها، تكسب المعدوم فمن رواه بالضم فمعناه تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه إياه تبرعاً فحذف أحد المفعولين، وقيل: معناه تعطى الناس ما لا

(١) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (٥/٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧/١) برقم: (٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٧/١) برقم: (١٦٠).

(٣) سورة النحل الآية: (٧٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق، وأما رواية الفتح فقليل معناها كمعنى الضم، وقيل: معناها تكسب المال المعلوم وتصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله، وأما قولها: (وتقري الضيف) فهو بفتح التاء قال أهل اللغة: يقال قريت الضيف أقرية قرى بكسر القاف مقصور وقراء بفتح القاف والمد، ويقال للطعام الذي يضيفه به قرى بكسر القاف مقصور، ويقال لفاعله قار مثل قضى فهو قاض، وأما قولها: (وتعين على نوائب الحق) فالنوائب جمع نائبة وهي الحادثة، وإنما قالت نوائب الحق؛ لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر، قَالَ (لَبِيدٌ)^(١):

نَوَائِبُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ كِلَاهُمَا فَلَا الْخَيْرُ مَمْدُودٌ وَلَا الشَّرُّ لَازِبٌ

قال العلماء -رضي الله عنهم-: معنى كلام خديجة -عليها السلام- إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشرائع وذكرته ضرورياً من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء، وفيه مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة نظر، أو فيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيريه وذكر أسباب السلامة له، وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة -عليها السلام- وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها، والله أعلم^(٢) انتهى كلامه بتصرف.

(٢) عِصْمَةُ اللَّهِ لَهُ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَسَاهَلُونَ فِي كَشْفِ عَوْرَاتِهِمْ، وَعِنْدَمَا كَانَتْ قَرِيشٌ تَبْنِي الْكَعْبَةَ الْمَشْرُفَةَ بَعْدَ تَشَقُّقِ جِدْرَانِهَا بِسَبَبِ الْأَمْطَارِ وَالسِّيُولِ، كَانَ -عليه السلام- مَعَهُمْ يَسَاعِدُهُمْ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ يَنْقُلُ الْأَحْجَارَ عَلَى

(١) لَبِيدُ بْنُ رِبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ الشَّاعِرِ، وَيَكْنَى أَبَا عَقِيلٍ، قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَرَجَعَ إِلَى بِلَادِ قَوْمِهِ ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْكُوفَةِ فَنَزَلَهَا وَمَعَهُ بَنُونَ لَهُ، وَمَاتَ بِهَا لَيْلَةَ نَزْلِ مَعَاوِيَةَ النَخِيلَةِ لِمَصَالِحَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَدُفِنَ فِي صَحْرَاءِ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ، وَرَجَعَ بَنُوهُ إِلَى الْبَادِيَةِ أَعْرَاباً، وَلَمْ يَقُلْ لَبِيدٌ فِي الْإِسْلَامِ شِعْراً، وَقَالَ: أَبَدَلَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ الْقُرْآنِ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٠٧/٦).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٠٠/٢-٢٠٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ظهره الشريف، ومعه عمّه (العباس بن عبد المطلب) ^(١) -، فلما نظر عمّه إلى كتفه وقد تأثر من حمل الأحجار أشار عليه بأن يخلع إزاره ويضعه على كتفه ويضع الحجر فوق الإزار من أجل أن لا يؤثر عليه، فلما فعل ذلك سقط مغشياً عليه -، أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما، أن جابر بن عبد الله - كان يحدث عن نقل رسول الله - الحجارة مع قريش فقال: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَ عَلَى مُكْبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ، قَالَ: فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَى مُكْبِيهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا -" ^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (وفيه أنه - كان مصوناً عما يستقبح قبل البعثة وبعدها، وفيه النهي عن التعري بحضرة الناس) ^(٣).

فهذا من حفظ الله لنبيه - من هذه الأعمال القبيحة التي كان أهل الجاهلية يتساهلون فيها، وأما ما هو أعظم من ذلك فهو معصوم - منها ولاشك في هذا الأمر البتّة، وقد ذكر الدكتور/ أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة إجماع العلماء في ذلك فقال: (وقد أجمع العلماء على أن النبي - معصوم عن الكفر قبل الوحي وبعده، وأما تعدد الكبائر فهو معصوم عنها بعد الوحي، وأما الصغائر فتجوز عمداً عند الجمهور بعد الوحي، ويستفاد من كلامهم عدم امتناع صدور الكبائر عنه قبل الوحي، وهذه التقارير العقدية يتجاوزها استقراء الروايات التاريخية التي تؤكد العصمة من الكفر والكبائر معاً قبل الوحي) ^(٤).

(١) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل: من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجدّ الخلفاء العباسيين، عم النبي -، وكان محسناً لقومه، سديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد، كارهاً للرق، وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله - أخبار المشركين، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة (حنين)، وشهد فتح مكة، وعمي في آخر عمره، وأحصي ولده في سنة مئتين للهجرة فبلغوا (ثلاثة وثلاثين ألف)، وكانت وفاته في المدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الإناث، ولد سنة واحد وخمسين قبل الهجرة، وتوفي سنة اثنين وثلاثين للهجرة. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٢٦٢/٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٢/١) برقم: (٣٦٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٤/١) برقم: (٣٤٠).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٤٧٥/١).

(٤) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (١١٤/١).

زواجه بأُم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ:

من المعلوم والمشهور في كتب السير أن أول امرأة تزوجها النبي -ﷺ- هي خديجة بنت خويلد -ﷺ-، وأن من خطبها له قيل إنه عمه (حمزة بن عبد المطلب)^(١) -ﷺ- وقيل عمه أبو طالب، وأن رسول الله -ﷺ- أصدقها عشرين بكرة، وأنها أم أولاده ما عدا إبراهيم، وهم: (القاسم، وعبدالله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة)، وأن رسول الله -ﷺ- لم يتزوج غيرها في حياتها^(٢).

وتذكر بعض كتب أهل السير قصة رغبة خديجة -ﷺ- بالزواج من رسول الله -ﷺ- وإرسالها من يعرض عليه أمر الزواج أو أنها ذهبت بنفسها، ولكن العلماء المحققين ذكروا أنه لم يثبت في ذلك شيء، قال الدكتور/ ضياء أكرم العمري: (ولا يوجد من الروايات الصحيحة ما يوضح هذه الأحداث، ولكن الثابت في الروايات الصحيحة زواجه -ﷺ- بخديجة -ﷺ-)، وثناء النبي عليها وإظهاره محبتها وتأثره عند ذكرها بعد وفاتها، ومواقفها في تطمينه عند نزول الوحي عليه ومسارعتها للإيمان به، وهي مواقف مشهورة تدل على مكانة خديجة -ﷺ- في الإسلام، ومما اتفق عليه أهل العلم أن خديجة أولى أزواجه -ﷺ-، وقد أنجبت منه ذكرين هما: القاسم وعبد الله (الملقبين بالطيب والطاهر)، وأربع بنات هن زينب وأم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية، فأما القاسم وعبدالله فماتا قبل الإسلام، وأدركت البنات الإسلام فأسلمن، وقد توفيت خديجة -ﷺ- قبل هجرة النبي -ﷺ- إلى المدينة بثلاث سنين، وذلك قبل حادثة الإسراء والمعراج^(٣).

فرضي الله عن أم المؤمنين خديجة، فنعيم الزوجة كانت مع رسول الله -ﷺ- ونعم المثبتة له والواقفة معه، وفي أشد الظروف التي مرت به وخصوصاً في بداية دعوته ونزول الوحي عليه، وواست رسول الله -ﷺ- بنفسها ومالها وجاهاها، ولما ماتت حزن عليها رسول الله ﷺ حزناً شديداً.

(١) حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعمه -ﷺ- ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكان يكنى أبا عمار، وأخو رسول الله -ﷺ- من الرضاعة، استشهد يوم أحد، قتله وحشي بن حرب، دفن حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش -رضي الله عنهما- في قبر واحد، وحمزة خال عبد الله بن جحش. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣/٥-٧).

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (١/١٨٧-١٩١).

(٣) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (١/١١٤).

المبحث السابع

بناء الكعبة، ومقام إبراهيم

الكعبة: سُمِّيَتْ بهذا الاسم: (قيل لأنها مكعبة على خلق الكعب، وقيل: التكعيب الترييع، وكلّ بناء مربع كعبة، وقيل: سميت لارتفاع بنائها، وكلّ بناء مرتفع فهو كعبة)^(١).

والكعبة المشرفة هي أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله وتوحيده، وهو بمكة المكرمة، وجعل الله هذا البيت مباركاً، وهذه البركة ثابتة فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، قال الإمام (القرطبي)^(٣): (قَوْلُهُ تَعَالَى: (مُبَارَكًا) جَعَلَهُ مُبَارَكًا لَتَضَاعَفَ الْعَمَلُ فِيهِ، فَالْبِرْكَهُ كَثْرَةُ الْخَيْرِ)^(٤).

وقال ابن العربي: (قيل: ثواب الأعمال، وقيل: ثواب القاصد إليه، وقيل: أمن الوحش فيه، وقيل: عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته، والصحيح أنه مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة، وذلك بجميعه موجود فيه)^(٥).

(١) ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٥م، (٤/٤٦٥).

(٢) سورة آل عمران الآية: (٩٦).

(٣) القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن قُرَح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمدينة ابن خصيب (في شمالي أسبوط، بمصر)، وتوفي فيها، من كتبه (الجامع لأحكام القرآن)، و(قمع الحرص بالزهد والقناعة)، و(الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)، وكان ورعاً متعبداً، طارحاً للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية، توفي سنة واحد وسبعين وستمائة، ولم تُشَر المصادر التي ترجمت له إلى سنة ولادته. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٣٢٢/٥-٣٢٣).

(٤) ينظر: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن قُرَح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن)، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، (٤/١٣٩).

(٥) ينظر: ابن العربي، أحكام القرآن، مرجع سابق (١/٣٧١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

والكعبة هي قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وحولها يطوف الحجاج والمعتصرون منذ بناها الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام- إلى يومنا هذا، وقد أعادت قريش بناء الكعبة المشرفة في عهدها، وكان ذلك بعد عام الفيل بسنوات، وكانت أسباب البناء أمور:

الأول: الضعف الذي أصاب سقفها وجدرانها بسبب الحريق الذي أصابها، وقيل: أن سببه امرأة جمّرت الكعبة، فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت، وكانوا يضعون كسوة الكعبة التي يخرجونها منها داخل الكعبة.

الثاني: بسبب مياه السيل الذي دخلها وصدّع جدرانها وأضعفها.

الثالث: أن نفراً سرقوا حلي الكعبة وغزالين من ذهب، وقيل غزال واحد مرصع بذرّ وجوهر وكان في بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وُجدَ عنده (دويك مولى لبني مليح ابن عمرو من خزاعة) فقطعت قريش يده، وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك، فأرادوا أن يشدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا^(١).

فاجتمعت قريش لبنيان الكعبة وسقفها من جديد، وكانوا يهابون هدمها، وكان في مكة رجل نجار قبطي، أعدّ لهم بعض ما يصلحها، فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنيانها من جديد، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، ولا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، وقيل أن هذا الكلام للوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم إنَّ الناس هابوا هدمها وفرّقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها، وهو يقول: (اللهم لم ترع)^(٢)

(١) ينظر: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، (٢/١٦٩).

(٢) لم ترع: أي لم تقزع والضمير فيها يعود على الكعبة. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (١/١٩٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقيل أنه قال: (لم نزع)^(١)، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت، وإن لم يُصبه شيء، فقد رضي الله صنعنا، فهدمنا، فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس - أساس إبراهيم عليه السلام، ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة، كل قبيلة أخذت تبني جزءاً من الكعبة، فلما وصلوا عند الحجر الأسود تخاصموا، كل قبيلة تريد لها الشرف بوضع الحجر الأسود، فاشتدت الخصومة بينهم حتى كادوا أن يقتتلوا، فقام (أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي وكان يومئذ أسن قريش كلهم)، وقال: (يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه، أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم، ففعلوا، فكان أول داخل هو رسول الله - ﷺ -، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال - ﷺ -: هلم إلي ثوباً، فأتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه، فكان حلاً مرضياً للجميع، وكانت قريش تُسمي رسول الله - ﷺ - قبل أن ينزل عليه الوحي (الأمين)، وكانت الكعبة على عهد رسول الله - ﷺ - ثمانية عشر ذراعاً، وكان عمر رسول الله - ﷺ - حينها خمسة وثلاثين عاماً، وقد شارك في بناء الكعبة، وكان ينقل الحجارة على كتفه الشريف عليه الصلاة والسلام^(٢).

ولكن قريشاً عند بنائهم للكعبة، أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - وذلك لما قصرت بهم النفقة، أي لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم، وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق، وجعلوه مرتفعاً لئلا يدخل إليها كل أحد، فيدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولذلك كان رسول الله - ﷺ - يتمنى إعادتها على قواعد إبراهيم، ولكن حادثة قريش بالإسلام كانت سبباً في عدم تغيير النبي - ﷺ -

(١) لم نزع: أي لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (١/١٩٥).

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (١/١٩٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

لها، ولهذا لما تمكّن (عبدالله ابن الزبير - رضي الله عنه)^(١)، بناها على ما أشار إليه رسول الله - ﷺ -، بعد ما حدّثته خالته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بذلك، فكانت الكعبة في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل، لها بابان ملتصقان بالأرض شرقياً وغربياً، يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر، فلما قتل (الحجاج)^(٢) ابن الزبير - رضي الله عنهما - كتب إلى (عبد الملك بن مروان)^(٣)، وهو الخليفة يومئذ، فيما صنعه ابن الزبير - اعتقدوا أنّه فعل ذلك من تلقاء نفسه - فأمر عبد الملك بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامي فحصوه وأخرجوا منه الحجر ورسوا حجارته في أرض الكعبة، فارتفع باباها وسدوا الباب الغربي، واستمر الشرقي على ما كان عليه،

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة، أمير المؤمنين، أبو بكر، وأبو خبيب القرشي، الأسدي، المكي، ثم المدني، أحد الأعلام، ابن حواري رسول الله وابن عمته، كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، ولد سنة اثنتين، وقيل: سنة إحدى، وله صحبة، وعداده في صغار الصحابة، وإن كان كبيراً في العلم، والشرف، والجهاد، والعبادة، قال ابن إسحاق وعدة: قتل في جمادى الآخرة، سنة ثلاث وسبعين، وعاش: نيفاً وسبعين سنة - رضي الله عنه - قتله الحجاج بن يوسف، وأمه أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها -، وماتت بعده بشهرين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣/٣٦٣-٣٧٩).

(٢) قال الذهبي: (الحجاج بن يوسف الثقفي، أهلكه الله في رمضان، سنة خمس وتسعين، كهلاً، وكان ظلوماً، جباراً، ناصبياً، خبيثاً، سفاكاً للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن، قد سقت من سوء سيرته في (تاريخي الكبير)، وحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله، فنسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان، وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤/٣٤٣).

(٣) قال الذهبي: (عبد الملك بن مروان، بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، الخليفة، الفقيه، أبو الوليد الأموي، ولد سنة ست وعشرين، سمع: عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وغيرهم، تملك بعد أبيه الشام ومصر، قال ابن سعد: كان قبل الخلافة عابداً، ناسكاً بالمدينة، خطب قبل موته فقال: اللهم إن ذنوبي عظام، وهي صغار في جنب عفوك يا كريم، فاغفرها لي، وكان من رجال الدهر، ودهاة الرجال، وكان الحجاج من ذنوبه، توفي في شوال، سنة ست وثمانين، عن نيف وستين سنة). ينظر: المصدر السابق (٤/٢٤٦-٢٤٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فلما كان في زمن المنصور أو ابنه المهدي استشار الإمام مالك بن أنس في إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير -رضي الله عنهما-، فقال الإمام مالك: إنِّي أكره أن يتخذها الملوك ملعبة، فتركها على ما هي عليه، فهي كذلك إلى الآن.

وأما المسجد الحرام: فأول من أحرَّ البيوت من حول الكعبة هو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، اشتراها من أهلها وهدمها، فلما كانت خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- اشترى دوراً وزادها فيه، فلماً ولي ابن الزبير -رضي الله عنهما- أحكم بنيانه، وحسن جدرانه وأكثر أبوابه، ولم يوسعه شيئاً آخر، فلما استبد بالأمر عبد الملك ابن مروان زاد في ارتفاع جدرانه، وأمر بالكعبة فكسيت الديباج، وكان الذي تولى ذلك بأمره (الحجاج بن يوسف)^(١).

ووردت في هذه الأمور أحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومنها:

قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ لَهَا: يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهَدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجُ مِنْهُ، وَالزَّقْتُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ، فَذَلِكَ الَّذِي حَمَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ -رَوْضِي اللَّهِ عَنْهُمَا- عَلَى هَدْمِهِ، قَالَ (يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ)^(٢): وَشَهِدْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حِينَ هَدَمَهُ، وَبَنَاهُ، وَأَدْخَلَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ حِجَارَةً، كَأَسْنِمَةِ الْإِبِلِ"^(٣).

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية من (البداية والنهاية)، مرجع سابق (١/١٨١-١٨٢).

(٢) يزيد بن رومان القرشي الأسدي المدني يكنى أبا روح مولى الزبير بن العوام، مات سنة ثلاثين ومائة. ينظر: أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن منجويه، رجال صحيح مسلم، الطبعة الأولى، (د.ن)، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٥م، (٢/٣٥٧).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١/٥٧٥) برقم: (١/٢٩٠٠)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٤/١١٠) برقم: (٣٨٦٩)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢/١١٤) برقم: (١٨٧٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢/٢١٤) برقم: (٨٧٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤/١٨٠) برقم: (٢٩٥٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢/١٤٦) برقم: (١٥٨٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤/٩٧) برقم: (١٣٣٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعنها أيضاً، قالت: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِ قَوْمِكِ بِالْكَفْرِ لَنَقَضْتُ النَّبِيَّةَ، فَبَنَيْتُهُ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلْتُ لَهُ خَلْفًا، فَإِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا بَنَتِ النَّبِيَّةَ اسْتَقْصَرَتْ، وَلَجَعَلْتُ لَهَا خَلْفًا"^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما - أنه أخبر بقول عائشة -ﷺ-: "إِنَّ الْحِجْرَ بَعْضُهُ مِنَ النَّبِيَّةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّ عَائِشَةَ إِنْ كَانَتْ سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، إِنِّي لَأَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- لَمْ يَتْرُكْ اسْتِلاَمَهُمَا إِلَّا أَنَّهُمَا لَيْسَا عَلَى قَوَاعِدِ النَّبِيَّةِ، وَلَا طَافَ النَّاسُ وَرَاءَ الْحِجْرِ إِلَّا لِذَلِكَ"^(٢).

قال المباركفوري: (قوله: (باب ما جاء في كسر الكعبة) أي هدمها، وقوله: (إن ابن الزبير) يعني عبد الله بن الزبير الصحابي المشهور، قوله: (لولا أن قومك حديث عهد) قال الجزري في النهاية: الحديث ضد القديم، والمراد به قرب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول في الإسلام وأنه لم يتمكن الدين في قلوبهم، فلو هدمت الكعبة وغيرتها ربما نفروا من ذلك، انتهى، قوله: (وجعلت لها بابين) أي باباً شرقياً وباباً غربياً (فلما ملك ابن الزبير هدمها وجعل لها بابين) أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه، وروى مسلم في صحيحه قصة هدمها وبنائها مطولاً انتهى^(٣).

وقال العظيم آبادي: (قوله: (إن كانت سمعت هذا) ليس هذا الكلام منه على سبيل التضعيف لروايتها والتشكيك في صدقها؛ لأنها كانت صديقة حافظة، ولكن كثيراً يقع في كلام العرب صورة التشكيك، والمراد به اليقين والتقرير؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَن أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ وَمَنَعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٤)، وكقوله: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُؤْمَرُ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾^(٥)، قاله النووي. (إني لأظن) جزاء شرط يريد إن كانت عائشة سمعته من رسول الله -ﷺ- أنا أعلم أن رسول الله -ﷺ- ترك استلامها،

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٥٧٥/١) برقم: (٢/٢٩٠١)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١١٠/٤) برقم: (٣٨٧١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٣٧/١) برقم:

(١٢٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٧/٤) برقم: (١٣٣٣).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (١١٤/٢) برقم (١٨٧٥).

(٣) ينظر: المباركفوري، تحفو الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٩٧/٢).

(٤) سورة الأنبياء الآية: (١١١).

(٥) سورة سبأ الآية: (٥٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فكان ابن عمر علم ترك رسول الله - ﷺ - الاستلام، ولم يعلم علته، فلما أخبره عبد الله بن محمد بخبر عائشة هذا عرف علة ذلك، وهو كونهما ليسا على القواعد، بل أخرج منه بعض الحجر، ولم يبلغ به ركن البيت الذي من تلك الجهة، والركنان اللذان اليوم من جهة الحجر لا يستلمان كما لا يستلم سائر الجدر؛ لأنه حكم مختص بالأركان. وأنه ليس من البيت شيئاً مهجوراً. وذكر عن ابن الزبير أيضاً، وكذا عن جابر وابن عباس والحسن والحسين - رضي الله عنهم - وقال أبو حنيفة: لا يستلم إلا الركن الأسود خاصة، ولا يستلم اليماني؛ لأنه ليس بسنة، فإن استلمه فلا بأس قاله العيني. وقال ابن حجر: وهذا الذي قاله ابن عمر من فقهه ومن تعليل العدم بالعدم علل عدم الاستلام بعدم أنهما من البيت^(١) انتهى.

وعن عبدالله ابن الزبير - رضي الله عنهما - أن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حدثته: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ لَهَا: لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ لَهَدَمْتُ الْكُعْبَةَ وَجَعَلْتُ لَهَا بَابِينَ. فَلَمَّا مَلَكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ هَدَمَهَا وَجَعَلَ لَهَا بَابِينَ". أخرجه الإمام الترمذي في جامعه وقال هذا حديث حسن صحيح^(٢).

وتسأل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وتستوضحه لماذا فعلت قريش ذلك، فيجيبها رسول الله - ﷺ - ففي حديثها الذي أخرجه الإمام ابن ماجه، قالت - رضي الله عنها -: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنِ الْحَجَرِ؟ فَقَالَ: هُوَ مِنَ الْبَيْتِ، قُلْتُ: مَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهُ فِيهِ؟ فَقَالَ: عَجَزَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ، قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَقِعاً لَا يُصْعَدُ إِلَيْهِ إِلَّا بِسُلْمٍ؟ قَالَ: ذَلِكَ فِعْلُ قَوْمِكَ، لِيَدْخُلُوهُ مَنْ شَاءُوا، وَيَمْنَعُوهُ مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكُفْرِ، مَخَافَةَ أَنْ تَنْفَرَ قُلُوبُهُمْ، لَنْظَرْتُ هَلْ أُغَيِّرُهُ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا انْتَقَصَ مِنْهُ، وَجَعَلْتُ بَابَهُ بِالْأَرْضِ"^(٣).

ومن هذه الأحاديث نستفيد قواعد وأموراً مهمة، ومنها:

- (١) ينظر: العظيم آبادي، تحفة الأحوذى، مرجع سابق (٩٧/٢).
- (٢) ينظر: الترمذي، الجامع، مرجع سابق (٢١٤/٢)، برقم (٨٧٥).
- (٣) أخرجه ابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٨٠/٤) برقم: (٢٩٥٥).

(أ) إذا تعارضت المصالح والمفاسد أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعدر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم لأن النبي -ﷺ- أخبر أن نقض الكعبة وردّها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً، فتركها -ﷺ-.

(ب) تفكر ولي الأمر في مصالح رعيته واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك.

(ج) تألف قلوب الرعية وحسن حياتهم وأن لا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تفجيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي كما سبق.

وقال العلماء بني البيت خمس مرات بنته الملائكة ثم إبراهيم -ﷺ- ثم قريش في الجاهلية وحضر النبي -ﷺ- هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة، وقيل خمس وعشرون، وفيه سقط على الأرض حين وقع إزاره، ثم بناه ابن الزبير ثم الحجاج بن يوسف واستمر إلى الآن على بناء الحجاج، وقيل بني مرتين آخرين أو ثلاثاً، قال العلماء ولا يغير عن هذا البناء^(١).

وفي الحديث "لَمَّا احْتَرَقَ الْبَيْتُ زَمَنَ (يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ)^(٢)، حِينَ غَزَاهَا أَهْلُ الشَّامِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مَا كَانَ، تَرَكَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى قَدِمَ النَّاسُ الْمَوْسِمَ يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّثَهُمْ -أَوْ يُحَرِّثَهُمْ- عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْكَعْبَةِ، أَنْقُضُهَا ثُمَّ أَبْنِي بِنَاءَهَا؟ أَوْ أَصْلِحْ مَا وَهَى مِنْهَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنِّي قَدْ فُرِقَ

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٨٩/٩).

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي، الخليفة، أبو خالد القرشي، الأموي، الدمشقي، له على هناته حسنة، وهي غزو القسطنطينية، وكان أمير ذلك الجيش، عقد له أبوه بولاية العهد من بعده، فتسلم الملك عند موت أبيه في رجب، سنة ستين، وله ثلاث وثلاثون سنة، فكانت دولته أقل من أربع سنين، ولم يمهله الله على فعله بأهل المدينة لما خلعه، وكان ضخماً، كثير الشعر، شديد الأدمة، بوجهه أثر جدري، توفي يزيد في نصف ربيع الأول، سنة أربع وستين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٠-٣٥/٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

لِي رَأْيٍ فِيهَا، أَرَى أَنْ تُصْلِحَ مَا وَهَى مِنْهَا، وَتَدَعَ بَيْتًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَأَحْجَارًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَبُعِثَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ -، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: لَوْ كَانَ أَحَدُكُمْ احْتَرَقَ بَيْتُهُ، مَا رَضِيَ حَتَّى يُجِدَّهُ، فَكَيْفَ بَيْتُ رِبِّكُمْ؟ إِنِّي مُسْتَحِيرٌ رَبِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ عَازِمٌ عَلَى أَمْرِي، فَلَمَّا مَضَى الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْيَهُ عَلَى أَنْ يَنْفُضَهَا، فَتَحَامَاهُ النَّاسُ أَنْ يَنْزِلَ بِأَوَّلِ النَّاسِ يَصْنَعُدُ فِيهِ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى صَعِدَهُ رَجُلٌ، فَأَلْقَى مِنْهُ حِجَارَةً، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ النَّاسُ أَصَابَهُ شَيْءٌ تَتَابَعُوا فَتَفَضُّوهُ حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الْأَرْضَ، فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَعْمَدَةً، فَسَتَّرَ عَلَيْهَا السُّنُورَ حَتَّى ارْتَفَعَ بِنَاؤُهُ، وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ قَالَ: لَوْلَا أَنَّ النَّاسَ حَدِيثٌ عَنْهُمْ بِكُفْرٍ، وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يُقَوِّي عَلَى بِنَائِهِ، لَكُنْتُ أَدْخَلْتُ فِيهِ مِنَ الْحَجَرِ خَمْسَ أَذْرُعٍ، وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ. قَالَ: فَأَنَا الْيَوْمَ أَجِدُ مَا أَنْفَقُ، وَلَسْتُ أَخَافُ النَّاسَ، قَالَ: فَزَادَ فِيهِ خَمْسَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحَجَرِ حَتَّى أَبْدَى أَسَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَبَنَى عَلَيْهِ الْبِنَاءَ وَكَانَ طُولُ الْكَعْبَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا زَادَ فِيهِ اسْتَفْصَرَهُ، فَزَادَ فِي طُولِهِ عَشْرَ أَذْرُعٍ، وَجَعَلَ لَهُ بَابَيْنِ: أَحَدُهُمَا يَدْخُلُ مِنْهُ، وَالْآخَرُ يُخْرَجُ مِنْهُ، فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ وَيُخْبِرُهُ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ وَضَعَ الْبِنَاءَ عَلَى أَسِّ نَظَرَ إِلَيْهِ الْعُدُولُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِنَّا لَسْنَا مِنْ تَلْطِيفِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي شَيْءٍ، أَمَّا مَا زَادَ فِي طُولِهِ فَأَقْرَهُ، وَأَمَّا مَا زَادَ فِيهِ مِنَ الْحَجَرِ فَرُدَّهُ إِلَيَّ بِنَائِهِ، وَسُدَّ الْبَابَ الَّذِي فَتَحَهُ، فَتَفَضُّهُ وَأَعَادَهُ إِلَيَّ بِنَائِهِ^(١).

قال النووي: (قوله: (يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّتَهُمْ أَوْ يُحَرِّتَهُمْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ) أي يشجعهم على قتالهم بإظهار قبح فعالهم، ويغيظهم بما يروونه قد فعل بالبيت من قولهم حربت الأسد إذا أغضبته، قال القاضي: وقد يكون معناه يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم لذلك، قال ورواه آخرون يحزبهم بالحاء والزاي يشد قوتهم ويميلهم إليه ويجعلهم حزباً له وناصرين له على مخالفيه وحزب الرجل من مال إليه وتحازب القوم تمالوا، وروي يجربهم أي يختبرهم وينظر ما عندهم في ذلك من حمية وغضب لله تعالى ولبيتته، وقوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْكَعْبَةِ) فيه دليل لاستحباب

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٨/٤) برقم (١٣٣٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

مشاورة الإمام أهل الفضل والمعرفة في الأمور المهمة، وقوله: (قال ابن عباس فإنني قد فُرق لي فيه رأي) أي كشف لي وبين كما في قوله تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقْتَهُ﴾^(١)، أي فصلناه وبيناه هذا هو الصواب في ضبطه هذه اللفظة ومعناها، وقوله: (فقال ابن الزبير لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجد) هكذا هو في أكثر النسخ يجده بضم الياء وبدال واحدة وفي كثير منها يجدد بدالين وهما بمعنى واحد، وقوله: (فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه) المقصود بهذه الأعمدة والستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهداً للناس، فأزالها لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة، واستدل القاضي عياض بهذا لمذهب مالك في أن المقصود بالاستقبال البناء لا البقعة. قال وقد كان ابن عباس أشار على ابن الزبير بنحو هذا، وقال له إن كنت هادما فلا تدع الناس بلا قبلة، فقال له جابر: صلوا إلى موضعها فهي القبلة، ومذهب الشافعي وغيره جواز الصلاة إلى أرض الكعبة ويجزيه ذلك بلا خلاف عنده سواء كان بقي منها شاخص أم لا، والله أعلم. وقوله: (إننا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء) يريد بذلك سبه وعيب فعله يقال لطحته أي رميته بأمر قبيح^(٢).

وعندما وفد (الحارث بن عبد الله)^(٣)، على عبد الملك بن مروان في خلافته، فقال عبد الملك: "مَا أَظُنُّ أَبَا حُبَيْبٍ يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ، سَمِعَ مِنْ عَائِشَةَ مَا كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهَا، قَالَ الْحَارِثُ: بَلَى أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْهَا، قَالَ: سَمِعْتَهَا تَقُولُ مَاذَا؟ قَالَ: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: إِنَّ قَوْمَكَ اسْتَقْصَرُوا مِنْ بُنْيَانِ الْبَيْتِ، وَلَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالشَّرْكِ، أَعَدْتُ مَا تَرَكُوا مِنْهُ، فَإِنْ بَدَأَ لِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمِّي لِأَرِيكَ مَا تَرَكُوا

(١) سورة الإسراء الآية: (١٠٦).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٩٢/٩-٩٤).

(٣) القُبَاعُ الْحَارِثُ بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، المكي، الأمير، متولي البصرة لابن الزبير، لقب بالقباع باسم مكيال وضعه لهم، كانت أمه نصرانية، فشيّعها أصحاب رسول الله، وقيل: كانت حبشية، فكان هو أسود، وكان خطيباً بليغاً ديناً، قيل أنه توفي في سنة ثمانين للهجرة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٨١/٤-١٨٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

منه، فأراها قريباً من سبعة أذرع، هذا حديث (عبد الله بن عبيد)^(١)، وزاد عليه (الوليد بن عطاء)^(٢)، قال النبي -ﷺ-: وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ مَوْضُوعَيْنِ فِي الْأَرْضِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا، وَهَلْ تَدْرِينَ لِمَ كَانَ قَوْمُكَ رَفَعُوا بَابَهَا؟، قَالَتْ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: تَعَزَّزًا أَنْ لَا يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ أَرَادُوا، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا هُوَ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا يَدْعُوهُ يَرْتَقِي، حَتَّى إِذَا كَادَ أَنْ يَدْخُلَ دَفَعُوهُ فَسَقَطَ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلْحَارِثِ: أَنْتَ سَمِعْتَهَا تَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَتَبْتُ سَاعَةً بِعَصَاهُ، ثُمَّ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُهُ وَمَا تَحَمَّلَ"^(٣).

وثبت أيضاً أنَّ عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: "قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَيْثُ يَكْذِبُ عَلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُ: سَمِعْتُهَا تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: يَا عَائِشَةُ لَوْلَا حَدَثَانُ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ حَتَّى أَزِيدَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قَوْمَكَ قَصَرُوا فِي الْبِنَاءِ، فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: لَا تَقُلْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنَا سَمِعْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تُحَدِّثُ هَذَا قَالَ: لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُهُ قَبْلَ أَنْ أَهْدِمَهُ، لَتَرَكْتُهُ عَلَى مَا بَنَى ابْنُ الزُّبَيْرِ"^(٤).

وتبين من هذه الأحاديث الآتي:

(١) حرص أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على نقل رغبة رسول الله -ﷺ- وسلم بتغيير بنيان الكعبة حتى بعد مرور تلك السنوات.

(٢) وفي هذه الأحاديث حرص عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- على تلبية رغبة رسول الله -ﷺ- وإعادة الكعبة المشرفة على قواعد إبراهيم -عليه السلام-.

(١) (هو عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي كنيته أبو هاشم، مات سنة ثلاث عشرة ومائة). ينظر: أحمد بن منجويه، رجال صحيح مسلم، مرجع سابق (٣٧٩/١).

(٢) (هو الوليد بن عطاء بن خباب بن الأعرج المكي يعد في أهل الحجاز، وقال الذهبي في الميزان لا يعرف). ينظر: المرجع السابق (٢٩٨/٢). وينظر: الحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، مرجع سابق (١٤٢/١١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٩/٤) برقم: (١٣٣٣).

(٤) المصدر السابق، (٩٧٨/٢) برقم (١٣٣٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

(٣) في موقف الحارث بن عبدالله أمام عبد الملك بن مروان فيه الانتصار للمظلوم ورد الغيبة عنه، وتصديق الصادق إذا كذبه إنسان، والذب عن عرض المسلم والدفاع عنه بالحق، وعدم السكوت على الباطل.

(٤) وفيه أيضاً ذكرُ ندم عبدالملك بن مروان على تغيير الكعبة، وكونه جلس ينكت بالعصا الأرض يدلُّ على أن الأمر أهمه.

(٥) وقوله: (لو كنت سمعته قبل أن أهدمه، لتركته على ما بنى ابن الزبير) فيه الرجوع إلى الحق بعد أن يصل إليك وتتحقق منه^(١).

وهنا مسألة مهمة لكل حاج أو معتمر: فعندما يطوف بالبيت فلا بد أن يطوف وراء الحجر، ولا يطوف بين الحجر وجدار الكعبة؛ لأن ذلك يعتبر من داخل الكعبة، وعلى ذلك فلا يعتبر أنه طاف حول الكعبة وإنما بعض طوافه داخل الكعبة، فلا يصح طوافه، وهو الراجح عند الإمام الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ -، والجمهور، واستدلوا بفعل النبي - ﷺ - في حجته^(٢).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٩/٩٥-٩٦).

(٢) المصدر السابق (٩/٩١).

مقام إبراهيم - ﷺ -:

قال الله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١).

مقام إبراهيم: هو ذلك الحجر الأثري الذي قام عليه إبراهيم -ﷺ- عند بناء الكعبة المشرفة لما ارتفع البناء، قال ابن كثير: (الحجر الذي كان يقف عليه قائماً لما ارتفع البناء عن قامته فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفناء، وقد كانت آثار قدمي الخليل باقية في الصخرة إلى أول الإسلام)^(٢). وقال أيضاً: (وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه، ولم يزل هذا معروفاً تعرفه العرب في جاهليتها، وقد أدرك المسلمون ذلك فيه، قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: رأيت المقام فيه أصابعه ﷺ وأخمص قدميه، غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم)^(٣).

ومقام إبراهيم ﷺ هو الذي أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالصلاة عنده، كما قال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: (المراد بمقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه، وهو موجود إلى الآن)^(٥).

وهو الذي صلى عنده النبي -ﷺ- بعد فراغه من الطواف حول الكعبة، وقرأ في الركعة الأولى بسورة الكافرون، وفي الثانية بسورة الإخلاص، قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- وهو يصف حجة النبي -ﷺ-: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَكَّةَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ، ثُمَّ مَضَى عَلَى يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ أَتَى الْمَقَامَ

(١) سورة آل عمران الآية: (٩٧).

(٢) ينظر: الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق (٣٧٩/١).

(٣) ينظر: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن

العظيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون -

بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، (١/٢٩٣-٢٩٤).

(٤) سورة البقرة الآية: (١٢٥).

(٥) ينظر: الحافظ بن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١/٤٩٩).

فَقَالَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(١)، فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ وَالْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، ثُمَّ أَتَى الْبَيْتَ بَعْدَ الرُّكْعَتَيْنِ، فَاسْتَلَّمَ الْحَجَرَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّفَا^(٢).

قال المباركفوري: (قوله: (دخل المسجد) أي المسجد الحرام (فاستلم الحجر) أي الحجر الأسود أي وضع يديه وقبله، والاستلام افتعال من السلام بمعنى التحية، وأهل اليمن يسمون الركن الأسود بالمحيا؛ لأن الناس يحيونه بالسلام، وقيل من السلام بكسر السين وهي الحجارة واحدها سلمة بكسر اللام، يقال: استلم الحجر إذا لمسه وتناوله كذا في النهاية وغيره (ثم مضى على يمينه) أي يمين نفسه مما يلي الباب وقيل على يمين الحجر، وفي رواية مسلم: ثم مشى على يمينه (فرمل) قال في النهاية رمل يرمل رملانا إذا أسرع في المشي وهز منكبيه (ثلاثاً) أي ثلاث مرات من الأشواط السبعة (ومشى) أي على عادته (ثم أتى المقام) أي مقام إبراهيم (فقال) أي فقرأ (واتخذوا) بكسر الخاء على الأمر وبفتحتها (مصلًى) أي موضع صلاة الطواف (والمقام بينه وبين البيت) جملة حالية، والمعنى صلى ركعتين خلف المقام (ثم أتى الحجر) أي الحجر الأسود (من شعائر الله) جمع شعيرة وهي العلامة التي جعلت للطاعات المأمور بها في الحج عندها كالوقوف والرمي والطواف والسعي^(٣).

وغالباً إذا ذُكر مقام إبراهيم -عليه السلام- ذُكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فهو المحدث الملهم، والذي نزل القرآن الكريم بتأييد كلامه في اتخاذ المقام مصلًى، عندما قال للنبي -ﷺ- ذلك، ونزلت الآية الكريمة من القرآن الكريم بموافقة قوله، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ صَلَّيْنَا خَلْفَ الْمَقَامِ فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾"^(٤). قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح^(٥).

(١) سورة البقرة الآية: (١٢٥).

(٢) أخرجه الإمام النسائي في "سننه" مرجع سابق (٥٨٢/١) برقم: (٢٩٣٩)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٨٨ / ٢) برقم: (١٧٨٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٧٠/٢) برقم: (٨١٧)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٣٩/٢) برقم: (١٠٠٨).

(٣) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٩١م٢).

(٤) سورة البقرة الآية: (١٢٥).

(٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٥/١٠) برقم: (١٠٩٣١)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٧٤/٥) برقم: (٢٩٥٩)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٤٠/٢) برقم: (١٠٠٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٩/١) برقم: (٤٠٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٥/٧) برقم: (٢٣٩٩).

وفي صحيح البخاري ومسلم قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أَسَارَى بَدْرٍ"^(١).

قال النووي: (هذا من أجل مناقب عمر وفضائله رضي الله عنه)^(٢).

ومن هذه الآثار نستفيد فوائد، ومنها:

❖ تأدّب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مع ربه في قوله (وافقت ربي)، ولم يقل وافقتي ربي، وهذا من كمال الأدب منه -رضي الله عنه- مع ربه.

❖ ومما يستفاد من تاريخ بناء الكعبة أن هناك تنبيه لكل حاج أو معتمر وهو أن الأمر الذي جاء من الله هو الصلاة عند المقام وليس مسحه، وفي ذلك حكمة عظيمة من الله جل في علاه، ويشير إليها الحافظ ابن كثير في تفسيره: (رَوَى (ابْنُ جَرِيرٍ)^(٣) عَنْ (قَتَادَةَ)^(٤) أَنَّهُ قَالَ: (وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَصْلًى إِنَّمَا أَمَرُوا أَنْ يَصَلُّوا عِنْدَهُ وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِمَسْحِهِ، وَقَدْ تَكَفَّلَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ شَيْئاً مَا تَكَفَّلَتْهُ الْأُمَمُ قَبْلَهَا، وَلَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ رَأْيِ أَثَرِ عَقْبِهِ وَأَصَابِعِهِ فِيهِ فَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ يَمَسِّحُونَهُ حَتَّى اخْلُوقَ وَانْمَحَى)، (قُلْتُ): وَقَدْ كَانَ هَذَا الْمَقَامُ مَلصِقاً بِجِدَارِ الْكَعْبَةِ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٩/١) برقم: (٤٠٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٥/٧) برقم: (٢٣٩٩).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٦٦/١٥).

(٣) ابن جرير هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، له (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري، و(جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري، وغير ذلك، وهو من ثقات المؤرخين، وكان أسمرًا، نحيف الجسم، فصيحًا، توفي في سنة عشر وثلاثمائة. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٦٩٩/٦).

(٤) قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ دَعَامَةَ بْنِ عَكَبَةَ، حَافِظُ الْعَصْرِ، قُدْوَةُ الْمَفْسَرِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ، أَبُو الْخَطَّابِ، الْبَصْرِيُّ، الْضَرِيرُ، الْأَكْمَه، وَدُوس: هُوَ ابْنُ شَيْبَانَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ، مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، وَمَوْلَدُهُ: فِي سَنَةِ سِتِينَ، وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ، وَمِمَّنْ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي قُوَّةِ الْحِفْظِ، تَوَفَّى قَتَادَةُ سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَةً. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٦٩/٥-٢٨٣).

قديماً ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمناً الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك، وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة، أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك، ولهذا -والله أعلم- أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف، وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه^(١).

❖ وقد كان المقام ملاصقاً للكعبة وأخره عنها الفاروق عمر -رضي الله عنه- قال ابن كثير: (وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أحد الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباعهم، وهو أحد الرجلين اللذين قال فيهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اقتدوا بالذَّيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ"^(٢)، وهو الذي نزل القرآن يوافقه في الصلاة عنده، ولهذا لم ينكر ذلك أحد من أصحابه -رضي الله عنهم أجمعين-، وعن مجاهد، قال: أول من أخر المقام إلى موضعه الآن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وعن عائشة -رضي الله عنها-: أن المقام كان زمان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وزمان أبي بكر -رضي الله عنه-، ملتصقاً بالبيت، ثم أخره عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وهذا إسناد صحيح^(٣) انتهى كلامه بتصرف.

❖ مقام إبراهيم عليه السلام جاء ذكره في القرآن الكريم في موضعين كما سبق ذكر هذين الموضعين، وهو عبارة عن ذلك الحجر الذي بجانب الكعبة المشرفة، والذي يُشرع للحاج والمعتمر أن يصلي خلفه ركعتين بعد الطواف.

❖ في ذكر الصلاة عند المقام فضيلة لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذ نزل من القرآن ما يوافق قوله في ذلك.

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٢٩٤/١).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٤٣/٦) برقم: (٣٦٦٢)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٧٣/١) برقم: (٩٧). وصححه الألباني، ينظر: محمد ناصر الدين بن الحاج الألباني، صحيح سنن الترمذي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، (٥٠٢/٣).

(٣) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٢٩٤/١).

المبحث الثامن

صفة رسول الله ﷺ عند أهل الكتاب

لا بد أن نعلم أن رسالة نبينا محمد - ﷺ - كانت عامّة لكل الناس، وما كان يبعثه - ﷺ - من الرسائل إلى ملوك الأرض يومئذٍ أكبر دليل على عموم رسالته لجميع الناس، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^(١)، وقال جل في علاه: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾^(٢).

ومن نظر في حياته - ﷺ - منذ بعثته، وحتى وفاته سيرها شاهد على عموم رسالته لجميع الناس، فقد دعا اليهود في المدينة للإسلام^(٣)، وفي ذلك دليل على عموم رسالته، ثم إنّه دعا النصارى، فناظر نصارى نجران^(٤)، ودعاهم للمباهلة، وخرج لقتال النصارى في تبوك، وبعث الكتب لكسرى، وقيصر، والمقوقس، وغيرهم^(٥)، إنّه لم يفعل ذلك كله إلا لأنّه رسول لكل الشعوب على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، بل وللجن أيضاً، كما ورد في سورة الجن وفي سورة الأحقاف، ولذلك كان اسمه لدى أهل الكتاب مُبَشَّرًا به قبل بعثته، فهذا النبي الكريم عيسى - ﷺ - قال للنصارى من قومه: ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾^(٦).

بل كان بعض العرب يُسمُّون أولادهم بمحمد، لما يسمعون من بعض أهل الكتاب بالبشارة باسم نبي هذا الزمان محمد، قال الحافظ ابن حجر: (وإنما تسمى بعض العرب محمداً قرب ميلاده، لما سمعوا من الكهان والأخبار أن نبياً سيبعث في ذلك الزمان يسمى محمداً فرجوا أن يكونوا هم، فسموا أبناءهم بذلك قال وهم ستة لا سابع لهم)^(٧).

(١) سورة الأعراف الآية: (١٥٨).

(٢) سورة الفرقان الآية: (١).

(٣) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق (١٢٠/٣).

(٤) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٥٧٧/١-٥٧٣).

(٥) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٤١/٢).

(٦) سورة الصف الآية: (٦).

(٧) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٥٥٦/٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وما جاء من الأخبار عن هرقل الروم والتي تدلُّ على علمهم بصفات رسول الله - ﷺ -، وما أخبر عنه هرقل أنَّه ملك الختان، وأنَّه سيملك ما تحت قدميه، وليتجشمن لقاءه إن كانت الأخبار التي وصلته عنه حقاً، بل سيغسل ما تحت قدميه، وكيف أنَّ هرقل جمع عظماء الروم ليعرض عليهم اتباع النبي - ﷺ -، وعندما رفضوا ذلك خاف على ملكه وعرشه، فترك الإيمان برسول الله - ﷺ -، قال ذلك بعد ما أجابه أبو سفيان عن أسئلته التي سألها إياه عن رسول الله - ﷺ - وأتباعه، قال هرقل: "إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنََّّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنََّّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ، عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ - المراد بالأريسيين: (الأتباع من أهل مملكته وهي في الأصل جمع أريسي وهو الحراث والفلاح) - وَ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١)، قَالَ أَبُو سُفْيَانٍ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَّغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخْبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ - أحد أجداد النبي - ﷺ - وكانت عادة العرب إذا انتقصت إنساناً نسبته إلى جد غامض من أجداده وقيل هو أبوه من الرضاع -، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ - اسم معرب معناه حارس البستان -، صَاحِبُ إِبِلِيَاءَ - بيت المقدس - وَهِرْقَلُ، سَقَقَا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرْقَلَ حِينَ قَدِمَ إِبِلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ - جمع بطريق وهم خواص

(١) سورة آل عمران الآية: (٦٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

دولته وأهل مشورته-: قَدْ اسْتَكْرَأَ هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَاءً - كَاهِنًا- يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَنُ إِلَّا الْيَهُودُ، فَلَا يُهِمُّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، أَتَى هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ عَسَانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانظُرُوا أَمْخَتَنَ هُوَ أَمْ لَا، فَانظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بِرُومِيَّةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمَصَ، فَلَمْ يَرَمْ حِمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ -ﷺ-، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسَكِرَةِ لَهُ -قصر حوله أو فيه منازل للخدم وأشباههم- بِحِمَصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَنْبَتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمْرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ عُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفَرَتَهُمْ، وَأَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ" (١).

ولاشك أن هذه صفات عظيمة كانت لرسول الله -ﷺ- عند أهل الكتاب، وكما

أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٣/١٠) برقم: (١٠٩٩٨)، وأبو داود في "سننه"

مرجع سابق (٤٩٩/٤) برقم: (٥١٣٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨/١) برقم:

(٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٦٣/٥) برقم: (١٧٧٣).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٤٦).

قال القرطبي: (أي يعرفون نبوته وصدق رسالته، والضمير عائذ على محمد -ﷺ- ، وخص الأبناء في المعرفة بالذكر دون الأنفس وإن كانت ألصق؛ لأن الإنسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه، ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيه ابنه، وروي أن عمر قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمداً -ﷺ- كما تعرف ابنك؟ فقال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه)^(١).

وأما اليهود الذين كانوا في المدينة فقد كانوا يستفتحون على المشركين من الأوس والخزرج وغيرهم، بزمن خروج النبي الأمي واسمه أحمد، وتهديدهم للعرب بقتلهم قتل عاد وإرم، وكانت العرب أميين لا يدرسون كتاباً، ولا يعرفون من الرسل عهداً، ولا يعرفون جنّة ولا ناراً، ولا بعثاً ولا قيامة إلا شيئاً يسمعون من أهل الكتاب، ولكن لما بُعث رسول الله -ﷺ- كان اليهود أول الكافرين به والمكذبين له^(٢).

قال تعالى مخبراً عن حالهم هذا: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

وكان هذا حال أغلبهم وأكثرهم، إلا أن بعضهم آمنوا وشهدوا أن هذا هو الرسول الحق والقرآن حق مُنزل من عند الله كما ثبتت علاماته ودلالاته في كتبهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

(١) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، مرجع سابق (١٦٢/٢-١٦٣).

(٢) ينظر: ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، مرجع سابق (٨٣/١-٨٦).

(٣) سورة البقرة الآية: (٨٩).

(٤) سورة الأعراف الآية: (١٥٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وهناك من علمائهم من أسلم وشهد بشهادة الحق أنّ الرسول محمد -ﷺ- هو الرسول الموصوف في كتبهم، وأنّ ما جاء به من القرآن الكريم هو الحق المبين، قال تعالى: ﴿أَوْ لَوْ كُنْ لَمْ يَأْتِ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَؤُا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(١).

وفي قصة الباحث عن الحقيقة سلمان الفارسي -ﷺ- ذُكر بعض صفات النبي -ﷺ- عند أهل الكتاب، وفي آخر القصة عندما قرئت وفاة العالم النصراني صاحب عمورية وطلب منه سلمان الفارسي -ﷺ- أن يدلّه على رجلٍ صاحب دين يلحق به، فأوصاه قائلاً له: (أي بني! والله ما أعلمه أصبح على ما كنّا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنّه قد أظلك زمان نبي، هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب (وفي رواية: يبعث من أرض الحرم)، مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل)^(٢).

ف فعل سلمان -ﷺ- ولحق برسول الله -ﷺ- وكان من خيرة الصحابة، فيتبين من هذا كله أنّ بعض صفات رسول الله كان يعلم بها أهل الكتاب كما هو موجود في كتبهم، ولكنّ أغلبهم كفروا برسالة محمد -ﷺ- تكبراً وعناداً لأنّه لم يكن منهم، وهناك قليل منهم ومن علمائهم من آمن واتبع رسول الله -ﷺ-، لمّا وجد فيه الصفات التي جاءت عنه في كتبهم، ففازوا بأجرين من الكريم سبحانه وتعالى، فكان هذا اصطفاء لهم من الله أن اتبعوا رسول الله -ﷺ- ففازوا في الدارين، ولهذا على الإنسان أن يتّبع الحق عندما يظهر له في أي مسألة من المسائل، ولا يبقى معانداً ومكابراً فيخسر، والعياذ بالله.

(١) سورة الشعراء الآية: (١٩٧).

(٢) ينظر: الإمام أحمد، المسند، مرجع سابق برقم (٢٣٧٣٧)، (١٤٠/٣٩). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

الفصل الثاني

البعثة والدعوة في مكة

ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: بدء الوحي.

المبحث الثاني: إسلام السابقين.

المبحث الثالث: مرحلة الجهر بالدعوة وموقف قريش من

ذلك، وأذيتهم للرسول ﷺ والمسلمين.

المبحث الرابع: انشقاق القمر.

المبحث الخامس: الهجرة إلى الحبشة.

المبحث السادس: قصة أبي طالب.

المبحث السابع: الخروج إلى الطائف، وإسلام الجن.

المبحث الثامن: الإسراء والمعراج.

المبحث الأول

بدء الوحي

ونأتي الآن إلى أعظم تحوّل في حياة النبي - ﷺ - بل في حياة البشرية جميعاً، ونزول أمين السماء جبريل - عليه السلام - بالنور المبين على أمين الأرض - ﷺ -، وكان رسول الله - ﷺ - قبل نزول الوحي عليه يُحِبُّ التَّقَرُّغَ والخلوة في غار حراء، فكان يأخذ معه طعام ليلالي ذوات العدد، وأول ما كان من نزول الوحي عليه الرؤيا الصادقة والتي عندما كان يراها تأتي مثل فلق الصبح، وكان ذلك رحمةً من الله عليه لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتةً فلا تحتملها قواه البشرية، فكانت تلك تبشير له وتهيئة، وكذلك ما ثبت من تسليم الحجر عليه بالرسالة قبل البعثة، وفي يوم الإثنين من شهر رمضان المبارك وفي ليلة من ليلالي القدر نزل الوحي من السماء الدنيا إلى الأرض، والنبي - ﷺ - مُتَفَرِّغٌ يتفكر في السماوات والأرض وحائرٌ منتظر لنور يُضِيءُ له الطريق، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢)، وعن أبي قتادة الأنصاري - رضي الله عنه - قال: "سُئِلَ - ﷺ - عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ؟ قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ"^(٣).

وكان عمره - ﷺ - يومئذٍ (أربعين سنة)^(٤)، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، قالت: "كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ

(١) سورة البقرة الآية: (١٨٥).

(٢) سورة القدر الآية: (١).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٩٧/٢) (بدون ترقيم)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٦٨/٣) برقم: (١١٦٢).

(٤) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٣٨٥/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ أُولَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾^(١)، فَارْجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيُّ خَدِيجَةَ، مَا لِي، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبَشِّرْ، فَوَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَتَصَرَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيُّ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَبَرَ مَا رَأَاهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى - ﷺ -، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟ قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَرَّرًا^(٢).

(١) سورة العلق الآيات: (١-٥).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٣/٦) برقم: (٣٦٣٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧/١) برقم: (٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٧/١) برقم: (١٦٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال المباركفوري: (قولها: (حين أراد الله كرامته)؛ أي إكرامه. في مختار الصحاح التكريم والإكرام بمعنى، والاسم منه الكرامة. (أن لا يرى شيئاً) أي من الرؤيا. (إلا جاءت) الضمير راجع إلى قوله "شيئاً"، وإنما أنثه لأن المراد منه الرؤيا. (كفلق الصبح) أي: جاءت مجيئاً مثل فلق الصبح، والمراد به ضياؤه ونوره، وعبر به لأن شمس النبوة قد كانت مبادئ أنوارها الرؤيا إلى أن ظهرت أشعتها وتم نورها. (وحبب إليه الخلوة) لم يسم فاعله لعدم تحقق الباعث على ذلك وإن كان كل من عند الله، أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر، أو يكون ذلك من وحي الإلهام، والسر فيه أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له^(١).

وقال النووي: (وَقَوْلُهُ: (أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ) هذا الحديث من مراسيل الصحابة - رضي الله عنهم، فإن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لم تدرك هذه القضية، فتكون قد سمعتها من النبي - ﷺ - أو من الصحابي، وقد قدمنا في الفصول أن مرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء، وقولها - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: (الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ)، وفي رواية البخاري الرؤيا الصالحة وهما بمعنى واحد، قولها: (فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ) قال أهل اللغة: فلق الصبح وفتح الصبح بفتح الفاء واللام والراء هو ضياؤه، وإنما يقال هذا في الشيء الواضح البين، قال القاضي وغيره من العلماء: إنما ابتدئ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية، فبدئ بأول خصال النبوة وتبشير الكرامة من صدق الرؤيا، وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة. قولها: (ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارٍ حِرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي حتى فجئه الحق) أما الخلاء فمدود وهو الخلوة وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين، قال أبو سليمان الخطابي: حبيب العزلة إليه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لأن معها فراغ القلب وهي معينة على التفكير وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويتخشع

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى، مرجع سابق (٣٠١/٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قلبه والله أعلم، وأما الغار فهو الكهف والنقب في الجبل وجمعه غيران والمغار والمغارة بمعنى الغار وتصغير الغار غوير، وأما حراء فهو جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال عن يسار الذهاب من مكة إلى منى والله أعلم، وأما التحنث فقد فسره بالتعبد وهو تفسير صحيح، وأصل الحنث الإثم، فمعنى يتحنث يتجنب الحنث فكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث ومثل يتحنث يتحرج ويتأثم أي يتجنب الحرج والإثم، وأما قولها الليالي أولات العدد فمتعلق بـ يتحنث لا بالتعبد، ومعناه يتحنث الليالي ولو جعل متعلقا بالتعبد فسد المعنى فإن التحنث لا يشترط فيه الليالي بل يطلق على القليل والكثير، وهذا التفسير اعترض بين كلام عائشة - رضي الله عنها - وأما كلامها فيتحنث فيه الليالي أولات العدد والله أعلم، وقولها فجئه الحق أي جاءه الوحي بغتة فإنه - رضي الله عنه - لم يكن متوقعا للوحي، ويقال فجئه بكسر الجيم وبعدها همزة مفتوحة ويقال فجأه بفتح الجيم والهمزة لغتان مشهورتان، وقوله - رضي الله عنه - : (مَا أَنَا بِقَارِئٍ) معناه لا أحسن القراءة، وقوله - رضي الله عنه - : (فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي) أما غطني فبالغين فمعناه عصرتني وضممني يقال غطه وغطه وعصره وخنقه وغمزه كله بمعنى واحد، وأما الجهد فيجوز فتح الجيم وضمها لغتان وهو الغاية والمشقة ويجوز نصب الدال ورفعها، فعلى النصب بلغ جبريل مني الجهد وعلى الرفع بلغ الجهد مني مبلغه وغايته، وأما أرسلني فمعناه أطلقني، قال العلماء: والحكمة في الغط شغله من الالتفات والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له وكرره ثلاثاً مبالغة في التنبيه، ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه والله أعلم، قوله - رضي الله عنه - : (ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن اقرأ، وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف، قولها: (تَرْجُفُ بِوَادِرُهُ) معنى ترجف ترد وتضطرب وأصله شدة الحركة، وقوله - رضي الله عنه - : (زَمَّلُونِي زَمْلُونِي) هكذا هو في الروايات مكرر مرتين، ومعنى زملوني غطوني بالثياب ولفوني بها، وقولها فزملوه حتى ذهب عنه الروح هو بفتح الراء وهو الفزع، قوله - رضي الله عنه - : (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) قال

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

القاضي عياض - رَحِمَهُ اللهُ -: ليس هو بمعنى الشك فيما أتاه من الله تعالى، لكنه ربما خشي أن لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ولا يقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسه أو يكون هذا لأول ما رأى التباشير في النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحققه رسالة ربه، فيكون خاف أن يكون من الشيطان الرجيم، فأما منذ جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى فلا يجوز عليه الشك فيه ولا يخشى من تسلط الشيطان عليه؛ وعلى هذا الطريق يحمل جميع ما ورد من مثل هذا في حديث البعث، هذا كلام القاضي في شرح صحيح مسلم، وذكر أيضاً في كتابه الشفاء هذين الاحتمالين في كلام مبسوط، وهذا الاحتمال الثاني ضعيف لأنه خلاف تصريح الحديث؛ لأن هذا كان بعد غط الملك وإتيانه باقراً باسم ربك الذي خلق والله أعلم، قولها: (وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) معناه صار نصرانياً، والجاهلية: ما قبل رسالته - ﷺ -، سموا بذلك لما كانوا عليه من فاحش الجهالة والله أعلم، قولها: (وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكْتُبَ) هكذا هو في مسلم الكتاب العربي ويكتب بالعربية، ووقع في أول صحيح البخاري يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية وكلاهما صحيح، وحاصلهما أنه تمكن من معرفة دين النصارى بحيث إنه صار يتصرف في الإنجيل فيكتب أي موضع شاء منه بالعبرانية إن شاء وبالعربية إن شاء والله أعلم، قولها: (فَقَالَتْ لَهُ خَدِجَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَيَّ عَمِ اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ)، وفي الرواية الأخرى (قَالَتْ خَدِجَةُ أَيَّ ابْنِ عَمٍّ) هكذا هو في الأصول في الأول عم وفي الثاني ابن عم وكلاهما صحيح، أما الثاني فلأنه ابن عمها حقيقة كما ذكره أولاً في الحديث، فإنه ورقة بن نوفل بن أسد، وهي خديجة بنت خويلد بن أسد، وأما الأول فسمته عمّاً مجازاً للاحترام وهذه عادة العرب في آداب خطابهم يخاطب الصغير الكبير بياعم احتراماً له ورفعاً لمرتبته، ولا يحصل هذا الغرض بقولها يا ابن عم والله أعلم، قوله: (هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -) الناموس هو جبريل - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال أهل اللغة وغريب الحديث: الناموس في اللغة صاحب سر الخير، والياسوس صاحب سر الشر، ويقال نمست السر بفتح النون والميم أنمسه بكسر الميم

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

نمسا أي كتمته ونمست الرجل ونامسته ساررته، واتفقوا على أن جبريل -عليه السلام- يسمى الناموس واتفقوا على أنه المراد هنا، قال الهروي: "سمي بذلك لأن الله تعالى خصه بالغيب والوحي، قوله: (يَالَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا) الضمير فيها يعود إلى أيام النبوة ومدتها، وقوله جدعا يعني شاباً قوياً، حتى أبالغ في نصرتك والأصل في الجذع للدواب وهو هنا استعارة والله أعلم، قوله: (وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ) أي: وقت خروجك، قوله: (أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا) أي قوياً بالغاً^(١) انتهى كلامه بتصرف.

فكان هذا هو أول نزول للوحي على نبينا محمد -ﷺ-، وكانت أول كلماته اقراً، لبيان فضل العلم والتعليم، وأن هذا الدين يحمل هذه الرسالة العظيمة رسالة التعليم، ومرت أيام واحتبس الوحي ولم يتتابع بل فتر، ولم ينزل على رسول الله -ﷺ- بعدها شيء، ثم بعد ذلك تتابع، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَنَّبْتُ مِنْهُ رُعباً، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي فَدَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ قُفَايَ دُزْ. وَرَبِّكَ فَكَيْزْ. وَيَا أَيُّهَا فَطَمَهْ. وَالرُّجْزَ فَامْجُزْ﴾^(٢)، قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ"^(٣).

قال المباركفوري: (قوله: (وهو يحدث عن فترة الوحي) أي في حال التحديث عن احتباس الوحي عن النزول، (فإذا الملك الذي جاءني بحراء) هو جبرئيل حين أتاه بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٤)، ثم إنه حصل بعد هذا فترة، ثم نزل الملك بعد هذا، (جالس على كرسي) خبر عن الملك الذي هو مبتدأ، وقوله: (الذي جاءني بحراء)

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢/١٩٧-٢٠٥).

(٢) سورة المدثر الآية: (١-٥).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣١٧/١٠) برقم: (١١٥٦٧)، والترمذي في "جامعه"

مرجع سابق (٣٥٢/٥) برقم: (٣٣٢٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧/١) برقم:

(٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٨/١) برقم: (١٦١).

(٤) سورة العلق الآية: (١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

صفته، (فجئنت منه) بضم الجيم وكسر المثناة بعدها مثناة أخرى ساكنة، وفي رواية البخاري: "فجئنت" بضم الجيم وكسر الهمزة بعدها مثناة، ومعناها: فزعت ورعبت. قال أهل اللغة: جئ الرجل إذا فزع، فهو مجئوث، (فقلت: زملوني زملوني) أي لفوني، يقال: زمله في ثوبه إذا لفه فيه، وفي رواية للبخاري: "دثروني وصبوا علي ماء بارداً"^(١)، قال الحافظ ابن حجر: وكأن الحكمة في الصب بعد التدثر طلب حصول السكون لما وقع في الباطن من الانزعاج، أو أن العادة أن الرعدة تعقبها الحمى، وقد عرف من الطب النبوي معالجتها بالماء البارد)^(٢).

وفي رواية الصحيحين: (ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَبَّاعَ) قال النووي: (ومعنى حمي كثر نزوله وازداد، من قولهم حميت النار والشمس أي قويت حرارتها)^(٣).

ومن هذه الأحاديث يتبين لنا أن أول ما نزل من القرآن الكريم هي فواتح سورة القلم كما في حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وأول ما نزل على رسول الله -ﷺ- بعد فتور الوحي هي سورة المدثر، كما في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- في (صحيح البخاري ومسلم وغيرهما)^(٤)، لما سئل أي القرآن أنزل قبل، فقال: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، فَقُلْتُ: أَوْ أَقْرَأ؟ قَالَ جَابِرٌ: أَحَدْتُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، قَالَ: جَاوَزْتُ بِحِرَاءِ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَأَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَأَ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ -يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَأَخَذَنِي رَجْفَةً شَدِيدَةً،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٦١/٦) برقم: (٤٩٢٢).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذني، مرجع سابق (٢٠١٨/٤).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٠٥/٢-٢٠٧).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧/١) برقم: (٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع

سابق (٩٩/١) برقم: (١٦١)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣١٧/١٠) برقم:

(١١٥٦٧)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٥٢/٥) برقم: (٣٣٢٥).

فَأَنْتَيْتُ حَدِيثَ، فَقُلْتُ: دَنْتُونِي، فَدَنْتُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَبَيْتَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(١).

فهذا هو الظاهر من روايات جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- وهو أفضل جمع بين روايتي أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ورواية جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-، وقد ذكر ذلك الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث في صحيح مسلم، وردَّ على من يقول بأنَّ أول ما نزل من القرآن على الإطلاق سورة المدثر فقال: (قوله: (إِنَّ أَوَّلَ مَا أُنْزِلَ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ) ضعيف بل باطل والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق اقرأ باسم ربك كما صرح به في حديث عائشة -رضي الله عنها- وأما يا أيها المدثر فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن (أبي سلمة)^(٢) عن جابر، والدلالة صريحة فيه في مواضع منها قوله: وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ، ومنها قوله -رضي الله عنه-: فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءٍ ثُمَّ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ، ومنها قوله: ثم تتابع الوحي يعني بعد فترته، فالصواب أن أول ما نزل اقرأ، وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر، وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم، وقوله -رضي الله عنه-: (فصبوا علي ماء) فيه أنه ينبغي أن يصب على الفرع الماء ليسكن فزعه والله أعلم، وأما تفسير قوله تعالى: يا أيها المدثر فقال العلماء: المدثر والمزمل والمتلف والمشتمل بمعنى واحد ثم الجمهور على أن معناه المدثر بثيابه، وقوله تعالى: قم فأندِر معناه حذر العذاب من لم

(١) سورة المدثر الآيات: (١-٥).

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي، الزهري، الحافظ، أحد الأعلام بالمدينة، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ولد: سنة بضع وعشرين، كان طلبة للعلم، فقيهاً، مجتهداً، كبير القدر، حجة، كان ثقة، كثير الحديث، وأرضعته: أم كلثوم، فعائشة خالته من الرضاعة، توفي أبو سلمة بالمدينة، سنة أربع وتسعين، في خلافة الوليد، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤/٢٧٨-٢٩٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

يؤمن وربك فكبر أي عظمه ونزهه عمّا لا يليق به، وثيابك فطهر قيل معناه طهرها من النجاسة، وقيل قصرها، وقيل المراد بالثياب النفس أي طهرها من الذنب وسائر النقائص، والرجز بكسر الراء في قراءة الأكثرين وقرأ حفص بضمها وفسره في الكتاب بالأوثان وكذا قاله جماعات من المفسرين، والرجز في اللغة العذاب، وسمي الشرك وعبادة الأوثان رجزاً لأنه سبب العذاب، وقيل المراد بالرجز في الآية الشرك وقيل الذنب وقيل الظلم والله أعلم^(١).

ولاشك أنّ النبي -ﷺ- تحمّل العناء والتعب في تلقّي الوحي وفي تبليغه للناس، قال ابن إسحاق: (ثم تتام الوحي إلى رسول الله -ﷺ-)، وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله، وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم، والنبوة أثقال ومؤنة، لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى، فمضى رسول الله -ﷺ- على أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى^(٢).

وكل هذه الأخبار تجعل المسلم يزداد تعظيماً لرسول الله -ﷺ- الذي بذل كل هذه الجهود من أجل أن يُبلّغنا هذا الوحي العظيم، الذي فيه هدايتنا وسعادتنا ونور حياتنا، فاللهم اجزه عنا خير ما جازيت نبياً عن أمته.

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢/٢٠٥ - ٢٠٩).

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (١/٢٤٠).

المبحث الثاني

إسلام السابقين

وبدأ النبي الكريم دعوته، ممتثلاً أمر ربه الذي أمره بأن يقوم ويُنذر، كما قال سبحانه: ﴿مَنْ قَدْ نَذِرَ﴾^(١)، فكان أول من دعاهم إلى الإسلام الأقربون منه، ولا شك ولا ريب أن من كان لهم قدم سبق في الدخول إلى الإسلام هي زوجته أم المؤمنين خديجة -عليها السلام، التي وقفت معه في أول لحظات نزول الوحي عليه، وصاحبه رفيق دربه أبو بكر الصديق -عليه السلام، وابن عمه علي بن أبي طالب -عليه السلام - الغلام الصغير الذي أخذه ليربيه لما كثر عيال عمه أبو طالب، فأخذه ليخفف عن عمّه، وربّاه في حجره، وجبّه ومولاه (زيد بن حارثة)^(٢) -عليه السلام، فهؤلاء هم الأربعة الأوائل الذين اتبعوا رسول الله -عليه السلام - وآمنوا به، ولذلك يقول بعض العلماء: (أنّ أول من أسلم من النساء خديجة -عليها السلام، ومن الرجال أبوبكر وهو أول من أظهر إسلامه، وأول من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب -عليه السلام، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة)، وكذلك يُزاد في ذلك أنّ أول من أسلم من العبيد هو (بلال بن رباح)^(٣) -عليه السلام -^(٤)، أخرج الإمام

(١) سورة المدثر الآية: (٢).

(٢) أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، حب رسول الله -عليه السلام، وأول من آمن به من الموالي، وكان من الرماة المذكورين، آخى رسول الله -عليه السلام - بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، وعاش خمساً وخمسين سنة، وكان قصيراً شديد الأدمة أفطس، أغارت عليهم خيل من تهامة، فوقع إلى خديجة فاشتريته، ثم وهبته للنبي -عليه السلام، وقد أمره رسول الله -عليه السلام - في بعض السرايا والغزوات، استشهد في غزوة مؤتة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٣٠/٢-١٣٣).

(٣) بلال بن رباح، مولى أبي بكر ويكنى أبا عبد الله، وكان من مولدي السراة، واسم أمه حمامة، وكانت لبعض بني جمح، قد شهد بلال بداراً وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله -عليه السلام - توفي بلال بدمشق سنة عشرين ودفن عند الباب الصغير في مقبرة دمشق، وهو ابن بضع وستين سنة، وصفه من رآه فقالوا: رجلاً آدم شديد الأدمة، نحيفاً، طويلاً، أجناً، له شعر كثير، خفيف العارضين، به شمت كثير، لا يغير، وهو مؤذن رسول الله -عليه السلام - ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٧٤/٣-١٨٠).

(٤) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٤٢٨/١-٤٤٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أحمد في مسند أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، قول رسول الله - ﷺ - في أم المؤمنين خديجة: "قَدْ آمَنْتُ بِبِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسَّنِّي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النَّسَاءِ"^(١)، ومن السابقين إلى الإسلام (عمرو بن عبسة)^(٢) - رضي الله عنه - وفي حديثه ذكر إسلام أبي بكر وبلال - رضي الله عنهما -، إذ قال: "كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيَسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مُسْتَخْفِيًا جُرْءَاءَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: أُرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ؟ قَالَ: أُرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحِدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالَ النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ"^(٣).

(١) ينظر: الإمام أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، برقم (٢٤٨٦٤)، (٣٥٦/٤١).

(٢) عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة السلمي، الإمام، الأمير، أبو نجيع السلمي، البجلي، أحد السابقين، ومن كان يقال: هو ربع الإسلام، روى أحاديث، وكان من أمراء الجيش يوم وقعة اليرموك، ويقال: شهد بدرًا، لعله مات بعد سنة ستين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٥٦/٢ - ٤٦٠).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٥٤/١) برقم: (٤/١٤٧)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٤٤/١) برقم: (١٧٦)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٤٩٣/١) برقم: (١٢٧٧)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٥٣٧/٥) برقم: (٣٥٧٩) وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٨/١) برقم: (٢٨٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٨/٢) برقم: (٨٣٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال النووي: (وقوله ومعه يومئذ أبو بكر وبلال دليل على فضلهما، وقد يحتج به من قال إنهما أول من أسلم)^(١).

ولهذا الحديث كان عمرو بن عبسة -رضي الله عنه- يقول إنَّه هو رابع من أسلم، ولكن هناك من الصحابة من أسلم قبله، قال الحافظ ابن كثير: (ويقال إن معنى قوله ﷺ: (حر وعبد) اسم جنس، وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة، وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً، فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه، فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم، دع الأجانب، دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم)^(٢).

ومن السابقين الأولين للإسلام: (عامر بن فهيرة مولى أبي بكر^(٣)، وأبو فكيهة^(٤) مولى صفوان بن أمية، وعمار بن ياسر^(٥)، وأمه سمية بنت الخياط^(٦))

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١١٥/٦).

(٢) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٤٤٣/١).

(٣) عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق ويكنى أبا عمرو، قالت عائشة: وكان عامر بن فهيرة للطفيل بن الحارث أخي عائشة لأمها أم رومان، فأسلم عامر فاشتراه أبو بكر فأعتقه، وكان يرعى عليه منيعة من غنم له، وأخى رسول الله -ﷺ- بين عامر وبين الحارث بن أوس بن معاذ، وشهد بدرًا وأحداً، وقتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة، وكان يوم قتل ابن أربعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٧٣/٣-١٧٤).

(٤) أبو فكيهة، يُقال: إنَّه من الأزد، وقال بعضهم كان مولى لبني عبد الدار، فأسلم بمكة، وكان قوم من بني عبد الدار يخرجونه ويعذبونه عذاباً شديداً، فلم يزل كذلك حتَّى هاجر أصحاب رسول الله -ﷺ- إلى أرض الحبشة فخرج معهم في الهجرة الثانية. ينظر: المصدر السابق (٩٢/٤).

(٥) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة من بني عنس، أمه سمية بنت خياط، وكان رجلاً آدم طوالاً، مضطرباً، أشهل العينين، بعيد ما بين المنكبين، وكان لا يغير شيبه، قال ابن عمر: والذي أجمع عليه في قتل عمار أنه قتل -ﷺ- مع علي بن أبي طالب بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، ودفن هناك بصفين، وكان عمار يكنى أبا اليقظان. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٨٦/٣-٢٠٠).

(٦) سمية بنت خياط صحابية، كانت من أوائل الذين أظهروا الإسلام بمكة، وكانت في الجاهلية مولاة لأبي حذيفة بن المغيرة (عم أبي جهل)، وكان أبو حذيفة حليفاً لياسر بن عامر الكناني المذحجي، فزوجه بها، ولما كان بدء الدعوة إلى الإسلام، كانت سمية عجوزاً كبيرة، فأسلمت سرّاً، هي وزوجها وابنها، ثم جاهرُوا بإسلامهم، فعذبتهم قريش وجاء أبو جهل، فطعن سمية بحربة، فقتلها، فكانت أول شهيد في الإسلام. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (١٤٠-١٤١م).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأبوه ياسر^(١)، وكذلك عبدالله بن مسعود -رضي الله عنهم- أجمعين، وسعد بن أبي وقاص خال رسول الله -ﷺ-، أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث عمّار بن ياسر -رضي الله عنه- أنه قال: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَمَا مَعَهُ، إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبِدٍ، وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ"^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر)، أما الأعبد فهم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر فإنه أسلم قديماً مع أبي بكر، وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية بن خلف، ذكر ابن إسحاق أنه أسلم حين أسلم بلال فعذبه أمية فاشتراه أبو بكر فأعتقه، وأما الخامس فيحتمل أن يفسر (بشقران)^(٣)، فقد ذكر (ابن السكّن)^(٤) في كتاب

(١) ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس من بني بن عنس، وكان ياسر وأخوه الحارث ومالك قدموا من اليمن إلى مكة يطلبون أماً لهم فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، وجاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وزوجته سمية وابنه وعمار وأخوه عبد الله بن ياسر، وكانت قريش تعذبهم، ويروى أن النبي -ﷺ- مر بعمار وأبي عمار وأمه وهم يعذبون بالبطحاء، فقال: اصبروا يا آل عمار فإن موعدكم الجنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٠١/٤-١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥/٥) برقم: (٣٦٦٠).

(٣) صالح شقران، غلام رسول الله -ﷺ-، وكان لعبد الرحمن بن عوف فأعجب رسول الله -ﷺ- فأخذه منه بالثمن، وكان عبداً حبشياً وهو صالح بن عدي، شهد بدرًا فاستعمله رسول الله -ﷺ- على الأسرى ولم يسهم له، وأوصى له رسول الله -ﷺ- عند وفاته، وكان فيمن حضر غسل رسول الله -ﷺ- مع أهل بيته، وكانوا ثمانية سوى شقران. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣٦/٣-٣٧).

(٤) ابن السكّن الإمام، الحافظ، المجود الكبير، أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكّن المصري البزاز، وأصله بغدادي، قال الذهبي: (نزل مصر بعد أن أكثر الترحال ما بين النهرين: نهر جيحون، ونهر النيل، مولده سنة أربع وتسعين ومائتين، جمع وصنف، وجرح وعدل، ولم نر تواليفه، هي عند المغاربة، كان ابن حزم يثني على (صحيحه) المنتقى، وفيه غرائب، توفي في المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة، وحديثه يعز وقوعه لنا، ويعسر إلا بنزول). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١١٧/١٦-١١٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الصحابة عن (عبد الله بن داود)^(١) أن النبي -ﷺ- ورثه من أبيه هو وأم أيمن، وذكر بعض شيوخنا بدل أبي فكيهة عمار بن ياسر وهو محتمل، وكان ينبغي أن يكون منهم أبوه وأمه، فإن الثلاثة كانوا ممن يعذب في الله، وأمه أول من استشهدت في الإسلام طعنها أبو جهل في قلبها بحربة فماتت، وأما المرأتان فخديجة والأخرى أم أيمن أو سمية، وفي هذا الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقاً، ولكن مراد عمار بذلك ممن أظهر إسلامه وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم لكنهم كانوا يخفونه من أقاربهم، وسيأتي قول سعد أنه كان ثلث الإسلام، وذلك بالنسبة إلى من اطلع على إسلامه^(٢) انتهى بتصرف.

وبالنسبة لسعد بن أبي قاص -ﷺ-، فإنه قال: "مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَّنْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنِّي لَتُلْتُ الْإِسْلَامَ"^(٣).

قال السندي: (وهذا لا يخلو عن إشكال، فقد أسلم قبله جماعة، قيل: كأبي بكر، وعلي، وزيد وغيرهم، فيحمل على أنه قال ذلك بحسب علمه، قوله: (واني لتلت الإسلام) حمله الإسلام على الاطلاع، قال ابن حجر: والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه، ولعله أراد بالاثنتين الآخرين أبا بكر، وخديجة، قيل: والصواب أن المراد ثلث الرجال الأحرار، وما في الاستيعاب أنه أسلم وهو سابع

(١) عبدالله بن داود الخريبي الإمام، الحافظ، القدوة، أبو عبد الرحمن الهمداني، ثم الشعبي، الكوفي، ثم البصري، المشهور بالخريبي، لنزوله محلة الخريبة بالبصرة، قال ابن سعد: كان ثقة، عابداً، ناسكاً، لقيه البخاري، ولم يسمع منه، واحتاج إليه في (الصحيح)، قال الخريبي: ولدت سنة ست وعشرين ومائة، وقال ابن سعد، وجماعة: مات سنة ثلاث عشرة ومائتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٤٦/٩-٣٥٢).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٤/٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٩٤/١) برقم: (١٣٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٢/٥) برقم: (٣٧٢٧)، (٦٤/٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

سبعة، فالمراد به سبعة أشخاص، قوله: (ولقد مكثت سبعة أيام إلخ) يريد أنه بقي بعد الإسلام سبعة أيام على هذه، ثم أسلم من أسلم^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: (قوله ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه ظاهره أنه لم يسلم أحد قبله، لكن اختلف في هذه اللفظة كما سأذكره، قوله: وإني لثالث الإسلام قال ذلك بحسب اطلاعه، والسبب فيه أن من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه، ولعله أراد بالاثنتين الآخرين خديجة وأبا بكر أو النبي - ﷺ - وأبا بكر، وقد كانت خديجة أسلمت قطعاً، فلعله خص الرجال، وقد تقدم في ترجمة الصديق حديث عمار: رأيت النبي - ﷺ - وما معه إلا خمسة أعبد وأبو بكر، وهو يعارض حديث سعد، والجمع بينهما ما أشرت إليه أو يحمل قول سعد على الأحرار البالغين ليخرج الأعبد المذكورون وعلي - ﷺ - أو لم يكن اطلع على أولئك)^(٢).

ومن أوائل من أسلم، ستة من العشرة المبشرين بالجنة، وهم ممن دعاهم أبو بكر الصديق - ﷺ - إلى الإسلام وأسلموا على يديه وهم: (الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم)، وكانوا من خيرة أصحاب رسول الله، وممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه^(٣).
ويذكر عبدالله بن مسعود - ﷺ -: " أن أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله - ﷺ -، وأبو بكر، وعمر، وأمه سمية، وصهيب^(٤)، وبلال، والمقداد^(٥)، فأما

(١) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (٦١/١).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٨٤/٧).

(٣) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٤٣٧/١).

(٤) صهيب بن سنان أبو يحيى النمري، من النمر بن قاسط، ويعرف بالرومي، لأنه أقام في الروم مدة، وهو من أهل الجزيرة، سبي من قرية نينوى، ثم إنه جلب إلى مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان القرشي التيمي، ويقال: بل هرب، فأتى مكة، وحالف ابن جدعان، كان من كبار السابقين البدرين، وكان موصوفاً بالكرم والسماحة، مات بالمدينة، في شوال، سنة ثمان وثلاثين، وكان ممن اعتزل الفتنة، وأقبل على شأنه، وكان رجلاً أحمر، شديد الحمرة، ليس بالطويل، قيل: عاش سبعين سنة، وقيل ثلاثاً وسبعين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٧/٢-٢٦).

(٥) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي، أحد السابقين الأولين، يقال له: المقداد بن الأسود، ويقال: أصاب دماً في كندة، فهرب إلى مكة، وحالف الأسود، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وثبت أنه كان يوم بدر فارساً، له جماعة أحاديث، وقيل: كان آدم، طوالاً، ذا بطن، أشعر الرأس، أعين، مقرون الحاجبين، مهيباً، عاش نحواً من سبعين سنة، مات في سنة ثلاث وثلاثين، وصلى عليه عثمان بن عفان، وقبره بالبقيع، وقيل: إنه شرب دهن الخروع، فمات. ينظر: المصدر السابق (٣٨٥/١-٣٨٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

رسول الله - ﷺ - فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسهم أذراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد وآتاهم علي ما أرادوا، إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أَحَدٌ أَحَدٌ^(١).

وفي هذا الحديث ذكر ابن مسعود - ﷺ - المقداد وهو ابن الأسود ويكنى (أبا عمرو)^(٢)، فرضي الله عن أولئك السابقين إلى الإسلام الذين وقفوا مع النبي المصطفى - ﷺ -، وقد دخلوا دخلاً أولياً في من مدحهم ربهم في كتابه ومن وعدهم بجنات النعيم، يوم أن قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٣)، فقد اختارهم الله واصطفاهم لهذا الفضل العظيم، وأنعم به من اصطفاه، ولم يكن ذلك بالأمر اليسير والسهل عليهم فقد لاقوا من قريش أذية وعداء، ولكنهم ضحوا بالغالي والنفيس نصرةً لدين الله ولرسوله.

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٠٥/١) برقم: (١٥٠)، وأحمد في "مسنده" مرجع

سابق (٨٩٢/٢) برقم: (٣٩٠٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر: (إسناده صحيح).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٠٢/٢).

(٣) سورة التوبة الآية: (١٠٠).

المبحث الثالث

مرحلة الجهر بالدعوة وموقف قريش من ذلك، وأذيتهم للرسول

ﷺ والمسلمين

استمرَّ رسول الله - ﷺ - في دعوته السريّة حتى نزل عليه قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)، فامتثل أمر ربه ونادى في قريش، ودعاهم إلى الإسلام، فلم يُسلم منهم إلا القليل، بل آذوا رسول الله - ﷺ - وآذوا صحابته، وأول من أعلن بالعداوة للرسول - ﷺ - عمه أبو لهب، بل هو أول من شتم رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام أمام الناس، فأنزل الله قرآنًا يُدافع فيه عن رسوله - ﷺ -، ويتوعد أبا لهب بالعذاب الأليم، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)، وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى صَعِدَ الصَّفا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهُ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي فَلَانٍ، يَا بَنِي فَلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدٍ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْنَاهُ إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ (وَقَدْ تَبَّ)^(٣)، كَذَا قَرَأَ (الْأَعْمَشُ)^(٤) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ"^(٥).

(١) سورة الشعراء الآية: (٢١٤).

(٢) سورة الشعراء الآية: (٢١٤).

(٣) قال النووي: "معناه أن الأعمش زاد لفظة قد بخلاف القراءة المشهورة، وقوله إلى آخر السورة يعني أتم القراءة إلى آخر السورة كما يقرؤها الناس، وفي أبي لهب لغتان قرئ بهما فتح الهاء وإسكانها واسمه عبد العزى ومعنى تب خسر". ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٨٤/٣).

(٤) الأعمش سليمان بن مهران الكاهلي، الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي، مولاهم، الكوفي، الحافظ، أصله: من نواحي الري، قيل: ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان، في سنة إحدى وستين، وقدموا به إلى الكوفة طفلاً، قال علي بن المديني: له نحو من ألف وثلاث مائة حديث، قيل: كان في علماء زمانه أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض، وهو علامة الإسلام، قيل: مات الأعمش سنة سبع وأربعين ومائة، وقال وكيع، والجمهور: سنة ثمان، في ربيع الأول، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٢٦/٦-٢٤٨).

(٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٦٠/٩) برقم: (١٠٧٥٢)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٧٩/٥) برقم: (٣٣٦٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٤/٢) برقم: (١٣٩٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٤/١) برقم: (٢٠٨).

وجعل يُنادي فيهم دعاء المشفق بهم والخائف عليهم من عذاب الله، قائلاً لهم: "يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهُ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ، فَأَنْطَلَقَ يَرِيئاً أَهْلَهُ، فَحَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ، يَا صَبَاحَاهُ" (١).

بل وحثهم - ﷺ - أن يشتروا أنفسهم لله، وأنه ليس بين الله وبين خلقه نسب ولا غيره إلا التوحيد والعمل الصالح فقال لهم، ونادى بهذا الخطاب أقرب الناس له بنته وفلذة كبده، فاطمة - رضي الله عنها - وأرضاها فقال: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا (صَفِيَّةُ) (٢) عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِّبِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً" (٣).

بل وفي لفظ آخر خص - عليه الصلاة والسلام - عمته صفية، وأهله آل عبد المطلب، وأنه لا يغني عنهم من الله شيئاً، وذلك لشدة قرابتهم به، فقال: "يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ" (٤).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٥٩/٩) برقم: (١٠٧٤٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٤/١) برقم: (٢٠٧).

(٢) صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي أخت حمزة بن عبد المطلب لأمه، كان تزوجها في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية، ثم خلف عليها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة، وأسلمت صفية وبايعت رسول الله - ﷺ - وهاجرت إلى المدينة، وقبر صفية بنت عبد المطلب بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شعبة عند الوضوء، وتوفيت صفية في خلافة عمر بن الخطاب. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣٤/٨).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٧٢٣/١) برقم: (١/٣٦٤٦)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٥٩/٦) برقم: (٦٤٣٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٤٧/٥) برقم: (٣١٨٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦/٤) برقم: (٢٧٥٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٣/١) برقم: (٢٠٤).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٧٢٤/١) برقم: (٥/٣٦٥٠)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٦١/٦) برقم: (٦٤٤٢)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٤٣/٤) برقم: (٢٣١٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٣/١) برقم: (٢٠٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال أيضاً مخصّصاً ومعمّماً لقريش: "يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مِرَّةِ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابِلُهَا بَبِلَالُهَا"^(١).

قال المباركفوري: "قوله: (أنقذوا أنفسكم) من الإنقاذ أي خلصوها، (فإني لا أملك لكم) أي لجميعكم خاصكم وعامكم، (فإني لا أملك لك ضرراً ولا نفعاً) أي من غير إذنه تعالى، قال ترهيباً وإنذاراً وإلا فقد ثبت فضل بعض هؤلاء المذكورين ودخولهم الجنة وشفاعته - ﷺ - لأهل بيته وللعرب عموماً ولأمتة عامة وقبول شفاعته فيهم بالأحاديث الصحيحة، ويمكن أن يكون ورود تلك الأحاديث بعد هذه القضية، (إن لك رحماً) أي قرابة، (وسأبلها) أي سأصلها (بببالها) بفتح الموحدة وكسرهما أي بصلتها وبالإحسان إليها من بله يبلة، والبلال الماء شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة ومنه: (بلوا أرحامكم) أي صلوها، قاله النووي، وقال في النهاية: البلال جمع البلل والعرب يطلقون النداة على الصلة كما يطلق اليبس على القطيعة؛ لأنهم لما رأوا أن بعض الأشياء يتصل بالنداة ويحصل بينهما التجافي والتفريق باليبس، استعاروا البلل لمعنى الوصل واليبس لمعنى القطيعة، والمعنى أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً"^(٢).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٧٢٣/١) برقم: (١/٣٦٤٦)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٥٩/٦) برقم: (٦٤٣٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٤٧/٥) برقم: (٣١٨٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦/٤) برقم: (٢٧٥٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣/١) برقم: (٢٠٤).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذني، مرجع سابق (١٥٨/٤).

فانظر كيف كان أشدّ الناس عداوة له عمّه أبو لهب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وامراته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، وخالفه في ذلك عمّه أبو طالب بن عبد المطلب، وكان رسول الله - ﷺ - أحبّ خلق الله إليه طبعاً، وكان يحنو عليه، ويحسن إليه، ويدافع عنه ويحامي، ويخالف قومه في ذلك، مع أنّه على دينهم وعلى خلتهم، إلا أنّ الله قد امتحن قلبه بحبه حبّاً طبعياً لا شرعياً، وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولا جتروا عليه، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه، فهذان العمّان كافران: أبو طالب وأبو لهب، ولكنّ هذا يكون في القيامة في ضحضاح من النار، وذلك في الدرك الأسفل من النار، وأنزل الله في أبي لهب سورة في كتابه تتلى على المنابر، وتقرأ وتُتلى في غيرها إلى يوم القيامة تتضمن أنه سيصلى ناراً ذات لهب^(١).

وهذا أبو جهل ممّن نصب العداء لرسول الله - ﷺ - وكان من أشدّهم عداوة، بل نزل في ذكر عداوته قرآناً يُتلى، قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: "قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفَّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَطَانٍ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأَعْفَرَنَ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَآتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لَيْطاً عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَنَّهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَيَنْقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنَدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوَلاً وَأَجْنَحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ غُضُوًّا غُضُوًّا. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - لا ندري في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه -: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ. إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ. أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى. أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ. أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ. أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾^(٢) -

(١) ينظر: محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، صحيح السيرة النبوية، الطبعة (بدون)، المكتبة الإسلامية، عمّان، (بدون طبعة)، الأردن، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، (٧٢-٧٣).

(٢) سورة العلق الآيات: (٦-١٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ^(١):- ﴿الرَّيْعَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَى . كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةً . كَذِبُهُ خَاطِئُو . فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا نُطِيعُ^(٢)﴾ .

فانظر إلى استخدام أبي جهل لكلمة يعفر وكأنه يشير إلى الدواب عندما تعفر بالتراب، وكل ذلك استهزاء برسول الله - ﷺ -، وانظر كذلك إلى لفظة لأطآن على رقبته والتي تدل على الحقد والكرهية لرسول الله - ﷺ -، ولكن الله عصم نبيه وحفظه من شر أبي جهل وغيره، قال النووي: (قوله: (هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ) أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب، قوله: (فَمَا فَجَبْنَاهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقْبَيْهِ) أما فجئهم فبكسر الجيم ويقال أيضاً: فجأهم لغتان، وينكص بكسر الكاف رجع على عقبه يمشي على ورائه، قوله: (إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخُنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوَلاً، وَأَجْنَحَةً كَأَجْنَحَةِ الْمَلَائِكَةِ)، ولهذا الحديث أمثلة كثيرة في عصمته - ﷺ - من أبي جهل وغيره ممن أراد به ضرراً، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ^(٣)﴾ . وهذه الآية، نزلت بعد الهجرة، والله أعلم^(٤) .

وهؤلاء كبارات قریش يُجْمَعُونَ على أذية رسول الله - ﷺ - ويضعون سلاً الجزور على ظهره الشريف وهو يصلي عند الكعبة، فمنهم من يفعل هذه الفعلة وهو شقيهم عقبة بن أبي معيط، ومنهم من يضحك ويقهقه، بل كانوا يتمايلون على بعضهم البعض سُخْرِيَةً برسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو ساجد لم يتحرك حتى خرجت فاطمة - ﷺ - وأبعدته عن ظهره - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، قال عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه -: "بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٩/١٠) برقم: (١١٦١٩)، ومسلم في "صحيحه"

مرجع سابق (١٣٠/٨) برقم: (٢٧٩٧).

(٢) سورة العلق الآيات: (١٤-١٦).

(٣) سورة المائدة الآية: (٦٧).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٣٩/١٧-١٤٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فَلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ -ﷺ- وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضَحُّوْا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، وَالنَّبِيُّ -ﷺ- سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوبِرِيَّةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسْتِمُّهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ -ﷺ- صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ -وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ- فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا -ﷺ- بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَغَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ -قَلِيبِ بَدْرٍ-^(١).

قال السندي: (قوله: (ومأً من قريش جلوس) هم السبعة المدعو عليهم بعد (وقد نحر جزوراً) وهو البعير ذكراً كان أو أنثى، إلا أن اللفظة مؤنثة، تقول: هذه الجزور، وإن أردت ذكره، قاله في النهاية (فقال بعضهم) هو أبو جهل، بينه مسلم في روايته (اللهم عليك بقريش) أي بإهلاك قريش (ثلاث مرات) زاد مسلم: وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً (اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن ربيعة، ولد المسمى في رواية المصنف، وأميمة بن خلف، وعمارة بن الوليد (في قليب) وهي البئر التي لم تطو، وقيل العادية القديمة التي لا يعرف صاحبها)^(٢)).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٨٢/١) برقم: (١/٣٠٦)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٨٧/١) برقم: (٢٩٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٧/١) برقم: (٢٤٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٩/٥) برقم: (١٧٩٤).

(٢) ينظر: السيوطي، حاشية السيوطي على سنن النسائي، مرجع سابق (١٦١/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي الحديث الآخر فيه التصريح باسم الفاعل الذي وضع سلا الجزور على ظهر النبي - ﷺ - قَالَ ابن مسعود - ﷺ -: "بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِذْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلاَ جَزُورٍ، فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -^(١)".

قال النووي: (قوله: (أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلاَ جَزُورٍ بَنِي فُلَانٍ إِلَى آخِرِهِ) السَّلاَ: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية المشيمة، قوله: (فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ) هو عقبة بن أبي معيط كما صرح به في الرواية الثانية، قوله: (لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُه) معناه لو كان لي قوة تمنع أذاهم أو كان لي عشيرة بمكة تمنعني وعلى هذا منعة جمع مانع ككاتب وكتبة، قوله: (وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا) فيه استحباب تكرير الدعاء ثلاثاً، وقوله: وإذا سأل هو الدعاء لكن عطفه لاختلاف اللفظ تأكيداً، قوله: (ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَعُقْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ) هكذا هو في جميع نسخ مسلم والوليد بن عقبة بالقاف، واتفق العلماء على أنه غلط وصوابه والوليد بن عتبة بالتاء كما ذكره مسلم في رواية (أبي بكر بن أبي شيبة)^(٢)، بعد هذا، وقد ذكره البخاري في صحيحه، وغيره من أئمة الحديث على الصواب، قوله: (وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ)، وقد وقع في رواية البخاري تسمية السابع أنه عمارة بن الوليد، قوله: (وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا - ﷺ - بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَغَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سَحَبُوا إِلَى الْقَلْبِ قَلْبِي بَدْرٍ) هذه

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٠/٥) برقم: (١٧٩٤).
(٢) ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد العبسي، ابن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستى مولاهم، الكوفي، الإمام، العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار: (المسند)، و(المصنف)، و(التفسير)، أخوه عثمان محدث، وابن أخيه القاسم محدث فهم بيت علم، وأبو بكر: أجلهم، وهو من أقران: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السنن والمولد والحفظ، ويحيى بن معين أسن منهم بسنوات، طلب أبو بكر العلم وهو صبي وكان بحراً من بحور العلم، وبه يضرب المثل في قوة الحفظ، قال البخاري: مات أبو بكر في المحرم، سنة خمسين وثلثين ومائتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٢٢/١١-١٢٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

إحدى دعواته -ﷺ- المجابة، والقلب هي البئر التي لم تطو، وإنما وضعوا في القلب تحقيراً لهم ولئلا يتأذى الناس برأيتهم وليس هو دفناً لأن الحربي لا يجب دفنه، قال أصحابنا بل يترك في الصحراء إلا أن يتأذى به، قال القاضي عياض: اعترض بعضهم على هذا الحديث في قوله رأيتهم صرعى ببدر ومعلوم أن أهل السير قالوا: إن عمارة بن الوليد وهو أحد السبعة كان عند النجاشي، فاتهمه في حرمه وكان جميلاً، فنفخ في إحليله سحراً فهم مع الوحوش في بعض جزائر الحبشة فهلك، قال القاضي: وجوابه أن المراد أنه رأى أكثرهم بدليل أن عقبة بن أبي معيط منهم ولم يقتل ببدر بل حمل منها أسيراً، وإنما قتله النبي -ﷺ- صبراً بعد انصرافه من بدر، قوله: (نَقَطَتْ أَوْصَالُهُ فَلَمْ يُلْقَ فِي الْبُئْرِ) (الأوصال المفاصل)^(١).

فالرسول -ﷺ- بدأ دعوته وعاداه أقرب الناس إليه ولم يلتفت لذلك ولم يؤثر في طريقه لتبليغ دعوة الله، بل استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يردّه عن ذلك راد، ولا يصدّه عن ذلك صاد، يتتبع الناس في أنديةهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من حر وعبد، وضعيف وقوي، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده سواء^(٢).

ومع أن قريشاً آذته وشتّمته، ولعنّته -عليه الصلاة والسلام-، قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتُمُونَ مُدَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُدَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ"^(٣).

فإن قريشاً سلّطت أذيتها على رسول الله -ﷺ-، وعلى أصحابه قتلاً وتعذيباً وأذية وقدحاً، ولكنهم صبروا لأجل هذا الدين العظيم، وكانوا ربما يشكون إلى رسول الله -

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥١/١٢ - ١٥٤).

(٢) ينظر: الألباني، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق، ص(٧٢).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٧٨/١) برقم: (١/٣٤٣٨)، وفي "الكبرى" مرجع

سابق (٢٦٧/٥) برقم: (٥٦٠٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٥/٤) برقم:

(٣٥٣٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ﷺ - وهو يحثهم على الصبر واحتمال الأجر ويذكرهم بأخبار الصالحين من قبلهم وما لاقوا من أقوامهم، ومن ذلك ما أخبر عنه (خباب بن الارت)^(١) - ﷺ - وكيف أن كفار قريش كانوا يؤذونهم أشد الأذية ولا يعطونهم حتى حقوقهم، بل يسمعونهم الكلمات العظيمة في تكذيب الله وتكذيب رسله، قال خباب بن الارت - ﷺ -: "أَنَّهُ كَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَنْقَاضَهُ، فَقَالَ لِي: لَنْ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ؟ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ، قَالَ (وَكَيْعٌ)^(٢): كَذَا قَالَ الْأَعْمَشُ، قَالَ: فَزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾^(٣)"^(٤).

وفي رواية الإمام البخاري قال خباب بن الارت: "شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ:

(١) خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ بن جندلة بن سعد التميمي، ابن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة، من تميم، أبو يحيى، من نجباء السابقين، له عدة أحاديث، وقيل: كنيته أبو عبد الله، شهد بدرًا، والمشاهد، قال الذهبي: قيل: مات في خلافة عمر، وصلى عليه عمر، وليس هذا بشيء، بل مات بالكوفة، سنة سبع وثلاثين، وصلى عليه علي، وقيل: عاش ثلاثًا وسبعين سنة، والذي مات سنة تسع عشرة، وصلى عليه عمر: هو خباب مولى عتبة بن غزوان، صحابي مهاجري أيضاً. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢/٣٢٣-٣٢٥).

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس، الإمام، الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، ولد: سنة تسع وعشرين ومائة، قاله: أحمد بن حنبل. وقال ابن سعد: حج سنة ست وتسعين ومائة ثم انصرف من الحج فمات بفيد في المحرم سنة سبع وتسعين ومائة في خلافة محمد بن هارون، وكان ثقة مأموناً عالماً رفيعاً كثير الحديث حجة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٦/٣٦٥). وينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٩/١٤٠-١٤١).

(٣) سورة مريم الآية: (٧٧).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٠/١٧١) برقم: (١١٢٦٠)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٥/٢٢٥) برقم: (٣١٦٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٣/٦٠) برقم: (٢٠٩١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٨/١٢٩) برقم: (٢٧٩٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

حَمْدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: اللَّهُمَّ أَنْجِ (الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ)^(١)،
وَ(سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ)^(٢)، وَ(عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ)^(٣)، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ^(٤).

ومع تعرُّضِ رسول الله -ﷺ- والصحابة للأذى من قريش إلا أنهم صمدوا
وصبروا ابتغاء رضوان الله وفضله، وأعطوا بذلك لكل المستضعفين في مشارق الأرض
ومغاربها ممّن سيأتي بعدهم دروساً عظيمة في الصبر على الدعوة وعلى تبليغ رسالة
هذا الدين العظيم مهما كثرت العقبات وكثر الأعداء، والله غالب على أمره.

(١) الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، من أشراف قريش في الجاهلية،
ومن أجدادهم، وهو أخو خالد بن الوليد، أدرك الإسلام، أسره المسلمون في بدر، ففداه أخواه
هشام وخالد بمال وفير، وانصرفا به، ثم أسلم بعد ذلك، وحبسه أخواه بمكة، فأفلت منهما،
ولحق بالنبي -ﷺ- وشهد عمرة القضاء، ومات بالمدينة، وقيل: مات ببئر أبي عتبة، على
ميل من المدينة. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (١٢٢/٨-١٢٣).

(٢) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي، أبو هاشم: صحابي، من السابقين، وهو أخو أبي
جهل، حبسه كفار قريش عن الهجرة وآذوه، فهرب منهم، وشهد بعض الوقائع، ثم خرج إلى
الشام بعد وفاة النبي -ﷺ- فاستشهد بمرج الصفر، سنة أربع عشرة للهجرة. ينظر: الزركلي،
الأعلام، مرجع سابق (١١٣/٣-١١٤).

(٣) عياش بن أبي ربيعة واسمه عمرو ذو الرمحين بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
القرشي، أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمن، كان أحد المستضعفين بمكة، وهاجر الهجرتين،
ومات بالشام في خلافة عمر وقيل قتل يوم اليمامة وقيل يوم اليرموك، وهو أحد من كان النبي
-ﷺ- يدعو له بالنجاة من المستضعفين في القنوت، وكانت وفاته: سنة خمس عشرة. ينظر:

الحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، مرجع سابق (١٩٧/٨).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٢٣٢/١) برقم: (٣/١٠٧٢)، وفي "الكبرى" مرجع
سابق (٣٣٨/١) برقم: (٦٦٤)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٥٤٠/١) برقم: (١٤٤٠)
وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٩٧/٢) برقم: (١٢٤٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع
سابق (١٥٨/١) برقم: (٧٩٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٤/٢) برقم: (٦٧٥).

المبحث الرابع

انشقاق القمر

استمرَّ رسول الله -ﷺ- في دعوته لقريش أن يوحدوا الله ويعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يشهدوا أنه رسول من عند الله أرسله الله إليهم، وكانت قريش مع ما تراه من آيات واضحة تدل على صدق رسول الله -ﷺ- إلا أنهم بقوا على كفرهم وعنادهم، وهامهم الآن يُطالبون رسول الله -ﷺ- بأن يأتيهم بآية عظيمة فيها خرق للسنن الطبيعية، واعدن إن رأوا من ذلك شيئاً أن يؤمنوا ويتبعوا رسول الله -ﷺ-، فطلبوا من رسول الله ﷺ أن يُريهم آية فأراهم انشقاق القمر، وكان انشقاقه مرتين، ولكنهم للأسف راوغوا وعاندوا وقالوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، وما قالوا ذلك اقتناعاً بما رأوا، ولكن تهريباً من وعدهم لرسول الله -ﷺ- بالإيمان أن رأوا آية، مع أنهم يعلمون علم يقين بُعد رسول الله عن السحر وتعاطيه، وقد وردت عن هذه الحادثة أحاديث كثيرة ومنها:

(أ) حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، قال: "انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- أَشْهَدُوكُمْ"^(١).

(ب) وعنه -أيضاً- ﷺ، قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بِمِنَى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْفَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةً وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفِلْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَشْهَدُوكُمْ"^(٢).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٨١/١٠) برقم: (١١٤٨٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣١٩/٥) برقم: (٣٢٨٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٦/٤) برقم: (٣٦٣٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٢/٨) برقم: (٢٨٠٠).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٨١/١٠) برقم: (١١٤٨٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣١٩/٥) برقم: (٣٢٨٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٦/٤) برقم: (٣٦٣٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٢/٨) برقم: (٢٨٠٠).

(ج) وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قَالَ: "انْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ" (١).

(د) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قَالَ: "إِنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ عَلَى زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-". (٢).

(هـ) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، "أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً؟ فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ" (٣).

فكانت هذه آية عظيمة رآها المشركون، فقال بعض مشركي قريش إِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْأَمْصَارِ إِذَا جَاؤَكُمْ، فَكَانُوا كُلَّمَا سَأَلُوا أَنَاثًا أَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا انْشِقَاقَ الْقَمَرِ (٤).

قال المباركفوري: (قوله : (سأل أهل مكة النبي -ﷺ-) هذا من مراسيل الصحابة؛ لأن أنساً لم يدرك هذه القصة، وقد جاءت القصة من حديث ابن عباس، وهو أيضاً ممن لم يشاهدها، ومن حديث ابن مسعود، وجبير بن مطعم، وحذيفة وهؤلاء شاهدها (آية) أي علامة دالة على نبوته ورسالته (فانشق القمر بمكة مرتين) ووقع في رواية البخاري: فأراهم القمر شقتين. قال الحافظ ما ملخصه: وفي رواية لمسلم: مرتين، لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة، ولم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ مرتين، إنما فيه فرقتين أو فلقتين بالراء أو اللام، وكذا في حديث ابن عمر فلققتين. وفي حديث جبير ابن مطعم فرقتين. ثم ذكر الحافظ روايات عديدة وقع في بعضها: انشق باثنتين. وفي بعضها: شقتين، وفي بعضها: قمرين. ثم قال: ولا أعرف

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٨٢/١٠) برقم: (١١٤٩٠)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣١٩/٥) برقم: (٣٢٨٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٢/٦) برقم: (٤٨٦٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٣/٨) برقم: (٢٨٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٢/٦) برقم: (٤٨٦٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٣/٨) برقم: (٢٨٠٣).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٨٢/١٠) برقم: (١١٤٩٠)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣١٩/٥) برقم: (٣٢٨٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٦/٤) برقم: (٣٦٣٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٣/٨) برقم: (٢٨٠٢).

(٤) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١٨٤/٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه -ﷺ-، ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين، وتكلم الحافظ ابن القيم على هذه الرواية فقال: المرات يراد بها الأفعال تارة، والأعيان أخرى، والأول أكثر. ومن الثاني: انشق القمر مرتين، وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة، وقد قال العماد ابن كثير في الرواية التي فيها مرتين نظر، ولعل قائلها أراد فرقتين. قال الحافظ: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعاً بين الروايات انتهى^(١).

ومع أن قريش رأته إلا أنه جاء من مبتدعة هذه الأمة من ينكرها، وتعجب والله!! كيف ينكرونها وقد ذكرها الله في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقُّ الْقَمَرَ﴾^(٢)، وثبت ذكرها عن رسول الله -ﷺ-، قال القرطبي: (قال تعالى: وَأَنْشَقُّ الْقَمَرَ أي وقد انشق القمر، وكذا قرأ حذيفة: (أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَقَدْ أَنْشَقَ الْقَمَرُ) بزيادة (قد) وعلى هذا الجمهور من العلماء، ثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس وجبير بن مطعم وابن عباس -رضي الله عنهم-^(٣). وقال الحافظ ابن كثير: (وانشق القمر: قد كان هذا في زمان رسول الله -ﷺ-، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي -ﷺ-، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات)^(٤).

وقال النووي: (قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا -ﷺ-، وقد رواها عدة من الصحابة -رضي الله عنهم- مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال (الزجاج)^(٥): وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة وذلك لما أعمى الله

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى، مرجع سابق سابق (٤/١٩١).

(٢) سورة القمر الآية: (١).

(٣) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، مرجع سابق (١٧/١٢٥ - ١٢٦).

(٤) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٧/٤٣٧).

(٥) الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري، الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، البغدادي، مصنف كتاب (معاني القرآن)، وله تأليف جملة، مات سنة إحدى عشرة وثلاث مائة، وقيل مات في تاسع عشر جمادى الآخرة، سنة عشرة، وكان عزيزاً على المعتضد، له رزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، ورزق في الندماء، نحو ثلاث مائة دينار، ويقال: توفي سنة ست عشرة، أخذ عنه العربية: أبو علي الفارسي، وجماعة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٤/٣٦٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قلبه ولا إنكار للعقل فيها؛ لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره، وأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة؟ فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم، فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر، ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد ولا علم عند غيرهم لما ذكرناه، وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها، قالوا وقد يكون القمر كان حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن قوم، كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد، والله أعلم^(١).

فكان انشقاق القمر آية عظيمة ومعجزة من معجزات رسول الله -ﷺ-، وإن لم يؤمن بها كفار قريش مع أنهم رأوها بعد ما طلبوها، إلا أنها كانت سبباً في تثبيت المؤمنين على دينهم، وزيادة إيمانهم أن هذا هو الدين الحق، وأن الرسول -ﷺ- عليه الصلاة والسلام - مُرسلٌ من ربه، وفي هذه الحادثة بيان عظم قدر النبي -ﷺ- عند ربه، وسرعة استجابته لطلب رسول الله -ﷺ- تأييداً وتأكيذاً على أنه معه؛ ولتحقيق تصديقه في القلوب-ﷺ-، وكذلك فيها إقامة الحجة على مخالفيه، وطلب شهادة الصحابة على ذلك من رسول الله -ﷺ- عندما قال لهم: اشهدوا.

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٧/١٤٣ - ١٤٤).

المبحث الخامس

الهجرة إلى الحبشة

ثبت رسول الله في دعوته للناس إلى الإسلام في مكة المكرمة، ولكنه لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانة من الله وفضل، وثم من موقف عمه أبي طالب معه إلى جانبه، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً ممّا أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله - ﷺ - إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام^(١).

فهاجر الصحب الكرام من مكة إلى أرض الحبشة، وذكر أهل السير أنّ وقوع ذلك كان مرتين، أي هجرتين، فالأولى كانت في شهر رجب في السنة الخامسة لبعثة النبي محمد - ﷺ -، وأنّ عددهم كان أحد عشر رجلاً وامرأتان، وقيل أربع، وقد خرجوا من مكة مشاة إلى أن وصلوا البحر، فاستأجروا سفينة لنقلهم إلى الحبشة، وكان أول من هاجر عثمان بن عفّان - ﷺ - وكانت تحته رقية بنت رسول الله - ﷺ -، وكان معهم الزبير بن العوام وأم سلمة زوجة (أبي سلمة)^(٢) - رضي الله عنهم - وغيرهم، وأما الهجرة الثانية فكان عدد الصحابة نحو من ثمانين رجلاً، فيهم عبدالله بن مسعود -

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٣٢١/١-٣٢٢).

(٢) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال، بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، السيد الكبير، أخو رسول الله - ﷺ - من الرضاعة، وابن عمته: برة بنت عبد المطلب، وأحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، ومات بعدها بأشهر، مات كهلاً، في سنة ثلاث من الهجرة، قال ابن إسحاق: لما دخل أبو سلمة المدينة انتقض جرحه، فمات لثلاث بقين من جمادى الآخرة، يعني: سنة أربع، وقيل: مات أبو سلمة سنة ثلاث. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٥٠/١-١٥٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ﷺ، وجعفر بن أبي طالب -ﷺ-، و(عثمان بن مظعون)^(١) -ﷺ- وغيرهم.... وقيل كان معهم ثمانية عشرة امرأة، وقيل كان منهنّ أمّ حبيبة رملة بنت أبي سفيان -ﷺ- وكان زوجها (عبيد الله بن جحش)^(٢)، وقيل أنّه مات هناك، وقيل تنصّر قبل موته، ورجعت المدينة وتزوجها النبي -ﷺ-، و(أسماء بنت عميس)^(٣) -ﷺ-، ولحقهم أبو موسى الأشعري -ﷺ- قادماً على سفينة مع بعض أصحابه ولعلهم كانوا يريدون المدينة بعد هجرة رسول الله -ﷺ- إليها، ولكن أخذتهم الأمواج إلى سواحل الحبشة، فكانوا مع الصحابة فيها حتى قدموا على رسول الله -ﷺ- معهم وهو راجع من خيبر، ولمّا سمعوا بهجرة رسول الله إلى المدينة رجع بعضهم إلى مكة وبعضهم إلى المدينة، وكان من أوائل من قدم عثمان بن عفّان -ﷺ- وزوجته رقية بنت رسول الله -ﷺ-، وكذلك أمّ سلمة وزوجها وغيرهم، وأمّا البقية فقد قدّموا إلى رسول الله وهو راجع من

(١) **عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ** بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، ويكنى أبا السائب، وكان لعثمان من الولد عبد الرحمن والسائب وأمهما خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة السلمية، قيل: هاجر عثمان بن مظعون إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، كان عثمان شديد الأدمة ليس بالقصير ولا بالطويل، كبير اللحية عريضها. ينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق (٣٠٦-٣٠٠/٣).

(٢) **عبيد الله بن جحش** بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير من بني أمية، تزوج برملة بنت أبي سفيان -ﷺ- فولدت له حبيبة فكنيت بها، وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فتتصر وارتد عن الإسلام وتوفي بأرض الحبشة، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها. ينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق (٩٦/٨).

(٣) **أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمَيْس** بن معبد بن الحارث الخثعمية، أم عبد الله، من المهاجرات الأول، قيل: أسلمت قبل دخول رسول الله -ﷺ- دار الأرقم، وهاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة، فلما هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع، واستشهد يوم مؤتة، تزوج بها أبو بكر الصديق، ثم توفي الصديق، فغسلته، وتزوج بها علي بن أبي طالب، وعاشت بعده. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق (٢٨٧-٢٨٢/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

خيبر ومنهم جعفر ابن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس -رضي الله عنهما-، وكذلك أبو موسى الأشعري وغيرهم، وقد فرح النبي -ﷺ- بمقدمهم فرحاً عظيماً^(١).

وأما كفار قريش فقد أرسلت من يلحق بالمهاجرين إلى الساحل فلم يدركوهم، وآسفهم ذلك وغضبوا غضباً شديداً، وخصوصاً لما جاءتهم الأخبار أنهم سكنوا في الحبشة في خير وأمان عند الملك النجاشي، فقرروا إرسال من يفاوضه في تسليمهم، وقد ذكرت القصة بطولها أم المؤمنين أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي -ﷺ- فقالت: "لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَزْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيِّ أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى لَا نُؤْذِي، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئاً نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشاً اتَّخَذُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطَرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ: الْأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا وَلَمْ يَبْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ (عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيَّ)^(٢)، وَ(عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ)^(٣)، وَأَمْرُوهُمَا أَمْرُهُمْ وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعَا إِلَى كُلِّ بِطَرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١/١٨٨-١٩١).

(٢) عبد الله بن أبي ربيعة، واسمه عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أبو عبد الرحمن المكي والد عمر الشاعر، له صحبة كان اسمه بحيرا فسماه رسول الله -ﷺ- عبد الله، وولاه الجند ومخاليفها فلم يزل عليها حتى قتل عمر وأقره عثمان فجاء لينصره فوقع عن راحلته فمات قرب مكة. ينظر: الحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، مرجع سابق (٢٠٨/٥).

(٣) عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، الإمام، أبو عبد الله ويقال: أبو محمد السهمي، داهية قريش، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم، هاجر إلى رسول الله -ﷺ- مسلماً في أوائل سنة ثمان، أمره رسول الله -ﷺ- على بعض الجيش، وجهزه للغزو، قيل: أنه كان قصيراً، يخضب بالسواد، نزل المدينة، ثم سكن مصر، وبها مات، قيل: مات وهو ابن سبعين سنة، سنة ثلاث وأربعين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣/٥٤-٧٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

سَلُوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَخَيْرِ جَارٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٍ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا: لِكُلِّ بِطَرِيقٍ مِنْهُمْ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعَ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنُرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعَ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ، وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِنُرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ، قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيُرِدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ: لَا هَائِمُ اللَّهِ إِذَا لَا أَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوِرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوِرُونِي، قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِيُّنَا - ﷺ - كَانُوا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنْ فَلَمَّا جَاءُوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَتَشَرُّوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ يَأْكُلُ

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا: إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِتُوحِدَهُ وَتَعْبُدَهُ وَتَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ، وَتَهَانَا عَنْ: الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَدَّبُونَا فَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرْدُونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا فَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كَهيعص، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ انْطَلَقَا فَوَ اللَّهُ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أَكَادُ^(١).

ولاشك أن الله سخر لهؤلاء المستضعفين من المسلمين هذا الملك الصالح، ولكن عمرو بن العاص لا يريد أن يستسلم ولذلك لجأ إلى خطة أخرى، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ -  -: "فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَا تَبِيْنُهُ غَدًا أَعِيْبُهُمْ عِنْدَهُ، ثُمَّ اسْتَأْصِلُ بِهِ خَضِرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ، وَكَانَ أَتَقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا، قَالَ: وَاللَّهِ لَا أُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَا، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ

(١) ينظر: الإمام أحمد، المسند، مرجع سابق برقم (١٧٤٠)، (٣٥٤/٢)، (قال أحمد شاكر: إسناده صحيح).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلَهَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِينًا - ﷺ - كَانِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَانِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ قَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِينًا - ﷺ - هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ فَنَتَاخَرْتُ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ: مَا قَالَ فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سَيُومٌ بِأَرْضِي، - وَالسَّيُومُ: الْأَمْنُونَ -، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي دِيرَ ذَهَبٍ وَأَنْتِي آذِيتُ رَجُلًا مِنْكُمْ، - وَالْدَّيْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ -، رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِمَا، فَوَ اللَّهُ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرَّشَوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأَخَذَ الرَّشَوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسُ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرٍ دَارٍ مَعَ خَيْرٍ جَارٍ قَالَتْ: فَوَ اللَّهُ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنِ حَزْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّ مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ، قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النَّيْلِ قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقَعَةَ الْقَوْمِ، ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ، قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحَدَثِ الْقَوْمِ سِنًا قَالَتْ: فَنفَخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ مِنْ نَاحِيَةِ النَّيْلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ، قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللَّهَ تَعَالَى لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ وَالتَّمَكُّينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ بِمَكَّةَ^(١).

(١) ينظر: الإمام أحمد، المسند، مرجع سابق برقم (١٧٤٠)، (٣٥٤/٢)، (قال أحمد شاكر: إسناده صحيح).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- الذي ذكر فيها قصة هجرتهم إلى الحبشة ذكر عددهم، وذكر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استغفر للنجاشي لما مات، لأنه أسلم ومات على الإسلام، قال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: "بَعَثْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، -حتى قال-، فَأَتَوْا النَّجَاشِيَّ، -وذكر القصة- إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَ بَدْرًا، وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-، اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ" (١).

وأخبر عثمان -رضي الله عنه- عن هجرته إلى الحبشة فقال يوماً: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا -صلى الله عليه وسلم- بِالْحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَأَمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ، وَهَاجَرْتُ الْهَجْرَتَيْنِ" (٢).

ويقصد -رضي الله عنه- بالهجرتين، أي إلى الحبشة وإلى المدينة، وجعل لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أجر هجرتين ولباقي المهاجرين إلى مكة أجر هجرة واحدة، وقد فرحوا بذلك فرحاً عظيماً وحُقَّ لهم ذلك، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: "أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ دَخَلَتْ عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ كَلًّا، وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعْطِي جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعْدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَإِنَّمِ اللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذِي وَنُخَافُ، وَسَادَّكَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَأَسْأَلُهُ، وَوَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عُمَرَ قَالَ: كَذًا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ،

(١) المصدر السابق، برقم (٤٤٠٠)، (٤٠٨/٧). وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية، ص (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٤/٥) برقم: (٣٦٩٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وَلَكُمْ أَنْتُمْ، أَهْلَ السَّفِينَةِ، هِجْرَتَانِ قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا، يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي" (١).

قال المباركفوري: (قوله: (قال: قدمت على رسول الله - ﷺ -، إلخ) ذكر الترمذي هذا الحديث مختصراً وذكره الشيخان مطولاً (فأسهم لنا مع الذين افتتحوها) استدل به من قال إنه يسهم لمن حضر بعد الفتح قبل قسمة الغنيمة) (٢).

وقال النووي: (قولها لعمر - ﷺ -: (كَذَبْتَ) أي أخطأت، وقد استعملوا كذب بمعنى أخطأ، قولها: (وَكُنَّا فِي دَارِ الْبُعْدَاءِ الْبُعْضَاءِ) قال العلماء: البعداء في النسب البغضاء في الدين لأنهم كفار إلا النجاشي، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويورى لهم، قولها: (يَأْتُونِي أَرْسَالًا) بفتح الهمزة أي أفواجاً فوجاً بعد فوج يقال أورد إبله أرسالاً أي: متقطعة متتابعة، وأوردها عراكاً أي مجتمعة، والله اعلم) (٣).

وكانوا يُسمَّون بأهل السفينة كما في الحديث السابق، وقد أسهم لهم رسول الله - ﷺ - من غنائم خيبر، وكما في حديث أبي موسى الأشعري - ﷺ -، قال: "بَلَّغْنَا مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي، أَنَا أَصْغَرُهُمَا، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُحْمٍ - إِمَّا قَالَ بَضْعًا وَإِمَّا قَالَ: ثَلَاثَةٌ وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي - قَالَ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ فَأَقْبِمُوا مَعَنَا، فَأَقْمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، قَالَ: فَوَافَقَنَا رَسُولُ

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٠٥/٧) برقم: (٨٣٣٠)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٥/٣) برقم: (٢٧٢٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢١٨/٣) برقم: (١٥٥٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٠/٤) برقم: (٣١٣٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧١/٧) برقم: (٢٥٠٣).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٣٨١/٢).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٦٥/١٦-٦٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الله - ﷺ - حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ أَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئاً، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا لِأَصْحَابِ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ، قَالَ فَكَانَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا -يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ-: نَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ" (١).

قال النووي: (قوله: (فَأَسْهَمَ لَنَا أَوْ قَالَ أَعْطَانَا مِنْهَا) هذا الإعطاء محمول على أنه برضا الغانمين، وقد جاء في صحيح البخاري ما يؤيده، وفي رواية (الْبَيْهَقِيِّ) (٢)، التصريح بأن النبي - ﷺ - كَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ فَشَرَكُوهُمْ فِي سَهْمَانِهِمْ) (٣).

وعندما شاع بين الناس أن قريشاً أسلمت، رجع بعض من هاجر إلى الحبشة إلى مكة وذلك لما قرأ رسول الله - ﷺ - في مكة سورة النجم فتأثروا من قراءته وسجدوا، ولكنهم لما رجعوا إلى مكة وجدوا كفار قريش مازالوا على دينهم بل أشد، فعبداً لله بن مسعود - رضي الله عنه - أخبر أن رسول الله - ﷺ - : "قَرَأَ وَالنَّجْمَ فَسَجَدَ فِيهَا، وَسَجَدَ مَنْ كَانَ مَعَهُ، غَيْرَ أَنَّ شَيْخاً أَخَذَ كَفّاً مِنْ حَصَى أَوْ تُرَابٍ فَرَفَعَهُ إِلَى جَبْهَتِهِ، وَقَالَ: يَكْفِينِي هَذَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدُ قُتِلَ كَافِراً" (٤).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٠٥/٧) برقم: (٨٣٣٠)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٥/٣) برقم: (٢٧٢٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢١٨/٣) برقم: (١٥٥٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٠/٤) برقم: (٣١٣٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧١/٧) برقم: (٢٥٠٣).

(٢) البيهقي الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجري، الخراساني، وبيهق: عدة قرى من أعمال نيسابور على يومين منها، ولد في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة في شعبان، وصنف التصانيف النافعة، صنف (السنن الكبير)، وألف كتاب (السنن والآثار) - وذكر مؤلفاته -، توفي: في عاشر شهر جمادى الأولى، سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، فغسل وكفن، وعمل له تابوت، فنقل ودفن ببيهق، وعاش أربعاً وسبعين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٦٣/١٨-١٦٩).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٦٤/١٦).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٢١٢/١) برقم: (٢/٩٥٨)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٥/٢) برقم: (١٠٣٣)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٥٣١/١) برقم: (١٤٠٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤٠/٢) برقم: (١٠٦٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٨٨/٢) برقم: (٥٧٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال الآبادي: (قوله: (قرأ سورة النجم فسجد بها): وفي نسخة فسجد فيها أي لما فرغ من قراءتها (وما بقي أحد من القوم): الذين اطلع عليهم عبد الله بن مسعود (إلا سجد): أي معه عليه الصلاة والسلام) (١).

وفي صحيح البخاري ذكر اسم ذلك الرجل وهو (أمية بن خلف)، وكذلك ذكر أن المسلمين والمشركين سجدوا، فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أيضاً، أنه قال: "أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَالنَّجْمُ، قَالَ: فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ ثُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا، وَهُوَ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ" (٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ" (٣).

قال المباكفوري: (قوله: (سجد رسول الله -ﷺ- فيها، يعني النجم، والمسلمون والمشركون والجن والإنس) هذه اللامات في هذه الأربعة للعهد، أي الذين كانوا عنده، وهذا كان بمكة في المسجد الحرام) (٤).

فهذا كان سبب سجود كفار قريش عند سماع تلاوة رسول الله -ﷺ- لسورة النجم، وكان ذلك هو السبب في رجوع بعض المهاجرين من الحبشة، وأما من يذكر أن سبب ذلك أن رسول الله -ﷺ- مدح آلهة الكفار فهذا لا يصح نقلاً ولا عقلاً.

قال النووي: (قوله: (أَنَّهُ قَرَأَ وَالنَّجْمَ فَسَجَدَ فِيهَا وَسَجَدَ مَنْ كَانَ مَعَهُ غَيْرَ أَنَّ شَيْخًا أَخَذَ)) هذا الشيخ هو أمية بن خلف وقد قتل يوم بدر كافراً ولم يكن أسلم قط،

(١) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٥٣١/).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٢/٦) برقم (٤٨٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٥٧٣/١) برقم: (٥٧٥)، والبخاري في "صحيحه"

مرجع سابق (٤١/٢) برقم: (١٠٧١).

(٤) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٣٩٨/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأما قوله: (وَسَجَدَ مَنْ كَانَ مَعَهُ) فمعناه من كان حاضراً قراءته من المسلمين والمشركون والجن والإنس قاله ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره حتى شاع أن أهل مكة أسلموا، قال القاضي عياض: وكان سبب سجودهم فيما قال ابن مسعود -رضي الله عنه- أنها أول سجدة نزلت، قال القاضي: وأما ما يرويه الإخباريون والمفسرون أن سبب ذلك ما جرى على لسان رسول الله -ﷺ- من الثناء على آلهة المشركين في سورة النجم فباطل لا يصح فيه شيء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل؛ لأن مدح إله غير الله تعالى كفر، ولا يصح نسبة ذلك إلى لسان رسول الله -ﷺ- ولا أن يقوله الشيطان على لسانه، ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك، والله أعلم^(١).

وبعض الصحابة الذين رجعوا لم يدخلوا مكة إلا في جوار بعض زعمائها، وبعضهم رجعوا وصبت عليهم قريش الأذى أكثر من الأول، وبعضهم رجع إلى الحبشة، وهذا يدل على أن المهاجرين إلى الحبشة لاقوا ما لاقوا من الأذى الكثير من كفار قريش ومن صعوبة الهجرة إلى الحبشة، ولذلك كان لهم الأجر العظيم في احتساب هجرتين لهم، فهنيئاً لهم هذا الأجر العظيم، وهذا الفضل الكبير، ولا شك ولا ريب أنهم ما حصلوه إلا بتكريم أولاً من الكريم سبحانه، وثانياً لأنهم بهذه الهجرة تكبدوا الصعاب وركبوا البحر وربما أكثرهم لأول مرة يركبه، وتركوا أهلهم وأموالهم وبلادهم، فإن الهجرة ليست بالأمر السهل واليسير على النفس، ولذلك استحقوا هذا الأجر العظيم، وهذه المعاملة الكريمة من النبي -ﷺ-، ومن الصحب الكرام.

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٧٥/٥).

المبحث السادس

قصة أبي طالب

مما سخره الله لنبيه محمداً - ﷺ - وقوف عمه أبي طالب بجانبه، فلمكانته الكبيرة عند قريش كان ذلك من أعظم الأمور التي كانت سبباً في عدم تعدي قريش على رسول الله - ﷺ - بالأذية على جسده الشريف من تعذيب أو قتل أو غيره، ولهذا كان رسول الله - ﷺ - حريصاً على أن يدخل عمه في الإسلام وأن يموت على الشهادتين، ولكن أبا طالب رفض في اللحظات الأخيرة من حياته وعند احتضاره، وكان من أسباب ذلك وجود قرناء السوء وهما: (أبو جهل وعبدالله بن أمية) اللذان كانا يحرضاه على عدم الإيمان ويذكراه بما كان عليه أبوه عبد المطلب، وكذلك بسبب أنه ما أراد أن تقول عنه قريش إنه جزع فأسلم، وسبحان الله فله سبحانه في خلقه شؤون، أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم - رحمهما الله - في صحيحهما، من حديث (سعيد بن المسيب عن أبيه)^(١)، قال: "لَمَّا حَضَرْتُ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالََةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْزَلْ اللَّهُ

(١) سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنِ الْقُرَشِيِّ الْمَخْزُومِي، ابْنُ أَبِي وَهْبٍ بَنِ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ بَنِ مَخْزُومٍ بَنِ يَقِظَةَ، الْإِمَامُ، الْعَلَمُ، أَبُو مُحَمَّدٍ، عَالِمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَسَيِّدُ التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِ، وَلَدَ: لِسْنَتَيْنِ مَضْتَا مِنْ خِلَافَةِ عَمْرِ - ﷺ -، وَقِيلَ: لِأَرْبَعِ مَضِينَ مِنْهَا، بِالْمَدِينَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ سَمِعَ مِنْ عَمْرِ، قِيلَ: مَاتَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ عِدَّةً فَقَهَاءً، مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ. يَنْظُرُ: الذَّهَبِيُّ، سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ، مَرْجِعُ سَابِقِ (٤/٢١٧-٢٤٥).

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(١)، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^{(٢)(٣)}.

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لِعَمِّهِ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي بِهَا قُرَيْشٌ إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَيْهِ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^{(٤)(٥)}."

قال المباركفوري: (قوله: (لعمه) هو أبو طالب، قوله: (أي عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله) من المحاجة (أن تعيرني) من التعيير أي ينسبوني إلى العار (إنما يحمله عليه الجزع) بفتح الجيم والزاي هو نقيض الصبر، وفي رواية مسلم: يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع (لأقريت بها عينك) قيل معناه أراه الله ما يسره، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٦)، أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وهي عامة، فإنه لا يهدي ولا يضل إلا الله تعالى {من أحببت} أي هدايته، وقيل أحببته لقرابته.

(١) سورة التوبة الآية: (١١٣).

(٢) سورة القصص الآية: (٥٦).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٤١٨/١) برقم: (١/٢٠٣٤)، وفي "الكبرى" مرجع

سابق (٤٦٥/٢) برقم: (٢١٧٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩/٢) برقم:

(١٣٦٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤٠/١) برقم: (٢٤).

(٤) سورة القصص الآية: (٥٦).

(٥) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٥٠/٥) برقم: (٣١٨٨)، ومسلم في "صحيحه"

مرجع سابق (٤١/١) برقم: (٢٥).

(٦) سورة القصص الآية: (٥٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فاعلم أن حديث أبي هريرة هذا يدل على أن أبا طالب مات على الكفر، وحديث سعيد بن المسيب عن أبيه عند الشيخين صريح في ذلك^(١).

وقال النووي: (اسم أبي طالب عبد مناف، واسم أبي جهل عمرو بن هشام، وقوله: (لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ) فالمراد قرئت وفاته وحضرت دلائلها وذلك قبل المعاينة والنزع ولو كان في حال المعاينة والنزع لما نفعه الإيمان، ولقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْلَامَ﴾^(٢)، ويدل على أنه قبل المعاينة محاورته للنبي - ﷺ - ومع كفار قريش، قال القاضي عياض - رحمه الله -: وقد رأيت بعض المتكلمين على هذا الحديث جعل الحضور هنا على حقيقة الاحتضار، وأن النبي - ﷺ - رجا بقوله ذلك حينئذ أن تتاله الرحمة ببركته - ﷺ -، قال القاضي: وليس هذا بصحيح لما قدمناه، وأما قوله: (فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ وَيَعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ) فهكذا وقع في جميع الأصول ويعيد له يعني أبا طالب وكذا نقله القاضي عن جميع الأصول والشيخ قال: وفي نسخة ويعيدان له على التثنية لأبي جهل وابن أبي أمية قال القاضي وهذا أشبه، وأما قوله: (قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب)، فهذا من أحسن الآداب والتصرفات، وهو أن من حكى قول غيره القبيح أتى به بضمير الغيبة لقبح صورة لفظه الواقع، وأما قوله - ﷺ -: (أَمْ وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) فهكذا ضبطناه أم من غير ألف بعد الميم وفي كثير من الأصول أو أكثرها أما والله بألف بعد الميم وكلاهما صحيح والله تعالى أعلم، وفيه جواز الحلف من غير استحلاف، وكان الحلف هنا لتوكيد العزم على الاستغفار وتطيباً لنفس أبي طالب. وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل، قال ابن فارس: مات أبو طالب ولرسول الله - ﷺ - تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفيت خديجة أم المؤمنين - ﷺ - بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام،

(١) ينظر: المباكفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٤/١٥٩).

(٢) سورة النساء الآية: (١٨).

وأما قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾^(١)، فقال المفسرون وأهل المعاني معناه ما ينبغي لهم، قالوا وهو نهى، والواو في قوله تعالى: ولو كانوا أولى قربي واو الحال والله أعلم، وأما قوله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٢)، فقد أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب وكذا نقل إجماعهم على هذا الزجاج وغيره، وهي عامة، فإنه لا يهدي ولا يضل إلا الله تعالى، قال (الفراء)^(٣)، وغيره: قوله تعالى: (من أحببت) يكون على وجهين، أحدهما: معناه من أحببته لقربته، والثاني: من أحببت أن يهتدي، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾: أي بمن قدر له الهدى والله أعلم، وأما قوله: (لَأَقْرُرْتُ بِهَا عَيْنَكَ) فأحسن ما قيل في معنى أقر الله عينه: أي بلغه الله أمنيته حتى ترضى نفسه وتقر عينه فلا تستشرف لشيء، وقيل: معناه أبرد الله دمعته لأن دمعة الفرح باردة، وقيل: معناه أراه الله ما يسره والله أعلم^(٤)، انتهى بتصرف.

فسبحان الله الهادي، فكل شيء بأمره وبيده، والأعمال بالخواتيم، ولقد سأل العباس ابن عبد المطلب - عليه السلام - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ماذا أغنيت عن عمك أبي طالب، وقد كان يحوطك ويغضب عليك؟، هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:- "نعم، هو في ضحضاح من نار، لوأنا لكان في الدرك الأسفل من النار"^(٥).

(١) سورة التوبة الآية: (١١٣).

(٢) سورة القصص الآية: (٥٦).

(٣) الفراء: هو العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي، النحوي، وكان المأمون قد وكل بالفراء ولديه يلقنهما النحو، وقيل: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومقدار تواليف الفراء: ثلاثة آلاف ورقة، مات بطريق الحج، سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وستون سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٠/١١٨-١٢١).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢١٣-٢١٧).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٢/٥) برقم: (٣٨٨٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١/١٣٤) برقم: (٢٠٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وذكر رسول الله -ﷺ- أنَّ أبا طالب هو أقل أهل النار عذاباً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله -ﷺ- قال: "أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ"^(١).

ولاشك أنَّ ذلك بسبب شفاعته النبي -ﷺ- له، قال أبو سعيد الخدري -ﷺ-، أنَّ رسول الله -ﷺ- ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: "لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحَضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ"^(٢).

قال الحافظ ابن حجر في سياق الحديث عن نُصرة أبي طالب للنبي -ﷺ-: (وقد ذكرنا أنه مات بعد خروجهم من الشعب وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث، وكان يذب عن النبي -ﷺ- ويرد عنه كل من يؤذيه وهو مقيم مع ذلك على دين قومه، وقد تقدم قريباً حديث ابن مسعود. وأما رسول الله -ﷺ- فمنعه الله بعمه، وأخبره في حياته والذب عنه معروفة مشهورة، ومما اشتهر من شعره في ذلك قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفيناً
وقوله:

كذبتم وبيت الله نبي محمداً
ولما نقاتل حوله وناضل)^(٣).

قال ابن إسحاق: (وبهلاك عمه أبي طالب، وكان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصراً على قومه، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله -ﷺ- من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب)^(٤).

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٥/١) برقم: (٢١٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٢/٥) برقم: (٣٨٨٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٥/١) برقم: (٢١٠).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١٩٦/٧).

(٤) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٧١/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فهذا أبو طالب مات على الكفر، وكان في حياته مدافعاً عن رسول الله - ﷺ -، وكان نعم الناصر له في حياته، وكذلك خديجة - ﷺ - كانت مسكنه ومأواه والعضد الذي يشتد عليه والمواسية له والمثبتة من بداية أمر الدعوة والوحي، وكل ذلك يدل على أن الله يُيسر لأهل الحق من يدافع ويحامي عنهم، وإن أصاب الداعية شيء من الأذى فهو لتكفير خطاياهم ولرفع درجاتهم، فأما الأنبياء فهو لرفع درجاتهم في عليين، والرسول - ﷺ - ابتلاه الله بما ابتلاه من أذية قريش بعد موت عمه أبي طالب، ولكن ما تولى عنه ربه بل حماه وحفظه، وما قصة الهجرة وغيرها إلا أكبر دليل على ذلك، فالله سبحانه عصمه وحفظه من الناس وهو الحافظ والعاصم لأهل الحق حيثما كانوا أو عاشوا، وكفى به حفيظاً، وكفى به وكيلاً.

المبحث السابع

الخروج إلى الطائف، وإسلام الجن

بعد موت خديجة -عليها السلام، وأبي طالب في عام واحد، تكالبت الأحزان على النبي -عليه السلام، وزادت عليه همومه، فزوّجته خديجة -عليها السلام - كانت خير ناصر ومعين له - بعد الله تعالى-، وعمّه أبو طالب كان يحوطه ويحميه، ويحبه أشد الحب، وممّا ضاعف من حزنه -عليه السلام - أنّ عمّه مات كافراً، واستغل كفار قريش غياب أبي طالب فتزايد أذاهم للنبي -عليه السلام - والتضييق عليه، وكان أبو لهب من أكثر الناس كراهية للدعوة وصاحبها -عليه السلام -، فضاقت مكة على رسول الله -عليه السلام - واشتد به الحال، حتى فكر في أن يتخذ أسلوباً آخرًا في دعوته بتغيير المكان، علّه أن يجد قبولاً، فاختر الخروج للطائف، فعزم على الخروج إليها راجياً ومؤملاً أن تكون أحسن حالاً من مكة، وأن يجد من أهلها نصرة، فخرج على أقدامه حتى لا تظن قريش أنه ينوي الخروج من مكة، وكان في صحبته زيد بن حارثة -عليه السلام - وكان بمثابة الحامي والحارس لرسول الله -عليه السلام -، وكان خروجه في شوال في السنة العاشرة من البعثة، وبعد أن اطمأن رسول الله -عليه السلام - إلى أن جميع السبل آمنة، وأخذ حيطته وحذره، أقبل على الطائف وكلّه أمل أن تكون أرض خير وإسلام، فها هي أمّ المؤمنين عائشة -عليها السلام - تسأل رسول الله -عليه السلام - قائلة له: "هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحِدٍ؟ فَقَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ النَّعَالِيبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَنْتَنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأُخْشَبِينَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -عليه السلام -: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً"^(١).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١١٥/٤) برقم: (٣٢٣١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨١/٥) برقم: (١٧٩٥).

قال النووي: (قوله: (فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بقرن الثعالب) أي لم أوطن لنفسي وأتتبه لحالي وللموضع الذي أنا ذاهب إليه وفيه إلا وأنا عند قرن الثعالب لكثرة همي الذي كنت فيه، قال القاضي: قرن الثعالب هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير، قوله: (إِنْ شِئْتَ أَطَبَّقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشِينَ) هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله)^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: (قوله: (ابن عبد يا ليل) واسمه كنانة، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف، وذكر (مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ)^(٢) في المغازي، عن ابن شهاب أنه -ﷺ- لما مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن يؤوه، فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم وهم إخوة عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو، فعرض عليهم نفسه وشكى إليهم ما انتهك منه قومه، فردوا عليه أقبح رد، وكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد مطولاً، وذكر (ابن سعد)^(٣): أن ذلك كان في شوال سنة عشر من المبعث وأنه كان بعد موت أبي طالب وخديجة -ﷺ-، قوله: (عَلَى وَجْهِي) أي على الجهة المواجهة لي، وأفاد ابن سعد أن مدة إقامته -ﷺ- بالطائف كانت عشرة

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥٥/١٢).

(٢) موسى بن عقبة الإمام، الثقة، الكبير، أبو محمد موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي، مولاهم، الأسدي، المطرقي، مولى آل الزبير، ويقال: بل مولى الصحابية أم خالد بنت خالد الأموية، زوجة الزبير، وكان بصيراً بالمغازي النبوية، ألفها في مجلد، فكان أول من صنف في ذلك، وعداده في صغار التابعين، مات قبل أن يدخل المدينة بسنة، سنة إحدى وأربعين ومائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١١٤/٦-١١٧).

(٣) ابن سعد محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البغدادي، الحافظ، العلامة، الحجة، أبو عبد الله البغدادي، كاتب الواقدي، ومصنف: (الطبقات الكبير)، و(الطبقات الصغير)، وغير ذلك، ولد: بعد الستين ومائة، فقيل: مولده في سنة ثمان وستين، وكان من أوعية العلم، وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار، وكان كثير الحديث والرواية، كثير الكتب، قيل: توفي ببغداد، في يوم الأحد، لأربع خلون من جمادى الآخرة، سنة ثلاثين ومائتين، وهو ابن اثنتين وستين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٠/٦٦٤-٦٦٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أيام، قوله: (مَلَكُ الْجِبَالِ) أي الموكل بها، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقاً واحداً، وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي - ﷺ - على قومه ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُمُ الْمَكْرُهُ لَوَلِّيْهُ مَا تُخَالِفُونَ﴾ (١)، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢). انتهى كلامه - رَحِمَهُ اللَّهُ - (٣).

ثم رجع النبي - ﷺ - إلى مكة ليستأنف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ الرسالة للوفود والقبائل والأفراد، وزادت قريش من أذاها لرسول الله - ﷺ -، وخلعت جلباب الحياء والمروءة، فراح بعض رجالاتها يلاحقونه عليه (الصلوة والسلام) في الأسواق والمواسم يرمونه بالكذب، ويحذرون العرب من اتباعه. ورحلة النبي - ﷺ - إلى الطائف على ما حصل فيها من متاعب لرسول الله - ﷺ -، إلا أن فيها دروساً وعظات وعبراً، ومنها:

(أ) أن توجهه - ﷺ - إلى الطائف بعد أن أعرض أهل مكة عنه، دليل على حرصه - ﷺ - على هداية الناس، وعدم اليأس من استجابة الناس، وهذه رسالة إلى دعاة الحق في كل مكان وزمان.

(ب) قلب الداعية إلى الحق لا بد أن يكون كبيراً، وأخلاقه عظيمه، وأن يرسم أمامه هدفاً سامياً ولو كان تحقيقه بعد فترة طويلة، ولا يستعجل النتائج، فرسول الله - ﷺ - مع ما فعله به أهل الطائف إلا أنه رفض عذابهم، ورسم أمامه هدفاً سامياً وصل إليه بعد سنوات، فقال: "بَلْ أَرُجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَّعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا" (٤).

(١) سورة آل عمران الآية: (١٥٩).

(٢) سورة الأنبياء الآية: (١٠٧).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣١٥/٦-٣١٦).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١١٥/٤) برقم: (٣٢٣١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨١/٥) برقم: (١٧٩٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

(ج) في هجرته -ﷺ- إلى الطائف، وما لاقاه من أذى السُّفهاء عظة وعبرة لكل داعية جعل رسول الله -ﷺ- قدوته وأُسوته، فهذا رسول الله -ﷺ- وهو خيرة الدعاة بل خيرة خلق الله قابلته هذه المشاق، وقابله القوم بهذه الأذية العظيمة، فمن باب أولى أن يلقي الدعاة مثل ذلك أو أشد، فليواصل الداعية طريقه ولا يتراجع أبداً .

(د) لا بد أن يتذكر كل داعية أن الحق منتصر طال الزمان أو قصر، وأنَّ العاقبة للمتقين، فهذا رسول الله -ﷺ- ما هي إلا سنوات ويدخل مكة فاتحاً، ويُسلم أهلها، ويسير إلى الطائف ويفتحها الله عليه، ويأتي أهلها إلى الله مسلمين وموحدين .

إسلام الجن: من من المعلوم أنَّ رسالة النبي -ﷺ- عامة لكل المكلفين في زمانه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، فلذلك الجنُّ داخلون في نطاق دعوة النبي -ﷺ-، وقد ثبت إسلام بعضهم، كما في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، وذكر بعض العلماء أنَّ إسلام بعض الجن كان بعد رجوع رسول الله -ﷺ- من الطائف، وهذا سلوان لقلب رسول الله -ﷺ- بعد ما تعرض له من أهل الطائف عندما ذهب لدعوتهم إلى الإسلام، وقد أنزل الله سورةً كاملة في القرآن الكريم اسمها سورة الجنِّ استفتحها الله بقوله آمراً لنبيه أن يقول: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۖ﴾^(٢)، فهذا ذكرٌ واضحٌ وصريح في إسلام بعض الجنِّ، ومن ذلك أيضاً قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ . قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن

(١) سورة الأنبياء الآية: (١٠٧).

(٢) سورة الجن الآيات: (٢-١).

ذُنُوبِكُمْ وَبُجْرِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾، فهؤلاء الجن بعد استماعهم للقرآن ذهبوا إلى قومهم دعاءً
إلى الله عز وجل، ومما ثبت في السنة المطهرة في ذكر إسلام الجن، ما أخرجه
الشيخان وغيرهما، من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: "مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ
-ﷺ- عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَأَوْهُ انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ
إِلَى سُوقٍ عُكَاطٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ،
فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ
عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،
فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبَهَا، فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ -وَهُوَ بِنَحْلِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقٍ عُكَاطٍ وَهُوَ
يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ- فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، وَقَالُوا: هَذَا الَّذِي حَالَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي
إِلَى الرُّشْدِ فَاْمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ -ﷺ-:
﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (٢) (٣).

وأخرج الإمام مسلم أيضاً، من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- لما سأله، هل شهد أحد
منكم مع رسول الله -ﷺ- ليلة الجن؟ فقال: "لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ

(١) سورة الأحقاف الآيات: (٢٩-٣٢).

(٢) سورة الجن الآية: (١-٢).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣١٣/١٠) برقم: (١١٥٦٠)، والترمذي في "جامعه"
مرجع سابق (٣٥٠/٥) برقم: (٣٣٢٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٤/١) برقم:
(٧٧٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٣٥/٢) برقم: (٤٤٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشَّعَابِ، فَقُلْنَا: اسْتَطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ، قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٌ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ، قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدَكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَقَالَ: أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَلَّوَهُ الرِّادَ فَقَالَ: لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفَ لِدَوَابِّكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ^(١).

ففي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، أَنَّ الْجِنَّ هُمَ الَّذِينَ سَاحُوا فِي الْأَرْضِ حَتَّى لَقِيَ بَعْضُهُمْ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-، وَأَمَّا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- ففيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَتَاهُ دَاعِي الْجِنِّ.

قال المباركفوري: (وفي رواية مسلم في قصة ليلة الجن: وسألوه عن الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة لدوابكم. فقال رسول الله -ﷺ-: فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما طعام الجن، وحديث الباب يدل على أنه لا يجوز الاستنجاء بالروث والعظم، والعلة أنهما من طعام الجن: العظام لهم، والروث لدوابهم. وهذا الحديث يدل على أن العلة أنهما لا يطهران)^(٢).

وقال النووي: (قوله: (سُوقٌ عُكَاظٍ) السوق تَوْنَتْ وتذكر لغتان، قيل سميت بذلك لقيام الناس فيها على سوقهم، قوله: (عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- قالَ مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَأَاهُمْ)، وذكر بعده حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: (أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ)، قال العلماء

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" (٣٣/١) برقم: (١/٣٩)، وفي "الكبرى" (٨٧/١) برقم: (٣٨)، وأبو داود في "سننه" (١٤/١) برقم: (٣٩)، والترمذي في "جامعه" (٦٩/١) برقم: (١٨)، وابن ماجه في "سننه" (٢٤٩/١) برقم: (٣٨٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٣٦/٢) برقم: (٤٥٠).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٣٦/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

هما قضيتان: فحديث ابن عباس في أول الأمر وأول النبوة حين أتوا فسمعوا قراءة قل أوحى، واختلف المفسرون هل علم النبي -ﷺ- استماعهم حال استماعهم بوحى أوحى إليه أم لم يعلم بهم إلا بعد ذلك، وأما حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-: فقضية أخرى جرت بعد ذلك بزمان الله أعلم بقدره وكان بعد اشتهاه الإسلام، قوله: (وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ الشُّهُبُ عَلَيْهِمْ) ظاهر هذا الكلام أن هذا حدث بعد نبوة نبينا -ﷺ- ولم يكن قبلها؛ ولهذا أنكرته الشياطين وارتاعت له وضربوا مشارق الأرض ومغاريها ليعرفوا خبره، وقد كانت الكهانة فاشية في العرب حتى قطع بين الشياطين وبين صعود السماء واستراق السمع كما أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا. وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَحْدِثُ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا﴾^(١)، وقد جاءت أشعار العرب باستغرابهم رميها لكونهم لم يعهدوه قبل النبوة، وكان رميها من دلائل النبوة، وقال جماعة من العلماء: مازالت الشهب منذ كانت الدنيا، وهو قول ابن عباس والزهري وغيرهما وقد جاء ذلك في أشعار العرب، وروى فيه ابن عباس -رضي الله عنهما- حديثاً قيل للزهري فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَحْدِثُ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا﴾^(٢)، فقال: كانت الشهب قليلة فغلظ أمرها وكثرت حين بعث نبينا -ﷺ-، وقال المفسرون نحو هذا، وذكروا أن الرمي بها وحراسة السماء كانت موجودة قبل النبوة ومعلومة، ولكن إنما كانت تقع عند حدوث أمر عظيم من عذاب ينزل بأهل الأرض أو إرسال رسول إليهم، وعليه تأولوا قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٣)، وقيل كانت الشهب قبل مرئية ومعلومة لكن رجم الشياطين وإحراقهم لم يكن إلا بعد نبوة نبينا -ﷺ-، واختلفوا في

(١) سورة الجن الآية: (٨-٩).

(٢) سورة الجن الآية: (٨-٩).

(٣) سورة الجن الآية: (١٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

إعراب قوله تعالى (رجوماً) وفي معناه فليل: هو مصدر فتكون الكواكب هي الراجمة المحرقة بشبهها لا بأنفسها، وقيل: هو اسم فتكون هي بأنفسها التي يرمم بها ويكون رجوم جمع رجم بفتح الراء والله أعلم، قوله: (فَاضْرِبُوا مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) معناه سيروا فيها كلها، قوله: (فَمَرِ النَّفَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ وَهُوَ بِخُلٍّ) هكذا وقع في مسلم بنخل بالخاء المعجمة وصوابه بنخلة بالهاء وهو موضع معروف هناك كذا جاء صوابه في صحيح البخاري، ويحتمل أنه يقال فيه نخل ونخلة، وأما تهامة فبكسر التاء وهو اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز ومكة من تهامة، قوله: (وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ قَالُوا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ) فيه الجهر بالقراءة في الصبح، وفيه إثبات صلاة الجماعة وأنها مشروعة في السفر وأنها كانت مشروعة من أول النبوة، قال الإمام (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازِرِيُّ)^(١): ظاهر الحديث أنهم آمنوا عند سماع القرآن، ولا بد لمن آمن عند سماعه أن يعلم حقيقة الإعجاز وشروط المعجزة وبعد ذلك يقع له العلم بصدق الرسول، فيكون الجن علموا ذلك من كتب الرسل المتقدمين قبلهم على أنه هو النبي الصادق المبشر به. واتفق العلماء على أن الجن يعذبون في الآخرة على المعاصي قال الله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)^(٣).

(١) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازِرِيُّ الشَّيْخُ، الْإِمَامُ، الْعَلَامَةُ، الْمُتَفَنُّنُ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّ، الْمَالَكِيِّ، مُصَنِّفُ كِتَابِ (الْمَعْلَمُ بِفَوَائِدِ شَرْحِ مُسْلِمَ)، وَلَهُ تَوَالِيفٌ فِي الْأَدَبِ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَذْكِيَاءِ الْمَوْصُوفِينَ، كَانَ بَصِيرًا بِعِلْمِ الْحَدِيثِ، وَمَوْلَاهُ: بِمَدِينَةِ الْمَهْدِيَةِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ، وَبِهَا مَاتَ، فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ، سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ، وَلَهُ ثَلَاثُ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَمَازَر: بَلِيدَةٌ مِنْ جَزِيرَةِ صَقْلِيَّةٍ بِفَتْحِ الزَّايِ، وَقَدْ تَكَسَّرَ. يَنْظُرُ: الذَّهَبِيُّ، سِيرَ أَعْلَامَ النَّبَلَاءِ، مَرْجِعُ سَابِقِ (١٠٤/٢-١٠٥).

(٢) سورة ص الآية: (٨٥).

(٣) يَنْظُرُ: النَّوَوِيُّ، الْمَنْهَاجُ شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمَ بْنِ الْحَجَّاجِ، مَرْجِعُ سَابِقِ (١٦٧/٤-١٦٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وهؤلاء الجنّ الذين التقى بهم رسول الله -ﷺ- كانوا من جنّ الجزيرة العربية، قال (الشَّعْبِيُّ)^(١): (وسألوه الزاد، وكانوا من جن الجزيرة)^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (وقصة استماع الجن للقرآن كان بمكة قبل الهجرة، وذكر ابن إسحاق أن استماع الجن كان بعد رجوع النبي -ﷺ- من الطائف لما خرج إليها يدعو تقيفاً إلى نصره، وذلك بعد موت أبي طالب وكان ذلك في سنة عشر من المبعث كما جزم ابن سعد بأن خروجه إلى الطائف كان في شوال وسوق عكاظ التي أشار إليها ابن عباس كانت تقام في ذي القعدة، وقول ابن عباس في حديثه وهو يصلي بأصحابه لم يضبط ممن كان معه في تلك السفرة غير زيد بن حارثة، فلعل بعض الصحابة تلقاه لما رجع، والله أعلم)^(٣).

وتبيّن من ذلك كله أنّ الله يختار من يشاء من عباده ويصطفيهم للإسلام، إنساً كانوا أو جنّاً، وقد ثبت أنّ من أعلم رسول الله -ﷺ- بالجنّ هي شجرة، كما قال ابن مسعود في الصحيحين^(٤).

وإنّ ممّا يزيدك عجباً أنّ بعض مشركي العرب كانوا يعبدون الجنّ، ولمّا عرف الجنّ الهدى أسلموا وبقي أهل الشرك في شركهم على عبادة الجنّ، كما جاء ذلك من

(١) الشَّعْبِيُّ عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، وذو كبار: قيل من أقيال اليمن، الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني، ويقال: هو عامر بن عبد الله، وكانت أمه من سبي جلولاء، مولده: في إمرة عمر بن الخطاب، لست سنين خلت منها، وسمع من: عدة من كبراء الصحابة، قال عن نفسه: أدركت خمس مائة من أصحاب النبي -ﷺ-، قال طائفة من العلماء: مات الشعبي سنة أربع ومائة، وقد بلغ ثنتين وثمانين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٩٤/٤-٣١٨).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٣٦/٢) برقم: (٤٥٠).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١٧١/٧-١٧٢).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤٦/٥) برقم: (٣٨٥٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٣٧/٢) برقم: (٤٥٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، قال: "كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ وَاسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ، فَزَلَّتْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿١﴾" (٢).

وعنه أيضاً، قال: "﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٣﴾"، نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجَنِّيُّونَ، وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (٤).

فالشخص الكافر عندما يسمع القرآن الكريم ويرى الحق لا يسعه إلا أن يؤمن بالله عز وجل، وهؤلاء أنقذوا أنفسهم من خزي الدنيا والآخرة ومن عذاب جهنم، وأما من بقي على غيّه وكفره وعناده فإنه قد أعمى الله بصيرته، وله خزي الدنيا والآخرة.

(١) سورة الإسراء الآية: (٥٧).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٥٠/١٠) برقم: (١١٢٢٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٥/٦) برقم: (٤٧١٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٤٤/٨) برقم: (٣٠٣٠).

(٣) سورة الإسراء الآية: (٥٧).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٥٠/١٠) برقم: (١١٢٢٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٥/٦) برقم: (٤٧١٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٤٤/٨) برقم: (٣٠٣٠).

المبحث الثامن

حديث الإسراء

بعد رحلة الطائف الأليمة، وقعت حادثة الإسراء والمعراج، فكانت موساة لرسول الله - ﷺ -، وكان ذلك قبل خروجه إلى المدينة بسنة، وحادثة الإسراء والمعراج ثابتة بنص القرآن قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)، وقد صحت الروايات في قيام جبريل عليه السلام بشق صدر الرسول - ﷺ - وغسله من ماء زمزم، وإفراغ الحكمة والإيمان في صدره، وقد ذكر الشراح أن الحكمة في شق الصدر وملاء قلبه إيماناً وحكمة استعداداً للإسراء به تظهر في عدم تأثر جسمه بالشق وإخراج القلب مما يؤمنه من جميع المخاوف العادية الأخرى، ومثل هذه الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم لها دون التعرض لصرفه عن حقيقته، لمقدرة الله تعالى التي لا يستحيل عليها شيء، وبعد أن فرغ الملكان من شق صدره وغسله ولأمله، أُسري به إلى بيت المقدس على البراق حيث صلى بالأنبياء فيه، ووصفهم بهيئاتهم، ثم عُرج به إلى السماء السابعة ماراً ببقية السموات الست ملتقياً بالأنبياء: (آدم ويوسف وإدريس وعيسى ويحيى بن زكريا وهارون وموسى وإبراهيم عليه السلام)^(٢)، وقد رأى النبي - ﷺ - أموراً أخبر عنها، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، قال: "كَانَ (أَبُو ذَرٍّ) (٣) - رضي الله عنه -، يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ فُرَجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ - ﷺ -، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيٍّ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام لِحَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ،

(١) سورة الإسراء الآية: (١).

(٢) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (١/١٨٨-١٩٢).

(٣) أَبُو ذَرٍّ جُنْدَبُ بْنُ جُنَادَةَ الْغَفَارِيُّ، وقيل: جندب بن سكن، وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار من كنانة، أحد السابقين الأولين، من النجباء، وقيل: كان خامس خمسة في الإسلام، هاجر إلى النبي - ﷺ - ولأزمه، وجاهد معه، وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وفاتته بدر، وقيل: كان آدم، ضخماً، جسيماً، كث اللحية، وكان رأساً في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قولاً بالحق، على حدة فيه، وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر، مات سنة اثنتين وثلاثين، ويقال: مات في ذي الحجة، ويقال: إن ابن مسعود الذي دفنه عاش بعده نحواً من عشرة أيام - رضي الله عنهما - ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢/٤٦-٧٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ - ﷺ -، قَالَ: فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحَ، قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ، قَالَ: فَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكٌ، وَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى، قَالَ: فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ - ﷺ -، وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكٌ، وَإِذَا نَظَرْتُ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى، قَالَ: ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: فَفَتَحَ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَعِيسَى، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يُثَبِّتْ كَيْفَ مَنَازِلَهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ - ﷺ - فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِإِدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ مَرَّرَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، قَالَ: ثُمَّ مَرَّرْتُ بِمُوسَى - ﷺ -، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى، قَالَ: ثُمَّ مَرَّرْتُ بِعِيسَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، قَالَ: ثُمَّ مَرَّرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ - ﷺ -، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأَخْبَرَنِي (ابْنُ حَزْمٍ) ^(١)، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَ(أَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ) ^(٢)،

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي الأنصاري، قيل: كان على القضاء بالمدينة، وكان يقضي في المسجد في زمان عمر بن عبد العزيز، يعني في ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة للوليد بن عبد الملك، قال محمد بن عمرو: فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ولي أبا بكر بن محمد إمرة المدينة، توفي ابن حزم بالمدينة سنة عشرين ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك، وهو ابن أربع وثمانين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣٣٦-٣٣٥/٥).

(٢) أبو حبة الأنصاري الأوسي البصري، ويقال: أبو حبة بالبلاء تحتها نقطتان، وأبو حبة بالنون، وقيل: صوابه حبة، يعني بالبلاء الموحدة، قيل: اسمه عامر، وقيل: مالك بن عمرو بن ثابت، قال ابن إسحاق: أبو حبة، يعني بالبلاء، من بني ثعلبة بن عمرو بن عوف، شهد بدرًا، وقتل يوم أحد، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه. ينظر: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، (د.ب)، سنة النشر: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، أعده: مصطفى الشقيري (٦٣/٦)، وينظر: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (٥٤٥/٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

يَقُولَانِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَ بِمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى -ﷺ-: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ لِي مُوسَى -ﷺ-: فَرَاغِ رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَاغْتُ رَبِّي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى -ﷺ-، فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: رَاجِعِ رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَاغْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعِ رَبِّكَ، فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْهَى فَعَشِيهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللَّوْلُو، وَإِذَا تَرَابُهَا الْمِسْكُ^(١).

قال السندي: (قوله: (فرض الله إلخ) أراد بذلك تشريف نبيه -ﷺ-، وما قالوا إنه لا بد للنسخ من البلاغ ومن تمكن المكلفين من المنسوخ، فذلك فيما يكون المراد ابتلاء، قوله: (حتى آتي إلخ) أي حتى أتيت، والتعبير بالمضارع لاستحضار تلك الحالة العجيبة أو للدلالة على أنها حاضرة في الذهن بحيث كأنها في الحالة، قوله: (فإن أمتك لا تطيق) كأنه علم ذلك من جهة أنهم أضعف من أمته جسداً وأقل منهم قوة وأمته قد كلفت بأقل من هذا فعجزت، والعادة أن ما يعجز عنه القوي يعجز عنه الضعيف، قوله: (فوضع عني شطرها) لا يلزم أن يكون هذا الوضع بالمراجعة بمرة بل يجوز أن يكون بالمراجعة بمرات نعم المتبادر من هذه الرواية هو الأول لكن حيث جاء في الروايات الصحيحة إلى الوضع كان خمساً خمساً حمل هذا عليه توفيقاً، قوله: (فقال) بعد مراجعات كما تقدم (هي خمس) عدداً، (وهي خمسون) أجراً، (لا يبدل القول لدي) هو أن الخمس تساوي خمسين لا أنها الخمس إذ لو علم -ﷺ- أن الخمس لا يقبل النسخ لما اعتذر عند موسى بقوله استحييت من ربي^(٢).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١١٠/١) برقم: (١/٤٤٧)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٩٧/١) برقم: (٣٠٩)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٥٤/١) برقم: (٢١٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤٠٧/٢) برقم: (١٣٩٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧٨/١) برقم: (٣٤٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٩/١) برقم: (١٦٢).

(٢) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (٤٢٥/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال المباركفوري: (قوله: (ثم نوذي: يا محمد إنه) الضمير للشأن (لا يبدل القول) أي لا يغير (وإن لك بهذا الخمس خمسين) أي ثواب خمسين صلاة، والحديث استدل به على فرضية الصلوات الخمس، وعدم فرضية ما زاد عليها كالوتر، وعلى جواز النسخ قبل الفعل)^(١).

وقال النووي: (قوله - ﷺ -: (ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ) الطست هي إناء معروف وهي مؤنثة، وأما لأمه فمعناه جمعه وضم بعضه إلى بعض، قوله: (جَاءَ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي) فجاء ممتلئ على معناها وهو الإناء وأفرغها على لفظها، والضمير في أفرغها يعود على الطست كما ذكرناه، وأما جعل الإيمان والحكمة في إناء وإفراغها مع أنهما معنيان وهذه صفة الأجسام فمعناه والله أعلم أن الطست كان فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما فسمي إيماناً وحكمة لكونه سبباً لهما، وهذا من أحسن المجاز والله أعلم، قوله - ﷺ -: (فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ) فسر الأسود في الحديث بأنها نسمة بنيه، وأما النسمة فالواحدة نسمة قال الخطابي وغيره: هي نفس الإنسان والمراد أرواح بني آدم، قال القاضي عياض: في هذا الحديث أنه - ﷺ - وجد آدم ونسمة بنيه من أهل الجنة والنار، وقد جاء أن أرواح الكفار في سجين قيل في الأرض السابعة وقيل تحتها وقيل في سجن، وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة فيحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتاً، فوافق وقت عرضها مرور النبي - ﷺ -، ويحتمل أن كونهم في النار والجنة إنما هو في أوقات دون أوقات بدليل قوله تعالى: ﴿الْأَنفُسُ يَعْرِضُونَ عَلَيْهَا عُذُوبًا﴾^(٢)، وبقوله - ﷺ - في المؤمن عرض منزله من الجنة عليه، وقيل له هذا منزلك حتى يبعثك الله إليه، ويحتمل أن الجنة كانت في جهة يمين آدم ﷺ والنار في جهة شماله وكلاهما حيث شاء الله والله أعلم، قوله - ﷺ -: (إِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى) فيه شفقة الوالد على ولده وسروره بحسن حاله وحزنه وبكاؤه لسوء حاله، قوله في هذه الرواية: (وَجَدَ إِبْرَاهِيمَ - ﷺ - فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ) وفي رواية أخرى أنه في السابعة فإن كان الإسراء مرتين فلا إشكال فيه ويكون في كل مرة وجده في سماء وإحداهما موضع

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (١/١٨٦).

(٢) سورة غافر الآية: (٤٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

استقراره ووطنه والأخرى كان فيها غير مستوطن. وإن كان الإسراء مرة واحدة فعله وجده في السادسة ثم ارتقى إبراهيم أيضاً إلى السابعة والله أعلم، قوله -ﷺ- في إدريس -ﷺ- قال: (مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ) ليس في هذا الحديث ما يمنع كون إدريس عليه السلام أباً لنبينا محمد -ﷺ-، فإن قوله الأخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلفظاً وتأدباً وهو أخ، وإن كان ابناً فالأنبياء إخوة والمؤمنون إخوة والله أعلم، قوله -ﷺ-: (حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ) معنى ظهرت علوت والمستوى بفتح الواو. قال الخطابي المراد به المصعد وقيل المكان المستوى وصريف الأقلام تصويتها حال الكتابة، قال الخطابي هو صوت ما تكتبه الملائكة من أفضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره، قال القاضي: وفي علو منزلة نبينا -ﷺ- وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السماوات دليل على علو درجته وإبانه فضله والله تعالى أعلم، قوله -ﷺ-: (ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى) هكذا هو في الأصول حتى نأتي بالنون في أوله، وفي بعض الأصول حتى أتى وكلاهما صحيح، قوله -ﷺ-: (ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّوْلُؤِ) أما الجناذب فهي القباب واحدها جنبذة، وأما اللؤلؤ فمعروف وفيه أربعة أوجه بهزتين وبحدفهما وبإثبات الأولى دون الثانية وعكسه والله أعلم، وفي هذا الحديث دلالة لمذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن الجنة في السماء، والله أعلم^(١) انتهى كلامه بتصرف.

ومن أحاديث الإسراء والمعراج يتبين لنا أن رسول الله -ﷺ- وقعت له حادثة شق الصدر قبل الإسراء به إلى بيت المقدس وقبل المعراج، وشق صدر رسول الله -ﷺ- ثلاث مرات، مرة وهو صغير في ديار بني سعد، ومرة في مكة قبل الإسراء به إلى بيت المقدس، والثالثة في السماء عندما عرج به إليها، وفي أحاديث حادثة الإسراء والمعراج ذكر اثنتين منها: (التي في مكة والتي في السماء)، وأما ما كان في ديار بني سعد، ففي حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَتَاهُ جِبْرِيلُ -ﷺ- وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَّامِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً،

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢/٢١٨-٢٢٣).

فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْعُلَمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ -يَعْنِي ظَنُرَهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ^(١).

قال النووي: (قوله: (يَعْنِي ظَنُرَهُ) هي المرضعة، ويقال أيضاً لزوج المرضعة ظئر، قوله: (فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ) أي متغير اللون، ومعناه تغير من حزن أو فزع، قوله: (أَثَرَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ) هي الإبرة، والله أعلم)^(٢) انتهى كلامه بتصرف.

وهذه الحادثة ليس فيها ذكر إملاء قلبه -ﷺ- بالحكمة والإيمان مثل ما ذكر في حادثة الإسراء والمعراج، وأمّا حادثة شق صدره التي صارت له في مكة قبل الإسراء بلحظات فكانت عند زمزم، جاء ذلك من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: "أُتِيتُ فَأَنْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشَرَحَ عَن صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ"^(٣).

قال النووي: (قوله -ﷺ-: (فَشَرَحَ عَن صَدْرِي ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُنْزِلْتُ) معنى شرح شق، وقوله -ﷺ- ثم أنزلت هو بإسكان اللام وضم التاء هكذا ضبطناه وكذا هو في جميع الأصول والنسخ)^(٤).

وكان الإسراء به -ﷺ- على دابة البراق، قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: قال رسول الله -ﷺ-: "أُتِيتُ بِالْبَرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونِ الْبَعْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أُتِيتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٠١/١) برقم: (١٦٢).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢١٦/٢-٢١٧).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١١٠/١) برقم: (١/٤٤٧)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١/ ١٩٧) برقم: (٣٠٩)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٦٩/٥) برقم:

(٣٣٤٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٩/١) برقم: (١٦٢).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢١٥/٢-٢١٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ خَالَتِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا -، فَرَحَّبَا وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ^(١)، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُنتَهَى، وَإِذَا

(١) سورة مريم الآية: (٥٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وَرَفُّهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ^(١).

قال النووي: (لخص القاضي عياض - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الإسراء جُمْلًا حَسَنَةً نَفِيسَةً، فقال: اختلف الناس في الإسراء برسول الله - ﷺ -، فقليل إنما كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ - ﷺ - والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل، وقد جاء في رواية (شريك)^(٢) في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء،

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٩/١) برقم: (١٦٢)، والنسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١١١/١) برقم: (٣/٤٤٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٩/١) برقم: (١٦٢).

(٢) شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي المدني، ويقال: الليثي من أنفسهم كنيته أبو عبد الله روى عن أنس في الإيمان والصلاة، وقال الذهبي: مات: قبل الأربعين ومائة. ينظر: أبي بكر بن منجويه، رجال صحيح مسلم، مرجع سابق (٣٠٩/١). وينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٦٠/٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقد نبه مسلم على ذلك بقوله: فقدّم وأخر وزاد ونقص، منها قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه، فإن الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه - ﷺ - بخمسة عشر شهراً، وقال ابن إسحاق: أسري به - ﷺ - وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل، وأما قوله: في رواية شريك: وهو نائم وفي الرواية الأخرى: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه، وليس في الحديث ما يدل على كونه نائماً في القصة كلها هذا كلام القاضي رحمه الله، وهذا الذي قاله في رواية شريك وأن أهل العلم أنكروها قد قاله غيره، وقد ذكر (البخاري) ^(١) - رحمه الله - رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأتى بالحديث مطولاً، قال (الحافظ عبد الحق) ^(٢) - رحمه الله - في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية: هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب و(ثابت البناني) ^(٣) وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث، قال: والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها هذا كلام الحافظ

(١) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق (١٤٩/٩).

(٢) الحافظ عبد الحق الإمام، الحافظ، المجود، العلامة، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي، الأندلسي، الإشبيلي، المعروف في زمانه: بابن الخراط، قيل مولده: سنة أربع عشرة وخمس مائة، وسكن مدينة بجاية فنشر بها علمه، وصنف التصانيف، واشتهر اسمه، وسارت بأحكامه الصغرى والوسطى الركبان، قيل: أنه توفي ببجاية، بعد محنة نالته من قبل الدولة، في سنة إحدى وثمانين وخمس مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٩٨/٢١-١٩٩).

(٣) ثابت البناني الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد البناني مولا هم، البصري، وبنانة: هم بنو سعد بن لؤي بن غالب، ويقال: هم بنو سعد بن ضبيعة بن نزار، ولد: في خلافة معاوية - ﷺ - وكان من أئمة العلم والعمل، قيل مات في ثلاث وعشرين ومائة، وقال البخاري: مات ثابت سنة سبع وعشرين ومائة، وعن محمد بن ثابت، قال: مات ثابت سنة سبع وعشرين ومائة، وهو ابن ست وثمانين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٢٠/٥-٢٢٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

عبد الحق - رَحِمَهُ اللهُ -، قوله - ﷺ -: (أُتِيْتُ بِالْبُرَاقِ) قال أهل اللغة البراق: اسم الدابة التي ركبها رسول الله - ﷺ - ليلة الإسراء، قال (ابن دُرَيْدٍ)^(١): اشتقاق البراق من البرق -إن شاء الله تعالى- يعني لسرعته، وقيل: سمي بذلك لشدة صفائه وتألُّفه وبريقه، وقيل: لكونه أبيض، وقال القاضي: يحتمل أنه سمي بذلك لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود، قال: ووصف في الحديث بأنه أبيض، وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهي معدودة في البيض، والله أعلم، قوله - ﷺ -: (فَرَكِبْنَاهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَبَطْنَاهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي تَرَبَّطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) أما بيت المقدس ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة إحداها بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة، والثانية بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة، قال (الوَاحِدِيُّ)^(٢): أما من شدده فمعناه المطهر، وأما من خففه فقال (أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ)^(٣): لا يخلو إما أن يكون مصدراً أو مكاناً، فإن كان مصدراً كان كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾^(٤)، ونحوه من المصادر، وإن كان مكاناً فمعناه بيت المكان

(١) ابن دُرَيْدٍ العلامة شيخ الأدب أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية، الأزدي البصري صاحب التصانيف، تنقل في فارس وجزائر البحر يطلب الآداب ولسان العرب، ففاق أهل زمانه، ثم سكن بغداد، كان آية من الآيات في قوة الحفظ، توفي في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة، وله ثمان وتسعون سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٩٧-٩٦/١٥).

(٢) الْوَاحِدِيُّ الإمام، العلامة، الأستاذ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب (التفسير)، وإمام علماء التأويل، وكان طويل الباع في العربية واللغات، صنف التفاسير الثلاثة: (البسيط)، و(الوسيط)، و(الوجيز) وبتلك الأسماء سمي الغزالي تواليفه الثلاثة في الفقه، تصدر للتدريس مدة، وعظم شأنه، مات: بنيسابور في جمادى الآخرة، سنة ثمان وستين وأربع مائة، وقد شاخ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٤٢-٣٤٠/١٨).

(٣) أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ إمام النحو، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي، صاحب التصانيف، قدم بغداد شاباً، وسكن طرابلس مدة ثم حلب، واتصل بسيف الدولة، وتخرج به أئمة، وكان الملك عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي في النحو، ومصنفاته كثيرة نافعة، وكان فيه اعتزال، عاش تسعاً وثمانين سنة، مات ببغداد في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاث مائة، وله كتاب (الحجة) في علل القراءات، وكتابا (الإيضاح) و(التكملة)، وأشياء. ينظر: المصدر السابق (٣٨٠-٣٧٩/١٦).

(٤) سورة يونس الآية: (٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة وتطهيره إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها، وقال الزجاج: البيت المقدس المطهر وبيت المقدس أي المكان الذي يطهر فيه من الذنوب، ويقال فيه أيضاً [إِلْيَاءُ] والله أعلم، وأما الحلقة فبإسكان اللام على اللغة الفصيحة المشهورة، وحكى (الجوهري)^(١) وغيره فتح اللام أيضاً، وأما قوله -ﷺ-: (الْحَلَقَةُ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا فَكْدًا) هو في الأصول به بضمير المذكر أعاده على معنى الحلقة وهو الشيء، قال (صاحب التحرير)^(٢): المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس والله أعلم، وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور، وتعاطي الأسباب، وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى والله أعلم، قوله -ﷺ-: (فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ) هذا اللفظ وقع مختصراً هنا والمراد أنه -ﷺ- قيل له اختر أي الإناعين شئت كما جاء مبيناً بعد هذا في هذا الباب من رواية أبي هريرة، فآلهم -ﷺ- اختيار اللبن، وقوله: (اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ) فسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه والله أعلم اخترت علامة الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة لكونه سهلاً طيباً طاهراً سائغاً للشاربين سليم العاقبة، وأما الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل والله أعلم، قوله -ﷺ-: (ثُمَّ عَرَجَ بَنَّا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟

(١) الجوهري إمام اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، الأتزازي-وأترار هي مدينة فاراب- مصنف كتاب (الصحاح)، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، وله نظم حسن، ومقدمة في النحو، قيل: مات متردياً من سطح داره بنيسابور، في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة، وقيل: مات في حدود سنة أربع مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٧/٨٠-٨٢).

(٢) صاحب التحرير هو: السويقي الشيخ الصالح، أبو عاصم قيس بن محمد بن إسماعيل الأصبهاني، السويقي، الصوفي، المؤذن بجامع أصبهان، رفيق أبي نصر اليونارتي إلى بغداد، توفي في جمادى الآخرة، سنة اثنتين وستين وخمس مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٦٥/٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ) أما قوله أي صعد، وقوله جبريل فيه بيان الأدب فيمن استأذن بدق الباب ونحوه، وأما قول بواب السماء وقد بعث إليه فمراده وقد بعث إليه للإسراء وصعود السماوات وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة، فهذا هو الصحيح والله أعلم، قال القاضي: وفي هذا أن للسماء أبواباً حقيقية وحفظة موكلين بها، وفيه إثبات الاستئذان والله أعلم، قوله -ﷺ-: (فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ -ﷺ- فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ) ثم قال -ﷺ- في السماء الثانية: (فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا) وذكر -ﷺ- في باقي الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- نحوه فيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب والكلام الحسن والدعاء لهم وإن كانوا أفضل من الداعي، وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة، وقوله -ﷺ-: (فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ -ﷺ- مُسْنِدًا ظَهَرُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) قال القاضي -رحمته-: يستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل الظهر إليها، قوله -ﷺ-: (ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُنْتَهَى) قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول -ﷺ-، وحكي عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى، قوله -ﷺ-: (وَإِذَا تَمَرُّهَا كَالْقَلَالِ) جمع قلة والقلة جرة عظيمة تسع قريتين أو أكثر، قوله -ﷺ-: (فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي) معناه رجعت إلى الموضع الذي ناجيته منه أولاً، فناجيته فيه ثانياً، وقوله -ﷺ-: (فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى -ﷺ-) معناه بين موضع مناجاة ربي والله أعلم^(١) انتهى كلامه بتصرف.

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢/٢٠٩-٢١٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، لعلّه قال: "عن (مالك بن صعصعة)^(١)، رجل من قومه قال: قال نبي الله - صلى الله عليه وسلم -: "بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأَتَيْتُ فَاَنْطَلَقَ بِي، فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا - قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِيَ مَا يَعْني، قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ - فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَعُغِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُسِّيَ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، يُقَالُ لَهُ: الْبَرَقُ، فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَعْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحَمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ - عليه السلام -، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم -، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلِنَعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ - عليه السلام -، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى، وَيَحْيَى - عليهما السلام -، وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ، وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ، وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ - عليهم السلام -، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى - عليه السلام -، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ، هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتُهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلَها نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُتِيَتْ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ، وَالْآخَرُ لَبَنٌ، فَعَرَضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقِيلَ: أَصَبْتَ أَصَابَ اللَّهِ بِكَ أُمْتُكَ عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ"^(٢).

(١) مالك بن صعصعة الأنصاري المازني، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث المعراج بطوله وعنه أنس بن مالك، قلت نسبه بن سعد فقال مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. ينظر: للحافظ ابن حجر، تهذيب التهذيب، مرجع سابق (١٧/١٠-١٨).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١١٠/١) برقم: (١/٤٤٧)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٩٧/١) برقم: (٣٠٩)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١/٢٥٤) برقم: (٢١٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢ / ٤٠٧) برقم: (١٣٩٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٩/٤) برقم: (٣٢٠٧)، أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٣/١) برقم: (١٦٤).

قال النووي: (قوله - ﷺ - في موسى - ﷺ -: (فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بِكَيِّ فُؤَدِي...)) معنى هذا والله أعلم أن موسى - ﷺ - حزن على قومه لقلّة المؤمنين منهم مع كثرة عددهم، فكان بكأوه حزناً عليهم وغبطة لنبيينا - ﷺ - على كثرة أتباعه، والغبطة في الخير محبوبة، ومعنى الغبطة أنه ود أن يكون من أمته المؤمنين مثل هذه الأمة لا أنه ود أن يكونوا أتباعاً له وليس لنبيينا - ﷺ - مثله، والمقصود أنه إنما بكى حزناً على قومه وعلى فوات الفضل العظيم والثواب الجزيل بتخلفهم عن الطاعة والله أعلم، قوله: (وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلَها نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ قَالَ أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ) هكذا هو في أصول صحيح مسلم يخرج من أصلها والمراد من أصل سدرة المنتهى كما جاء مبيناً في صحيح البخاري وغيره، ومعناه أن الأنهار تخرج من أصلها ثم تسير حيث أراد الله تعالى حتى تخرج من الأرض وتسير فيها وهذا لا يمنع عقل ولا شرع وهو ظاهر الحديث فوجب المصير إليه والله أعلم، قوله: (هَذَا النَّبِيُّ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ) في هذا أعظم دليل على كثرة الملائكة - صلوات الله وسلامه عليهم - والله أعلم، قوله - ﷺ -: (أَتَيْتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ وَالْآخَرُ لَبَنٌ فَعَرِضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقِيلَ أَصَبْتَ أَصَابَ اللَّهُ بِكَ أُمَّتَكَ عَلَى الْفِطْرَةِ) قوله أمتك على الفطرة فمعناه أنهم أتباع لك وقد أصبت الفطرة، فهم يكونون عليها والله أعلم، قوله - ﷺ -: (فَشَقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقٍ الْبُطْنِ) هو ما سفّل من البطن ورقاً من جلده^(١).

فهذه الحادثة العظيمة بيّنت اتصال الأرض بالسماء، وأنّ الثور الذي في الأرض إنّما مركزه ومنبعه من السماء، حيث يتنزل الوحي المبين، وفيها بيان عظمة قدر النبي - ﷺ - وتشريفه، واصطفاء الله له بأن جعله يكلم ربه كما كلم عيسى بن عمران ربه، وكانت هذه الحادثة آية عظيمة ومعجزة كبيرة لرسول الله - ﷺ - وحاج بها كفار قريش، لعلمهم يُسلموا أو يرجعوا إلى رشدهم فلم يفعلوا، بل إنهم استغلّوها للتشكيك بصدق النبي - ﷺ -، فأضل الله قلوبهم وأعمى بصائرهم.

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢/٢٢٤-٢٢٦).

الباب الرابع

العهد المدني

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول

بناء الدولة

الفصل الثاني

أول العهد المدني

الفصل الأول

بناء الدولة

ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: أسماء المدينة وفنائها وبيان حرمتها.

المبحث الثاني: رؤيا الرسول - ﷺ - لأرض الهجرة.

المبحث الثالث: عرض رسول الله الإسلام على القبائل، وإسلام الأنصار.

المبحث الرابع: طلائع المهاجرين وتحرك الرسول - ﷺ - إلى المدينة.

المبحث الخامس: استقبال أهل المدينة للرسول - ﷺ -، ونزوله عند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

المبحث السادس: بناء مسجد قباء والمسجد النبوي.

المبحث السابع: لقاء عبدالله بن سلام.

المبحث الثامن: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

المبحث الأول

أسماء المدينة وفنائها وبيان حرمتها

المدينة المنورة كانت تسمى بيثرب وجاء النهي عن النبي - ﷺ - عن تسميتها بذلك، وأول من أطلق عليها اسم المدينة هو رسول الله - ﷺ -، فقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله - ﷺ -: "أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ"^(١).

والمدينة المنورة هي دار الإيمان ومتبوأ الهدى والفرقان، والعاصمة الأولى للإسلام، وحاضرة مسجد رسول الله - ﷺ -، وكان انطلاق جيوش الإسلام إلى كثير من البقاع لفتحها وتخليصها من ظلم الظالمين وعبادة غير رب العالمين، والاسم المعروفة به هو (المدينة)، وهو علم عليها إذا أطلقت كلمة المدينة دون إضافة، ويضاف إليها (المنورة) لأنها أضاعت بنور الله وبهدي رسوله - ﷺ -، ولقد نالت المدينة المنورة حبا كبيرا من النبي - ﷺ -، وكانت لها المكانة العالية الجليلة في قلبه، وهذا مما جعل المسلمين يكتفون لها كل الحب وذلك محبة لله ولرسوله، وقد جاء اسم (المدينة) في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

- (١) في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِثْقَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).
- (٢) في سورة التوبة أيضا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٥١/٤) برقم: (٤٢٤٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠/٣) برقم: (١٨٧١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٩/٤) برقم: (١٣٧٨).

(٢) سورة التوبة الآية: (١٠١).

(٣) سورة التوبة الآية: (١٢٠).

(٣) في سورة الأحزاب، قال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

(٤) في سورة المنافقون، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فهذه أربعة مواضع ورد فيها اسم المدينة، وأما الأحاديث فقد جاء اسم المدينة كثيراً جداً، وقد أطلق الله عز وجل عليها اسم الدار كما قال سبحانه مادحاً للأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْرِجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وقد جاءت في السنة المطهرة عدة أسماء أخرى للمدينة المنورة، ومنها: (طيبة، وطابة، ودار الهجرة، و(مأرز)^(٤) الإيمان)، وما جاء في ذلك هو الآتي:
- (طيبة) عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إِنَّهَا طَيْبَةٌ - يَعْنِي - الْمَدِينَةَ"^(٥).

- (طابة) عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه -، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةً"^(٦).

(١) سورة الأحزاب الآية: (٦٠).

(٢) سورة المنافقون الآية: (٨).

(٣) سورة الحشر الآية: (٩).

(٤) أي: ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها، ينظر: للهروي، تهذيب اللغة، مرجع سابق (١٧٠/١٣).

(٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٦٨/١٠) برقم: (١١٠٤٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٢٢/٥) برقم: (٣٠٢٨)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٦/٥) برقم: (٤٠٥٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢١/٤) برقم: (١٣٨٤).

(٦) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢١/٤) برقم: (١٣٨٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وكان -ﷺ- يفرح بقدومه إليها بعد مخرجه منها إلى أي مكان، فهذا هو يقول عندما رجع من تبوك، وكان يسرع في مشيه حتى إذا أشرف على المدينة قال: هذه طابة، كما قال (أبو حميد الساعدي)^(١) -ﷺ- عند رجوعهم من تبوك: "ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِيَ الْقُرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِيَ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ، فَخَرَجْنَا حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"^(٢).

قال (العظيم آبادي)^(٣): (قوله: (تبوك): بينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة من طرف الشام غير منصرف، وفي بعض النسخ تبوكاً بالصرف، وكانت تلك الغزوة في رجب سنة تسع (وادي القرى): مدينة قديمة بين المدينة والشام، قوله: إني مسرع إلى المدينة، أي: إني سالك الطريق القريبة، فمن أراد فليأت معي، يعني: ممن له اقتدار على ذلك دون بقية الجيش)^(٤).

(١) أبو حميد الساعدي الأنصاري، المدني، قيل: اسمه عبد الرحمن، وقيل: المنذر بن سعد، من فقهاء أصحاب النبي -ﷺ-، توفي: سنة ستين، وقيل: توفي سنة بضع وخمسين، وله حديث في وصفه هيئة صلاة رسول الله -ﷺ-. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٨١/٢).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٤٤/٣) برقم: (٣٠٧٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٥/٢) برقم: (١٤٨٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٣/٤) برقم: (١٣٩٢).

(٣) العظيم آبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو الطيب، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي: علامة بالحديث، هندي، من تصانيفه (التعليق المغني على سنن الدارقطني)، و(عون المعبود على سنن أبي داود)، و(المكتوب اللطيف إلى المحدث الشريف)، و(عقود الجمان) في تعليم المرأة، توفي بعد ١٣١٠هـ/١٨٩٢م. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٣٩/٦).

(٤) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، مرجع سابق (١٤٤/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال النووي: (قال العلماء: ولمدينة النبي ﷺ - أسماء (المدينة) قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾^(٢)، و(طَابَةُ وَطَيْبَةُ وَالْدَّارُ)، فأما الدار فلأمنها والاستقرار بها، وأما طابة وطيبة فمن الطيب وهو الرائحة الحسنة والطاب والطيب لغتان، وقيل من الطيب بفتح الطاء وتشديد الياء وهو الطاهر لخلوصها من الشرك وطهارتها، وقيل من طيب العيش بها)^(٣).

والمدينة المنورة هي مأزر الإيمان الذي ينضم إليها ويجتمع فيها، فعن أبي هريرة - قال، قال رسول الله ﷺ -: "إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا"^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (كما تأرز الحية إلى جحرها) أي أنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها، كذلك الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبتة في النبي ﷺ -، فيشمل ذلك جميع الأزمنة)^(٥).

وقال النووي: (قال القاضي: وقوله - ﷺ -: (وَهُوَ يَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ) معناه أن الإيمان أولاً وآخرًا بهذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجرًا مستوطنًا وإما متشوقًا إلى رؤية رسول الله ﷺ - ومتعلمًا منه ومتقربًا، ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والافتداء بجمهور الصحابة -رضوان الله عليهم- فيها، ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم، فكان كل ثابت الإيمان منشراح الصدر به يرحل إليها، والله أعلم بالصواب)^(٦).

(١) سورة التوبة الآية: (١٢٠).

(٢) سورة التوبة الآية: (١٠١).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥٥/٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٩١/٤) برقم: (٣١١١)، والبخاري في "صحيحه"

مرجع سابق (٢١/٣) برقم: (١٨٧٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٩٠/١) برقم:

(١٤٧).

(٥) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١١١/٤).

(٦) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٧٧/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

- ولمدينته - ﷺ - فضل عظيم لمن سكنها وصبر عليها ومات فيها بل بشره بشفاعته - عليه الصلاة والسلام -، وقد دعا النبي - ﷺ - بأن يبارك الله في صاعها ومُدّها، وهي بلاد حرام كمكة المكرمة لها حرمة عظيمة ليست كسائر البلدان، وحذّر من أراد أهلها بسوء بأن يذّيبه الله في النار كالرصاص، ومن أراد فيها إحداث حدث أن تحل عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، جاء ذلك حديث (عبد الله بن زيد بن عاصم) ^(١) - ﷺ -، أن رسول الله - ﷺ - قال: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا بِمِثْلِي مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ" ^(٢).
- ❖ وعن (رافع بن خديج) ^(٣) - ﷺ -، قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا يُرِيدُ الْمَدِينَةَ" ^(٤).
- ❖ وعن جابر بن عبد الله - ﷺ -، قال: قال النبي - ﷺ -: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، لَا يُقَطَّعُ عِضَاهُهَا، وَلَا يُصَادُ صَيْدُهَا" ^(٥).

(١) عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب المازني، النجاري صاحب حديث الوضوء، من فضلاء الصحابة، يعرف: بابن أم عمارة، وهو أحد بني مازن بن النجار، وهو بدري، وقيل: هو أحدي، وهو الذي قتل مسيلمة بالسيف مع رمية وحشي له بحرته، وهو عم عباد بن تميم، قيل: إنه قتل يوم الحرة، سنة ثلاث وستين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٧٢/٢-٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٧/٣) برقم: (٢١٢٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٢/٤) برقم: (١٣٦٠).

(٣) رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن تزيّد الأنصاري، الخزرجي، المدني، صاحب النبي - ﷺ -، استصغر يوم بد، وشهد أحداً والمشاهد كلها، وأصابه سهم يوم أحد، فانتزعه، فبقي النصل في لحمه إلى أن مات، وكان صحراوياً، عالماً بالمزارعة والمساقاة، وقيل: إنه ممن شهد وقعة صفين مع علي، وكان رافع ممن يفتي بالمدينة في زمن معاوية وبعده، توفي: في أول سنة أربع وسبعين، وهو ابن ست وثمانين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٨٣/١٨٢/٣).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٥٤/٤) برقم: (٤٢٥٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٠٦/٦) برقم: (٣٩٢٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠/٣) برقم: (١٨٦٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٥).

(٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٦١/٤) برقم: (٤٢٧٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٣/٤) برقم: (١٣٦٢).

- ❖ وعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقَطَعَ عِضَاهُمَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيِّدُهَا، وَقَالَ: الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبَدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَنْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١).
- ❖ وعنه أيضاً -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: "وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ سُوءَ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذُوبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ"^(٢).
- ❖ وعن (عاصم بن سليمان)^(٣) قال: "قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: أَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْمَدِينَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: هَذِهِ شَدِيدَةٌ، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ أَنَسٍ: أَوْ أَوْى مُحَدِّثًا"^(٤).
- ❖ وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَكِّيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ"^(٥).

- (١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٥٤/٤) برقم: (٤٢٥٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٣/٤) برقم: (١٣٦٣).
- (٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٥٤/٤) برقم: (٤٢٥٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٣/٤) برقم: (١٣٦٣).
- (٣) عاصم بن سليمان أبو عبد الرحمن البصري الأحول، الإمام، الحافظ، محدث البصرة، محتسب المدائن، قيل: ولاؤه لتميم، وقيل: لبني أمية، وكان من الحفاظ المعدودين، قال ابن المديني: له نحو مائة وخمسين حديثاً، مات سنة إحدى واثنين وأربعين ومائة، وقال البخاري: مات سنة اثنتين، أو ثلاث وأربعين ومائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٥-١٣/٦).
- (٤) أخرجه البخاري (١٠٠/٩) برقم: (٧٣٠٦)، ومسلم (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٦).
- (٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٥٤/٤) برقم: (٤٢٥٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠/٣) برقم: (١٨٦٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٥). أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٠/٣) برقم: (١٨٦٧)، (٦٨/٣) برقم: (٢١٣٠)، (٣٥/٤) برقم: (٢٨٨٩)، (١٤٦/٤) برقم: (٣٣٦٧)، (١٠٣/٥) برقم: (٤٠٨٣)، (١٠٣/٥) برقم: (٤٠٨٤)، (٧٦/٧) برقم: (٥٤٢٥)، (١٤٥/٨) برقم: (٦٧١٤)، (١٠٠/٩) برقم: (٧٣٠٦)، (١٠٤/٩) برقم: (٧٣٣١)، (١٠٥/٩) برقم: (٧٣٣٣) ومسلم في "صحيحه" (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٥)، (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٥)، (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٦)، (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٧)، (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٨)، (١٢٤/٤) برقم: (١٣٩٣)، (١٢٤/٤) برقم: (١٣٩٣) ومالك في "الموطأ" (١٣٠٢/١) برقم: (٦٥٧/٣٣٠٢)، (١٣٠٨/١) برقم: (٦٦٥/٣٣١٣) وابن حبان في "صحيحه" (٤٢/٩) برقم: (٣٧٢٥)، (٦٠/٩) برقم: (٣٧٤٥) والنسائي في "الكبرى" (٢٥٤/٤) برقم: (٤٢٥٥) والترمذي في "جامعه" (٢٠٦/٦) برقم: (٣٩٢٢) والدارمي في "مسنده" (١٦٧٧/٣) برقم: (٢٦١٧) وابن ماجه في "سننه" (٢٩٤/٤) برقم: (٣١١٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال المباركفوري: (قوله: (إن إبراهيم حرم مكة) نسبة التحريم إلى إبراهيم باعتبار دعائه وسؤاله ذلك، فلا ينافي ما ورد أن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، قوله: (وإني أحرم ما بين لابتيها) معناه اللابتان وما بينهما، والمراد تحريم المدينة ولابتيها قاله النووي، واحتج بعضهم بحديث أنس في قصة قطع النخل لبناء المسجد، ولو كان قطع شجرها حراماً ما فعله - ﷺ - وتعقب بأن ذلك كان في أول الهجرة وحديث تحريم المدينة كان بعد رجوعه - ﷺ - من خيبر كما يدل عليه حديث أنس يقول: "خرجت مع رسول الله - ﷺ - إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي - ﷺ - راجعاً وبدا له أحد قال: هذا جبل يحبنا ونحبه، ثم أشار بيده إلى المدينة، قال: اللهم إني أحرم ما بين لابتيها كتحریم إبراهيم مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا" (١). رواه البخاري في باب فضل الخدمة في الغزو. والقول الراجح المعول عليه قول من قال: إن للمدينة حرماً كما أن لمكة حرماً يدل عليه أحاديث كثيرة صحيحة صريحة، وهو قول الجمهور).

وقال النووي: (قوله - ﷺ -: (إن إبراهيم حرم مكة) هذا دليل لمن يقول إن تحريم مكة إنما هو كان في زمن إبراهيم - ﷺ -، والصحيح أنه كان يوم خلق الله السماوات والأرض، وذكروا في تحريم إبراهيم احتمالين أحدهما: أنه حرمها بأمر الله تعالى له بذلك لا باجتهاده، فهذا أضاف التحريم إليه تارة وإلى الله تعالى تارة. والثاني: أنه دعا لها فحرمها الله تعالى بدعوته فأضيف التحريم إليه لذلك، قوله - ﷺ -: (إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها)، يريد المدينة قال أهل اللغة وغريب الحديث: اللابتان الحرتان واحدهما لابة وهي الأرض الملبسة حجارة سوداء، وللمدينة لابتان شرقية وغربية وهي بينهما، ويقال لابة ولوبة ونوبة بالنون ثلاث لغات مشهورات، وجمع اللابة في القلة لابات وفي الكثرة لاب ولوب، وقوله - ﷺ -: (وإني أحرم ما بين لابتيها) معناه اللابتان وما بينهما والمراد تحريم المدينة ولابتيها، قوله - ﷺ -: (لا يقطع عضاها ولا يصاد صيدها) صريح في الدلالة لمذهب الجمهور في تحريم صيد المدينة وشجرها، والعصاة كل شجر فيه شوك، قوله - ﷺ -: (ولا يثبت أحد على لأوائها وجهها إلا)

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٢٥٤/٤) برقم: (٤٢٥٥)، والترمذي في "جامعه" (٢٠٦/٦) برقم: (٣٩٢٢)، وابن ماجه في "سننه" (٢٩٤/٤) برقم: (٣١١٥)، والبخاري في "صحيحه" (٢٠/٣) برقم: (١٨٦٧)، ومسلم في "صحيحه" (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال أهل اللغة اللأواء بالمد الشدة والجوع، وأما الجهد فهو المشقة، وأما الجهد بمعنى الطاقة، وأما قوله - ﷺ -: (أَلَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً) فقال القاضي عياض - ﷺ -: سألت قديماً عن معنى هذا الحديث ولم خص ساكن المدينة بالشفاعة هنا مع عموم شفاعته وادخاره إياها لأمته قال وأجيب عنه بجواب شاف مقنع في أوراق اعترف بصوابه كل واقف عليه، قال: وأذكر منه هنا لمعا تليق بهذا الموضع قال بعض شيوخنا: أو هنا للشك، والأظهر عندنا أنها ليست للشك؛ لأن هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وأسماء بنت عميس وغيرهم عن النبي - ﷺ - بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم أو رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة، بل الأظهر أنه قاله - ﷺ - هكذا، فإما أن يكون أعلم بهذه الجملة هكذا، وإما أن يكون أو للتقسيم ويكون شهيداً لبعض أهل المدينة وشافعاً لبقيتهم، إما شافعاً للعاصين وشهيداً للمطيعين، وإما شهيداً لمن مات في حياته وشافعاً لمن مات بعده أو غير ذلك، قال القاضي: وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعالمين في القيمة وعلى شهادته على جميع الأمة، وقد قال - ﷺ - في شهداء أحد أنا شهيد على هؤلاء، فيكون لتخصيصهم بهذا كله مزيد أو زيادة منزلة وحظوة، قال وقد يكون أو بمعنى الواو فيكون لأهل المدينة شافعاً وشهيداً. قال: وقد روي إلا كنت له شهيداً أولاً شافعاً، قال وإذا جعلنا أو للشك كما قاله المشايخ فإن كانت اللفظة الصحيحة شهيداً اندفع الاعتراض لأنها زائدة على الشفاعة المدخرة المجردة لغيره، وإن كانت اللفظة الصحيحة شافعاً فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الأمة أن هذه شفاعاة أخرى غير العامة التي هي لإخراج أمته من النار ومعافة بعضهم منها بشفاعته - ﷺ - في القيامة، وتكون هذه الشفاعة لأهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو بما شاء الله من ذلك أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامة كإيوائهم إلى ظل العرش أو كونهم في روح وعلى منابر أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات الواردة لبعضهم دون بعض والله أعلم، قوله - ﷺ -: (لَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبَدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ) قال القاضي اختلفوا في هذا، فقيل هو مختص بمدة حياته - ﷺ -، وقال آخرون هو عام أبداً وهذا أصح، قوله - ﷺ -: (وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذُوبَ الرِّصَاصِ أَوْ

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ذَوَّبَ الْمَلْحَ فِي الْمَاءِ) قال القاضي هذه الزيادة وهي قوله في النار تدفع إشكال الأحاديث التي لم تذكر فيها هذه الزيادة وتبين أن هذا حكمه في الآخرة، قال وقد يكون المراد به من أرادها في حياة النبي - ﷺ - كفي المسلمون أمره واضمحل كيد كذا كما يضمحل الرصاص في النار، قال وقد يكون في اللفظ تأخير وتقديم أي أذابه الله ذوب الرصاص في النار ويكون ذلك لمن أرادها في الدنيا فلا يمهل الله ولا يمكن له سلطان بل يذهب عن قرب، قال وقيل قد يكون المراد من كادها اغتيالاً وطلباً لغرتها في غفلة فلا يتم له أمره بخلاف من أتى ذلك جهاراً كأمره استباحوها، قوله: (حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَهُ أَحَدٌ قَالَ: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) الصحيح المختار أن معناه أن أحداً يحبنا حقيقة جعل الله تعالى فيه تمييزاً يحب به كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(١)، وكما حن الجذع اليابس، وكما سبح الحصى، وكما فر الحجر بثوب موسى - ﷺ -، وكما قال نبينا - ﷺ - إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي، وكما دعا الشجرتين المفترقتين فاجتمعا، وكما رجع حراء فقال اسكن حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق الحديث، وكما كلمه ذراع الشاة، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٢)، والصحيح في معنى هذه الآية أن كل شيء يسبح حقيقة بحسب حاله ولكن لا نفقهه، وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه واختاره المحققون في معنى الحديث وأن أحداً يحبنا حقيقة، وقيل المراد يحبنا أهله فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه والله أعلم، قوله: (من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قال القاضي معناه من أتى فيها إثماً أو آوى من أتاه وضمه إليه وحماه قال ويقال آوى وآوى بالقصر والمد في الفعل اللازم والمتعدي جميعاً لكن القصر في اللازم أشهر وأفصح والمد في المتعدي أشهر وأفصح قلت وبالأفصح جاء القرآن العزيز في الموضعين، قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَوْينَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾^(٣)، وقال في المتعدي: ﴿وَأَوْينَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾^(٤)، وقوله: (عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ) إلى

(١) سورة البقرة الآية: (٧٤).

(٢) سورة الإسراء الآية: (٤٤).

(٣) سورة الكهف الآية: (٦٣).

(٤) سورة المؤمنون الآية: (٥٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

آخره هذا وعيد شديد لمن ارتكب هذا، قال القاضي: واستدلوا بهذا على أن ذلك من الكبائر لأن اللعنة لا تكون إلا في كبيرة، ومعناه أن الله تعالى يلعنه وكذا يلعنه الملائكة والناس أجمعون، وهذا مبالغة في إبعاده عن رحمة الله تعالى فإن اللعن في اللغة هو الطرد والإبعاد، قالوا والمراد باللعن هنا العذاب الذي يستحقه على ذنبه والطرد عن الجنة أول الأمر وليست هي كلجنة الكفار الذين يبعدون من رحمة الله تعالى كل الإبعاد والله أعلم، قوله: (لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا) وقيل المعنى لا تقبل فريضته ولا نافلته قبول رضا وإن قبلت قبول جزاء، وقيل يكون القبول هنا بمعنى تكفير الذنب بهما، قال القاضي: وقد يكون معنى الفدية هنا أنه لا يجد في القيمة فداء يفندي به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله عز وجل على من يشاء منهم بأن يفديه من النار بيهودي أو نصراني كما ثبت في الصحيح، قوله -ﷺ-: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَكْيَالِهِمْ وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَبَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ) قال القاضي البركة هنا بمعنى النمو والزيادة وتكون بمعنى الثبات وال لزوم، قال فقيل يحتمل أن تكون هذه البركة دينية وهي ما تتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى في الزكاة والكفارات فتكون بمعنى الثبات والبقاء لها كبقاء الحكم بها ببقاء الشريعة وثباتها، ويحتمل أن تكون دنيوية من تكثير الكيل والقدر بهذه الأكيال حتى يكفي منه ما لا يكفي من غيره في غير المدينة أو ترجع البركة إلى التصرف بها في التجارة وأرباحها وإلى كثرة ما يكال بها من غلاتها وثمارها، أو تكون الزيادة فيما يكال بها لاتساع عيشهم وكثرته بعد ضيقه لما فتح الله عليهم ووسع من فضله لهم وملكهم من بلاد الخصب والريف بالشام والعراق ومصر وغيرها حتى كثر الحمل إلى المدينة واتسع عيشهم حتى صارت هذه البركة في الكيل نفسه فزاد مدهم وصار هاشميا مثل مد النبي -ﷺ- مرتين أو مرة ونصفا، وفي هذا كله ظهور إجابة دعوته -ﷺ- وقبولها هذا آخر كلام القاضي، والظاهر من هذا كله أن البركة في نفس المكيل في المدينة بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفيها في غيرها والله أعلم^(١) انتهى كلامه بتصرف.

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٣٤/٩-١٤٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقد جاء في فضل الصلاة في مسجد رسول الله - ﷺ - أجر عظيم، فإنّها تحسب بألف صلاة في غيره، فعن أبي هريرة - ﷺ -، قال: قال رسول الله - ﷺ -: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"^(١).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما -، أن النبي - ﷺ - قال: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"^(٢).

قال المباركفوري: (قوله: (صلاة في مسجدني هذا) قال النووي: ينبغي أن يحرص المصلي على الصلاة في الموضع الذي كان في زمانه - ﷺ - دون ما زيد فيه بعده؛ لأن التضعيف إنما ورد في مسجده، وقد أكدّه بقوله (هذا) بخلاف مسجد مكة فإنه يشمل جميع مكة بل صحح أنه يعم جميع الحرم، كذا ذكره الحافظ في الفتح وسكت عنه، قلت: قال القاري في المرقاة: قد وافق النووي، السبكي وغيره، واعترضه ابن تيمية وأطال فيه، والمحب الطبري وأوردا آثارا استدلا بها، وبأنه سلم في مسجد مكة أن المضاعفة لا تختص بما كان موجوداً في زمنه - ﷺ -، وبأن الإشارة في الحديث إنما هي لإخراج غيره من المساجد المنسوبة إليه ﷺ، وبأن الإمام مالكا سئل عن ذلك فأجاب بعدم الخصوصية وقال: لأنه ﷺ أخبر بما يكون بعده وزويت له الأرض فعلم بما يحدث بعده، ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون أن يستزيدوا فيه بحضرة الصحابة ولم ينكر ذلك عليهم، وبما في تاريخ المدينة عن عمر - ﷺ - أنه لما فرغ من الزيادة قال: لو انتهى إلى الجبانة وفي رواية إلى ذي الحليفة لكان الكل مسجد رسول الله - ﷺ -، وبما روي عن أبي هريرة - ﷺ - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: لو

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١٥٨/١) برقم: (١/٦٩٣)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٣٨٥/١) برقم: (٧٧٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٥٧/١) برقم: (٣٢٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤١١/٢) برقم: (١٤٠٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٠/٢) برقم: (١١٩٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٤/٤) برقم: (١٣٩٤).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٥٧٤/١) برقم: (٣/٢٨٩٩)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٠٩/٤) برقم: (٣٨٦٦)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤١٢/٢) برقم: (١٤٠٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٥/٤) برقم: (١٣٩٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

زيد في هذا المسجد ما زيد كان الكل مسجدي، وفي رواية: لو بني هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي، هذا خلاصة ما ذكره ابن حجر في الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم، انتهى ما في المرقاة. قلت: لو كان حديث أبي هريرة: لو زيد في هذا المسجد إلخ لكان قاطعاً للنزاع ولا أدري ما حاله، قابل للاحتجاج أم لا؟ ولم أقف على سنده. قوله: (خير من ألف صلاة فيما سواه) من المساجد (إلا المسجد الحرام) قيل الاستثناء يحتمل أن الصلاة في مسجدي لا تفضل الصلاة في المسجد الحرام بألف بل بدونها، ويحتمل أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل، ويحتمل المساواة أيضاً. قلت: كأن هذا القائل لم يقف على الأحاديث التي تدل على أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في المسجد النبوي^(١).

وقال النووي: (قوله - ﷺ -: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) اختلف العلماء في المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم في مكة والمدينة أيتهما أفضل، ومذهب الشافعي وجماهير العلماء أن مكة أفضل من المدينة وأن مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة وعكسه مالك وطائفة، فعند الشافعي والجمهور معناه إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه أفضل من الصلاة في مسجدي، وعند مالك وموافقيه إلا المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجدي تفضله بدون الألف، قال القاضي عياض: أجمعوا على أن موضع قبره - ﷺ - أفضل بقاع الأرض، وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض، واختلفوا في أفضلهما ما عدا موضع قبره - ﷺ -، فقال عمر وبعض الصحابة ومالك وأكثر المدنيين المدينة أفضل، وقال أهل مكة والكوفة والشافعي مكة أفضل، قلت ومما احتج به أصحابنا لتفضيل مكة حديث (عبد الله بن عدي بن الحمراء)^(٢) - ﷺ - أنه سمع النبي - ﷺ - وهو واقف على راحلته بمكة يقول: "وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ

(١) عبد الله بن عدي بن الحمراء القرشي الزهري، ويقال: إنه ثقفي حالف بني زهرة، قال البخاري: له صحبة، يكنى أبا عمرو، وأبا عمر، وكان ينزل قديداً، وهو من مسلمة الفتح، روى عن النبي - ﷺ - في فضل مكة، وسكن المدينة. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٤/١٥١-١٥٢).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (١/٢٦٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

مَآخَرَجْتُ^(١) رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي هو حديث حسن صحيح، وعن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي هَذَا"^(٢)، حديث حسن رواه أحمد بن حنبل في مسنده والبيهقي وغيرهما بإسناد حسن والله أعلم، واعلم أن الصلاة في مسجد المدينة تزيد على فضيلة الألف فيما سواه إلا المسجد الحرام لأنها تعادل الألف بل هي زائدة على الألف كما صرحت به هذه الأحاديث أفضل من ألف صلاة وخير من ألف صلاة ونحوه قال العلماء: وهذا فيما يرجع إلى الثواب، فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب ألف فيما سواه ولا يتعدى ذلك إلى الإجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى في مسجد المدينة صلاة لم تجزئه عنهما وهذا لا خلاف فيه والله أعلم، واعلم أن هذه الفضيلة مختصة بنفس مسجده -ﷺ- الذي كان في زمانه دون ما زيد فيه بعده فينبغي أن يحرص المصلي على ذلك ويتقن لما ذكرته، والله أعلم^(٣).

وذكر الحبيب -رضي الله عنه- أن لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ومنها مسجده عليه الصلاة والسلام في المدينة، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن النبي -ﷺ- قال: "لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى"^(٤).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٢٤٧/٤) برقم: (٤٢٣٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٠٧/٦) برقم: (٣٩٢٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٨٩/٤) برقم: (٣١٠٨).

(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (قال ابن عبد البر: حافظ المغرب، صاحب الاستيعاب: اختلف على بن الزبير في رفعه ووقفه ومن رفعه أحفظ وأثبت ومثله لا يقال بالرأي). ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٦٧/٣). وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، رقم الحديث [١١٧٢]، (٤٤/٢).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٦٣/٩-١٦٦).
(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١٥٩/١) برقم: (١/٦٩٩)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٣٨٨/١) برقم: (٧٨١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٦٦/٢) برقم: (٢٠٣٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤١٥/٢) برقم: (١٤٠٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٠/٢) برقم: (١١٨٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٦/٤) برقم: (١٣٩٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال (السندي): (قوله: (لا تشد الرحال إلخ) نفي بمعنى النهي أو نهْي، وشد الرحال كناية عن السفر، والمعنى لا ينبغي شد الرحال في السفر بين المساجد إلا إلى ثلاثة مساجد، وأما السفر للعلم وزيارة العلماء والصلحاء وللتجارة ونحو ذلك فغير داخل في حيز المنع، وكذا زيارة المساجد الأخر بلا سفر كزيارة مسجد قباء لأهل المدينة غير داخل في حيز النهي، والله أعلم^(١)).

قال القرطبي: (وقوله (لا تُشدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد) قد قلنا: إن شدَّ الرِّحال كناية عن السفر البعيد، وقد فسَّر هذا المعنى في الرواية الأخرى التي قال فيها: "إنما يُسافر إلى ثلاثة مساجد"^(٢)، ولا شكَّ في أن هذه المساجد الثلاثة إنما خُصَّت بهذا فضلها على سائر المساجد)^(٣).

قال النووي: (سُمِّي الأقصى لبعده من المسجد الحرام، وفي هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال إليها؛ لأن معناه عند جمهور العلماء لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها)^(٤).

ومن هذا كله يتبين الفضل العظيم لمدينة رسول الله - ﷺ -، والعلاقة الطيبة بين الأرض والحجر والشجر وبين المسلم، وأنَّ هذا الدين خيره ليس للبشرية فقط بل حتى لغيره فانظر كيف صارت المدينة بلاد مباركة يوم أن كانت بلد التوحيد والإيمان ونصرة الدين، وبعد أن كانت بلد فيها المرض والافتتال بين أهلها صارت بفضل الله عز وجل ثم بدعوة الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - بلد الخير والمحبة والبركة ويضرب بها المثل في أشياء كثيرة، فقد عاش بين جناتها المكي والمدني والعربي والفارسي والحبشي

(١) ينظر: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، بدون طبعة، دار الجيل، بيروت، (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة الثانية، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] ٤٣٠/١-٤٣١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٦/٤) برقم: (١٣٩٧).

(٣) ينظر: أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨-٦٥٦ هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الطبعة: الأولى، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، وحققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، (٥٠٧/٣).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٦٨/٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

والرومي وغيرهم، عاشوا إخوة متحابين، انتشروا في ربوع الأرض ليعلموا دين الله ولينتشروه، وقد كان مذهب أهل المدينة في القرون الثلاثة المفضلة أصح المذاهب في أصول الدين وفي فروعها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (مذهب أهل المدينة النبوية - دار السنة ودار الهجرة ودار النصر إذ فيها سن الله لرسوله محمد - ﷺ - سنن الإسلام وشرائعه وإليها هاجر المهاجرون إلى الله ورسوله وبها كان الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصح مذاهب أهل المدائن الإسلامية شرقاً وغرباً، في الأصول والفروع)^(١).

وكذلك فإن معظم العلماء لم يقولوا: إن إجماع أهل بلاد حجة كما قالوا ذلك عن إجماع أهل المدينة، لا عن أهل مكة ولا العراق ولا الشام ولا غيرها وما ذاك إلا لتأسيهم واتباعهم لرسول الله - ﷺ -، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وفي القرون التي أنشأ عليها رسول الله - ﷺ - كان مذهب أهل المدينة أصح مذاهب أهل المدائن، فإنهم كانوا يتأسسون بأثر رسول الله - ﷺ - أكثر من سائر الأمصار، وكان غيرهم من أهل الأمصار دونهم في العلم بالسنة النبوية واتباعها حتى أنهم لا يفتقرون إلى نوع من سياسة الملوك، وأن افتقار العلماء ومقاصد العباد أكثر من افتقار أهل المدينة، حيث كانوا أغنى من غيرهم عن ذلك كله بما كان عندهم من الآثار النبوية التي يفتقر إلى العلم بها واتباعها كل أحد، ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة لا في تلك الأعصار ولا فيما بعدها لا إجماع أهل مكة، ولا الشام، ولا العراق، ولا غير ذلك من أمصار المسلمين)^(٢).

وهذا من فضل الله عليهم، فقد صبروا وثابروا فكم أمئوا وكم خافوا، وكم شبعوا وكم جاعوا، وكم قدّموا من دماء خيرة أبنائهم ورجالهم نصرته لهذا الدين العظيم ولرسوله الكريم - عليه الصلاة والسلام -، وكم أحبها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وتلهفت قلوبهم لزيارتها وللصلاة في مسجد رسول الله - ﷺ -، ورؤية آثارها، فنعم البلاد تلك البلاد التي مشى عليها خير البشرية - ﷺ -، وعاش فيها خيرة أصحاب نبي على الإطلاق، فلبعض جبالها ولبعض أوديتها ولبعض أشجارها ولبعض جذوع نخلها مواقف مع الحبيب - ﷺ -، فنعم البلاد تلك البلاد، ونعم الأهل أولئك الأهلون.

(١) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق (٢٠/٢٩٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢٠/٢٩٩-٣٠٠).

المبحث الثاني

رؤيا الرسول - ﷺ - لأرض الهجرة

زاد كفار قريش من أذيتهم للصحابة في مكة، فقتلت من قتلت منهم، وحبست من حبست، وعذبت من عذبت، فكان لابد أن يكون لهم مكان آمن غير مكة يأمنون فيه على أنفسهم وأعراضهم، فجاءت الإشارة من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم - عليه الصلاة والسلام - بصفات تلك الأرض، وقد كانت تلك الإشارة برؤيا رآها النبي - ﷺ -، ورؤيا الأنبياء حق ووحي، فوصفها الرسول - ﷺ - لأصحابه، وذكر أن اسمها يثرب، ولما كانت الهجرة نهى عن تسميتها بذلك، لأنه اسم يدل على الملامة والتوبيخ، بل وأطلق عليها اسم المدينة وطيبة وطابة، وكُلُّها أسماء جميلة تحمل في معانيها أشياء عظيمة، فقال - عليه الصلاة والسلام - واصفاً لأصحابه أرض الهجرة: "رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ"^(١).

فوصف دار الهجرة هنا بأنها أرض بها نخل، وكانت المدينة المشهورة بكثافة نخلها هي يثرب، فهاجر إليها الصحابة فكانت نعم الدار لهم.

قال السندي: (قوله: (إني أهاجر) من المهاجرة (وهلي) بفتح الواو والهاء معاً، أو بسكون الهاء، أي: وهمي (أنها يمامة) بفتح التحتية وتخفيف الميم، قيل: هي بلاد بين مكة واليمن (أو هجر) بفتح الهاء والجيم معاً غير منصرف قاعدة أرض البحرين، أو بلد باليمن (أني هزرت سيفاً) بزعين معجمتين، أي: حركته (فإذا هو ما أصيب... إلخ) قيل: هذه الرواية من ضرب المثل، ولما كان - ﷺ - يصول بأصحابه عبر عن السيف بهم وبهزه عن أمره لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم، وفي المرة الأخرى لما عاد إلى حالته من الاستواء عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم)^(٢).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١١٦/٧) برقم: (٧٦٠٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٧٤/٥) برقم: (٣٩٢١)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٣/٤) برقم: (٣٦٢٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥٧/٧) برقم: (٢٢٧٢).

(٢) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (٤٥٥/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال النووي: (قوله -ﷺ-: (رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِيَ) معناه وهمي واعتقادي، وهجر مدينة معروفة وهي قاعدة البحرين وهي معروفة، وأما يثرب فهو اسمها في الجاهلية، فسمّاها الله تعالى المدينة، وسمّاها رسول الله -ﷺ- طيبة وطابة، وقد جاء في حديث النهي عن تسميتها يثرب لكرهه لفظ التثريب ولأنه من تسمية الجاهلية وسمّاها في هذا الحديث يثرب، فقليل يحتمل أن هذا كان قبل النهي، وقيل لبيان الجواز وأن النهي للتنزيه لا للتحريم، وقيل خوطب به من يعرفها به، ولهذا جمع بينه وبين اسمه الشرعي فقال: (المدينة يثرب) ^(١) انتهى كلامه بتصرف.

وأما الأحاديث التي جاءت في النهي عن تسميتها بـ"يثرب"، وفي بعضها أطلق عليها رسول الله -ﷺ- الأسماء: (المدينة وطيبة وطابة)، فقد أخرج الإمام البخاري ومسلم وغيرهما، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: قال رسول الله -ﷺ-: "أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقَرْيَ يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ" ^(٢).

وعن زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إِنَّهَا طَيْبَةٌ يَعْنِي الْمَدِينَةَ، وَإِنَّهَا تَنْفِي الْخَبَثَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ" ^(٣).

بل رَدَّدَ -عليه الصلاة والسلام- هذا الاسم ثلاث مرّات متوالية، لما ذكر عصمة الله للمدينة المنورة من الدجال، فقال -عليه الصلاة والسلام-: "هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ، هَذِهِ طَيْبَةٌ" ^(٤). وعن جابر بن سمرة -رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ" ^(٥).

-
- (١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٣١/١٥-٣٢).
(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٥١/٤) برقم: (٤٢٤٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠/٣) برقم: (١٨٧١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٩/٤) برقم: (١٣٧٨).
(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٦٨/١٠) برقم: (١١٠٤٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٢٢/٥) برقم: (٣٠٢٨)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٦/٥) برقم: (٤٠٥٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢١/٤) برقم: (١٣٨٤).
(٤) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٠٤/٤) برقم: (٢٢٥٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٩٠/٥) برقم: (٤٠٧٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٣/٨) برقم: (٢٩٤٢).
(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢١/٤) برقم: (١٣٨٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال المباركفوري: (قوله: (تنفي الخبث) بفتح المعجمة والموحدة هو ما تلقى من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبا، والمعنى: تطرد المدينة من لا خير فيه وتخرجه)^(١).

وقال النووي: (قوله - ﷺ -: (أُمِرْتُ بِقَرِيَّةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى) معناه أمرت بالهجرة إليها واستيطانها، وذكروا في معنى أكلها القرى وجهين، أحدهما: أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر، فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها، والثاني: معناه أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتحة وإليها تساق غنائمها، وقوله - ﷺ -: (يَقُولُونَ يَثْرِبَ وَهِيَ الْمَدِينَةُ) يعني أن بعض الناس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب وإنما اسمها المدينة وطابة وطيبة، ففي هذا كراهة تسميتها يثرب، قالوا وسبب كراهة تسميتها يثرب لفظ التثريب الذي هو التوبيخ واللامعة، وسميت طيبة وطابة لحسن لفظهما، وكان - ﷺ - يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح، وأما تسميتها في القرآن يثرب فإنما هو حكاية عن قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض)^(٢).

وقد وصف النبي - ﷺ - دار الهجرة أيضاً، بأنها أرض سَبْخَة، بين حَرَّتَيْن، كما جاء ذلك من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ -: "قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، رَأَيْتُ (سَبْخَةً)^(٣) ذَاتَ نَحْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ. وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ"^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: (والحرة أرض حجارتها سود)^(٥).

فكان وصفه - ﷺ - لأرض الهجرة، على حسب تلك الرؤى التي رآها، وفيها ذكر ثلاث صفات لها: (أنها كثيفة النخل، وأنها تأكل القرى، وأنها بين حرتين).

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذني شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٣٧٣/٤).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥٤/٩-١٥٥).

(٣) السبخة: هي ذات الملح والنَّزْرُ، وجمعها سِباخ. ينظر: للهيروي، تهذيب اللغة، مرجع سابق (٨٧/٧). وينظر: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت لبنان، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٢م، (٢٤/٣).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٦/٣) برقم: (٢٢٩٧).

(٥) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٣٤/٧).

المبحث الثالث

عَرَضُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْقَبَائِلِ، وَإِسْلَامُ الْأَنْصَارِ

كان رسول الله - ﷺ - يعرض الإسلام على كل الناس، وكان يستغل موسم الحج عندما يأتي العرب إلى مكة المكرمة من كل فجٍّ عميق، فيعرض عليهم الإسلام لعله أن يجد منهم آذاناً صاغيةً وقلوباً واعية، فيؤمن به بعض وجهاء القبائل، فينشر هدايته، ويضمن ملاذاً آمناً لأتباعه من المستضعفين والمساكين، ولذلك ركّز الرسول - ﷺ - في دعوته على القبائل ورؤسائها، وكان يطلب منهم النصرة لأنّ قريشاً منعتهم من تبليغ دينه، قال جابر بن عبدالله - ﷺ -، "مُخْبِرًا عَنْ ذَلِكَ: "كَانَ يَعْضِدُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَيَقُولُ: أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي" (١).

فكان كذلك - ﷺ - لا يدع فرصة للاجتماع بالناس وتبليغهم الدعوة تفوته، وخاصة في موسم الحج عندما تُقبل القبائل إلى مكة، وكان عمّه أبو لهب يمشي وراءه يصيح في الناس محذراً منه (٢).

فاختار الله لهذا الأمر العظيم قبائل الأوس والخزرج - أهل المدينة - والذين سُموا بعد ذلك بالأنصار، لنصرتهم لرسول الله - ﷺ - ولدعوته ولأصحابه، فكانت العقبة الأولى وكان عددهم فيها اثني عشر، ومن ثم العقبة الثانية وكان عددهم سبعين وكلهم

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٥١/٧) برقم: (٧٦٨٠)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٧٦/٤) برقم: (٤٧٣٤)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٤٥/٥) برقم: (٢٩٢٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٣٨/١) برقم: (٢٠١). وصححه الألباني. ينظر: محمد ناصر الدين، بن الحانوح بن نجاتي الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، (٥٩١/٤).

(٢) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (١٩٣/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

من الأنصار، وبايعوا رسول الله - ﷺ - على نصرته إذا قدم إليهم إلى المدينة، قال (كعب بن مالك الأنصاري)^(١) - ﷺ -: "وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ"^(٢).

وانظر إلى قول كعب بن مالك - ﷺ - (تواتقنا) فهو ميثاق كان بينهم وبين رسول الله - ﷺ -، قال المباركفوري: (ليلة العقبة: هذه البيعة كانت أول الإسلام ومنشأه، وليلة العقبة ليلة بايع - ﷺ - فيها الأنصار على الإسلام والنصر، وذلك أنه - ﷺ - كان يعرض نفسه على القبائل في كل موسم ليؤمنوا به ويؤووه، فلقي رهطاً من الخزرج فأجابوه فجاء في العام المقبل اثنا عشر إلى الموسم فبايعوه عند العقبة، وهي بيعة العقبة الأولى، فخرج في العام الآخر سبعون إلى الحج فاجتمعوا عند العقبة وأخرجوا من كل فرقة نقيباً فبايعوه وهي البيعة الثانية، قوله: (حيث تواتقنا على الإسلام) أي: أخذ بعضنا على بعض الميثاق لما تبايعنا على الإسلام والجهاد. والميثاق العهد وأصله: قيد أو حبل يشد به الأسير والدابة)^(٣).

وقال النووي: (قوله: (تواتقنا) أي تبايعنا عليه وتعاهدنا، وليلة العقبة هي الليلة التي بايع رسول الله - ﷺ - الأنصار فيها على الإسلام، وأن يودوه وينصروه، وهي العقبة التي في طرف منى التي يضاف إليها جمرة العقبة وكانت بيعة العقبة مرتين في سنتين، في السنة الأولى كانوا اثني عشر، وفي الثانية سبعين كلهم من الأنصار رضي الله عنهم)^(٤).

(١) كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو ابن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، الخزرجي، العقبي، الأحدي، شاعر رسول الله - ﷺ -، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، قتال الله عليهم، شهد العقبة، وله عدة أحاديث، تبلغ الثلاثين، وقيل: كانت كنيته في الجاهلية أبا بشير، وكان من أهل الصفة، وذهب بصره في خلافة معاوية، قيل: أنه مات سنة أربعين، وقيل: سنة خمسين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٥٢٣/٢-٥٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٧٨/٥) برقم: (٣١٠٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٤/٥) برقم: (٣٨٨٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٥/٨) برقم: (٢٧٦٩).

(٣) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (١٢٠/٤).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٨٧/١٧-٨٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأخبر (عبادة بن الصامت)^(١) -رضي الله عنه-، وكان من السابقين إلى الإسلام من الأنصار عن تلك المبايعة التي كانت بينهم وبين رسول الله -ﷺ- فقال: "إِنِّي لَمِنَ النَّبَإِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-، وَقَالَ: بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا تَشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنِي، وَلَا تَسْرِقَ، وَلَا تَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَنْتَهَبَ، وَلَا نَعْصِي، فَالْجَنَّةُ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَإِنْ غَشِينَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَانَ قَضَاءُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ"^(٢).

قال المباركفوري: (قوله: (فقال: تباعوني) والمبايعة هنا عبارة عن المعاهدة، سميت بذلك تشبيهاً بالمعوضة المالية كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَلَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٣)، قرأ عليهم الآية)^(٤). وقال النووي: (فإنما كان ذلك في أول الأمر في ليلة العقبة قبل الهجرة من مكة)^(٥).

(١) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن قيس من بني عمرو بن عوف الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، شهد بدرًا، وقال ابن سعد: كان أحد النقباء بالعقبة، وأخى رسول الله -ﷺ- بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وقيل: شهد فتح مصر، وكان أمير ريع المدد، وروى عن النبي -ﷺ- كثيراً، وهو أول من ولى قضاء فلسطين. وروى ابن سعد أنه ممن جمع القرآن في عهد النبي -ﷺ-، قيل: مات بببيت المقدس، وقيل: إنه عاش إلى سنة خمس وأربعين. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٥٠٥-٥٠٧).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٨٢١/١) برقم: (١٧٢/٤)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٤٦٧/٦) برقم: (٧٢٥٢)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٠٩/٣) برقم: (١٤٣٩)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٦٢٦/٣) برقم: (٢٦٠٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٢/١) برقم: (٤٠١٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٧/٥) برقم: (١٧٠٩).

(٣) سورة التوبة الآية: (١١١).

(٤) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى، مرجع سابق (٣٢٧/٢).

(٥) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٤/١٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقد أخرج الإمام أحمد في (مسنده) ^(١)، قصة العقبة كاملةً، كما رواها جابر بن عبدالله -رضي الله عنه-، قال جابر: "مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتَّبِعُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ بَعْكَاطٍ وَمَجَنَّةً، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنَى، يَقُولُ: مَنْ يُؤْوِيَنِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مِصْرَ -كَذَا قَالَ- فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرِ غُلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْنِيكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثْنَا اللَّهَ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَأَوْفَيْنَاهُ، وَصَدَقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسَلِّمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ انْتَمَرُوا جَمِيعاً، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَأَوَدَعْنَاهُ شُعْبَ الْعَقْبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَامَ تُبَايِعُكَ، قَالَ: تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ، لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَرْوَاكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمْ الْجَنَّةُ، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ (أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ) ^(٢)، وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ،

(١) ينظر: الإمام أحمد، المسند، مرجع سابق (٣٠٥٨/٦) برقم: (١٤٦٨٠). وصححه الألباني،

ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق (١٣٣/١).

(٢) أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة ابن غنم بن مالك بن النجار، الأنصاري، السيد،

نقيب بني النجار، أبو أمانة، الخزرجي، من كبار الصحابة، توفي: شهيداً بالذبحة، فلم

يجعل النبي -ﷺ- بعده نقيباً على بني النجار، قال الواقدي: الأنصار يقولون: أول مدفون

في البقيع أسعد، والمهاجرون يقولون: أول من دفن به عثمان بن مظعون. قال ابن إسحاق:

توفي والنبي -ﷺ- يبني مسجده قبل بدر. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، وَإِنِّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةً الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعْضَكُمْ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً، فَبَيِّنُوا ذَلِكَ، فَهُوَ أَعْدَرُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَاللَّهِ لَا نَدْعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ).

فكانت تلك البيعتان هما السبب الرئيس في الهجرة والتي من بعدها تحولت الدعوة الإسلامية من الضعف إلى القوة، ووجد الصحب الكرام -رضي الله عنهم- الدار الآمنة التي يحتمون بها في المدينة المنورة عند إخوانهم الأنصار، ولننظر إلى حنق الأنصار لرسول الله -ﷺ-، ومحبة نصرته، والرفع عنه ما يلاقيه من أهله في مكة من أذية، ولننظر إلى أنهم عرفوا أن هذا الأمر ليس بالأمر السهل من بدايته، ولكنهم أبوا إلا أن يكونوا أنصار الإسلام، ولذلك أعطوا لهذا الدين من دمائهم وأولادهم وأموالهم الكثير، فرضي الله عن أنصار رسول الله -ﷺ-، وجازاهم الله خير الجزاء.

المبحث الرابع

طلّاع المهاجرين، وتحرك الرسول - ﷺ - إلى المدينة

أولاً: طلّاع المهاجرين: بعد بيعة العقبة الثانية، والتي بايع الأنصار من الأوس والخزرج رسول الله - ﷺ - على النصرة، (فكان أول رجلٍ هاجر من مكة إلى المدينة، هو أبو سلمة بن عبد الأسد)^(١)، جاء ذلك من حديث أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية - رضي الله عنها -، قالت: "أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -"^(٢).

وإنَّ أول من أرسله رسول الله - ﷺ - بعد بيعة العقبة إلى المدينة، ليكون داعية إلى الإسلام ومُعَلِّماً للقرآن هو (مصعب بن عمير)^(٣) - رضي الله عنه - فكان بذلك أول سفير في الإسلام، وكان (عبدالله بن أم مكتوم)^(٤) - رضي الله عنه - كذلك من أوائل المهاجرين، وكان هو ومصعب ممَّن يُقرئان الناس القرآن في المدينة، وكان من أوائل المهاجرين أيضاً عمار بن ياسر - رضي الله عنه -، و(بلال بن رباح) - رضي الله عنه -، وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -، ثم جاء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ومعه عشرون من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين -، أخرج

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٢٧/٧) .

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٣٧/٣) برقم: (٩١٨).

(٣) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدي، أحد السابقين إلى الإسلام، يكنى أبا عبد الله، أنعم غلام بمكة وأجوده خلة مع أبويه، أسلم قديماً والنبي - ﷺ - في دار الأرقم، وكان هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، ثم رجع إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، ثم شهد أحدًا ومعه اللواء فاستشهد. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٩٨/٦).

(٤) عبدالله بن أم مكتوم القرشي العامري، مختلف في اسمه: فأهل المدينة يقولون: عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي، العامري، وأما أهل العراق: فسموه عمرًا، وأمه أم مكتوم: هي عاتكة بنت عبد الله المخزومية، من السابقين المهاجرين، وكان ضريراً، مؤذناً لرسول الله - ﷺ - مع بلال، هاجر بعد وقعة بدر بيسير، وقد كان النبي - ﷺ - يحترمه، ويستخلفه على المدينة، فيصلي ببقايا الناس، شهد القادسية معه الراية، ثم رجع إلى المدينة، فمات بها. ينظر: المصدر السابق (٣٦٠-٣٥٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الإمام البخاري في صحيحه، من حديث (البراء بن عازب) ^(١) - رضي الله عنه، قال: "أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْنُومٍ فَجَعَلَا يُقْرَأَانَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ" ^(٢).

وكان المشركون يمنعون من قدروا على منعه من الصحابة، فكان أكثرهم يخرج سراً إلى المدينة، ولم يبق منهم بمكة إلا من غلب على أمره من المستضعفين، وقد سعت قريش بشتى الطرق إلى عرقلة الهجرة إلى المدينة، وأثارة المشاكل أمام المهاجرين، مرة بحجز أموالهم ومنعهم من حملها، ومرة بحجز زوجاتهم وأطفالهم، وثالثة بالاحتتيال لإعادتهم إلى مكة، ولكن شيئاً من ذلك كله لم يعرقل موكب الهجرة، فالمهاجرون كانوا على أتم الاستعداد للانخلاع عن أموالهم وأهلهم ودنياهم كلها تلبية لداعي العقيدة ^(٣).

فكانت تلك الطلائع الأولى التي هاجرت من أجل ربها، وتركت مكة، وبعضهم ترك فيها أهله، وماله، ولكن دين الله كان أغلى من كل شيء، واستمر مصعب بن عمير بدعوة الناس في المدينة على الإسلام وتعليمهم الدين، تمهيداً لهجرة رسول الله - ﷺ - إلى المدينة المنورة.

(١) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الأوس الأنصاري، يكنى أبا عمار، ويقال أبو عمرو، له ولأبيه صحبة، أُنْتُصِرَ يوم بدر هو وابن عمر، وشهد أحداً، وروي عنه أنه غزا مع رسول الله - ﷺ - أربع عشرة غزوة، وفي رواية خمس عشرة، وقيل: هو الذي افتتح الري سنة أربع وعشرين، وشهد غزوة تستر مع أبي موسى، وشهد البراء مع علي الجمل وصفين، وقتال الخوارج، ونزل الكوفة وابتنى بها داراً، ومات في إمارة مصعب بن الزبير. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (١/٤١١-٤١٢).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٣/١٠) برقم: (١١٦٠٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٥) برقم: (٣٩٢٤).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٢٧/٧)، وينظر: الدكتور / أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٢٠٢/١).

ثانياً: تحرك الرسول -ﷺ- إلى المدينة: أخبر الله سبحانه وتعالى عن تأمر المشركين في مكة وتشاورهم فيما بينهم على أذية رسول الله -ﷺ- إما بالتوثيق أو النفي أو القتل، وكل ذلك كان خوفاً أن يلحق رسول الله -ﷺ- بأصحابه في المدينة ويجد فيها الفرصة السانحة لنشر الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾^(١). قال الحافظ ابن كثير: (إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتثار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة الهجرة سواء، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجترأوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه)^(٢).

وقد أذن الله تعالى لرسوله بالهجرة إلى المدينة، وكان يتردد على بيت أبي بكر -رضي الله عنه- كل يوم صباحاً ومساءً، لا يكاد يدع ذلك، فلما أذن له بالهجرة جاءهم ظهراً على غير عادته وهو متقنع، فأخبر أبا بكر بذلك، واختياره وقت الظهر لأنَّ الناس تأوي إلى بيوتها للقيولة فراراً من الحر، وتقنعه يفيد شعوره بالخطر من حوله، فقد اعتزمت قريش قتله، ولابد أنها ستعمد إلى رصد تحركه^(٣).

وتُخبر أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، عن قصة الهجرة، وكيف طلب رسول الله -ﷺ- من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- البقاء في مكة من أجل أن يهاجرا معاً، وتذكر كذلك الترتيب للرحلة، والتدابير التي اتخذت من أجل الحفاظ على رسول الله -ﷺ- وعلى أبي بكر -رضي الله عنه-، ومحو آثار مشيهما، قالت عائشة -رضي الله عنها-: "هَاجَرَ نَاسٌ إِلَى الْحَبَشَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِراً، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: عَلَى رِسْلِكَ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوْ تَرْجُوهُ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ- لِحُبَّتِهِ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمْرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَقَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ -

(١) سورة الأنفال الآية: (٣٠).

(٢) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٣٨/٤).

(٣) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٢٠٧/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ﷺ - مُقْبِلًا مُتَقَنًّا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ - فَاَسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ حِينَ دَخَلَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، قَالَ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ. قَالَ: فَالْصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاِحَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: بِالنَّحْمِ قَالَتْ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتَّ الْجَهَّازِ، وَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَأَوْكَأَتْ بِهِ الْجِرَابَ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُسَمَّى ذَاتَ النِّطَاقِ، ثُمَّ لَحِقَ النَّبِيُّ ﷺ - وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ثَوْرٌ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ) ^(١)، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ لَقِنٌ تَقِفٌ، فَيَرْحَلُ مِنْ عِنْدَهُمَا سَحَرًا، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يَكَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرٍ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِهِمَا حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بَغْلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ ^(٢).

ومن هذا الحديث نستفيد أخذ الحيطة والحذر والعمل بالأسباب، وأن هذا لا ينافي التوكل على الله، وكذلك عظمة هذه الأسرة المباركة -أسرة أبي بكر- التي فيها كل فرد يخدم هذا الدين العظيم، وقد ذكر الصديق ﷺ - قصة الهجرة، ولحاق سراقاة بن مالك بهم، ودخولهم في الغار، ووصولهم إلى المدينة ليلاً، أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما، من حديث البراء بن عازب -ﷺ- قال: "جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلاً، فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثْ مَعِيَ ابْنَكَ يَحْمِلُهُ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي، فَقَالَ لِي أَبِي: احْمِلْهُ، فَحَمَلْتُهُ، وَخَرَجَ أَبِي مَعَهُ يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ

(١) عبد الله بن أبي بكر الصديق وهو عبد الله بن عبد الله بن عثمان، وهو شقيق أسماء بنت أبي بكر، معدود في الصحابة، وقيل: مات قبل أبيه، وذكر أصحاب المغازي أنه رمي بسهم، فجرح ثم اندمل ثم انتقض فمات في خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشرة. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٢٤/٤-٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٨/٥) برقم: (٣٩٠٥)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٩٨/٤) برقم: (٤٠٨٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

حَدَّثَنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا لَيْلَةَ سَرَّيْتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -؟ قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهَا، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا، يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي ظِلِّهَا، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ قَرُوءَةً، ثُمَّ قُلْتُ: نَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَلَقَيْتُهُ فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ؟ يَا غُلَامُ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ الشَّعَرِ وَالتُّرَابِ وَالْقَذَى - قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ - فَحَلَبَ لِي، فِي قَعْبٍ مَعَهُ، كُنْبَةً مِنْ لَبَنٍ، قَالَ: وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ أَرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ - ﷺ -، لِيَشْرَبَ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ -، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ، فَوَافَقْتُهُ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعْنَا سُرَاقَةَ بَنِي مَالِكٍ، قَالَ: وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْنَا، فَقَالَ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَارْتَطَمَتْ فَرْسُهُ إِلَى بَطْنِهَا، أَرَى فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوا لِي، فَاللَّهُ لَكُمْ أَنْ أُرَدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ فَدَعَا اللَّهَ، فَفَجَأَ، فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا^(١).

وفي الرواية الثانية، قال أبو بكر الصديق - ﷺ -: "فَلَمَّا دَنَا دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَسَاخَ فَرْسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهِ، وَوَثَبَ عَنْهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَلَكَ عَلَيَّ لِأَعْمِيٍّ عَلَى مَنْ وَرَائِي، وَهَذِهِ كِنَانَتِي، فَخُذْ سَهْمًا مِنْهَا، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ عَلَى إِبِلِي وَغِلْمَانِي بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي إِبِلِكَ. فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا"^(٢).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠١/٤) برقم: (٣٦١٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٤/٦) برقم: (٢٠٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٨/٧) برقم: (٥٦٠٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٤/٦) برقم: (٢٠٠٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال النووي: (قوله: (يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ) أي يستوفيه، وقائم الظهيرة نصف النهار، وهو حال استواء الشمس سمي قائماً لأن الظل لا يظهر فكأنه واقف قائم، قوله: (رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ) أي ظهرت لأبصارنا، قوله: (فَبَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً) المراد الفروة المعروفة التي تلبس، قوله: (أَنْفُضْ لَكَ مَا حَوْلَكَ) أي أفتش لئلا يكون هناك عدو، وقوله: (لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) المراد بالمدينة هنا مكة ولم تكن مدينة النبي - ﷺ - سميت بالمدينة إنما كان اسمها يثرب، هذا هو الجواب الصحيح وأما قول القاضي إن ذكر المدينة هنا وهم فليس كما قال، بل هو صحيح والمراد بها مكة، قوله: (أَفِي غَمَمِكَ لَبَنٌ) يعني اللبن المعروف هذه الرواية مشهورة، وروى بعضهم لبن بضم اللام وإسكان الباء أي شياه وذوات ألبان، قوله: (فحلب ليفي قعب معه كثيبة مِنْ لَبَنٍ قَالَ وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ أَرْتَوِي فِيهَا) القعب قدح من خشب معروف، والكثبة هي قدر الحلبة، وقيل هي القليل منه، والإدواة كالركوة وأرتوي أستقي، قوله: (وَنَحْنُ فِي جِلْدٍ مِنَ الْأَرْضِ) أي أرض صلبة، وروي جدد بدالين وهو المستوي وكانت الأرض مستوية صلبة، قوله: (فَارْتَطَمْتُ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا) أي غاصت قوائمها في تلك الأرض الجلد، قوله: (وَوَفَى لَنَا) بتخفيف الفاء، قوله: (فَسَاخَ فَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ) هو بمعنى ارتطمت، قوله: (لَأَعْمَيْنِ عَلَى مَنْ وَرَائِي) يعني لأخفين أمركم عن ورائي ممن يطلبكم وألبسه عليهم حتى لا يعلم أحد، وفي هذا الحديث فوائد، منها: هذه المعجزة الظاهرة لرسول الله - ﷺ - وفضيلة ظاهرة لأبي بكر - رضي الله عنه - من وجوه، وفيه خدمة التابع للمتبع، وفيه استحباب الركوة والإبريق ونحوهما في السفر للطهارة والشرب، وفيه فضل التوكل على الله سبحانه وتعالى وحسن عاقبته، والله أعلم^(١) انتهى بتصريف.

وفي قصتهما في الغار، ودنو المشركين منهما، وحسن توكلهما واعتمادهما على الله، قال أبو بكر - رضي الله عنه -: "نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنَّاكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا"^(٢).

قال المباركفوري: (قوله: (قلت للنبي - ﷺ - ونحن في الغار) وفي رواية للبخاري: فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم (لو أن أحدهم ينظر إلى قدميه لأبصرنا) فيه مجيء لو الشرطية للاستقبال خلافاً للأكثر، واستدل من جوزه بمجيء الفعل المضارع بعدها كقوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾^(٣)، وعلى هذا فيكون قاله حالة وقوفهم

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٤٨/١٨-١٥١).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٧٤/٥) برقم: (٣٠٩٦)، والبخاري في "صحيحه"

مرجع سابق (٤/٥) برقم: (٣٦٥٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٨/٧) برقم:

(٢٣٨١).

(٣) سورة الحجرات الآية: (٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

على الغار، وعلى قول الأكثر يكون قاله بعد مضيه شكرًا لله تعالى على صيانتهما منهم، ووقع في مغازي عروة بن الزبير في قصة الهجرة. قال: وأتى المشركون على الجبل الذي فيه الغار الذي فيه النبي - ﷺ - حتى طلوعوا فوقه، وسمع أبو بكر أصواتهم، فأقبل عليه الهم والخوف، فعند ذلك يقول له النبي - ﷺ -: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾^(١)، ودعا رسول الله - ﷺ - . فنزلت عليه السكينة، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾^(٢)، الآية. وهذا يقوي أنه قال ما في حديث الباب حينئذٍ، ولذلك أجابه بقوله: لا تحزن. فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما^(٣).

وقال النووي: (قوله: (يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا) معناه ثالثهما بالنصر والمعونة، والحفظ والتسديد، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾^(٤)، وفيه بيان عظيم توكل النبي - ﷺ - حتى في هذا المقام، وفيه فضيلة لأبي بكر - ﷺ - وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها هذا اللفظ، ومنها بذله نفسه ومفارقتة أهله وماله ورياسته في طاعة الله تعالى ورسوله وملازمة النبي - ﷺ - ومعاداة الناس فيه، ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك^(٥)).

فيتبين لنا من قصة الهجرة، أنها حدث عظيم لا ينسى أبداً، ولم تكن مجرد خروج من بلد إلى آخر، وإنما كانت خطوة لإقامة دولة للمسلمين، يُقيمون فيها هذا الدين العظيم وينشرونه في ربوع الأرض، وفيها تذكير بأهمية الثقة بالله والتوكل عليه وحسن الظن به جل في علاه، وأنه مع الحق وأهله مؤيداً لهم وناصرهم وحافظاً، وقد ذكر الله من قبل قصة موسى - ﷺ - وكيف أنه كان قوي الثقة بربه، فعندما أدركهم البحر من أمامهم وكان فرعون يطلبهم من خلفهم وقال أصحاب موسى لموسى إنا لمدركون، ردّ عليهم ردّ الواثق بربه: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٦)، فكان الله معه حقاً ونجاه الله ومن معه من المسلمين وأهلك الله فرعون وجنده، ولذلك على كل مسلم وعلى كل صاحب حق أن يثق بربه ويتوكل عليه مهما كاد له الكائدون.

(١) سورة التوبة الآية: (٤٠).

(٢) سورة التوبة الآية: (٤٠).

(٣) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (١١٧/٤).

(٤) سورة النحل الآية: (١٢٨).

(٥) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥٠/١٥).

(٦) سورة الشعراء الآية: (٦٢).

المبحث الخامس

استقبال أهل المدينة للرسول - ﷺ -

ولما جاءت الأخبار إلى أهل المدينة بمخرج رسول الله - ﷺ - من مكة مهاجراً إلى المدينة، كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردّهم حرّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم، وذكر الإمام البخاري عن ابن شهاب الزهري أنّه قال: (فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَاراً قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْماً بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوْوَا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطْمٍ مِنْ أَطَامِهِمْ، لِأَمْرِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَأَصْحَابِهِ مُبَيِّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْاشِرَ الْعَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ ربيعِ الأولِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - صَامِتاً، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ، مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يُحْيِي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ^(١)).

وقد فرح المسلمون بمقدم رسول الله - ﷺ - فرحاً شديداً، كما قال (البراء بن عازب) - ﷺ -: "قَدِمَ النَّبِيُّ - ﷺ -، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -"^(٢).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٠/٥) برقم: (٣٩٠٦).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٣/١٠) برقم: (١١٦٠٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٥) برقم: (٣٩٢٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وبعد مكوثه عند بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، عزم رسول الله -ﷺ- على دخول المدينة وأرسل إلى الأنصار ليستقبلوه فخرجوا يستقبلونه وهم متقلدون سيوفهم، ولما دخل رسول الله -ﷺ- المدينة كان الأنصار كل واحدٍ منهم يتمنى أن ينزل رسول الله -ﷺ- ضيفاً عنده، ولكن هذه المنقبة كانت لأبي أيوب الأنصاري -ﷺ-، ذكر أنس بن مالك -ﷺ-: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى مَلَأٍ بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِينَ بِسُيُوفِهِمْ، قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ، وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بِفَنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ" (١).

قال السندي: (قوله: (بني النجار) اسم قبيلة من الأنصار) (٢).

وكان أبو أيوب -ﷺ- من بني النجار أحوال أو أجداد رسول الله -ﷺ-، وقد سمّاهم -عليه الصلاة والسلام- أهله، جاء ذلك من حديث أنس بن مالك -ﷺ-، قال: "فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- جَانِبَ الْحَرَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَاءُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ -ﷺ- وَأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا، وَقَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَركبَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- وَأَبُو بَكْرٍ، وَحَقُّوا دُونَهُمَا بِالسَّلَاحِ، فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ-، فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لِيُحَدِّثُ أَهْلَهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ، يَخْتَرِفُ لَهُمْ، فَعَجَلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ -ﷺ-، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ-: أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟ فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: فَأَنْطَلِقُ فَهَيْئُ لَنَا مَقِيلًا، قَالَ: فَوَمَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ" (٣).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١٦٠/١) برقم: (١/٧٠١)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٨٩/١) برقم: (٧٨٣)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٧٢/١) برقم: (٤٥٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٦/١) برقم: (٢٣٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٢) برقم: (٥٢٤).

(٢) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (٢٥١/١).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٥١/٧) برقم: (٨١٩٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٢/٤) برقم: (٣٣٢٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال الحافظ ابن حجر: (وأطلق عليهم أهله لقربة ما بينهم من النساء لأن منهم والدة عبد المطلب جده، وهي سلمى بنت عوف من بني مالك بن النجار، ولهذا جاء في حديث البراء أنه -ﷺ- نزل على أخواله أو أجداده من بني النجار، وأبو أيوب هو خالد بن زيد بن كليب من بني النجار وبنو النجار من الخزرج بن حارثة)^(١).

وقد أكرم أبو أيوب رسول الله -ﷺ- خير إكرام، وكان يحرص كل الحرص أن يأخذ رسول الله -ﷺ- راحته في بيته، وكان يجتنب أي طعام يكرهه رسول الله -ﷺ- فلا يُقرِّبه له ولا يضعه في طعامه، بل كان يتحرَّج أن يكون هو وأهله في علو البيت ورسول الله -ﷺ- في أسفله، فما زال يلحُّ على رسول الله -ﷺ- حتى رضي أن يسكن هو في علو البيت وأبو أيوب في أسفله، وكان يتتبع أماكن أصابع رسول الله -ﷺ- فيما فضل من الطعام تبرُّكاً به -ﷺ-، فما هو أبو أيوب الأنصاري -ﷺ- يُحدِّث عن ذلك فيقول: "أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- نَزَلَ عَلَيْهِ، فَتَرَلَ النَّبِيَّ -ﷺ- فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ، قَالَ: فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمَشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: السُّفْلُ أَرْفَقُ، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ -ﷺ- فِي الْعُلُوِّ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ، فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ -ﷺ- طَعَاماً فَإِذَا جِيَءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَاماً فِيهِ ثُومٌ، فَلَمَّا رَدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ. قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ -أَوْ مَا كَرِهْتَ-، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يُؤْتِي"^(٢).

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٥٢/٧).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٤٨/٥) برقم: (٥٩٩٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٦/٦) برقم: (٢٠٥٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال القرطبي: (قوله: أحرام الثوم؟ هذا سؤال من يعتقد: أن النبي -ﷺ- إذا ترك أكل شيء جرت العادة بأكله كان ذلك دليلاً على تحريمه، ولذلك أجابه النبي -ﷺ- بقوله: (لا)، وهو رد على من يقول من أهل الظاهر: إنه حرام، يمنع حضور الجماعات للصلاة. وقد تقدم الكلام على هذا في كتاب الصلاة. و(قوله: ولكني أكرهه) هذا يدل: على كراهة أكل الثوم وإن كان مطبوخاً. وقد تقدم قول عمر -رضي الله عنه- فمن أكلهما فليمتهما طبخاً. وإنما كان النبي -ﷺ- يكرههما مطلقاً لخصوصيته بمناجاة الملائكة، ولذلك قال في بعض الحديث: (فإني أناجي من لا تتاجي). و(قول أبي أيوب: فإني أكره ما تكره) فيه جواز الامتناع من المباح، وإطلاق اسم الكراهة عليه، وإن لم يكن مطلوب الترك. وإنما تخرج أبو أيوب من البقاء في العلو الذي كان النبي -ﷺ- تحت؛ إعظاماً للرسول -ﷺ-، واحتراماً عن أن يعلوه، وإمكان أن يسقط من العلو شيء عند حركتهم في العلو، فيؤذي النبي -ﷺ-. و(قوله -ﷺ-: السفل أرفق بنا) يعني بذلك من جهة الصعود إلى العلو، وبما يلحق في تكرار ذلك من المشقة، ومع ذلك فتجشمها النبي -ﷺ- لما رأى صدق أبي أيوب في احترامه، وعزمه على ألا يسكن العلو بوجه، فلو لم يجبه إلى ذلك لانتقل منه أبو أيوب إلى موضع آخر، وربما تكثر عليه المشقة، والحر، فأثر موافقته على المشقة اللاحقة له في الصعود. و(قوله: كان -ﷺ- يؤتى) قد فسره الراوي بقوله: يعني: يأتيه الوحي. ومعناه: يؤتى بالوحي؛ أي: يجاء إليه به. والوحي: ما يبلغه عن الله تعالى مما يبلغه جبريل عليه السلام^(١).

وقال النووي: (قوله في الثوم: (فَسَأَلْتُهُ أَحْرَامٌ هُوَ؟ قَالَ لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ) هذا تصريح بإباحة الثوم وهو مجمع عليه، لكن يكره لمن أراد حضور المسجد أو حضور جمع في غير المسجد أو مخاطبة الكبار، ويلحق بالثوم كل ماله رائحة كريهة، قوله: (وَكَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يُؤْتَى) معناه تأتيه الملائكة والوحي كما جاء في الحديث الآخر إني أناجي من لا تتاجي وأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وكان -ﷺ- يترك الثوم دائماً لأنه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة، قوله: (كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ أَكَلَ مِنْهُ وَبَعَثَ بِفَضْلِهِ إِلَيَّ) قال العلماء: في هذا إنه

(١) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٣٢٧/٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

يستحب للآكل والشارب أن يفضل مما يأكل ويشرب فضلة ليواسي بها من بعده لاسيما إن كان ممن يتبرك بفضلته، وكذا إذا كان في الطعام قلة ولهم إليه حاجة، قوله: (نَزَلَ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي السُّفْلِ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ.....) أما نزوله - ﷺ - - أولاً في السفلى فقد صرح بسببه وأنه أرفق به وبأصحابه وقاصديه، وأما كراهة أبي أيوب فمن الأدب المحبوب الجميل، وفيه إجلال أهل الفضل والمبالغة في الأدب معهم، وفيه منقبة ظاهرة لأبي أيوب الأنصاري - ﷺ - من أوجه: منها نزوله - ﷺ - ، ومنها أدبه معه، ومنها موافقته في ترك الثوم، وقوله: (إِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ) ومن أوصاف المحب الصادق أن يحب ما أحب محبوبه ويكره ما كره، قوله: (فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - طَعَامًا فَإِذَا جِيَءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَّبِعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ) يعني إذا بعث إليه فأكل منه حاجته ثم رد الفضلة أكل أبو أيوب من موضع أصابع النبي - ﷺ - تبركاً، قوله: (فَقِيلَ لَهُ لَمْ يَأْكُلْ فَفَرَعَ) يعني فزع لخوفه أن يكون حدث منه أمر أوجب الامتناع من طعامه، والله أعلم^(١) انتهى بتصرف.

فانظر كيف فرح أهل المدينة بقدوم رسول الله - ﷺ - إليهم وخرجوا وهم يقولون: جاء نبي الله ويرددونها، وكيف أنهم أتوه أول ما طلبهم وهم جاهزون بأسلحتهم ويمشون من على يمينه وشماله وكأنهم سور منيع حول رسول الله - ﷺ - أن لا يصيبه مكروه، وهذا كله حباً وتصديقاً له - عَلَيْهِ السَّلَام - ، وكذلك وفاء بالعهد الذي قطعه الأنصار على نفسها في بيعة العقبة، وكذلك الفضل العظيم لأبي أيوب الأنصاري - ﷺ - بأن نَزَلَ رسول الله - ﷺ - ضيفاً عنده ولمدة سبعة أشهر، فأكرم رسول الله خير إكرام - ﷺ - .

(١) ينظر: النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٩/١١-١١).

المبحث السادس

بناء مسجد قباء، والمسجد النبوي

أولاً: بناء مسجد قباء: لما نزل رسول الله - ﷺ - (بعباء)^(١)، وفي وقت إقامته هناك أسس مسجد قباء^(٢)، وهو أول مسجد بناه رسول الله - ﷺ - في المدينة، قال ابن القيم وهو يذكر دخول رسول الله - ﷺ - إلى المدينة: (وكبر المسلمون فرحاً بقدومه، وخرجوا للقاءه، فسار حتى نزل بعباء، فأقام في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس بعد النبوة)^(٣).

وقال العلامة (الشنقيطي)^(٤): (ومن حيث الأولوية النسبية، فالمسجد الحرام أول بيت وضع للناس، ومسجد قباء أول مسجد بناه المسلمون، والمسجد الحرام بناه الخليل، ومسجد قباء بناه خاتم المرسلين، والمسجد الحرام كان مكانه باختيار من الله، وشببه به مكان مسجد قباء)^(٥).

وقد جاء ذكر مسجد قباء في القرآن الكريم، ومدح الله أهله على حبهم للطهارة، وجاء ذلك في سياق ذكر مسجد ضرار وتآمر المنافقين في بنيانه، ففضحهم الله لنبيّه

(١) قال الإمام شهاب الدين ياقوت بن الرومي الحموي: (قُبا: بالضم: وأصله اسم بئر هناك عُرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة). ينظر: الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق (٣٠١/٤-٣٠٢).

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٤٩٤/١).

(٣) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق (٥٢/٣).

(٤) الشنقيطي هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر ومدرس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد وتعلم بها، وحج (١٣٦٧هـ)، واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض (١٣٧١هـ)، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١هـ) وتوفي بمكة، له كتب، منها: (أضواء البيان في تفسير القرآن)، و(منع جواز المجاز)، و(آداب البحث والمناظرة)، و(ألفية في المنطق)، ولد عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، وتوفي عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٤٤/٦-٤٥).

(٥) ينظر: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الطبعة: (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، (٣٢٦/٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وذكر له أنَّ المسجد الذي أحقَّ أن تقوم فيه هو مسجد قباء لأنَّه أول مسجد أسَّس على التقوى، وقد كان المنافقون بنو مسجد ضرار بقباء، قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(١).

واختلف العلماء في المسجد الذي أسَّس على التقوى، فمنهم من يقول إنَّه مسجد قباء، ومنهم من يقول أنه المسجد النبوي، وقد ذكر ابن حجر في الفتح أنَّها نزلت في المسجدين: (النبوي، وقباء)، وذكر أيضاً أنَّ قول الجمهور أنَّها نزلت في مسجد قباء وهو ظاهر الآية، وجمع بين الأقوال فقال: (والحق أن كلا منهما أسَّس على التقوى، وقوله تعالى في بقية الآية: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يؤيد كون المراد مسجد قباء، وعند أبي داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن النبي -ﷺ- قال: "نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا في أهل قباء"^(٢)، وعلى هذا فالسر في جوابه -ﷺ- بأن المسجد الذي أسَّس على التقوى مسجده رفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء)^(٣).

وقال العلامة الشنقيطي في تفسيره: (وقيل: إن حديث مسلم في خصوص مسجد النبي -ﷺ-، جاء رداً على اختلاف رجلين في المسجد المعني بها، فأراد -ﷺ- أن يبين لهم أن الآية ليست خاصة بمسجد قباء، وإنما هي عامة في كل مسجد أسَّس على التقوى، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو معلوم في الأصول؛ وعليه فالآية إذا اشتملت وتشتمل على كل مسجد أينما كان، إذا كان أساسه من أول يوم بنائه على التقوى، ويشهد لذلك سياق الآية بالنسبة إلى ما قبلها وما بعدها، فقد جاءت قبلها قصة مسجد الضرار بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا

(١) سورة التوبة الآية: (١٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٦/١) برقم: (٤٤)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٧٧/٥) برقم: (٣١٠٠)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٣٤/١) برقم: (٣٥٧).

(٣) ينظر: الحافظ الحجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٤٥/٧).

وَتَقَرِّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِصْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾. ومعلوم أن مسجد الضرار كان بمنطقة قباء، وطلبوا من الرسول - ﷺ - أن يصلي لهم فيه تبركاً في ظاهر الأمر، وتقريراً لوجوده يتذرعون بذلك، ولكن الله كشف عن حقيقتهم. وجاءت الآية بمقارنة بين المسجدين، فقال تعالى له: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ ﴿٢﴾. وجاء بعد ذلك مباشرة للمقارنة مرة أخرى أعم من الأولى في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِيَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. لا يزال بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴿٣﴾. وبهذا يكون السبب في نزول الآية هو المقارنة بين مبدئين متغايرين، وأن الأولوية في الآية في قوله: من أول يوم، أولوية نسبية، أي: بالنسبة لكل مسجد في أول يوم بنائه، وإن كان الظاهر فيها أولوية زمانية خاصة، وهو أول يوم وصل - ﷺ - المدينة، ونزل بقباء، وتظل هذه المقارنة في الآية موجودة إلى ما شاء الله في كل زمان ومكان كما قدمنا ﴿٤﴾.

وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه، عن ابن شهاب الزهري أنه حدثه عروة بن الزبير وذكر قصة هجرة رسول الله - ﷺ - ولقائه بالزبير..... ثم قال عروة: (فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -) ﴿٥﴾.

وأما الإمام مسلم فيرى أن المسجد الذي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى هو مسجد رسول الله - ﷺ - ولذلك قال في صحيحه: (باب بيان أن المسجد الذي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى هو

(١) سورة التوبة الآية: (١٠٧).

(٢) سورة التوبة الآية: (١٠٨).

(٣) سورة التوبة الآية: (١٠٩-١١٠).

(٤) ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مرجع سابق (٣٢٣/٨ - ٣٢٤).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٠/٥) برقم: (٣٩٠٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

مسجد النبي - ﷺ - بالمدينة) وأخرج عنه حديث أبي سعيد الخدري - ﷺ -، قال: "دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ" (١).

قال المباركفوري: (والحديث دليل على أن المسجد الذي أسس على التقوى هو المسجد النبوي) (٢).

وقال بهذا النووي فقال: (قوله - ﷺ -: (هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ) هذا نص بأنه المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في القرآن ورد لما يقول بعض المفسرين أنه مسجد قباء، وأما أخذه - ﷺ - الحصباء وضربه في الأرض فالمراد به المبالغة في الإيضاح لبيان أنه مسجد المدينة والحصباء بالمد الحصى الصغار) (٣).

ثانياً: بناء المسجد النبوي: وبعد مكوث رسول الله عند بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة، سار - ﷺ - إلى المدينة، وكان قد تلقاه الأنصار امتثالاً لأمره - ﷺ - عندما أرسل إليهم، وهناك أَمَرَ بِأَنْ يُبْنَى المسجد النبوي الشريف، قال أنس بن مالك - ﷺ -: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى مَلَائِكةِ بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِينَ بِسُيُوفِهِمْ، قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ، وَمَلَائِكةُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بِفَنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِالْمَسْجِدِ، قَالَ فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَائِكةِ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا، فَقَالَ: يَا بَنِي النَّجَّارِ، تَأْمِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا، قَالُوا: لَا، وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ نَمْنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ: كَانَ فِيهِ نَخْلٌ وَقُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَخَرِبٌ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، وَبِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْخَرِبِ فَسَوِّيَتْ، قَالَ: فَصَفَّوْا النَّخْلَ قِبْلَةً، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ حِجَارَةً، قَالَ: فَكَانُوا يَرْتَجِرُونَ،

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١٥٩/١) برقم: (١/٦٩٦)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٨٧/١) برقم: (٧٧٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٥٥/١) برقم: (٣٢٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٦/٤) برقم: (١٣٩٨).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٢٦٨/٢).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٦٩/٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَعَهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ، فَانْصُرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ^(١).

قال الآبادي: (قوله: (في علو المدينة) بالضم؛ وهي العالية (في حي) وهي القبيلة، وجمعها أحياء (فأقام فيهم أربع عشرة ليلة) ثم خرج، قال الحافظ: وهو الصواب من هذا الوجه. انتهى، وهذه رواية الأكثرين. (ثم أرسل إلى بني النجار) قال العيني: وبني النجار هم بنو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الجموح، والنجار قبيل كبير من الأنصار، وتيم اللات هو النجار؛ سمي بذلك لأنه اختتن بقدوم، وقيل: بل ضرب رجلاً بقدوم فجرحه. انتهى، وقال الحافظ: إنما طلب بني النجار لأنهم كانوا أخوال عبد المطلب لأن أمه سلمى منهم، فأراد النبي - ﷺ - النزول عندهم لما تحول من قباء، والنجار بطن من الخزرج واسمه تيم اللات بن ثعلبة. (فجاءوا متقلدين سيوفهم) التقلد جعل نجاد السيف على المنكب (على راحلته) الراحلة المركب من الإبل ذكراً كان أو أنثى، وكانت راحلته ناقة تسمى القصواء؛ قاله العيني. (وأبو بكر ردفه) قال الحافظ: كان النبي - ﷺ - أردفه تشريفاً له وتتويهاً بقدرة وإلا كان لأبي بكر ناقة هاجر عليها، انتهى. وقال العيني: الردف: المرتدف وهو الذي يركب خلف الراكب، وكان لأبي بكر ناقة فلعله تركها في بني عمرو بن عوف لمرض أو غيره ويجوز أن يكون ردها إلى مكة ليحمل عليها أهله، وثم وجه آخر حسن وهو أن ناقته كانت معه ولكنه ما ركبها لشرف الارتداف خلفه لأنه تابعه والخليفة بعده (وملاً بني النجار حوله) والملاً أشرف القوم ورؤساؤهم؛ سمووا بذلك لأنهم مليء بالرأي والغناء، والملاً الجماعة والجمع أملاء (حتى ألقى) أي: حتى ألقى رحله، يقال: ألقى الشيء؛ إذا طرحته (بفناء أبي أيوب) أي: بفناء دار أبي أيوب. الفناء: سعة أمام الدار، والجمع أفنية. واسم أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري. قال الحافظ: والفناء الناحية المتسعة أمام الدار (في مريض الغنم)

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١٦٠/١) برقم: (١/٧٠١)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٨٩/١) برقم: (٧٨٣)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١/١٧٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٦/١) برقم: (٢٣٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٢) برقم: (٥٢٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أي أماكنها، وهو جمع مريض بكسر الميم (وإنه أمر) بكسر الهمزة في إن لأنه كلام مستقل بذاته؛ أي أن النبي -ﷺ- أمر ببناء المسجد (ثامنوني) أي: بيعونه بالثمن. قال الحافظ: أي اذكروا لي ثمنه لأذكر لكم الثمن الذي أختاره. قال ذلك على سبيل المساومة، فكأنه قال: ساوموني في الثمن (بحائطكم هذا) الحائط هاهنا البستان، يدل عليه قوله: وفيه نخل، وبالنخل فقطع (لا نطلب ثمنه إلا إلى الله) قال الحافظ: تقديره لا نطلب الثمن، لكن الأمر فيه إلى الله، أو إلى بمعنى من، وظاهر الحديث أنهم لم يأخذوا منه ثمنًا، وخالف في ذلك أهل السير، انتهى. والمعنى: لا نطلب منك الثمن، بل نتبرع به ونطلب الثمن -أي الأجر- من الله تعالى (وكان فيه) أي: في الحائط الذي بني في مكانه المسجد، (عضادتيه) تشية عضادة؛ عن صاحب العين أعضاء كل شيء ما يشده من حواليه من البناء وغيره مثال عضاد الحوض وهي صفائح من حجارة ينصب على شفيره. وفي التهذيب للأزهري: عضادتا الباب الخشبستان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله؛ قاله العيني (ينقلون الصخر) أي: الحجارة (وهم يرتجزون) أي يتعاطون الرجز من الرجز وهو ضرب من الشعر (معهم) جملة حالية؛ أي: والنبي -ﷺ- يرتجز معهم (اللهم) معناه: يا الله. قال الحافظ: في الحديث جواز التصرف في المقبرة المملوكة بالهبة والبيع، وجواز نبش القبور الدارسة إذا لم تكن محترمة، وجواز الصلاة في مقابر المشركين بعد نبشها وإخراج ما فيها، وجواز بناء المساجد في أماكنها، انتهى. قلت: فيه جواز الإرداف، وفيه جواز الصلاة في مرابض الغنم^(١).

وقال النووي: (قوله: (أَرْسَلَ إِلَى مَلَأِ بَنِي النَّجَّارِ) يعني أشرافهم، قوله -ﷺ-: (يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ) أي بايعوني، قوله: (قَالُوا لَا وَاللَّهِ مَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ) هذا الحديث كذا هو مشهور في الصحيحين وغيرهما وذكر محمد ابن سعد في الطبقات عن الواقدي أن النبي -ﷺ- اشتراه منهم بعشرة دنانير دفعها عنه أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، قوله: (كَانَ فِيهِ نَخْلٌ وَقُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَحَرِبٌ) هو ما تخرب من البناء، قوله: (فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِالنَّخْلِ فَقُطِعَ) فيه جواز قطع الأشجار المثمرة

(١) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (١/١٧٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

للحاجة والمصلحة لاستعمال خشبها أو ليغرس موضعها غيرها أو لخوف سقوطها على شيء تتلفه أو لاتخاذ موضعها مسجداً أو قطعها في بلاد الكفار إذا لم يرج فتحها؛ لأن فيه نكايَةً وغيظاً لهم وإضعافاً وإرغاماً، قوله: (وَيَقْبُرُ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ) فيه جواز نبش القبور الدارسة وأنه إذا أزيل ترابها المختلط بصديدهم ودمائهم جازت الصلاة في تلك الأرض وجواز اتخاذ موضعها مسجداً إذا طيبت أرضه، قوله: (وَجَعَلُوا عِضَادَتِيهِ حِجَارَةً) العضادة بكسر العين هي جانب الباب، قوله: (وَكَانُوا يَرْتَجِرُونَ) فيه جواز الارتجاز وقول الأشعار في حال الأعمال والأسفار ونحوها لتنشيط النفوس وتسهيل الأعمال والمشي عليها، قوله: (إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ) قال أهل اللغة: هي مباركها ومواضع مبيتها ووضعها أجسادها على الأرض للاستراحة^(١).

وقد جاء في البخاري ذكرُ برك ناقة رسول الله - ﷺ - في مكان المسجد وأنه كان لغلامين في المدينة اسمهما (سهل وسهيل)^(٢)، وأن رسول الله - ﷺ - أعطاهما ثمن الأرض بعد أن كانا رافضين قبول الثمن بل وهباه لله، ولكنه - ﷺ - أبى إلا أن يعطيتهما ثمنه، فعن ابن شهاب أن (عروة بن الزبير)^(٣) أخبره عن قصة الهجرة وجلس

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٦/٥-٨).

(٢) سهل وسهيل هما أبناء رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم، وهما صاحبا المريد الذي بني فيه مسجد رسول الله - ﷺ -، وكان ينتميان لأبي أمامة أسعد بن زرارة، ولم يشهد سهل بدرأ، وأما سهيل فقد شهد بدرأ، وأحدأ، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ -، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب - ﷺ -، وليس له عقب. ينظر: لابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣/٣٧٢). وينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (٢/٥٨٣).

(٣) عروة ابن الزبير بن العوام، ابن حواري رسول الله - ﷺ -، الإمام، عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي، الأسدي، المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة، حدث عن: أبيه بشيء يسير؛ لصغره، وعن: أمه؛ أسماء بنت أبي بكر الصديق، وعن: خالته؛ أم المؤمنين عائشة، ولزمها، وتفقه بها، ولد عروة سنة ثلاث وعشرين، وتوفي وهو ابن سبع وستين سنة، سنة ثلاث وتسعين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤/٤٢١-٤٣٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

رسول الله - ﷺ - عند بني عمرو بن عوف، ثم قال عروة: (ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكْتَ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ - ﷺ - بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مَرِيداً لِلتَّمَرِ، لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجَرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتُهُ: هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ.

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا (بِالْمَرِيدِ)^(١)، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِداً، فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهْبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِداً، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبَنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبَنَ: هَذَا حِمَالٌ لَا حِمَالَ خَيْرَ، هَذَا أَبَرُّ رَيْبًا وَأَطْهَرُ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجَرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ، فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَالْمُهَاجِرَةَ فَتَمَثَّلَ بِشَعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شَعْرِ تَامٍ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ^(٢).

وهكذا تم بناء المسجدين، مسجد قباء والمسجد النبوي، وهذا كان من أول أعماله التي قام بها - ﷺ - عندما وصل إلى المدينة بناء المساجد، ليعطي لأُمَّته درساً عن أهمية المسجد وأنه اللبنة الأولى التي لا بد أن تكون في بناء أي مجتمع، ففيه يجتمع المسلمون وفي اجتماعهم هذا خير عظيم، فديننا دين الجماعة والألفة والمحبة، وفيه يتعلم المسلمون أمور دينهم فيعرفون الأحكام الشرعية والحلال من الحرام فيعبدوا ربهم على بصيرة وهدى، لا على جهالة وعمى، وفيه التشاور في أمور المسلمين الطارئة والعارضة فلا يتخذ أهل الإسلام القرار إلا بعد أن يتشاوروا فيما بينهم ويشترك أهل الحل والعقد في الأمر، وفي المسجد خلوة القلب بربه وخالقه واستراحة الجسد بعبادة الله جل في علاه فيستريح الجسد وينشرح الصدر، فيعيش المؤمن حياة الطمأنينة والراحة والسكينة.

(١) قال ابن منظور: مرید التمر: جرينه الذي يوضع فيه بعد الجداد ليبيس، قال أبو عبيد: والمرید أيضاً موضع التمر مثل الجرين، فالمرید بلغة أهل الحجاز والجرين لهم أيضاً، قال الجوهري: وأهل المدينة يسمون الموضع الذي يجفف فيه التمر لينشف مریداً. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق (١٧١/٣).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٠/٥) برقم: (٣٩٠٦).

المبحث السابع

لقاء عبدالله بن سلام

عبدالله بن سلام صاحب رسول الله - ﷺ -، قال عنه الذهبي: (الإمام، الحبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي - ﷺ -) (١).

وكان - ﷺ - من علماء اليهود، وهو من يهود بني قينقاع كما أخرج ذلك الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما، عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: "وَأَجَلَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ، بَنِي قَيْنِقَاعَ، وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ" (٢).

وهو من أول أسلم من اليهود عند قدوم رسول الله - ﷺ - إلى المدينة كما قال أنس بن مالك - ﷺ - وهو يتحدث عن نزول رسول الله - ﷺ - ضيفاً على أبي أيوب: "فَإِنَّهُ لَيَحْدُثُ أَهْلُهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ، يَخْتَرِفُ لَهُمْ، فَعَجَلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ - ﷺ -، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ -: أَيُّ بَيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ. فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا، قَالَ: قَوْمًا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ، فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمْتُ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلُهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ. فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيَلَكُمْ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَاسْأَلُوا، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ - ﷺ -: قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ: فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟ قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ، فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -" (٣).

(١) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤١٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٨/٥) برقم: (٤٠٢٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٩/٥) برقم: (١٧٦٦).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٥١/٧) برقم: (٨١٩٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٢/٤) برقم: (٣٣٢٩).

فكان إسلامه -ﷺ- حُجَّةً قويةً على اليهود لأنَّه لم يكن رجلاً عادياً بينهم بل هو عالمهم وحبرهم، وأراد الله به خيراً فصَدَعَ بالحق بينهم وأسلم بين يدي رسول الله -ﷺ- لما تَبَيَّنَ الحق الذي عنده، وقد عرف أنَّ قومه قومٌ بُهتَ وكذبَ فكان يعرف أَلَا عِيْبَهُمْ، ولما زنى يهودي بيهودية وأُتِيَ بهما عند رسول الله -ﷺ- أرادوا أن يُخَفُوا آيةَ الرجم من التوراة، وقام أحد اليهود بوضع يده على آية الرجم، فكشف أمره عبدالله بن سلام -رضي الله عنه-، جاء ذلك من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- حَتَّى جَاءَ يَهُودَ، فَقَالَ: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ عَلَى مَنْ زَنَى؟ قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا، وَنُحْمَلُهُمَا، وَنُخَالِفُ بَيْنَ وَجُوهِهِمَا، وَيُطَافُ بِهِمَا، قَالَ: فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَجَاءُوا بِهَا فَفَرَعُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَمَا وَرَاءَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَرَّةً فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ، فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، فَرَجَمَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ" (١).

قال المباركفوري: (قوله: (رجم يهودياً وبهودية) فيه دليل لمن قال: إن حد الزنا يقام على اليهود كما يقام على المسلمين، وأن الإسلام ليس بشرط في الإحصان، كما ذهب إليه الشافعي، وأحمد، وعند أبي حنيفة، وغيرهم) (٢).

وقال النووي: (قوله: (إن النبي -ﷺ- أتى بيهودي وبهودية قد زنيا -إلى قوله- فرجما) في هذا دليل لوجوب حد الزنا على الكافر، وأنه يصح نكاحه لأنه لا يجب الرجم إلا على محسن، فلو لم يصح نكاحه لم يثبت إحصانه، ولم يرجم، وفيه أن الكفار مخاطبون بفروع الشرع وهو الصحيح، وقيل: لا يخاطبون بها، وقيل: إنهم

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٤١/٦) برقم: (٧١٧٥)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٦٢/٤) برقم: (٤٤٤٦)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٠٦/٣) برقم: (١٤٣٦)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٥٩١/٣) برقم: (٢٥٥٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٨/٢) برقم: (١٣٢٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢١/٥) برقم: (١٦٩٩).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى، مرجع سابق (٣٢٥/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

مخاطبون بالنهي دون الأمر، وفيه أن الكفار إذا تحاكموا إلينا حكم القاضي بينهم بحكم شرعنا، وقال مالك: لا يصح إحسان الكافر. قال: وإنما رجمهما لأنهما لم يكونا أهل ذمة، وهذا تأويل باطل، لأنهما كانا من أهل العهد، ولأنه رجم المرأة. قوله -ﷺ-: (فقال ما تجدون في التوراة؟) قال العلماء: هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم، فإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم، ولعله -ﷺ- قد أوحى إليه أن الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء، أو أنه أخبره بذلك من أسلم منهم، ولهذا لم يخف ذلك عليه حين كتّموه، قوله: (نسود وجوههما ونحملهما) هكذا هو في أكثر النسخ (نحملهما) بالحاء واللام، وفي بعضها (نجلهما) بالجيم، وفي بعضها (نحممهما) بميمين وكله متقارب، فمعنى الأول: نحملهما على الحمل، ومعنى الثاني: نجلهما جميعاً على الجمل، ومعنى الثالث: نسود وجوههما بالحمم -بضم الحاء وفتح الميم- وهو الفحم، وهذا الثالث ضعيف؛ لأنه قال قبله نسود وجوههما، فإن قيل: كيف رجم اليهوديان، بالبينة أم بالإقرار؟ قلنا: الظاهر أنه بالإقرار، وقد جاء في (سنن أبي داود وغيره أنه شهد عليهما أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها)^(١)، فإن صح هذا فإن كان الشهود مسلمين فظاهر، وإن كانوا كفاراً فلا اعتبار بشهادتهم، ويتعين أنهما أقرأ بالزنا^(٢).

فرضي الله عن عبدالله بن سلام الرجل الذي خالف قومه وماهم عليه من التحريف والتغيير لما نزل من عند الله في كتبهم، ولذلك نال شرف صحبة رسول الله -ﷺ-، وعُرف قدره بين الصحابة والعاقبة للمتقين.

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٢٦٦/٤) برقم: (٤٤٥٢)، وصححه محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، في صحيح وضعيف سنن أبي داود، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية -المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث، (ص٢).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٣٥١/١١).

المبحث الثامن

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

من أول الأعمال التي قام بها النبي -ﷺ- أول قدومه إلى المدينة المؤاخاة بين المهاجرين القادمين من مكة والأنصار أهل المدينة، وهذا يُبين أهمية الإخوة في الله عز وجل وضرورتها، وكما أن المجتمع المدني لم يكن يسكنه المسلمون فحسب، بل كان هناك (مشركون ومنافقون ويهود)، فكان لابد أن تكون هناك رابطة قوية بين المسلمين فكانت المؤاخاة، وكان أنس بن مالك -رضي الله عنه- يُسميها حلفاً، قال -ﷺ- وأرضاه: "حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِي دَارِهِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ، وَلَمَّا سَأَلُوهُ: بَلَّغَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-، قَالَ: لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ: قَدْ حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَيْنَ قُرَيْشٍ، وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِهِ"^(١).

بل كانوا -رضي الله عنهم- يتوارثون بهذه الإخوة حتى تُسخ هذا التوريث وبقيت أخوة النصرة والرفادة والنصيحة، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى﴾^(٢)، قَالَ: وَرِثَةً: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ﴾^(٣)، قَالَ: كَانَ الْمُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، يَرِثُ الْمُهَاجِرُ الْأَنْصَارِي دُونَ ذَوِي رَحْمِهِ، لِلْأَخُوَّةِ الَّتِي أَخَى النَّبِيُّ -ﷺ- بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى﴾^(٤) نَسَخْتُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ﴾^(٥)، إِلَّا النَّصْرَ، وَالرَّفَادَةَ، وَالنَّصِيحَةَ، وَقَدْ ذَهَبَ الْمِيرَاثُ، وَيُوصِي لَهُ"^(٦).

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٩٠/٣) برقم: (٢٩٢٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٦/٣) برقم: (٢٢٩٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٣/٧) برقم: (٢٥٢٩).

(٢) سورة النساء الآية: (٣٣).

(٣) سورة النساء الآية: (٣٣).

(٤) سورة النساء الآية: (٣٣).

(٥) سورة النساء الآية: (٣٣).

(٦) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٣٥/٦) برقم: (٦٣٨٤)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٨٨/٣) برقم: (٢٩٢١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٥/٣) برقم: (٢٢٩٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فسبحان الله الذي ألّف بين قلوبهم وجمعهم جميعاً تحت راية الإسلام، وجعل هذه الإخوة فيما بينهم أقوى من أخوة النّسب والبلاد وغيرها، قال النووي: "وحديث أنس آخى رسول الله -ﷺ- بين قريش والأنصار في داري بالمدينة قال القاضي قال الطبري: لا يجوز الحلف اليوم فإن المذكور في الحديث والموارثة به وبالمؤاخاة كله منسوخ، لقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(١)، وقال بعض العلماء: كان التوارث بالحلف ففسخ بآية الموارث، قلت: أما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء، وأما المؤاخاة في الإسلام والمخالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق فهذا باق لم ينسخ، وهذا معنى قوله -ﷺ- في هذه الأحاديث: وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة، وأما قوله -ﷺ- (لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ) فالمراد به حلف التوارث والحلف على ما منع الشرع منه، والله أعلم^(٢).

وقد آخى الرسول -ﷺ- بين الصحابييين الجليلين: (أبي عبيدة بن الجراح وأبي طلحة الأنصاري)، كما ذكر أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- آخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ"^(٣) -رضي الله عنهم-.

قال القرطبي: (المؤاخاة: مفاعلة من الأخوة، ومعناها: أن يتعاقد الرجلان على التناصر والمواساة، والتوارث حتى يصيرا كالأخوين نسباً، وقد يسمى ذلك: حلفاً، كما قال أنس -رضي الله عنه-: قد حالف رسول الله -ﷺ- بين قريش والأنصار في داره بالمدينة، وكان ذلك أمراً معروفاً في الجاهلية، معمولاً به عندهم، ولم يكونوا يسمونه إلا حلفاً، ولما جاء الإسلام عمل النبي -ﷺ- به، وورث به على ما حكاه أهل السير، وذلك أنهم قالوا: إن رسول الله -ﷺ- آخى بين أصحابه مرتين: بمكة قبل الهجرة، وبعد الهجرة. قال أبو عمر: والصحيح عند أهل السير والعلم بالآثار والخبر في المؤاخاة التي عقدها رسول الله -ﷺ- بين المهاجرين والأنصار حين قدومه إلى المدينة بعد بنائه المسجد على المواساة والحق، فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات، حتى نزلت: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(٤)، فأخى رسول الله -ﷺ- بين علي بن أبي طالب ونفسه^(٥).

(١) سورة الأنفال الآية: (٧٥).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٦/٨١-٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٣/٧) برقم: (٢٥٢٨).

(٤) سورة الأنفال الآية: (٧٥).

(٥) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٤/٤٧٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وآخى - عليه الصلاة والسلام - بين عبدالرحمن بن عوف و(سعد بن الربيع)^(١) - رضي الله عنهما -، وقد ضرب سعد بن الربيع - عليه السلام - أروع الأمثلة في معنى الأخوة في الله، وهذا ليس بغريب على الأنصار أهل الكرم والجود، يُخبر بهذا الأمر عبد الرحمن ابن عوف - عليه السلام - فيقول: "لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ - عليه السلام - بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَأَنْظُرُ أَيَّ زَوْجَتِي هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَلْتُ، تَزَوَّجْتُهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْعُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - عليه السلام -: تَزَوَّجْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: كَمْ سُقْتَ؟، قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ -، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - عليه السلام -: أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ"^(٢).

وأخبر أنس - عليه السلام - أيضاً بهذه القصة، فقال: "أَنَّ النَّبِيَّ - عليه السلام - رَأَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَثَرَ صُفْرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ"^(٣).

(١) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير ابن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، الأنصاري، الحارثي، البصري، النقيب، الشهيد، الذي آخى النبي - عليه السلام - بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، استشهد يوم أحد وقد ضرب بثنتي عشرة طعنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١/٣١٨-٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٢/٣) برقم: (٢٠٤٨).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٦١/١) برقم: (١/٣٣٥١)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٢١٧/٥) برقم: (٥٤٨١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٠٠/٢) برقم: (٢١٠٩)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٨٧/٢) برقم: (١٠٩٤)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٩٨/٣) برقم: (١٩٠٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٣/٣) برقم: (٢٠٤٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٤/٤) برقم: (١٤٢٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال المباركفوري: (قوله: (رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة) قال النووي: وفي رواية ردع من زعفران براء ودال وعين مهملات، هو أثر الطيب، والصحيح في معنى هذا الحديث أنه تعلق به أثر من الزعفران، وغيره من طيب العروس، ولم يقصده، ولا تعمد التزعفر. فقد ثبت في الصحيح النهي عن التزعفر للرجال، وكذا نهى الرجال عن الخلق؛ لأنه شعار النساء، وقد نهى الرجال عن التشبه بالنساء فهذا هو الصحيح في معنى الحديث، وهو الذي اختاره القاضي والمحققون، قال القاضي: وقيل إنه يرخص في ذلك للرجل العروس، وقد جاء ذلك في أثر ذكره أبو عبيد أنهم كانوا يرخصون في ذلك للشباب أيام عرسه، قال: وقيل: لعله كان يسيرا فلم ينكر. انتهى كلام النووي. (على وزن نواة من ذهب) قال الخطابي: النواة اسم لقدر معروف عندهم فسروها بخمسة دراهم من ذهب، قال القاضي: كذا فسرها أكثر العلماء. (أولم ولو بشاة) قال الحافظ ليست "لو" هذه الامتناعية، إنما هي التي للتقليل، ووقع في حديث أبي هريرة بعد قوله: أعرست؟ قال: نعم، قال: أولمت؟ قال: لا، فرمى إليه رسول الله - ﷺ - بنواة من ذهب فقال: أولم، ولو بشاة، وهذا لو صح كان فيه أن الشاة من إعانة النبي - ﷺ -، وكان يعكر على من استدل به على أن الشاة أقل ما يشرع للموسر، ولكن الإسناد ضعيف، قال: ولولا ثبوت أنه - ﷺ - أولم على بعض نسائه بأقل من الشاة لكان يمكن أن يستدل به على أن الشاة أقل ما تجزئ في الوليمة. ومع ذلك فلا بد من تقييده بالقادر عليها، قال عياض: وأجمعوا على أن لا حد لأكثرها، وأما أقلها فكذا، ومهما تيسر أجزاء والمستحب أنها على قدر حال الزوج، وقد تيسر على الموسر الشاة فما فوقها. انتهى^(١)).

وقال النووي: (قوله: (إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - رَأَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَثَرَ صُفْرَةٍ قَالَ مَا هَذَا؟) فيه أنه يستحب للإمام والفاضل تفقد أصحابه والسؤال عما يختلف من أحوالهم، وقوله: (أَثَرَ صُفْرَةٍ) معنى هذا الحديث أنه تعلق به أثر من الزعفران وغيره من طيب العروس ولم يقصده ولا تعمد التزعفر، فقد ثبت في الصحيح النهي عن التزعفر للرجال، وكذا نهى الرجال عن الخلق لأنه شعار النساء، وقد نهى الرجال عن التشبه بالنساء، فهذا هو الصحيح في معنى الحديث، وهو الذي اختاره القاضي والمحققون، قوله: (تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ) قال القاضي قال الخطابي النواة اسم

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى، مرجع سابق (١٧٢/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

لقدر معروف عندهم فسروها بخمسة دراهم من ذهب، قال القاضي كذا فسرهما أكثر العلماء، وقال أحمد بن حنبل هي ثلاثة دراهم وثلاث، وقيل المراد نواة التمر أي وزنها من ذهب والصحيح الأول، وقال بعض المالكية: النواة ربع دينار عند أهل المدينة، قوله -ﷺ-: (فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ) فيه استحباب الدعاء للمتزوج وأن يقال بارك الله لك أو نحوه، قوله -ﷺ-: (أُولَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ) قال العلماء من أهل اللغة والفقهاء وغيرهم: الوليمة الطعام المتخذ للعرس مشتقة من الولم وهو الجمع لأن الزوجين يجتمعان قاله الأزهري وغيره، وقوله -ﷺ-: (أُولَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ) دليل على أنه يستحب للموسر أن لا ينقص عن شاة، ونقل القاضي الإجماع على أنه لا حد لقدرها المجزئ بل بأي شيء أولم من الطعام حصلت الوليمة، وقد ذكر مسلم بعد هذا وفي وليمة عرس صفية أنها كانت بغير لحم وفي وليمة زينب أشبعنا خبزاً ولحماً، وكل هذا جائز تحصل به الوليمة، لكن يستحب أن تكون على قدر حال الزوج^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: (ذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: لما قدم النبي -ﷺ- المدينة آخى بين المهاجرين وآخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة، وكانوا يتوارثون، وكانوا تسعين نفساً بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، وقيل كانوا مائة، فلما نزل وأولو الأرحام بطلت المواريث بينهم بتلك المؤاخاة، قال السهيلي: آخى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة، وأنزل إنما المؤمنون إخوة يعني في التوادر وشمول الدعوة^(٢)).

وقد واجه المهاجرون من مكة إلى المدينة مشاكل متنوعة، اقتصادية واجتماعية وصحية، فمن المعروف أن المهاجرين تركوا أهليهم ومعظم ثرواتهم بمكة، كما أن مهارتهم كانت في التجارة التي تمرست بها قريش، ولم تكن في الزراعة والصناعة وهما يشكلان أساسين مهمين في اقتصاديات المدينة، وبما أن التجارة تحتاج إلى رأس المال

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢١٦/٩-٢١٨).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٧٠/٧-٢٧١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فإنَّ المهاجرين لم يتمكنوا من شق طريقهم في المجتمع الجديد بسهولة، وكانت مشكلة معيشتهم وسكناتهم تواجه الدولة الناشئة، كما أنَّ علائق المهاجرين بالمجتمع الجديد كانت حديثة، فقد ترك المهاجرون أهليهم ومعارفهم بمكة وتولد لديهم إحساساً بالوحشة والحنين إلى بلدتهم مكة، وقد بلغ كرم الأنصار حدًّا عالياً عندما اقترحوا على الرسول -ﷺ- أن يقسم نخلهم بينهم وبين المهاجرين لأنَّ النَّخل مصدر معيشة الكثيرين منهم، على أنَّ الرسول -ﷺ- طلب من الأنصار أن يقوموا بإدارة بساتين النخيل ويحتفظوا بها لأنفسهم على أن يشركوا المهاجرين في التمر^(١).

أخرج الإمام البخاري في صحيحه، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: "قَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ -ﷺ-: أَفْسِمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: لَا، فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمَوْتَةَ، وَتَشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا"^(٢).

فانظر إلى عظمة هذه الإخوة الإسلامية التي بُنيت على المحبة في الله، فكان الولاء والود والإخاء عِلْمُهَا الذي يرفرف خفّاقاً في كل مواضعها، هذه الإخوة التي بُنيت على الإيثار في أمور الدنيا وعلى حب الخير لإخوانهم، هذه الإخوة التي فيها التعاون والتكاتف في كل الأمور، هذه الإخوة المبنية على حسن الظن وعدم التشكيك والطعن بغير الحق في الغير، هذه الأخوة التي كان أساسها التناصح فيما بينهم، ولما كانت كذلك ذاع صيتها في كل مكان وسار بخبرها الركبان وأُلْفَت في الكتب وأقيمت الدروس والمحاضرات لتستفيد منها الأمة، وهي اليوم بأمس الحاجة لها في هذا الزمان الذي طغت فيه الولاءات الضيقة وصارت باسم العروبة والمنطقة والحزبية والكثير منها أصبحت لأجل الدنيا، فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الحب والأخوة فيه.

(١) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (١/٢٤١-٢٤١).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٧٦/٧) برقم: (٨٢٦٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٣/١٠٤) برقم: (٢٣٢٥).

الفصل الثاني

أول العهد المدني، ومرحلة الدفاع

ويحتوي على ثمانية مباحث:

المبحث الأول: وَعَك المهاجرين في أول قدومهم المدينة.

المبحث الثاني: شراء عثمان - ﷺ - لبئر رومة وحفرها.

المبحث الثالث: تحويل القبلة إلى مكة.

المبحث الرابع: بناء الرسول - ﷺ - بعائشة وزينب وأم سلمة، وغيرهن رضي الله عنهن.

المبحث الخامس: تشريع الجهاد.

المبحث السادس: سرية الأبواء (ودان).

المبحث السابع: سرايا أخرى.

المبحث الثامن: عدد غزوات النبي - ﷺ -.

المبحث الأول

وعك المهاجرين في أول قدومهم المدينة

لما هاجر الصحابة إلى مكة عانوا من بعض الأمور كما ذكرنا سالفاً، ومن هذه المعاناة معاناتهم صحياً، فإنَّهم لما قدَّموا إلى المدينة وفيها الحمى، وقد كانت المدينة معروفة بهذه الحمى، فدعا رسول الله -ﷺ- ربه أن يُخرجها إلى (الجحفة)^(١)، وكانت يومئذٍ بلاد شرك وكان يسكنها اليهود، ولذلك ذكرت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنَّهم قدموا المدينة وهي وبيئة، وقد وعك بسبب هذه الحمى بعض أصحاب النبي -ﷺ-، وكان ممن وعك وتعب تعباً شديداً أبوبكر الصديق وبلال بن رباح -رضي الله عنهما-، وقد أخبرت بذلك أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، فقالت: "قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبِيئَةٌ، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَاشْتَكَى بِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- شَكْوَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَحَوِّلْ حُمَاهَا إِلَى الْجَحْفَةِ"^(٢).

وفي صحيح البخاري قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْمَدِينَةَ، وَعَكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ:

كُلُّ أَمْرِي مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ الْحُمَى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خِرَّ وَجَلِيلُ،
وَهَلْ أَرِدُنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجْنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ،

(١) الجحفة: بالضم ثم السكون، والفاء: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمرّوا على المدينة، فإن مرّوا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام. ينظر: شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق (١١١/٢).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٥٥/٤) برقم: (٤٢٥٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٣/٣) برقم: (١٨٨٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٨/٤) برقم: (١٣٧٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قَالَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ، وَأُمِّيَّةَ بِنَ خَلْفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدَّنَا، وَصَحَّحَهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ، قَالَتْ: وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبًا أَرْضِ اللَّهِ، قَالَتْ: فَكَانَ بَطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا تَغْنِي مَاءَ آجِنًا"^(١).

وهنا تتجلى رحمة النبي -ﷺ- بأصحابه وشفقته عليهم، وكذلك حبه للمدينة المنورة، والتضرع لله عز وجل أن يُحِبِّبَهَا لَهُمْ كَمَا حُبِّبَتْ إِلَيْهِمْ مَكَّةُ أَوْ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ، ولقد استجاب الله دعوة نبيه وانتقلت هذه الحُمَى إلى الجحفة على هيئة امرأة سوداء، وقد أخبر بذلك عبدالله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- عن رسول الله -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: "رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةٍ -وَهِيَ الْجُحْفَةُ- فَأَوَّلْتُ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا"^(٢).

قال المباركفوري: (قوله: (قال رأيت) أي في شأن المدينة (ثائرة الرأس) أي منتشرة شعر الرأس (حتى قامت بمهيعة) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح التحتية والعين، الأرض المبسوطة الواسعة (وهي الجحفة) قال الحافظ في الفتح: وأظن قوله وهي الجحفة مدرجاً من قول موسى بن عقبة، فإن أكثر الروايات خلا عن هذه الزيادة، وثبتت في رواية سليمان وابن جريج (فأولتها) من التأويل هو تفسير الشيء بما يؤول إليه (وباء المدينة) وهو بالمد ويقصر مرض عام أو موت ذريع، وقد يطلق على الأرض الوخمة التي تكثر فيها الأمراض لا سيما للغرباء أي حماها وأمراضها)^(٣).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٣/٣) برقم: (١٨٨٩).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١١٧/٧) برقم: (٧٦٠٤)، والترمذي في "جامعه"

مرجع سابق (١٢٨/٤) برقم: (٢٢٩٠)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٧٧/٥) برقم:

(٣٩٢٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤٢/٩) برقم: (٧٠٣٨).

(٣) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٢٥٢/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال النووي: (قولها: (قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبِيئَةٌ) يعني ذات وباء بالمد والقصر وهو الموت الذريع هذا أصله، ويطلق أيضاً على الأرض الوخمة التي تكثر بها الأمراض لا سيما للغرباء الذين ليسوا مستوطنينها، فإن قيل كيف قدموا على الوباء وفي الحديث الآخر في الصحيح النهي عن القدوم عليه؟ فالجواب من وجهين ذكرهما القاضي أحدهما: أن هذا القدوم كان قبل النهي لأن النهي كان في المدينة بعد استيطانها، والثاني: أن المنهي عنه هو القدوم على الوباء الذريع والطاعون، وأما هذا الذي كان في المدينة فإنما كان وخماً يمرض بسببه كثير من الغرباء والله أعلم، قوله -ﷺ-: (وَحَوْلُ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ) قال الخطابي وغيره كان ساكنوا الجحفة في ذلك الوقت يهودا، ففيه دليل للدعاء على الكفار بالأمراض والأسقام والهلاك، وفيه الدعاء للمسلمين بالصحة وطيب بلادهم والبركة فيها وكشف الضر والشدائد عنهم، وهذا مذهب العلماء كافة، وفي هذا الحديث علم من أعلام نبوة نبينا -ﷺ- فإن الجحفة من يومئذ مجتنبه ولا يشرب أحد من مائها الأحم)^(١) انتهى بتصرف.

فكانت هجرة الصحابة إلى المدينة بمثابة الاختبار لهم والامتحان هل يصبرون على مثل هذه الأمراض أم لا، ولذلك كان النبي -ﷺ- يحث أصحابه على الصبر على السكنى في المدينة، ويرفض أن يخرج الرجل من المدينة بعد هجرته إليها ومبايعته لرسول الله -ﷺ-، بل جعلها النبي -ﷺ- كالكير الذي ينفي الخبث، ومن ذلك قول جابر بن عبد الله -ﷺ-: "أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-، فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعَكٌ بِالْمَدِينَةِ، فَأَتَى النَّبِيَّ -ﷺ-، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْلِنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقْلِنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقْلِنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَيْرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا"^(٢).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥٠/٩).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٨٢٥/١) برقم: (١/٤١٩٦)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٢٥١/٤) برقم: (٤٢٤٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٠٤/٦) برقم: (٣٩٢٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٢/٣) برقم: (١٨٨٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٠/٤) برقم: (١٣٨٣).

قال المباركفوري: (قوله) (أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-) من المبايعة، وهي عبارة عن المعاهدة على الإسلام والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خلاصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره، (أَقْلَنِي بَيْعَتِي) استعارة من إقالة البيع وهو إبطاله، (فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ) أي: من المدينة راجعاً إلى البدو، (إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَيْرِ) قال في النهاية: الكير بالكسر: كير الحداد، وهو المبني من الطين، وقيل: الزرق الذي ينفخ به النار، والمبني الكور. (تَنْفِي خَبْنَهَا) هو ما تلقاه من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبا، والمعنى: تطرد المدينة من لا خير فيه وتخرجه، (وَيَنْصَعُ) من باب التفعيل والإفعال أي: تخلص، (طَيَّبَهَا) جعل مثل المدينة وما يصيب ساكنيها من الجهد والبلاء كمثل الكير وما يوقد عليه في النار فيميز به الخبيث من الطيب، فيذهب الخبيث ويبقى الطيب فيه أذكى ما كان وأخلص^(١).

وقال النووي: (قوله: (أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ النَّبِيَّ -ﷺ-) فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعَكٌ بِالْمَدِينَةِ.....) قال العلماء: إنما لم يقله النبي -ﷺ- ببيعته لأنه لا يجوز لمن أسلم أن يترك الإسلام ولا لمن هاجر إلى النبي -ﷺ- للمقام عنده أن يترك الهجرة ويذهب إلى وطنه أو غيره، قالوا وهذا الأعرابي كان ممن هاجر وبايع النبي -ﷺ- على المقام معه، قوله: (فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعَكٌ) هو مغث الحمى وألمها ووعك كل شيء معظمه وشدته، قوله -ﷺ-: (إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَيْرِ تَنْفِي خَبْنَهَا وَيَنْصَعُ طَيَّبَهَا) أي يصفو ويخلص ويتميز والناصع الصافي الخالص ومنه قولهم ناصع اللون أي صافيه وخالصه، ومعنى الحديث أنه يخرج من المدينة من لم يخلص إيمانه، ويبقى فيها من خلص إيمانه^(٢).

وقال أيضاً: (قال القاضي: الأظهر أن هذا مختص بزمن النبي -ﷺ-؛ لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه إلا من ثبت إيمانه، وأما المنافقون وجهلة الأعراب فلا يصبرون على شدة المدينة ولا يحتسبون الأجر في ذلك كما قال ذلك الأعرابي الذي أصابه الوعك أقلني بيعتي هذا كلام القاضي، وهذا الذي ادعى أنه الأظهر ليس بالأظهر لأن هذا الحديث الأول في صحيح مسلم أنه -ﷺ- قال: لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد، وهذا والله أعلم في زمن الدجال كما جاء في الحديث الصحيح الذي ذكره مسلم في أواخر الكتاب في أحاديث الدجال أنه يقصد المدينة، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله بها منها كل كافر ومنافق، فيحتمل أنه مختص بزمن الدجال ويحتمل أنه في أزمان متفرقة، والله أعلم^(٣)).

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى، مرجع سابق (٣٧٣/٤).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥٦/٩).

(٣) ينظر: المصدر نفسه (١٥٤/٩).

المبحث الثاني

شراء عثمان - ﷺ - لبئر رومة وحفرها

ومما عانا منه المهاجرون -رضي الله عنهم- في المدينة عندما قدموا إليها أنهم استتکروا الماء فيها، وكانت بئر رومة مأوها عذب، وكانت لرجل من غفار يبيع عليهم الماء بيعاً، فحثَّ النبي -ﷺ- على شرائها من ذلك الرجل، فاشتراها عثمان بن عفان -ﷺ- وجعلها صدقة للمسلمين في المدينة، ثم بعد ذلك حثَّ رسول الله -ﷺ- على حفرها وتوسعتها فحفرها عثمانُ العطاء -ﷺ- - فنال الأجرين: (أجر الشراء، وأجر الحفر)، قال -ﷺ-: "مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ، فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلاَءِ الْمُسْلِمِينَ". فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ -ﷺ- (١).

وقال - عليه السلام - أيضاً: "مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ". فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ -ﷺ- (٢).

وقال عثمان -ﷺ- حين (حُوصِرَ) (٣)، أشرف عليهم، وقال: "أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، وَلَا أَنْشُدْ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ -ﷺ-، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَحَفَرْتُهَا؟، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَجَهَّزْتُهُمْ؟، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ" (٤).

(١) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق (١٠٩/٣).

(٢) المصدر السابق (٣٩٦/١٣).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: (حين حوَّصر أي لما حاصره المصريون الذين أنكروا عليه تولية عبد الله بن سعد بن أبي سرح والقصة مشهورة)، وقال: (أن الذين صدقوه بذلك هم علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص). ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٤٠٧/٥).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٧١٦/١) برقم: (٤/٣٦١١)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٤٤/٦) برقم: (٦٤٠٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٦٨/٦) برقم: (٣٦٩٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٣/٤) برقم: (٢٧٧٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال الحافظ ابن حجر: (وفيه جواز تحدث الرجل بمناقبه عند الاحتياج إلى ذلك لدفع مضرة أو تحصيل منفعة وإنما يكره ذلك عند المفاخرة والمكاثرة والعجب)^(١).

وقال النووي (-مُعلّقاً على قول ابن مسعود-): (وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ)^(٢)، وفي هذا الحديث جواز ذكر الإنسان نفسه بالفضيلة والعلم ونحوه للحاجة، وأما النهي عن تزكية النفس فإنما هو لمن زكاها ومدحها لغير حاجة بل للفخر والإعجاب وقد كثرت تزكية النفس من الأمثال عند الحاجة كدفع شر عنه بذلك أو تحصيل مصلحة للناس أو ترغيب في أخذ العلم عنه أو نحو ذلك، فمن المصلحة قول يوسف - ﷺ -: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾^(٣)، ومن دفع الشر قول عثمان - ﷺ -: في وقت حصاره أنه جهز جيش العسرة وحفر بئر رومة)^(٤).

فرضي الله عن عثمان العطاء وأرضاه، ورضي الله عن المهاجرين الذين صبروا وتحملوا كل ذلك من أجل مرضاة ربهم، ونصرة نبيهم ودينهم، فاستحقوا بذلك رضوان الله عليهم وثنائه عليهم في كثير من المواضع في كتابه الكريم، بل ما ذكرهم مع الأنصار في موضع من كتابه إلا قدّم ذكر المهاجرين على الأنصار، وكم من آية في القرآن عظمت شأن الهجرة والتضحية في سبيل الله بالغالي والنفيس، وذلك لعظيم فضلها وأجرها عنده سبحانه وتعالى.

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٤٠٨/٥).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٩٧٩/١) برقم: (١/٥٠٧٨)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٢٥٠/٧) برقم: (٧٩٤٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٦/٦) برقم: (٥٠٠٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٨/٧) برقم: (٢٤٦٢).

(٣) سورة يوسف الآية: (٥٥).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٦/١٦-١٧).

المبحث الثالث

تحويل القبلة إلى مكة

شُرعت الصلاة على المسلمين وهم مازالوا في مكة المكرمة، وكانت قبلتهم جهة بيت المقدس، وهاجروا إلى المدينة وقبلتهم بيت المقدس وكانوا على ذلك ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، فلما جاءت السنة الثانية أُمرُوا بتحويل القبلة إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وكان ذلك يُعجب رسول الله - ﷺ - أن يتحول جهة البيت الحرام في صلاته، وقد كان في مكة يصلي جهة بيت المقدس ويجعل الكعبة بين يديه، ولكنه لما هاجر إلى المدينة جعل الكعبة خلفه، وكان عليه الصلاة والسلام يرفع يديه وطره إلى السماء راجياً من ربه أن تتحول القبلة إلى جهة الكعبة المشرفة - قبله إبراهيم عليه السلام - فاستجاب الله له وأمر بتحويلها، وخطب - عليه الصلاة والسلام - في الناس أن يتحولوا في صلاتهم إلى جهة البيت الحرام^(١)، وكانت أول صلاة صلاها جهة البيت الحرام هي صلاة العصر^(٢)، وقد طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والمنافقون وكفار أهل الكتاب من اليهود في ذلك، فأنزل الله عز وجل آية كريمة رداً عليهم، فقال جل في علاه: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

قال الحافظ ابن كثير: (أي هو المالك المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، الذي يفعل ما يشاء في خلقه، ويحكم ما يريد في شرعه، وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن الطريق القويم، وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم)^(٤).

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٤٥/٥-٤٨).

(٢) ينظر: جامع الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٧١/١) برقم: (٣٤٠)، وصحيح البخاري في (١٧/١) برقم: (٤٠).

(٣) سورة البقرة الآية: (١٤٢).

(٤) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٤٩/٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأخبر البراء بن عازب -رضي الله عنه- عن المدة التي صلاها -عليه الصلاة والسلام- في المدينة قبل تحويل القبلة، وكذلك تحيّرهم -رضوان الله عليهم- عن من مات من الصحابة قبل ذلك فأنزل الله جواباً عليهم أنه لن يُضيع صلاتهم، قال عن البراء بن عازب -رضي الله عنه-: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قَبْلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى، أَوْ صَلَّاهَا، صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- قَبْلَ مَكَّةَ، فَذَارُوا كَمَا هُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قَبْلَ الْبَيْتِ رَجُلًا قُتِلُوا، لَمْ تَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١) (٢).

وفي صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- أيضاً قال: "صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صَرَفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ" (٣).

وانطلق الصحابة -رضي الله عنهم- في المدينة يمرّون على مساجد المسلمين فيها يُخبرونهم بتحويل القبلة، وقد تأخّر الخبر عن أهل قباء فلم يصلهم إلا وهم يصلون صلاة الفجر، وممّا صحّ في ذلك حديث البراء بن عازب، وحديث ابن عمر وحديث أنس بن مالك -رضي الله عنهم أجمعين- وهم يتحدثون عن ذلك، فعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ (٤)، فَنَزَلَتْ بَعْدَمَا صَلَّى النَّبِيُّ -ﷺ-، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَمَرَّ بِنَاسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَحَدَّثَهُمْ، فَوَلُّوا وُجُوهَهُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ" (٥).

(١) سورة البقرة الآية: (١٤٣).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١١٩/١) برقم: (١/٤٨٧)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٥٦/١) برقم: (٩٤٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٧١/١) برقم: (٣٤٠)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٤٠/٢) برقم: (١٠١٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢١/٦) برقم: (٤٤٨٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٢) برقم: (٥٢٥).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٢) برقم: (٥٢٥).

(٤) سورة البقرة الآية: (١٤٤).

(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٢) برقم: (٥٢٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: "بَيَّنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةُ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبَلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ". وفي لفظ آخر: "صلاة الغداة"^(١).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَنَزَلَتْ: ﴿قَدْ زَرَى تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٢)، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ"^(٣).

وقد استنبط النووي من هذه الأحاديث فوائد كثيرة، فقال: (فيه حديث البراء وهو دليل على جواز النسخ ووقوعه، وفيه قبول خبر الواحد، وفيه جواز الصلاة الواحدة إلى جهتين، وفيه دليل على أن النسخ لا يثبت في حق المكلف حتى يبلغه، قوله: (بَيَّنْتُ الْمَقْدِسِ) ويقال فيه أيضاً إيلياء، وأصل المقدس والتقديس من التطهير، قوله: (وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبَلُوهَا) روي فاستقبلوها بكسر الباء وفتحها والكسر أصح وأشهر، وهو الذي يقتضيه تمام الكلام بعده)^(٤) انتهى كلامه بتصرف.

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١٢٠/١) برقم: (١/٤٩٢)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٤٥٧/١) برقم: (٩٥١)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٧٢/١) برقم: (٣٤١).
(٢) سورة البقرة الآية: (١٤٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٩/١) برقم: (٤٠٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٦/٢) برقم: (٥٢٥).
(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٩/١٠) برقم: (١٠٩٤١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٤٠٣/١) برقم: (١٠٤٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٦/٢) برقم: (٥٢٧).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٩/٥-١١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وكانت حادثة تحويل القبلة من جهة بيت المقدس إلى جهة البيت الحرام بمكة المكرمة امتحان من الله لعباده، وبيان فضل هذه الأمة وأنها أمة الوسط، وأنها الأمة الشاهدة على الناس في الدنيا والآخرة فيعلم الله من يتبع الرسول ومن ينكص على عقبيه كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١). قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (أي وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر إلا على الذين هدى الله أي فهم مؤمنون بها مصدقون لها، لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون، ويسلمون، ويؤمنون، ويعملون، لأنهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم)^(٢).

ومن هذه الحادثة العظيمة نُلخّص بعض الدروس لنستفيد منها:

(أ) أن المؤمن ينقاد ويذعن لأمر الله جل في علاه، وهذا قد طبّقهُ الصحابة -رضي الله عنهم-، فقد امتثلوا أمر الله وتحولوا عن قبلتهم الأولى إلى الثانية.

(ب) تحقيق معنى الأخوة وحُبِّ الخير لأخيك المسلم، فإنّ تساؤل الصحابة -رضي الله عنهم- عن صلاة إخوانهم الذين قُتلوا أو ماتوا قبل نزول هذا الأمر بتحويل القبلة لأكبر دليل على ذلك، وهو ما ينبغي أن نكون عليه في مجتمعاتنا.

(ج) هذا التحويل غرس عقيدة عظيمة في قلوبنا عن مخالفة أهل الكتاب الذين حرّفوا وبدلوا دين الله وجعلوه على حسب أهوائهم، وكان هذا منهج حياته -عليه الصلاة والسلام- في بعض العبادات كمخالفتهم في صيام التاسع من شهر الله المحرم مخالفة لليهود، وكالأمر بإعفاء اللحية وحف الشارب مخالفة لهم وغيرها من الأمور.

(١) سورة البقرة الآية: (١٤٣).

(٢) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٥/٥٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

(د) لقد كان لهذه الحادثة أبعاداً كثيرة: سياسياً، وعسكرياً، ودينياً، وتاريخياً، فبُعْدُهَا السياسي أَنَّهَا جعلت الجزيرة العربية محور الأحداث، وبعْدُهَا التاريخي أَنَّهَا ربطت هذا العالم بإرث أبي الأنبياء إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام -، وبعْدُهَا العسكري أَنَّهَا مهَّدت وهيأت لفتح مكة، وبعْدُهَا الديني أَنَّهَا ربطت القلوب بالحنيفية السمحة، وميّزت الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم السابقة، ومن ثم كان تحويل القبلة نعمة من نعم الله علينا وسبب عظيم للهداية، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُنِمُّ عَلَيْنَا وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

(١) سورة البقرة الآية: (١٥٠).

المبحث الرابع

بناء الرسول - ﷺ - بعائشة وزينب وأم سلمة وغيرهن رضي الله عنهن

تزوج رسول الله - ﷺ - إحدى عشرة امرأة، وأسمأهن كآتي:

- (١) أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - ﷺ - (١).
- (٢) أم المؤمنين سودة بنت زمعة - ﷺ -.
- (٣) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -.
- (٤) أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -.
- (٥) أم المؤمنين زينب بنت خزيمة - ﷺ -.
- (٦) أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية - ﷺ -.
- (٧) أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان - رضي الله عنهما -.
- (٨) أم المؤمنين جويرية بنت الحارث - رضي الله عنهما -.
- (٩) أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية - ﷺ -.
- (١٠) أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب - ﷺ -.
- (١١) أم المؤمنين زينب بنت جحش - ﷺ -.

فهذه أسماء زوجاته - ﷺ -، وقد جمع الله له من نسائه تسع نسوة، وكان يطوف عليهن في الليلة الواحدة، فقد ذكر أنس بن مالك - ﷺ -: "أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ، وَلَهُ يَوْمٌ تِسْعُ نِسْوَةٍ" (٢).

قال الحافظ ابن كثير: (لا خلاف أنه ﷺ توفي عن تسع وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية، وحفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية، وأم حبيبة رملة بنت أبي

(١) سبق الكلام عن زواجها برسول الله - ﷺ - في الباب الثالث، الفصل الأول، المبحث الثامن.
(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٧٥/١) برقم: (١/٢٦٣)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٧٣/١) برقم: (٢٥٥)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٨٧/١) برقم: (٢١٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٨٣/١) برقم: (١٤٠)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٣٧٢/١) برقم: (٥٨٨)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٢/١) برقم: (٢٦٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧١/١) برقم: (٣٠٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

سفيان صخر بن حرب ابن أمية الأموية، وزينب بنت جحش الأسدية، وأم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وسودة بنت زمعة العامرية، وجويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار المصطلقية، وصفية بنت حيي بن أخطب النضرية الإسرائيلية الهارونية -رضي الله عنهن وأرضاهن-، وكانت له سريتان وهما، مارية بنت شمعون القبطية المصرية من كورة أنصاء وهي أم ولده إبراهيم -عليه السلام-، وريحانة بنت شمعون القرظية، أسلمت ثم أعتقها فلحقت بأهلها، ومن الناس من يزعم أنها احتجبت عندهم، والله أعلم^(١).

وذكر الحافظ ابن كثير كلام ابن إسحاق في ترتيب زواج رسول الله بأمهات المؤمنين على النحو الآتي: (فتزوج رسول الله -ﷺ- بعد خديجة سودة بنت زمعة، ثم تزوج بعد سودة عائشة بنت أبي بكر لم يتزوج بكرة غيرها، ولم يصب منها ولداً حتى مات، ثم تزوج بعد عائشة حفصة بنت عمر، ثم تزوج بعد حفصة زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، ثم تزوج بعدها أم حبيبة بنت أبي سفيان، ثم تزوج بعدها أم سلمة هند بنت أبي أمية، ثم تزوج بعدها زينب بنت جحش، ثم تزوج بعدها جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار. قال: ثم تزوج بعد جويرية صفية بنت حيي بن أخطب، ثم تزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية. فهذا الترتيب أحسن. والله أعلم^(٢)).

فأمّا خديجة -ﷺ- فلم يجمع بينها وبين امرأة غيرها عليه الصلاة والسلام، فرضي الله عنها وأرضاها، وأما بعد وفاتها فقد تزوج عليه الصلاة والسلام :

(١) أم المؤمنين سودة بنت زمعة -ﷺ-: وهي أول امرأة تزوجها -ﷺ- بعد خديجة -ﷺ-، قال الحافظ ابن كثير: (سودة بنت زمعة القرشية العامرية أم المؤمنين، أول من دخل بها رسول الله، -ﷺ-، بعد خديجة، -ﷺ-، وكانت صوامة قوامة)^(٣).

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٥٧٩/٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢٢٠/٨).

(٣) ينظر: الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق (٢٠٧/١٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وكان زواجه بها -ﷺ- في رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة -ﷺ- ودخل بها بمكة وهاجر بها إلى المدينة^(١).

وتذكر أم المؤمنين عائشة -ﷺ- أن رسول الله -ﷺ- تزوجها قبل سودة بنت زمعة -ﷺ-، كما أخرج ذلك الإمام مسلم في صحيحه، بقولها: (وَكَاثَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا بَعْدِي)^(٢)، وتقصد أي عقد عليها قبل سودة -ﷺ-، وأما الدخول فقد دخل النبي -ﷺ- على سودة -ﷺ- قبل عائشة -ﷺ-^(٣).

وسودة بنت زمعة -ﷺ- هي التي لما كبرت وهبت يومها لعائشة -ﷺ-، تقول عائشة -ﷺ- قالت: "مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاحِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَبُرْتُ، جَعَلْتُ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- لِعَائِشَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ، يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ"^(٤).

قال النووي: (قولها: (مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاحِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ) هو الجلد، ومعناه أن أكون أنا هي، وزمعة بفتح الميم وإسكانها، وقولها من امرأة قال القاضي: من هنا للبيان واستفتاح الكلام، ولم ترد عائشة عيب سودة بذلك بل وصفتها بقوة النفس وجودة القريحة وهي الحدة، قولها: (فَلَمَّا كَبُرْتُ جَعَلْتُ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- لِعَائِشَةَ) فيه جواز هبتها نوبتها لضررتها لأنه حقها، لكن يشترط رضا الزوج بذلك؛ لأن له حقاً في الواهبة فلا يفوته إلا برضاه، ولا يجوز أن تأخذ على هذه الهبة عوضاً، وقولها: (جَعَلْتُ يَوْمَهَا) أي نوبتها وهي يوم وليلة، وقولها: (كَانَ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ) ومعناه أنه كان يكون عند عائشة في يومها ويكون عندها أيضاً في يوم سودة لا أنه يوالي لها اليومين)^(٥) انتهى بتصرف.

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤٢/٨).

(٢) ينظر: مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق (١٧٤/٤) برقم: (١٤٦٣).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٢٢/٩).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٧٤/٨) برقم: (٨٨٨٥)، وأبو داود في "سننه"

مرجع سابق (٢٠٨/٢) برقم: (٢١٣٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٣٣/٧) برقم:

(٥٢١٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٤/٤) برقم: (١٤٦٣).

(٥) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٤٨/١٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

(٢) أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: وهي الزوجة الوحيدة التي تزوجها رسول الله - ﷺ - بكرة^(١)، وقد عقد بها في مكة ودخل عليها في المدينة، وقد أخبرت هي بنفسها بقصة زواجها برسول الله - ﷺ - عليه الصلاة والسلام -، فقالت: "تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِسِتِّ سِنِينَ، وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، قَالَتْ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَوَعِدْتُ شَهْرًا، فَوَفَّى شَعْرِي جُمُيْمَةً، فَأَتَيْتَنِي (أُمُّ رُومَانَ)^(٢)، وَأَنَا عَلَى أَرْجُوْحَةٍ، وَمَعِيَ صَوَاحِبِي، فَصَرَخْتُ بِي فَأَتَيْتُهَا، وَمَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي، فَأَوْقَفَتْنِي عَلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: هَ هَ هَ، حَتَّى ذَهَبَ نَفْسِي، فَأَدْخَلْتَنِي بَيْتًا، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ، فَعَسَلْنَ رَأْسِي وَأَصْلَحْنَنِي، فَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ضَحَى، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ"^(٣).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥/٧) برقم: (٥٠٧٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٤/٧) برقم: (٢٤٣٩)، (وفيه قول عائشة - رضي الله عنها - لرسول الله - ﷺ - عليه الصلاة والسلام: "أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلَتْ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أَكَلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتَعُ بَعِيرُكَ؟ قَالَ: فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعُ مِنْهَا" - تعني أَنَّ رسول الله - ﷺ - لم يتزوج بكرة غيرها).

(٢) أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب من بني مالك بن كنانة، وكانت أم رومان امرأة الحارث بن سخبرة بن جرثومة من الأزد، فولدت له الطفيل، وقدم الحارث بن سخبرة من السراة إلى مكة ومعه امرأته أم رومان وولده منها فحالف أبا بكر الصديق ثم مات الحارث بمكة؛ فتزوج أبو بكر أم رومان فولدت له عبد الرحمن وعائشة زوج النبي - ﷺ -، وأسلمت أم رومان بمكة قديماً، وبايعت وهاجرت إلى المدينة مع أهل رسول الله وولده وأهل أبي بكر حين قدم بهم في الهجرة، وكانت أم رومان امرأة صالحة وتوفيت في عهد النبي - ﷺ - بالمدينة في ذي الحجة سنة ست من الهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٢١٦/٨).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٤٤/١) برقم: (١/٣٢٥٥)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٦٩/٥) برقم: (٥٣٤٥)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٠٥/٢) برقم: (٢١٢١)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٧٥/٣) برقم: (١٨٧٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٥/٥) برقم: (٣٨٩٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤١/٤) برقم: (١٤٢٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال السندي: (قولها: (وأنا بنت ست سنين) لعلها كانت بنت ست أو سبع فلذلك جاء أنها كانت بنت ست أو سبع (فوعكت) على بناء المفعول أي أخذتني الحمى (فتمرق شعري) يقال: مرق شعره وتمرق إذا انتشر وتساقط من مرض أو غيره، قلت: هكذا ذكره في الغاية في باب الرءاء المهملة، والمضبوط في بعض الأصول بالزاي المعجمة، من مزقت الشيء فتمزق أي قطعه فتقطع، والظاهر جواز الوجهين (حتى وفى لي) غاية لمقدراي أي فقت من المرض ومضت أيام حتى وفى لي (حميمة) وهو من وفاء الشيء إذا كمل وتم، والحميمة تصغير الحمى وهو من شعر الرأس ما يسقط على المنكبين، قوله: (لفي أرجوحة) خشبة يلعب عليها الصبيان يكون وسطها على مكان مرتفع ويجلسون على طرفيها ويحركونها فيرتفع جانب وينزل جانب، كذا في المجمع، وقال السيوطي: هي حبل يشد طرفاه في موضع عال ثم يركبه الإنسان ويحرك، وهو فيه، سمي به لتحركه ومجيئه وذهابه، قوله: (فصرخت بي) أي صاحت بي وناديتني (وإني لأنهج) من النهج بفتحيتين وهو تتابع النفس كما يحصل لمن يسرع في المشي والفعل من باب علم (من ماء فمسحت به) ليزول ما عليها من أثر اللعب (وعلى خير طائر) أي على خير نصيب وطائر الإنسان نصيبه، قوله: (فلم يرعني إلا رسول الله -ﷺ-) أي حضوره -ﷺ- وقت الضحى إذ ما راعني شيء مما فعلت ولا خطر ببالي خطرة، بل كنت غافلة وما انتهبت عن تلك الغفلة إلا حين حضوره -ﷺ-) (١).

قال النووي: (هذا صريح في جواز تزويج الأب الصغيرة بغير إذن؛ لأنه لا إذن لها والجد كالأب عندنا، واعلم أن الشافعي وأصحابه قالوا يستحب أن لا يزوج الأب والجد البكر حتى تبلغ ويستأذنهما لئلا يوقعها في أسر الزوج وهي كارهة، وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة حد ذلك أن تطبيق الجماع ويختلف ذلك باختلافهن ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح وليس في حديث عائشة تحديد ولا المنع من ذلك فيمن أطاقته

(١) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (١/٥٧٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قبل تسع ولا الإذن فيمن لم تطقه وقد بلغت تسعاً، قال (الداودي)^(١): وكانت عائشة قد شبت شاباً حسناً -رضى الله عنها-، قولها: (فَوَعِكْتُ شَهْرًا فَوَفَى شَعْرِي جُمَيْمَةً) الوعك ألم الحمى، ووفى أي كمل، وجميمة تصغير جمة وهي الشعر النازل إلى الأذنين ونحوهما أي صار إلى هذا الحد بعد أن كان قد ذهب بالمرض، قولها: (فَأَتَتْني أُمُّ رُومَانَ وَأَنَا عَلَى أَرْجُوحَةٍ) أم رومان هي أم عائشة، والأرجوحة هي خشبة يلعب عليها الصبيان والجواري الصغار يكون وسطها على مكان مرتفع ويجلسون على طرفيها ويحركونها فيرتفع جانب منها وينزل جانب، قولها: (فَقُلْتُ هَ هَ حَتَّى ذَهَبَ نَفْسِي) هو بفتح الهاء هذه كلمة يقولها المبهور حتى يتراجع إلى حال سكونه وهي بإسكان الهاء الثانية فهي هاء السكت، قولها: (فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قُفْلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ) الطائر الحظ يطلق على الحظ من الخير والشر، والمراد هنا على أفضل حظ وبركة. وفيه استحباب الدعاء بالخير والبركة لكل واحد من الزوجين، قولها: (فَعَسَلَنَ رَأْسِي وَأَصْلَحَنِي) فيه استحباب تنظيف العروس وتزيينها لزوجها واستحباب اجتماع النساء لذلك ولأنه يتضمن إعلان النكاح ولأنهن يؤانسنها ويؤدبنها ويعلمنها آدابها حال الزفاف وحال لقائهما الزوج، قولها: (فَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ضَحَى فَأَسْلَمَنِي إِلَيْهِ) أي لم يفجأني ويأتني بغتة إلا هذا، وفيه جواز الزفاف والدخول بالعروس نهراً وهو جائز ليلاً ونهاراً، والله أعلم^(٢).

(١) الداودي أحمد بن نصر الداودي الأسدي، أبو جعفر، من أئمة المالكية بالمغرب، كان بطرابلس وبها أصل كتابه النامي في شرح الموطأ ثم انتقل إلى تلمسان، وكان فقيهاً فاضلاً متقناً مؤلفاً مجيداً له حظ من اللسان والحديث والنظر، والواعي في الفقه، وكانت دراسته لوحده لم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور وإنما وصل بإدراكه، توفي بتلمسان سنة ثنتين وأربعمائة وقبره عند باب العقبة. ينظر: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى (المتوفى: ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة (بدون)، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، (١/١٦٦).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٠٦/٩ - ٢٠٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقد أخبر -ﷺ- عائشة -رضي الله عنها- أنه رآها في منامه قبل أن يتزوجها ثلاث ليال، فقال لها رسول الله -ﷺ-: "أرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي (سَرَقَةٍ) ^(١) مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، يُمَضِّهِ" ^(٢). وهذا يبينُ الفضل العظيم لعائشة -رضي الله عنها-.

وقد تزوجها -ﷺ- في (شهر شوال في السنة العاشرة من النبوة) ^(٣)، وقد كانت العرب تنتشأم من الزواج في شهر شوال، فأراد النبي -ﷺ- أن يُبطل هذه العادة السيئة عند العرب، وللأسف أن بعض الناس اليوم مازال عنده هذا الاعتقاد الباطل، وقد ذكرت عائشة -رضي الله عنها- زواجها برسول الله -ﷺ- في شهر شوال وكانت أحبَّ نسائه إليه وأوفرهن حظاً منه -عليه الصلاة والسلام-، وكان قولها ذلك لتظهر خطأ هذا الاعتقاد الباطل، قالت -رضي الله عنها-: "تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِي شَوَّالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟، قال عروة بن الزبير -رضي الله عنهما-: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخَلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ" ^(٤).

قال المباركفوري: (قوله: (بنى بي) أي: دخل معي وزف بي، قال في النهاية: الابتناء والبناء الدخول بالزوجة، والأصل فيه أن الرجل كان إذا تزوج امرأة بنى عليها قبة ليدخل بها فيها. فيقال بنى الرجل على أهله، قال الجوهري: ولا يقال بنى بأهله، وهذا القول فيه نظر، فإنه قد جاء في غير موضع من الحديث وغير الحديث، وعاد الجوهري استعمله في كتابه. انتهى. (وبنى بي في شوال) زاد مسلم في روايته: فأَيُّ

(١) قال الهروي: (قال أبو عبيد: سَرَقُ الحرير هي الشَّقُّ أيضاً إلا أنها البيض خاصة). ينظر: الهروي، تهذيب اللغة، مرجع سابق (٣٠٧/٨).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٦/٥) برقم: (٣٨٩٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٤/٧) برقم: (٢٤٣٨).

(٣) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٧٤/٨).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٤٠/١) برقم: (١/٣٢٣٦)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٦٤/٥) برقم: (٥٣٣٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٨٧/٢) برقم: (١٠٩٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٥٦/٣) برقم: (١٩٩٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٢/٤) برقم: (١٤٢٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

نساء رسول الله - ﷺ - كان أحظى عنده مني (وكانت عائشة تستحب أن يبنى بنسائها في شوال) ضمير نسائها يرجع إلى عائشة، قال النووي: فيه استحباب التزويج والتزوج والدخول في شوال، وقد نص أصحابنا على استحبابه، واستدلوا بهذا الحديث. وقصدت عائشة بهذا الكلام رد ما كانت الجاهلية عليه، وما يتخيله بعض العوام اليوم من كراهة التزوج والتزويج والدخول في شوال، وهذا باطل لا أصل له، وهو من آثار الجاهلية، كانوا يتطيرون بذلك لما في اسم شوال من الإشالة والرفع. انتهى^(١).

قال القرطبي: (هذا إنما قالته عائشة - ﷺ - لترد به قول من كان يكره عقد النكاح في شهر شوال، ويتشاءم به من جهة: أن شوالاً من الشول، وهو الرفع، ومنه: شالت الناقة بذنبها، وقد جعلوه كناية عن الهلاك؛ إذ قالوا: شالت نعامتهم؛ أي: هلكوا، ف(شوال) معناه: كثير الشول، فإنه للمبالغة، فكأنهم كانوا يتوهمون أن كل من تزوج في شوال منهن شال الشنان بينها وبين الزوج، أو شالت نفرتة، فلم تحصل لها حظوة عنده، ولذلك قالت عائشة رادة لذلك الوهم: (فأي نسائه كان أحظى عنده مني) أي: لم يضرني ذلك، ولا نقص من حظوتي، ثم إنها تبركت بشهر شوال، فكانت تحب أن تدخل نساءها على أزواجهن في شوال؛ للذي حصل لها فيه من الخير برسول الله - ﷺ - ومن الحظوة عنده، ولمخالفة ما يقول الجاهل من ذلك، ومن هذا النوع كراهة الجاهل عندنا اليوم عقد النكاح في شهر المحرم، بل ينبغي أن يتيمن بالعقد والدخول فيه، تمسكاً بما عظم الله ورسوله من حرمة، وردعاً للجهال عن جهالاتهم^(٢).

قال النووي: (قولها: (تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي شَوَّالٍ وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ) فيه استحباب التزويج والتزوج والدخول في شوال، وقصدت عائشة بهذا الكلام رد ما كانت الجاهلية عليه وما يتخيله بعض العوام اليوم من كراهة التزوج والتزويج والدخول في شوال، وهذا باطل لا أصل له، وهو من آثار الجاهلية كانوا يتطيرون بذلك لما في اسم شوال من الإشالة والرفع^(٣)).

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (١٧٢/٢).

(٢) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (١٢٣/٤).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٠٩/٩).

وقد مات رسول الله - ﷺ - ولأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ثمان عشرة سنة^(١).

قال ابن القيم: (تزوج رسول الله - ﷺ - أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول الله - ﷺ -، عائشة بنت أبي بكر الصديق، وعرضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقة من حرير وقال: هذه زوجتك، تزوج بها في شوال وعمرها ست سنين، وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكرة غيرها، وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، ونزل عذرها من السماء، واتفقت الأمة على كفر قاذفها، وهي أفقه نسائه وأعلمهن، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب النبي - ﷺ - يرجعون إلى قولها ويستفتونها، وقيل: إنها أسقطت من النبي - ﷺ - سقطاً ولم يثبت)^(٢).

٣) أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: وقد جاءت قصة زواجها برسول الله - ﷺ - في صحيح البخاري وسنن النسائي وغيرهما، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ قَالَ عُمَرُ: لَقَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَلَبِثْتُ لِيَالِي، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَلَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبَلْتُهَا"^(٣).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٤٤/١) برقم: (١/٣٢٥٥)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٦٩/٥) برقم: (٥٣٤٥)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٠٥/٢) برقم: (٢١٢١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٥/٥) برقم: (٣٨٩٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤١/٤) برقم: (١٤٢٢).

(٢) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق (١٠٢/١-١٠٣).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٤٢/١) برقم: (١/٣٢٤٨)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٦٨/٥) برقم: (٥٣٤٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٣/٥) برقم: (٤٠٠٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

(٤) أم المؤمنين زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها -: واسمها الكامل زينب بنت خزيمة ابن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي أم المساكين كانت تسمى بذلك في الجاهلية، وتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة^(١).

(٥) أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان - رضي الله عنها -: تحدثت أم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - عن زواجها برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكرت: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، زَوَّجَهَا النَّجَاشِيَّ، وَأَمَّهَرَهَا أَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَجَهَّرَهَا مِنْ عِنْدِهِ، وَبَعَثَ بِهَا مَعَ (شُرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ)^(٢)، وَلَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِشَيْءٍ، وَكَانَ مَهْرُ نِسَائِهِ أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ"^(٣).

قال ابن سعد: (تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب في الهدنة وهي بأرض الحبشة، بعث إلى النجاشي يزوجه فزوجها إياه، وولي يومئذ تزويجها (خالد بن سعيد بن العاص)^(٤)، وكانت قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند عبدة الله بن جحش، وكان قد أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم ارتد وتتنصر، فمات هناك على النصرانية)^(٥).

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٩١/٨).

(٢) شرحبيل ابن حسنة وهي أمه، واسم أبيه عبد الله بن المطاع بن عبد الله بن الغطريف بن عبد العزى من بني الغوث بن مر، أخي تميم بن مر، وقيل: إنه كندي، وقيل: تميمي، وقيل غير ذلك، يكنى أبا عبد الله، أسلم شرحبيل قديماً، وهاجر إلى الحبشة، وكان من وجوه قريش، وسيره أبو بكر، وعمر، على جيش إلى الشام، ولم يزل والياً على بعض نواحي الشام لعمر إلى أن هلك في طاعون عمواس، سنة ثمان عشرة، وله سبع وستون سنة، طعن هو وأبو عبدة بن الجراح في يوم واحد. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (٢٦٥/٣).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٦١/١) برقم: (٥/٣٣٥٠)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٢٢٠/٥) برقم: (٥٤٨٦)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٩١/٢) برقم: (٢٠٨٦). وصححه محمد ناصر الدين بن نوح بن نجاتي بن آدم الألباني، صحيح أبي داود، الطبعة الأولى، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، (٣٣٧/٦).

(٤) خالد بن سعيد بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، يكنى أبا سعيد، أسلم قديماً، يقال: إنه أسلم بعد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، فكان ثالثاً أو رابعاً، وقيل: كان خامساً، وهاجر إلى الحبشة ومعه امرأته أمية بنت خالد الخزاعية، ثم شهد مع النبي - صلى الله عليه وسلم - القضية وفتح مكة، وحنيناً، والطائف، وتبوك، وبعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاملاً على صدقات اليمن، وقيل: على صدقات مذحج وعلى صنعاء، فتوفي النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو عليها، ثم استعمله أبو بكر على جيش من جيوش المسلمين حين بعثهم إلى الشام، فقتل بمرج الصفر في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه -، وقيل: كانت وقعة مرج الصفر سنة أربع عشرة في صدر خلافة عمر. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (١٢٤/٢).

(٥) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٧٥/٨).

(٦) أم المؤمنين أم سلمة بنت أبي أمية - رضي الله عنها -: وقد كان زوجها - رضي الله عنه - قبل رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أبو سلمة وهو أول من هاجر إلى المدينة ثم مات عنها، فلما ماتت ذكرت حديث رسول الله - ﷺ - في طلب الأجر من الله والإخلاص بخير عند المصيبة فقالت ذلك، وقد كانت تقول من خير من أبي سلمة سأعوّض به، ولما قالتها بيقين وصدق - رضي الله عنه - عوّضها الله برسول الله - ﷺ -، ومن خير من رسول الله - ﷺ -؟، قالت - رضي الله عنه -: سمعت رسول الله - ﷺ -، يقول: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾" ^(١)، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، قَالَتْ: أُرْسِلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - (حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ) ^(٢) يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: أَمَّا ابْنَتُهَا فَدَعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ" ^(٣).

ولفظ الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها، عن أبي سلمة أن رسول الله - ﷺ - قال: "إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأَجْرُنِي فِيهَا، وَأَبْدِلْنِي مِنْهَا خَيْرًا. فَلَمَّا احْتُضِرَ أَبُو سَلَمَةَ قَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ فِي أَهْلِي خَيْرًا مِنِّي، فَلَمَّا قُبِضَ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأَجْرُنِي فِيهَا" ^(٤).

(١) سورة البقرة الآية: (١٥٦).

(٢) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي، المكي، حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي، من مشاهير المهاجرين، شهد بدرًا والمشاهد، وكان رسول النبي - ﷺ - إلى المقوقس، صاحب مصر، وكان من الرماة الموصوفين، مات حاطب في سنة ثلاثين في خلافة عثمان، وله خمس وستون سنة. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٣/٢-٤٥). وينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٥/٢).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٤٤/١) برقم: (١/٣٢٥٤)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٧٩/٥) برقم: (٥٣٧٥)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٠٥/٢) برقم: (٢١٢٢)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٤٨٩/٥) برقم: (٣٥١١)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٥٣٠/٢) برقم: (١٥٩٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٣٧/٣) برقم: (٩١٨).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه (٤٨٩/٥) برقم (٣٥١١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال المباركفوري: (قوله: (إنا لله) أي ملكاً وخلقاً (وإنا إليه راجعون) أي في الآخرة (اللهم عندك أحسب مصيبتني) قال في النهاية: الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله احتساب؛ لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتد به، والحسبة اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد وهو الاحتساب في الأعمال الصالحة، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، وباستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها (فأجرتني) قال في النهاية: أجره يؤجره إذا أثابه وأعطاه الأجر والجزاء، وكذلك أجره يأجره، والأمر منهما أجرني وأجرتني (وأبدلني منها) أي من مصيبتني (فلما احتضر أبو سلمة) بصيغة المجهول أي دنا موته، يقال: حضر فلان واحتضر إذا دنا موته (قال: اللهم اخلف في أهلي خيراً مني) يقال: خلف الله لك خلفاً بخير، وأخلف عليك خيراً أي أبدلك بما ذهب منك وعوضك عنه، وقيل: إذا ذهب للرجل ما يخلفه مثل المال والولد قيل: أخلف الله لك وعليك، وإذا ذهب له ما لا يخلفه غالباً كالأب والأم قيل: خلف الله عليك، وقد يقال: خلف الله عليك إذا مات لك ميت أي كان الله خليفة عليك، وأخلف الله عليك أي أبدلك، كذا في النهاية (فلما قبض) أي قبض روحه ومات^(١).

قال القرطبي: (وقوله -ﷺ-: ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون. هذا تنبيه على قوله -تعالى-: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢)، الآية، مع أنه ليس فيها أمرٌ بذلك القول، وإنما تضمنت مدح من قاله؛ فيكون ذلك القول مندوباً، والمندوب مأثور به؛ أي: مطلوب ومقتضى، وإن سوغ تركه، وقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون: كلمة اعتراف بالملك لمستحقه، وتسليم له فيما يُجرى به في ملكه، وتهوين للمصيبات بتوقع ما هو أعظم منها، وبالثواب المرتب عليها، وتذكير المرجع والمآل الذي حَكَمَ به ذو العزة والجلال، وقوله: اللهم أَجِرْنِي في مصيبتني، هو من الأجر، وهو الثواب، وقول أم سلمة -رضي الله عنها-: عزم الله لي؛ أي: خلق فيّ قصداً مؤكداً، وهو العزم،

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٢٦٣/٤).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٥٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

لا أنَّ إرادة الله تسمَّى عزمًا، لعدم الإذن في ذلك. والله تعالى أعلم. وقولها: وأنا غيور؛ أي: كثيرة الغيرة، وقد جاءت فعول في صفة المؤنث كثيراً، وإن كان أصلها للمذكر. قالوا: امرأة ضحك وعروب وعروس، وعقبة كؤود، وأرض صعود وحذور وهبوط، ويقال: امرأة غیری، ورجل غيران، كسکری وسکران، وغضبی وغضبان، وهو القياس^(١).

وقال النووي: (قوله -ﷺ-: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ) فيه فضيلة هذا القول، وفيه دليل للمذهب المختار في الأصول أن المندوب مأمور به؛ لأنه -ﷺ- مأمور به مع أن الآية الكريمة تقتضي ندبه وإجماع المسلمين منعقد عليه، قوله -ﷺ-: (أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلَفَ لِي خَيْرًا مِنْهَا) معنى أجره الله أعطاه أجره وجزاء صبره وهمه في مصيبته، وقوله -ﷺ-: (وَأَخْلَفَ لِي) قال أهل اللغة يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصول مثله، أخلف الله عليك: أي رد عليك مثله، فإن ذهب ما لا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لا جد له ولا والد له قيل خلف الله عليك بغير ألف أي كان الله خليفة منه عليك، قولها: (ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا) أي خلق في عزمًا^(٢).

ولما تزوج رسول الله -ﷺ- بأم سلمة أقام عندها ثلاثاً. وقال: "ليس بك على أهلك هوان إن شئت سبعت لك، وإن سبعت لك سبعت لنسائي"^(٣).

قال العظيم آبادي: (قوله: (أقام عندها ثلاثاً) أقام أي إقامة الزوج عندها بعد الزفاف، وثلاثاً: أي ثلاث ليال (ليس بك على أهلك هوان) أي احتقار، والمراد بالأهل قبيلتها والباء للسببية؛ أي لا يلحق أهلك بسببك هوان، وقيل: أراد بالأهل نفسه -ﷺ-؛ وكل من الزوجين أهل، والباء متعلقة بهوان؛ أي: ليس اقتصاري على الثلاثة لهوانك علي ولا لعدم رغبة فيك ولكن لأنه الحكم، (إن شئت سبعت لك، وإن سبعت لك سبعت

(١) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٥٧/٢).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٢٠/٦).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٦٥/٨) برقم: (٨٨٧٦)، وأبو داود في "سننه"

مرجع سابق (٢٠٥/٢) برقم: (٢١٢٢)، ومسلم في "صحيحه" (١٧٢/٤) برقم: (١٤٦٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

لنسائي)، وفي رواية لمسلم: وإن شئت ثلثت ثم درت، قالت: ثلث، وفي رواية الدارقطني: إن شئت أقمت عندك ثلاثاً خالصة لك، وإن شئت سبعت لك وإن سبعت لك سبعت لنسائي. قالت: تقيم معي ثلاثاً خالصة، قال في النهاية: اشتقوا فعل من الواحد إلى العشرة، فمعنى سبع أقام عندها سبعا، وثلث أقام عندها ثلاثاً، وفي الحديث دليل على أن الزوج إذا تعدى السبع للبكر والثلاث للثيب بطل الإيثار ووجب قضاء سائر الزوجات مثل تلك المدة بالنص في الثيب والقياس في البكر^(١).

(٧) أم المؤمنين زينب بنت جحش - ﷺ -: وهي التي كانت تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله - ﷺ -، وكان من حكمة الله في زواجه - عليه الصلاة والسلام - بزينب إبطال عادة باطلة كانت عند العرب وهي أنهم لا يتزوجون زوجة المتبنى؛ لأنهم كانوا يرونه مثل الولد من النسب، وفي الأصل أن التبني غير مشروع كما أبطله الله، ونزل في شأن زواجها برسول الله - ﷺ - قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾^(٢). ولذلك كانت تفخر على زوجات رسول الله - ﷺ - بأن الله عز وجل زوّجها برسول الله من فوق سبع سماوات بينما هنّ زوّجهنّ أهلنّ، جاء من حديث أنس بن مالك - ﷺ -: قال: "جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي - ﷺ - يقول: اتق الله، وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله - ﷺ - كاتماً شيئاً لكانت هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي - ﷺ - تقول: زوّجكنّ أهاليكنّ، وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سموات، وعن ثابت: ﴿وَنُحِفِّي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَنَخْشَى النَّاسَ﴾^(٣)، نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة^(٤).

(١) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٢/٢٠٥).

(٢) سورة الأحزاب الآية: (٣٧).

(٣) سورة الأحزاب الآية: (٣٧).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٠/٢٢٠) برقم: (١١٣٤٣)، والترمذي في "جامعه"

مرجع سابق (٥/٢٦٦) برقم: (٣٢١٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦/١١٧) برقم:

(٤٧٨٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

والذي خطبها لرسول الله - ﷺ - هو زيد بن ثابت - رضي الله عنه -، ولم يولم رسول الله - ﷺ - عليه الصلاة والسلام - على أحد من نسائه في زواجهنَّ أفضل ولا أكثر من زينب بنت جحش - رضي الله عنها -، قال أنس بن مالك - رضي الله عنه -: «لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَزَيْدٍ: فَادْكُزْهَا عَلَيَّ، قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُحْمَرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمْتُ فِي صَدْرِي، حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَنَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَذْكُرُكَ، قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ، قَالَ، فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَّبَعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ، وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ، فَأَلْقَى السَّيْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَنَزَلَ الْحِجَابُ»^(١).

قال النووي: (قوله: (فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ فَيُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَلَامًا عَلَيْكُمْ كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَيَقُولُونَ بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ فَيَقُولُ بِخَيْرٍ) في هذه القطعة فوائد منها أنه يستحب للإنسان إذا أتى منزله أن يسلم على امرأته وأهله وهذا مما يتكبر عنه كثير من الجاهلين المترفعين، ومنها أنه إذا سلم على واحد قال سلام عليكم أو السلام عليكم بصيغة الجمع قالوا ليتناولوه وملكيه، ومنها سؤال الرجل أهله عن حالهم فربما كانت في نفس المرأة حاجة فتستحي أن تبتدئ بها، فإذا سألها انبسطت لذكر حاجتها، ومنها أنه يستحب أن يقال للرجل عقب دخوله كيف حالك ونحو هذا)^(٢).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٤٣/١) برقم: (١/٣٢٥١)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٨١/٥) برقم: (٥٣٧٨)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٩٦/٣) برقم: (٣٧٤٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٧٠/٥) برقم: (٣٢١٧)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٩٨/٣) برقم: (١٩٠٨)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١١٨/٦) برقم: (٤٧٩١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٨/٤) برقم: (١٤٢٨).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٢٥/٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

(٨) أم المؤمنين جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها-: وهي بنت سيد قومها بني المصطلق، وقد وقعت أسيرة في أيدي المسلمين في غزوة بني المصطلق، وجاءت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- تطلب منه أن يعينها في مكاتبها لعتق رقبتها، فعرض عليها قضاء كتابتها وزواجه بها فقبلت، فتزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- وجعل عتقها صداقها، فلما علم الناس بذلك أعتقوا من بأيديهم من السبي (الأسرى) إكراماً لأصهار الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فما كانت امرأة أعظم على قومها بركة منها^(١).

(٩) أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب -رضي الله عنها-: وهي بنت حيي بن أخطب اليهودي وكان سيداً من سادات يهود بني قريظة والنضير، وقد كانت مع السبي في غزوة خيبر، فأعتقها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجعل صداقها عتقها، وذلك بعد ما أشار عليه أحد الصحابة أن تكون له بعد ما أخذها دحية الكلبي -رضي الله عنه-، أخبر بذلك أنس بن مالك -رضي الله عنه- وهو يتحدث عن غزوة خيبر وجمع السبي فقال: "وَجُمِعَ السَّبِيُّ، فَجَاءَهُ دِحْيَةُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبِيِّ. فَقَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حِيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حِيٍّ سَيِّدَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ؟ مَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: ادْعُوهُ بِهَا، قَالَ: فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبِيِّ غَيْرَهَا، قَالَ: وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتُ الْبَنَانِي: يَا أَبَا حَمْرَةَ، مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزْتُهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عَرُوساً، فَقَالَ: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ، قَالَ: وَبَسَطَ نِطْعاً، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْأَقِطِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالنَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، فَحَاسُوا حَيْساً، فَكَانَتْ وَلِيمَةً رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-"^(٢).

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/١٩٤-٢٩٦).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٣٨/١) برقم: (١/٦٩)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٩٦/١) برقم: (٦٤)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٧٧/٢) برقم: (٢٠٥٤)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٤٠٨/٢) برقم: (١١١٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٣٤/٣) برقم: (١٩٥٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٣/١) برقم: (٣٧١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٣/٢) برقم: (٣٨٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وجاء في لفظ آخر أن رسول الله - ﷺ - اشتراها بسبعة أرؤس قال أنس - رضي الله عنه -: "وَوَقَّعَتْ فِي سَهْمٍ دَحْيَةَ جَارِيَةٍ جَمِيلَةٍ، فَاسْتَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِسَبْعَةِ أَرُؤُسٍ، ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تُصَنِّعُهَا لَهُ وَتُهَيِّئُهَا - قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَتَعْتَدُ فِي بَيْتِهَا، وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ" (١).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا) ذكر الشافعي في الأم عن سير الواقدي أن النبي - ﷺ - أعطاه أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق انتهى. وكان كنانة زوج صفية، فكانه - ﷺ - طيب خاطره لما استرجع منه صفية بأن أعطاه أخت زوجها، واسترجاع النبي - ﷺ - صفية منه محمول على أنه إنما أذن له في أخذ جارية من حشو السبي لا في أخذ أفضلهن، فجاز استرجاعها منه لئلا يتميز بها على باقي الجيش مع أن فيهم من هو أفضل منه، ووقع في رواية لمسلم: أن النبي - ﷺ - اشترى صفية منه بسبعة أرؤس وإطلاق الشراء على ذلك على سبيل المجاز، وليس في قوله سبعة أرؤس ما ينافي قوله هنا خذ جارية إذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة) (٢).

١٠) أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها -: وهي خالة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -، وخالة (يزيد بن الأصم) (٣) - رضي الله عنه -، وقد أخبر ابن عباس بزواج رسول الله - ﷺ - بها، فقال: "تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ" (٤)، وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، قَالَ: "حَدَّثَنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَالٍ، قَالَ: وَكَانَتْ خَالَتِي، وَخَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ" (٥).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٦٦/١) برقم: (١/٣٣٨٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٣/٢) برقم: (٣٨٢).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٤٨١/١).

(٣) يزيد بن الأصم واسمه عبد عمرو بن عدس بن عبادة بن البكاء بن عامر بن صعصعة، وأمه برزة بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبي - ﷺ -، وكان ثقة كثير الحديث، وروى عن أبي هريرة وابن عباس وخالته ميمونة، ومات في سنة ثلاث ومائة في خلافة يزيد بن عبد الملك. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣٣/٧).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٥٦٤/١) برقم: (١/٢٨٣٧)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٦/٣) برقم: (٣١٨٦)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٠٧/٢) برقم: (١٨٤٤)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٩١/٢) برقم: (٨٤٢)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٣٨/٣) برقم: (١٩٦٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٥/٣) برقم: (١٨٣٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٧/٤) برقم: (١٤١٠).

(٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٤٤/٣) برقم: (٣٢١٩)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٠٧/٢) برقم: (١٨٤٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٩٣/٢) برقم: (٨٤٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٣٩/٣) برقم: (١٩٦٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٧/٤) برقم: (١٤١١).

وهنا اختلاف في الروايتين بين ما ذكره ابن عباس وما ذكره يزيد بن الأصم عن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها، وقد جمع بين هذه الأقوال النووي فقال: (ثم ذكر مسلم الاختلاف أن النبي -صلى الله عليه وسلم - تزوج ميمونة وهو محرم أو وهو حلال، فاختلف العلماء بسبب ذلك في نكاح المحرم فقال مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم: لا يصح نكاح المحرم واعتمدوا أحاديث الباب، وقال أبو حنيفة والكوفيون: يصح نكاحه لحديث قصة ميمونة، وأجاب الجمهور عن حديث ميمونة بأجوبة أصحها: أن النبي -صلى الله عليه وسلم - إنما تزوجها حلالاً هكذا رواه أكثر الصحابة. قال القاضي وغيره: ولم يرو أنه تزوجها محرماً إلا ابن عباس وحده، وروت ميمونة وأبو رافع وغيرهما أنه تزوجها حلالاً، وهم أعرف بالقضية لتعلقهم به بخلاف ابن عباس ولأنهم أضبط من ابن عباس وأكثر، الجواب الثاني: تأويل حديث ابن عباس على أنه تزوجها في الحرم وهو حلال ويقال لمن هو في الحرم محرم وإن كان حلالاً، وهي لغة شائعة معروفة، ومنه البيت المشهور:

... قتلوا بن عفان الخليفة محرماً ...

أي: في حرم المدينة، والثالث: أنه تعارض القول والفعل والصحيح حينئذ عند الأصوليين ترجيح القول لأنه يتعدى إلى الغير والفعل قد يكون مقصوراً عليه، والرابع: جواب جماعة من أصحابنا، أن النبي -صلى الله عليه وسلم - كان له أن يتزوج في حال الإحرام وهو مما خص به دون الأمة وهذا أصح الوجهين عند أصحابنا، والوجه الثاني أنه حرام في حقه كغيره وليس من الخصائص^(١).

قال ابن القيم: (ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وهي آخر من تزوج بها، تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح، وماتت في أيام معاوية -رضي الله عنه، وقبرها بسرف)^(٢).

فهؤلاء أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم - اللاتي دخل بهنّ، وتوفيت منهنّ في حياته اثنتان وهما: خديجة -رضي الله عنها، وزينب بنت خزيمة (أم المساكين)، وأسكن أم سلمة بيتها بعد موتها^(٣)،

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١١٩٣/٩-١١٩٤).

(٢) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق (١٠٩/١-١١٠).

(٣) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٧٣/٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وتوفي رسول الله - ﷺ - عن التسع البواقي، قال ابن القيم: (ولا خلاف أنه - ﷺ - توفي عن تسع، وكان يقسم منهن لثمان: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية)^(١).

وأما مارية القبطية - ﷺ - فهي أم ولده إبراهيم، وهي التي أهداها له المقوقس ملك الإسكندرية^(٢)، وقد أوصى رسول الله - ﷺ - بأهل مصر خيراً بعد فتحها، ذاكراً لهم صهارته لأهل مصر، ففي حديث أبي ذر الغفاري - ﷺ -، قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا - أَوْ قَالَ - : ذِمَّةٌ وَصِيْهْرًا"^(٣).

قال النووي: (قوله - ﷺ -: (ستفتحون مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ.....)) قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثر من استعماله والتكلم به، وأما الذمة فهي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم، وفيه معجزات ظاهرة لرسول الله - ﷺ - منها إخباره بأن الأمة تكون لهم قوة وشوكة بعده بحيث يقهرون العجم والجبابرة، ومنها أنهم يفتحون مصر)^(٤).

فهؤلاء هن أمهات المؤمنين لهن علينا حق عظيم، فهن في منزلة الأمهات لنا، قال تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٥)، قال القرطبي: (شرف الله تعالى أزواج نبيه - ﷺ - بأن جعلهن أمهات المؤمنين، أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن - رضي الله تعالى عنهن - بخلاف الأمهات)^(٦). وقال الحافظ ابن كثير: (أي في الحرمة والاحترام، والتوقير والإكرام

(١) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق (١١/١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١١/١).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٩٠/٧) برقم: (٢٥٤٣).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٩٧/١٦).

(٥) سورة الأحزاب الآية: (٦).

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق (١٢٣/١٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وَالْإِعْظَامُ^(١)، فاحترامهنَّ ورفع قدرهنَّ هو امتثال لأمر الله جل وعلا ولأمر رسوله - ﷺ - وإجلال له - عَلَيْهِ السَّلَام -، وهنَّ من أهل بيته الذين وصَّانا بهنَّ نبينا، ومن عظيم شرفهنَّ وقدرهنَّ أَنَّهُنَّ اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عندما خُيِّرْنَ، وقد عَظَّمَ الله لهنَّ أجر العبادَة ضعفين، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾^(٢)، فالواجب علينا أن نترضى عنهنَّ، فقد نالت كل واحدة منهنَّ شرف الصحبة وشرف زواجها برسول الله - ﷺ -، فعلينا التعرف على سيرتهنَّ ودراستها ونشرها بين الناس وبين نساتنا فهنَّ أعظم قدوة لكل مسلم ومسلمة ولكل زوجة وامرأة، فقد صبرن مع الحبيب المصطفى - ﷺ -، فتارة يشبعن وتارة يجعنَّ وأكثر ما كان يمرُّ عليهنَّ الجوع، ولكنَّ الإيمان وحبَّ رسول الله - ﷺ - كان أعظم دافع لهنَّ على تحمُّل ذلك، فلم تكن معهنَّ القصور الشاهقة ولا الحرس والحشم ولا غيره، بل كان معهنَّ أعظم رصيد وهو الإيمان بالله وبرسوله وطاعتهما، والواجب علينا أيضاً الدفاع عنهنَّ والذب عنهنَّ أمام كل من أراد التتقص منهنَّ أو الطعن فيهنَّ، فقد كان سلفنا الصالح منذ عهد الصحابة إلى عصرنا هذا، لا يزال الصالحون منهم يضعون أمهات المؤمنين في مكانة عالية، ولا يسمحون لأي شائن مبغض أن يطعن فيهنَّ، بل يرون ذلك من أفضل القربات والجهاد في سبيل الله في الذب عنهنَّ وتوقيرهنَّ واحترامهنَّ وحسن الأدب معهنَّ، ومن صور إجلالهنَّ: أن تُسمِّي بناتنا بأسمائهنَّ فيبقى ذكرهنَّ في بيت كل مسلم وتبقى سيرتهنَّ العطرة في قلوب بناتنا، فيجعلنَّ لهنَّ قدوة وأنعم بها من قدوة، ونحن بأمس الحاجة لذلك وخصوصاً في هذا الزمان الذي تأثرت الكثير من بنات المسلمين بالعاهرات والفاسقات والعياذ بالله، فرضي الله عن أمهات المؤمنين وأصلح الله بناتنا ونسائنا.

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٦/٣٤٠).

(٢) سورة الأحزاب الآية: (٣١).

تشریع الجہاد

قال القرطبي: (قال ابن العربي: قال علماؤنا كان رسول الله - ﷺ - قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل مدة عشرة أعوام، لإقامة حجة الله تعالى عليهم، ووفاء بوعده الذي امتن به بفضله في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٢)، فاستمر الناس في الطغيان وما استدلوا بواضح البرهان، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم عن بلادهم، فمنهم من فر إلى

(٢) سورة الإسراء الآية: (١٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أرض الحبشة: ومنهم من خرج إلى المدينة، ومنهم من صبر على الأذى، فلما عتت قريش على الله تعالى وردوا أمره وكذبوا نبيه -ﷺ-، وعذبوا من آمن به ووحده وعبدته، وصدق نبيه -ﷺ- واعتصم بدينه، أذن الله لرسوله في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم^(١)، ويمكن أن نُلخّص التدرّج في تشريع الجهاد في عدة مراحل:

❖ المرحلة الأولى: الكف والإعراض والصفح، وإعداد النفس قبل خوض المعارك، وذلك حتى تستطيع الفئة المؤمنة الثبات في ساحة القتال، ولذلك كان النبي -ﷺ- يوصي أصحابه بالصبر على أذية المشركين، ويبلغهم قول الحق جل في علاه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٢)، وهنا يذكرهم الله بأن الصبر والسماح من عزم الأمور التي حثَّ عليها وأكدها سبحانه وتعالى ولا ينالها إلا صاحب الإيمان العظيم، وأنَّ ترك الانتصار للنفس بالقول والفعل أمر عسير على النفس، ولكنه يسير على من يسر الله عليه، وهذا من جهاد النفس، وله من اللذة التي تكون في القلب وحسن التعلُّق بالله سبحانه الشيء العظيم، وأمر الله نبيه بأن يصفح عن مشركي قريش وغيرهم ويقول لهم معروفاً فسوف يعلمون، ما قال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وأمر عباده المؤمنين في مكة بذلك بذلك فقال سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤)، قال الحافظ ابن كثير: (أي يصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى منهم وكان هذا في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم، ثم لما أصرُّوا على العناد شرع الله للمؤمنين الجهاد والجهاد)^(٥).

وقد ركّز النبي -ﷺ- في هذه المرحلة على تصحيح العقيدة وتربية نفوس أصحابه وتركيتها وإعدادها للمراحل القادمة.

(١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق (٦٩/١٢).

(٢) سورة الشورى الآية: (٤٣).

(٣) سورة الزخرف الآية: (٨٩).

(٤) سورة الجاثية الآية: (١٤).

(٥) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٢٤٥/٧).

❖ المرحلة الثانية: الإذن لهم بالقتال ولكن من غير إلزام، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۚ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝﴾^(١). وكانت هذه الآية هي أول آية نزلت في الجهاد، قال الحافظ ابن كثير: (قال ابن عباس في قوله: (وإن الله على نصرهم لقدير) وقد فعل، وإنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به؛ لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أمر المسلمين وهم أقل من العشر بقتال الباقيين لشق عليهم، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله - ﷺ -، وكانوا نيفاً وثمانين، قالوا: يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي، يعنون أهل منى، ليالي منى فنقتلهم؟ فقال رسول الله - ﷺ -: إني لم أؤمر بهذا. فلما بغى المشركون وأخرجوا النبي - ﷺ - من بين أظهرهم وهموا بقتله، وشردوا أصحابه شذر مذر، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة، فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله - ﷺ - واجتمعوا عليه، وقاموا بنصره، وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجئون إليه، شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك)^(٢).

❖ المرحلة الثالثة: فرض القتال عليهم، قال الإمام الشافعي: (ولما مضت لرسول الله - ﷺ - مدة من هجرته أنعم الله تعالى فيها على جماعة باتباعه حدثت لهم بها مع عون الله قوة بالعدد لم تكن قبلها، ففرض الله تعالى عليهم الجهاد بعد إذ كان إباحة لا فرضاً، فقال تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

(١) سورة الحج الآية: (٣٩-٤٠).

(٢) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٣٨٠/٥-٣٨١).

تَقْلُوبُكُمْ^(١)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^(٢)، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(٤)، وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَقٌّ إِذَا انْخَضَعُوا فَاسْدُوا أَلْوَقًا﴾^(٥)، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالُكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ . إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦)، وقال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٧)، ثم ذكر قوماً تخلفوا عن رسول الله - ﷺ - ممن كان يظهر الإسلام، فقال: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾^(٨) الآية، فأبان في هذه الآية أَنَّ عليهم الجهاد فيما قرب وبعد إبانته ذلك^(٩).

(١) سورة البقرة الآية: (٢١٦).

(٢) سورة التوبة الآية: (١١١).

(٣) سورة البقرة الآية: (٢٤٤).

(٤) سورة الحج الآية: (٧٨).

(٥) سورة محمد الآية: (٤).

(٦) سورة التوبة الآية: (٣٨-٣٩).

(٧) سورة التوبة الآية: (٤١).

(٨) سورة التوبة الآية: (٤٢).

(٩) ينظر: أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد

مناف المطلبي القرشي المكي، كتاب الأم، الطبعة (بدون)، دار المعرفة، بيروت، لبنان،

١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، (٤/١٧٠).

وقد قسّم العلماء الجهاد إلى قسمين:

- (أ) جهاد طلب، وهو الذي يفتح المسلمون بلاد الكفار وينشرون فيها الإسلام، وفيه يستنفر والي المسلمين الناس لذلك، وهو فرض كفاية.
- (ب) جهاد دفع، وهو الذي يكون فيه دفع العدو عندما ينزل ببلاد المسلمين، وهو فرض عين.

قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَنِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا"^(١).

قال المباركفوري: (قوله: (لا هجرة بعد الفتح) أي فتح مكة. قال الخطابي وغيره: كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلّة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو، انتهى. وكانت الحكمة أيضاً في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار، فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم، إلى أن يرجع عن دينه، وفيهم نزلت { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها } الآية، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها (ولكن جهاد ونية) قال الطيبي وغيره: هذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله، والمعنى أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت، إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية، وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج في طلب العلم، والفرار بالدين من الفتن، والنية في جميع ذلك (وإذا استنفرتم فانفروا) قال النووي: يريد أن الخير الذي انقطع بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة، وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه)^(٢).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١/٥٧٠) برقم: (١/٢٨٧٤)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٤/٩٩) برقم: (٣٨٤٣)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢/١٦١) (بدون ترقيم)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣/٢٤٣) برقم: (١٥٩٠)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤/٦٥) برقم: (٢٧٧٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢/٩٢) برقم: (١٣٤٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤/١٠٩) برقم: (١٣٥٣).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٢/٣٩٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال النووي: (قوله -ﷺ-: (وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاَنْفِرُوا) معناه: إذا طلبكم الإمام للخروج إلى الجهاد فاخرجوا، وهذا دليل على أن الجهاد ليس فرض عين بل فرض كفاية إذا فعله من تحصل بهم الكفاية سقط الحرج عن الباقيين، وإن تركوه كلهم أثموا كلهم، قال أصحابنا: الجهاد اليوم فرض كفاية إلا أن ينزل الكفار ببلد المسلمين فيتعين عليهم الجهاد، فإن لم يكن في أهل ذلك البلد كفاية وجب على من يليهم تتميم الكفاية، وأما في زمن النبي -ﷺ- فالأصح عند أصحابنا أنه كان أيضاً فرض كفاية، والثاني أنه كان فرض عين، واحتج القائلون بأنه كان فرض كفاية بأنه كان تغزو السرايا وفيها بعضهم دون بعض)^(١).

وقد وضّح النبي -ﷺ- ذلك الحكم، وحثّ الصحب الكرام على الجهاد، بل وضمن للمجاهد المخلص جهاده في سبيل الله الجنة، وذكر الفضل العظيم له عند الله، فقال كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَاداً فِي سَبِيلِي، وَإِيمَاناً بِي، وَتَصَدِيقاً بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَداً، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَلَيَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ"^(٢).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٣/٨-٩).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١/٦١٥) برقم: (١/٣١٢٢)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٤/٢٧٨) برقم: (٤٣١٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣/٢٦٣) برقم: (١٦١٩)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤/٥١) برقم: (٢٧٥٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١/١٧) برقم: (٣٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦/٣٣) برقم: (١٨٧٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال السندي: (قوله: (أعد الله لمن خرج في سبيله) المفعول مقدر، أي: أعد له فضلاً كبيراً، أو أجراً عظيماً، قوله: (لا يخرججه . . . إلخ) هو من كلامه تعالى، فلا بد من تقدير القول على أن جملة القول بيان لجملة (أعد الله) أي: قال تعالى خرج في سبيلي لا يخرججه إلا جهاد في سبيلي، قوله: (فهو علي ضامن) خبر لمبتدأ مقدر قبل قوله: (لا يخرججه إلا جهاد في سبيلي) كما أشرت إليه، وضامن بمعنى ذو ضمان، أو مضمون مرعي حاله على أنه فاعل بمعنى المفعول (أن أدخله) من الإدخال (أو أرجعه) من الرجوع المتعدي، أي: أردّه لا من الرجوع فإنه لازم وجعله من الإرجاع بعيد فإنه غير فصيح، إلا أن يقال بفصاحته هاهنا للزدواج (من أجر) أي: فقط (أو غنيمة) أي: معه، قوله: (لولا أن أشق) أي: مع حصول المغفرة لي قطعاً أريد الجهاد في سبيل الله لتحصيل ما فيه من الخير، فكيف حال غيري (فيتبعوني) أي: راكبين (فيتخلفون بعدي) فيؤدي ذلك إلى مشيهم معي على الأرجل، وفيه من المشقة عليهم ما لا يخفى^(١).

قال النووي: (معناه: أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهَذَا الضَّمَانُ وَالْكَفَالَةُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^(٢)، قوله: (لا يخرججه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برُسلي) معناه: لا يخرججه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى، قوله تعالى: (فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ) ذكروا في ضامن هنا وجهين، أحدهما: أنه بمعنى مضمون كماء دافق ومدفوق، والثاني أنه بمعنى ذو ضمان، قوله: (أو أرجعه إلى مسكنه نائلاً ما نال من أجرٍ أو غنيمة) قالوا معناه: ما حصل له من الأجر بلا غنيمة إن لم يغنم أو من الأجر والغنيمة معاً إن غنموا، ومعنى الحديث أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيراً بكل حال، فإما أن يستشهد فيدخل الجنة، وإما أن يرجع بأجر، وإما أن يرجع بأجر وغنيمة، قوله - ﷺ -: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِّمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ) أما الكلم بفتح الكاف وإسكان اللام فهو الجرح ويكلم بإسكان الكاف أي يجرح،

(١) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (١٧١/٢).

(٢) سورة التوبة الآية: (١١١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى، وفيه دليل على جواز اليمين وانعقادها بقوله والذي نفسي بيده ونحو هذه الصيغة من الحلف بما يدل على الذات ولا خلاف في هذا، قال أصحابنا: اليمين تكون بأسماء الله تعالى وصفاته أو ما دل على ذاته، قوله: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي خلفها وبعدها، وفيه ما كان عليه - ﷺ - من الشفقة على المسلمين والرأفة بهم، وأنه كان يترك بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين وأنه إذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها وفيه مراعاة الرفق بالمسلمين والسعي في زوال المكروه والمشقة عنهم، قوله: (لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) فيه فضيلة الغزو والشهادة، وفيه تمني الشهادة والخير، وتمني ما لا يمكن في العادة من الخيرات، وفيه أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين^(١).

ومما سبق يتضح لنا من مراحل تشريع الجهاد أن كل حال من أحوال الأمة في حالة قوتها واستضعافها له حكمه الشرعي، والذي يقرره علماء الأمة الأفاضل وأهل الاجتهاد فيها، ومن نظر إلى سيرة رسول الله - ﷺ - يجد كيف تعامل - عليه الصلاة والسلام - مع ذلك كله بنور من ربه، وسيجد أحوالها في مرحلة ضعفها وصبرها وتحملها، وفي حالة دفاعها عن نفسها، وفي حالة تحرك الجيوش من المدينة إلى بدر وأحد وموته والفتح وحنين وتبوك وغيرها من الغزوات وغيرها من السرايا، وكذلك سنجد في أخبار رسول الله - ﷺ - عن خروج المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - في آخر الزمان، وأنه يخرج مُتَّبَعًا لِمَلَّةٍ رسول الله - ﷺ -، وأنه يُقاتل المسيح الدجال ويقتله حينما يكون هو ومن معه من المسلمين قادرين على ذلك، ولكن عندما يخرج قوم يأجوج ومأجوج ينأى المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - بمن معه من المسلمين، وينحازوا إلى مدائنهم وحصونهم^(٢)، فيُقاتل عند الاستطاعة ويترك عند عدم الاستطاعة، ففقه الجهاد فقه مهم جداً أن يفقهه شباب الأمة اليوم ورجالها.

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٠/١٣-٢٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٢٠٥/٥) برقم: (٤٠٧٩).

المبحث السادس

سرية^(١) الألباء (ودان)

بدأت طلائع الجهاد في سبيل الله من أبطال الصحابة -رضوان الله- عليهم ويتقدمهم رسول الله -ﷺ-، وكانت حركتهم في (غزوات^(٢)، وسرايا)، واتجهت إلى مواقع غربي المدينة المنورة، وكان هدفها عدة أمور، منها:

أ) تهديد طريق تجارة قريش المتجهة إلى الشام، وهذه ضربة قوية لاقتصاد كفار قريش في مكة.

ب) كانت مهمة تلك التحركات عقد بعض التحالفات والعهود مع القبائل التي تسكن المنطقة، من أجل أن تتعاون مع المسلمين أو أقل حالاتها أن لا تقف مع المشركين، وتكون في موقف حياد في الصراع بين المسلمين والمشركين، وهذا يعتبر نجاح للمسلمين؛ لأن تلك القبائل بينها إيلافات مع قريش كما سماها الله في القرآن الكريم، فهذه القبائل ميولها في الأصل لقريش، فهم يرونهم أهل الحرم، وقد استغلت قريش هذه المكانة لتأمين طريق تجارتها إلى الشام واليمن في رحلتي الشتاء والصيف.

ج) إظهار قوة المسلمين في المدينة ليراها اليهود وبقايا المشركين فيها، وهي رسالة واضحة أن المسلمين لم يقتصروا على السيادة في المدينة بل عندهم الاستطاعة أن يخرجوا إلى حوالها ويؤثرون فيها.

(١) (السَّريَّة) قطعة من الجيش، يقال: خير السرايا أربعمئة رجل. ينظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، الطبعة: الخامسة، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، (١/١٤٧).

(٢) غزوات مفردة غزوة والغزو من غزا يغزو غزواً، وهو القصد، والمغزاة: موضع الغزو، وجمعها المغازي، وتكون المغازي بمعنى غزوات، يقال: غزوت مغزى. ينظر: الهروي، تهذيب اللغة، مرجع سابق (٨/١٥٠).

د) إظهار عِزَّة المسلمين وقوة شوكتهم، وأنَّهم لن يسكتوا عن الظلم والذل الذي يفرضه كفار قريش على ضعفاء المسلمين، وهي فرصة لرد المعتدي والاعتداء عليه بالمثل.

فكانت أولى هذه السرايا والغزوات هي التي وقعت في الأبواء ويقال لها ودان، و(الأبواء وودان) هما موقعان متجاوران بينهما ستة أميال أو ثمانية، والأبواء تبعد عن المدينة حوالي أربعة وعشرين ميلاً، ولم يقع قتال في هذه الغزوة بل تَمَّت مودعة بني ضمرة (من كنانة)^(١)، وكانت هذه الغزوة في ١٢ صفر في السنة الثانية للهجرة، وقد عاد الجيش إلى المدينة بعد أن مكث خارجها إلى بداية شهر ربيع الأول، ويذكر عروة ابن الزبير أنَّ النبي -ﷺ- أرسل سرية من الأبواء تضم ستين رجلاً بقيادة (عبدة بن الحارث)^(٢)، في حين يذكر ابن إسحاق أنَّ السرية أرسلت إلى سيف البحر بعد العودة إلى المدينة، وأنَّ ثَمَّة سرية أخرى من ثلاثين رجلاً بقيادة حمزة بن عبد المطلب اتَّجهت إلى سيف البحر أيضاً في نفس الوقت للتعرض إلى قافلة قرشية، لكنَّ السريتين لم تشبكا مع القرشيين في قتال، فقد حالت القبائل المودعة للطرفين دون ذلك في سرية حمزة، وجرى تراشق بالسهم فقط بين سرية عبدة والقرشيين، ولا شك أنَّ السريتين استهدفتا تهديد تجارة قريش بالدرجة الأولى، وهو تحذير أولي لقريش بأنَّ تجارتها أصبحت في خطر ما لم تغير موقفها المتعنت من الإسلام^(٣).

ذكر الإمام البخاري في صحيحه، قول ابن اسحاق: (أَوَّلُ مَا غَزَا النَّبِيُّ -ﷺ-: الأَبْوَاءَ، ثُمَّ بُوَاطَ، ثُمَّ الْعُشَيْرَةَ)^(٤).

ففي غزوة الأبواء أو ودان تلاقى المسلمون والمشركون وتراشقوا بالنبال.

(١) وهم بني ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناة من كنانة، وادعه رئيسهم مجدي بن عمرو الضمري

ورجع -ﷺ- بغير قتال. ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٧٩/٧).

(٢) عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلب، وأمه: من ثقيف، وكان أحد السابقين الأولين، وهو أسن من رسول الله -ﷺ- بعشر سنين، هاجر هو وأخوه الطفيل، وحصين، وكان ربعة من الرجال، مليحاً، كبير المنزلة عند رسول الله -ﷺ-، وهو الذي بارز رأس المشركين يوم بدر، وكانت وفاته بالصفراء، في العشر الأخير من رمضان، سنة اثنتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٥٦/١).

(٣) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٣٤٥/٢) - (٣٤٦).

(٤) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق (٧١/٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وذكر الحافظ ابن حجر أنَّ رسول الله -ﷺ- أرسل أول سرية إلى (رابع)^(١)، ليلقوا عيراً لقريش وكانت في السنة الأولى للهجرة، فتراموا بالسهام ولم يكن بينهم مسايقة، فكان سعد أول من رمى، وأنشد في ذلك سعد -ﷺ-:

أَلَا هَلْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي

وذكر خروجه مع عبدة بن الحارث في ستين راكباً، فكان بذلك سعد هو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأول من عقد له الرسول -ﷺ- لواء هو عمه حمزة بن عبدالمطلب -ﷺ-^(٢).

قال سعد بن أبي وقاص -ﷺ-: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(٣).

قال النووي: (فيه منقبة ظاهرة له، وجواز مدح الإنسان نفسه عند الحاجة)^(٤).
فكان هذا هو أول لقاء بين المسلمين والمشركين، وإن كان لم يحصل فيه قتال بالسيوف، وإنما تراشق بالسهام، إلا أنه أعطى لقريش رسالة واضحة أنَّ المسلمين أهل عِزَّة، وأنَّ على كفار قريش أن يراجعوا سياساتهم تجاه المسلمين، وأوضح كذلك شجاعة المسلمين وحسن انقيادهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ عندما جاءهم الأمر منهم بالجهاد فجاهدوا.

(١) وإدٍ يقطعه الحاببين البزواء والجحفة دون عزور، وقيل: رابع بين الجحفة وودّان، وقال الواقدي: هو على عشرة أميال من الجحفة فيما بين الأبواء والجحفة، يقال: أربع فلان إبله إذا تركها ترد أي وقت شاعت من غير أن يجعل لها ظمأ معلوماً، وهي إبل مريغة أي هاملة، والرابع: الذي يقيم على أمر ممكن له، والرابع: العيش الناعم. ينظر: الهروي، تهذيب اللغة، مرجع سابق (١٥٠/٨).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٨٠/٧).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٦/٧) برقم: (٨١٦١)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٧٨/٤) برقم: (٢٣٦٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٩٣/١) برقم: (١٣١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٢/٥) برقم: (٣٧٢٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢١٥/٨) برقم: (٢٩٦٦).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٠١/١٨).

المبحث السابع سرايا أخرى

قد سبق في الأثر الذي أخرجه الإمام البخاري عن ابن إسحاق ذكره للغزوات والسرايا الأولى التي كانت لرسول الله - ﷺ - ولأصحابه، وهي: (الأبواء، بواط^(١)، العشيرة^(٢))، قال الحافظ ابن كثير: (غزوة بواط من ناحية رضوى قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله - ﷺ - في شهر ربيع الأول، يعني من السنة الثانية، يريد قريشاً، قال (ابن هشام)^(٣): واستعمل على المدينة (السائب بن عثمان بن مظعون)^(٤))، وقال (الواقدي)^(٥): استخلف عليها (سعد بن معاذ)^(٦)، وكان رسول الله - ﷺ - في مائتي

(١) بالضم، وآخره طاء مهملة: هو جبل من جبال جهينة بناحية رضوى، غزاه النبي، - ﷺ -، في شهر ربيع الأول في السنة الثانية من الهجرة يريد قريشاً، ورجع ولم يلق كيداً. ينظر: شهاب الدين ياقوت الرومي، معاجم البلدان، مرجع سابق (٥٠٣/١).

(٢) لفظ تصغير عشرة يضاف إليه ذو فيقال ذو العشيرة، قال الأزهري: هو موضع بالصمان معروف نسب إلى عشرة نابتة فيه، والعشر: من كبار الشجر وله صمغ حلو يسمى سكر العشر، وغزا النبي، - ﷺ -، ذا العشيرة وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة. ينظر: المرجع السابق (١٢٧/٤).

(٣) ابن هشام هو عبد الملك بن هشام بن أيوب أبو محمد الذهلي، العلامة، النحوي، الأخباري، نزيل مصر، هذب السيرة النبوية، وسمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق، وخفف من أشعارها، وله مصنف في أنساب حمير وملوكها، وأرخت وفاته في ثالث عشر ربيع الآخر، سنة ثمان عشرة ومائتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٢٨/١٠).

(٤) السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي، وأمه: خولة بنت حكيم السلمية، هاجر إلى الحبشة، وكان من الرماة المذكورين، وأخى رسول الله - ﷺ - بينه وبين حارثة بن سراقة الأنصاري، قال ابن سعد: وشهد السائب بن عثمان بديراً في رواية ابن إسحاق، والواقدي، وقيل: أصابه سهم يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة، قال: ومات منه. ينظر: المصدر السابق (١٣٦/١-١٣٧).

(٥) الواقدي محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم، الواقدي، المدني، القاضي، صاحب التصانيف والمغازي، العلامة، أبو عبد الله، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه، ولد بعد العشرين ومائة، وطلب العلم عام بضعة وأربعين، وسمع من صغار التابعين فمن بعدهم، بالحجاز، والشام، وغير ذلك، وهو ضعيف، يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ، وقال البخاري: مات الواقدي في ذي الحجة، سنة سبع ومائتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٦٩-٤٥٤/٩).

(٦) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأنصاري، ابن زيد بن عبد الأشهل، السيد الكبير، الشهيد، أبو عمرو الأوسي، الأشهلي، البدر، الذي اهتز العرش لموته، ومناقبه مشهورة في الصحاح، كان رجلاً أبيضاً، طوالاً، جميلاً، حسن الوجه، أعين، حسن اللحية، فرمي يوم الخندق، سنة خمس من الهجرة، فمات من رميته تلك، وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة، فصلى عليه رسول الله - ﷺ - ودفن بالبقيع. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٩٧-٢٧٩/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

راكب، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمس مائة بعير، قال ابن إسحاق: حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى، وأما غزوة العشيرة فغزا فيها قريشاً، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، قال الواقدي: وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب، قال: وخرج ﷺ يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام، قال ابن إسحاق: فسلك على نقب بني دينار، ثم على فيفاء الخيار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق، فصلى عندها فثم مسجده، فصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه، واستسقى له من ماء يقال له المشيرب، وسار ﷺ حتى نزل العشيرة من بطن ينبع، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة، ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً^(١) انتهى كلامه بتصرف.

وهنا تنبيه: (ما أخرجه الإمام البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم^(٢))، عن (زيد بن أرقم)^(٣)، - ﷺ - أنه قال لما سئل عن أول غزوة كانت لرسول الله - ﷺ - فقال العُشيرة، فهذه الرواية ليس فيها معارضة لما أخرجه - ﷺ - من قبل عن ابن إسحاق أنها الأبواء، لأن زيد بن أرقم - ﷺ - أجاب عن أول غزوة كانت له شهدها مع رسول الله - ﷺ -^(٤).

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٣٦١/٢ - ٣٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٠٣/٣) برقم: (١٦٧٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧١/٥) برقم: (٣٩٤٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٠/٤) برقم: (١٢٥٤).

(٣) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الخزرجي الأنصاري، أبو عمرو، ويقال: أبو عامر، ويقال: أبو سعيد، ويقال: أبو سعد، ويقال: أبو أنيسة الأنصاري، نزيل الكوفة، من مشاهير الصحابة، شهد: غزوة مؤتة، وغيرها، وله: عدة أحاديث، قيل: توفي زيد بن أرقم سنة ست وستين، ومات بالكوفة، سنة ثمان وستين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٦٥-١٦٨).

(٤) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٣٦٢/٢).

❖ سرية عبد الله بن جحش:

هي التي كانت سبباً لغزوة بدر الكبرى، التي كان فيها أول لقاء كبير بين الإسلام والكفر، وبين عباد الرحمن وعُباد الأصنام، ذلك اليوم الذي سمّاه الله في القرآن بيوم الفرقان، نصّر الله فيه الحق وأهله، وهزم الشرك وأهله، بل وكانت عليهم شر هزيمة، وانكسرت شوكة كفار قريش وقوية شوكة المسلمين، وكانت لهم بعدها هيبة عند العرب، فسرية عبدالله بن جحش كانت من أكبر الأسباب لهذه الغزوة العظيمة، قال الحافظ ابن كثير: (سرية عبد الله بن جحش التي كان سبباً لغزوة بدر العظمى، وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، والله على كل شيء قدير، قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله - ﷺ - عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وهم (أبو حذيفة بن عتبة)^(١)، و(عكاشة بن محصن بن حرثان حليف بني أسد بن خزيمه)^(٢)، و(عتبة بن غزوان)^(٣) حليف بني نوفل، وسعد بن أبي وقاص الزهري، و(عامر بن ربيعة

(١) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، واسمه هشيم، أسلم أبو حذيفة قبل دخول رسول الله - ﷺ - دار الأرقم، هاجر الهجرتين إلى الحبشة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، أخى رسول الله - ﷺ - بينه وبين عباد بن بشر، وقيل: كان أبو حذيفة رجلاً طوالاً حسن الوجه مرادف الأسنان وهو الأثعل، وكان أحول، وشهد أهداً والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ -، وقتل يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٦١/٣-٦٣).

(٢) عكاشة بن محصن أبو محصن الأسدي، السعيد الشهيد، حليف قريش، من السابقين الأولين، البدرين، أهل الجنة، توفي رسول الله - ﷺ - وعكاشة ابن أربع وأربعين سنة، وكان من أجمل الرجال، وكان مقتله في سنة إحدى عشرة، قتله طليحة الأسدي الذي ارتد ثم أسلم بعد، وحسن إسلامه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٠٧/١-٣٠٨).

(٣) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب أبو غزوان المازني، السيد، الأمير، المجاهد، حليف بني عبد شمس، أسلم سابع سبعة في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم شهد بدرًا والمشاهد، وكان أحد الرماة المذكورين، ومن أمراء الغزاة، وهو الذي اختط البصرة وأنشأها، فأول من نزلها عتبة، كان في ثمان مائة، قيل: توفي بطريق البصرة وافداً إلى المدينة سنة سبع عشرة، وقيل: مات سنة خمس عشرة، وعاش سبعة وخمسين. ينظر: المصدر السابق (٣٠٤/١-٣٠٦).

الوائلي^(١) حليف بني عدي، و(واقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي)^(٢) حليف بني عدي أيضاً، و(خالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث)^(٣) حليف بني عدي أيضاً، و(سهل بن بيضاء الفهري)^(٤)، فهؤلاء سبعة ثامنهم أميرهم عبد الله بن جحش - ﷺ -، وقيل كانوا ثمانية وأميرهم التاسع. قال ابن إسحاق: وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً، فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه: "إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم". فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة. وأخبر أصحابه بما في الكتاب، وقال: قد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله - ﷺ -، فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيراً لهما كانا يعتقبانه، فتخلفا في طلبه، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة، فمرت غير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، قال ابن هشام: واسم الحضرمي عبد الله

(١) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك أبو عبد الله العنزي، عنز بن وائل، من حلفاء آل عمر بن الخطاب العدوي من السابقين الأولين، أسلم قبل عمر، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، قال ابن إسحاق: أول من قدم المدينة مهاجراً: أبو سلمة بن عبد الأسد، وبعده: عامر بن ربيعة، قال الواقدي: كان موت عامر بن ربيعة بعد قتل عثمان بأيام. ينظر: المصدر نفسه (٣٣٣/٢) - (٣٣٥).

(٢) واقد بن عبد الله بن عبد مناة بن عزيز بن ثعلبة من بني تميم، وكان حليفاً للخطاب بن نفيل، أسلم قبل دخول رسول الله - ﷺ - دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها، وشهد بدرًا وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ -، وتوفي في أول خلافة عمر بن الخطاب وليس له عقب. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٢٩٨/٣ - ٢٩٩).

(٣) خالد بن البكير بن عبد يا ليل بن ناشب الليثي، أو ابن أبي البكير، قال ابن سعد: أخى رسول الله - ﷺ - بينه وبين زيد بن الدثنة، شهد خالد بدرًا، وأحداً، وقتل يوم الرجيع في صفر سنة أربع، وله أربع وثلاثون سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٨٦/١).

(٤) سهل بن بيضاء وهي أمه، وأبوه وهب بن ربيعة، أسلم بمكة وكنم إسلامه، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ مسلماً، وأقام سهل بالمدينة بعد ذلك وشهد مع النبي ﷺ بعض المشاهد وبقي بعد النبي - ﷺ -. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣١٧/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

بن عباد، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه، فلما رآوه أمنوا، وقال عمار: لا بأس عليكم منهم، وتشاور الصحابة فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام، فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله و(الحكم بن كيسان)^(١)، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعرير والأسيرين، حتى قدموا على رسول الله -ﷺ-، وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله -ﷺ- فيما غنمنا الخمس، فعزله وقسم الباقي بين أصحابه، وذلك قبل أن ينزل الخمس، قال: ولما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش، كما قاله ابن إسحاق، فلما قدموا على رسول الله -ﷺ- قال: "ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام" فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله -ﷺ- أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال، فقال: من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان، وقالت يهود: تفائل بذلك على رسول الله -ﷺ-: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب، وواقد ابن عبد الله: وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

(١) الحكم بن كيسان، مولى هشام بن المغيرة المخزومي، والد أبي جهل أسر في أول سرية جهزها رسول الله -ﷺ- من المدينة، وأميرها عبد الله بن جحش، وروى الواقدي بإسناد له عن المقداد بن عمرو، وقال: أنا الذي أسرت الحكم، فأراد عمر قتله، فأسلم عند رسول الله -ﷺ-، وقتل شهيداً ببئر معونة. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٩٥/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله - ﷺ -: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾^(١)، أي: إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم، والفتنة أكبر من القتل أي قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾^(٢)، الآية. قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله - ﷺ - العير والأسيرين، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان، فقال رسول الله - ﷺ -: "لا نفديكماهما حتى يقدم صاحبنا - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم"، فقدم سعد وعتبة، فأفادهما رسول الله - ﷺ -.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله - ﷺ - حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً، قال ابن إسحاق: فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطي فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣)، فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء،

(١) سورة البقرة الآية: (٢١٧).

(٢) سورة البقرة الآية: (٢١٧).

(٣) سورة البقرة الآية: (٢١٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال ابن إسحاق: والحديث في ذلك عن الزهري وبزید بن رومان، عن عروة ابن الزبير، وهكذا ذكر (موسى بن عقبة) في مغازيه، عن الزهري، وجاء عن عروة، نحوه من هذا، وفيه: وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين، وقال عبد الملك بن هشام: هو أول قتيل قتله المسلمون، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون، قلت: وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام^(١).

فكانت هذه السرايا والغزوات قد أدت نتائجها وأعلمت قريش وغيرهم بقوة المسلمين، وكذلك أظهرت طاعة أصحاب رسول الله - ﷺ - لنبيهم، فإنه سبيل وطريق ليس بسهل، فقد تفقد فيه الأرواح، ولكن طاعتهم لرسولهم وحبهم لدينهم جعلهم فرساناً في سبيل الله، وسيوفاً يسلطها الله على من حاربه وحارب دينه ونبيه.

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/٣٦٦-٣٧٠).

المبحث الثامن

عدد غزوات النبي ﷺ

يرى بعض أهل العلم التفريق بين الغزوة والسرية، فيرون أنَّ الفرق بين الغزوة (السرية أو البعثة) هو مشاركة رسول الله - ﷺ - فيها^(١)، فأبى لقاء شارك فيه رسول الله - ﷺ - يُسمَّى غزوة، وأبى لقاء أرسل - عليه الصلاة والسلام - أحد أصحابه قائداً للمسلمين فيه فيُسمَّى سرية أو بعثة، واستدلوا على ذلك بأنَّ الصحابة - رضوا عنهم - إذا ذكروا جهادهم مع رسول الله - ﷺ - يقولون: (غزونا)، وهذا قد ثبت من حديث جابر بن عبد الله^(٢)، وأبي سعيد الخدري^(٣)، وأنس بن مالك^(٤)، وسلمة بن الأكوع^(٥)، وعبد الله بن أبي أوفى^(٦)

(١) ينظر: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، (٦٤٠١/٤).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٣٣١/١) برقم: (١٧/١٥٤٤)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٢٨٠/١) برقم: (٥٢٢)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٣١٠/٢) برقم: (١٢٦٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١١٣/٥) برقم: (٤١٢٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢١٣/٢) برقم: (٨٤٠).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٤٥٩/١) برقم: (٢/٢٢٦٢)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٤٧/٣) برقم: (٢٥٨٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٨١/٢) برقم: (٧١٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤١/٣) برقم: (١١١٤).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٥٢٤/١) برقم: (١/٢٦٠٩)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٨٤/٣) برقم: (٢٤٠٢)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٩٢/٦) برقم: (٣٩٠١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٣/٤) برقم: (٣١٤٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٦/٣) برقم: (١٠٥٩).

(٥) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٣/٣) برقم: (٢٧١٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٩/٥) برقم: (١٧٥٣).

(٦) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٨٤٩/١) برقم: (٣/٤٣٢٧)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٤٧٧/٤) برقم: (٤٨٠٩)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٩٣/٣) برقم: (٣٧٣٠)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٤٥٠/٥) برقم: (٣٤٥٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٣٨٨/٤) برقم: (٣٢٤١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٥/٣) برقم: (٢٥٧٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٧/٦) برقم: (١٩٤٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

- (١) -، وكذلك يمكن الاستدلال على هذا القول بما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، من حديث (بريدة بن الحبيب الأسلمي) (١) - (٢) - أنه قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا، أَوْ سَرِيَّةً دَعَاهُ فَأَوْصَاهُ" (٢)، فانظر إلى قول بريدة - ﷺ - (بعث أو سرية) ولم يقل غزوةً، وبعض أهل العلم ينظر إلى العدد فيقولون أي لقاء كان عدد المسلمين فيه قليل فيسمى سرية، وكما قيل (إنَّ خير السرايا أربعمائة) (٣)، وأي لقاء كان العدد فيه كثيرا فيسمى غزوة ولو لم يشارك رسول الله - ﷺ - فيها، ولذلك نرى كثيرا من أهل السير يُسمون لقاء مؤتة بالغزوة، مع أنَّ رسول الله - ﷺ - لم يشارك فيها، ونأتي الآن إلى عدد غزوات النبي - ﷺ - وعدد السرايا، أخرج ابن هشام في السيرة بسنده عن ابن إسحاق أنه قال: (وكان جميع ما غزا رسول الله - ﷺ - بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، منها غزوة ودان، وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط، من ناحية رضوى، ثم غزوة العشيرة، من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى، يطلب كرز بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى، التي قتل الله فيها صناديد قريش، ثم غزوة بني سليم، حتى بلغ الكدر، ثم غزوة السويق، يطلب أبا سفيان ابن حرب، ثم غزوة غطفان، وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة بحران، معدن بالحجاز، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان، من هذيل، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحديبية، لا يريد قتالاً، فصدّه المشركون، ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك، قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق،

(١) بريدة بن الحبيب بن عبد الله الأسلمي، أبو عبد الله، وقيل: أبو سهل، وأبو ساسان، وأبو الحبيب، قيل: إنه أسلم عام الهجرة، وشهد: غزوة خيبر، والفتح، وكان معه اللواء، نزل مرو، ونشر العلم بها، وقال ابن سعد: مات بريدة سنة ثلاث وستين، وقال آخر: توفي سنة اثنتين وستين، وهذا أقوى، روي لبريدة نحو من مائة وخمسين حديثاً. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٦٩/٢-٤٧١).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٧/٨) برقم: (٨٥٣٢)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٤١/٢) برقم: (٢٦١٢)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٧٧/٣) برقم: (١٤٠٨)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١١٨/٤) برقم: (٢٨٥٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٩/٥) برقم: (١٧٣١).

(٣) ينظر: زين الدين الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق (١٤٧/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وخبير، والفتح، وحنين، والطائف، - هذه الغزوات وأما السرايا والبعوث - وكانت بعوثة - ﷺ - وسراياه ثمانية وثلاثين، من بين بعث وسرية: غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذي المروة، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر، من ناحية العيص، وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة، وغزوة سعد بن أبي وقاص الخرار، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة، وغزوة زيد بن حارثة القردة، وغزوة (محمد بن مسلمة)^(١) لقتل كعب بن الأشرف، وغزوة (مرثد بن أبي مرثد الغنوي)^(٢) الرجيع، وغزوة (المنذر بن عمرو)^(٣) بئر معونة، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة، من لمريق العراق، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر، وغزوة علي ابن أبي طالب اليمن، وغزوة (غالب بن عبد الله الكلبي)^(٤)، كلب ليث، الكديد، فأصاب بني الملوح)^(٥).

(١) محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الخزرجي، وأمه أم سهم، وكان له من الولد عشرة نفر وست نسوة، وأسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير، وأخى رسول الله - ﷺ - بين محمد بن مسلمة وأبي عبيدة بن الجراح، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها ما خلا تبوك فإن رسول الله استخلفه على المدينة حين خرج إلى تبوك، قيل: كان رجلاً أسوداً طويلاً عظيمًا، وكان معتدلاً أصلع، روي أنه مات بالمدينة في صفر سنة ست وأربعين وهو يومئذ ابن سبع وسبعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣/٣٣٨-٣٤٠).

(٢) مرثد بن أبي مرثد الغنوي، حليف حمزة بن عبد المطلب، أخى رسول الله - ﷺ -، بينه وبين أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت، قيل: شهد يوم بدر على فرس يقال له السبل، وشهد أحدًا وقتل يوم الرجيع شهيدًا، وكان أميراً في هذه السرية وذلك في صفر، على رأس ستة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة. ينظر: المصدر السابق (٣/٣٥).

(٣) المنذر بن عمرو بن خنيس بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة، وأمه هند بنت المنذر، وكان المنذر يكتب بالعربية قبل الإسلام وكانت الكتابة في العرب قليلاً، ثم أسلم فشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الإثني عشر، وشهد بدرًا وأحدًا وبعثه رسول الله - ﷺ - أميراً على أصحاب بئر معونة فقتل يومئذ شهيداً على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣/٣٥).

(٤) غالب بن عبد الله بن مسعر الكلبي الليثي، قائد، صحابي، من الولاة، بعثه النبي - ﷺ - سنة خمس للهجرة في ستين راكباً إلى (الكديد) فظفر، وأرسله سنة ثمان ومعه مئتا مقاتل إلى (فدك) فعاد غانماً، وبعثه عام الفتح ليسهل له الطريق إلى مكة ويكون عيناً له، وشهد القادسية وقتل هرمز ملك الباب، وولاه زياد ابن أبيه خراسان في زمن معاوية سنة ثمان وأربعين وتوفي فيها. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٥/١١٤).

(٥) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/٦٠٨-٦٠٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي -رضي الله عنه-، قال: "غَزَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قَاتِلَ فِي ثَمَانٍ مِنْهُنَّ" ^(١). وقال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: "غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، قَالَ جَابِرُ: لَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا، وَلَا أُحُدًا مَنَعَنِي أَبِي، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ يَوْمَ أُحُدٍ، لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِي غَزْوَةٍ قَطُّ" ^(٢).

ومن حديث زيد بن أرقم -رضي الله عنه-، أَنَّهُ قَالَ: "لَمَّا سُئِلَ كَمْ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-؟ فَقَالَ: تِسْعَ عَشْرَةَ، فَقُلْتُ: كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ؟ قَالَ: سَبْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً" ^(٣).

قال النووي: (وفي رواية بريدة قاتل في ثمان منهن، قد اختلف أهل المغازي في عدد غزواته -ﷺ- وسراياه، فذكر ابن سعد وغيره عددهن مفصلات على ترتيبهن فبلغت سبعاً وعشرين غزاة وستاً وخمسين سرية، قالوا قاتل في تسع من غزواته، وهي بدر وأحد والمريسيع والخذق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف هكذا عدوا الفتح فيها، وهذا على قول من يقول فتحت مكة عنوة، وقد قدمنا بيان الخلاف فيها، ولعل بريدة أراد بقوله: قاتل في ثمان إسقاط غزاة الفتح، ويكون مذهبه أنها فتحت صلحاً كما قاله الشافعي وموافقه، وقوله: (عَنْ جَابِرٍ لَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا وَلَا أُحُدًا) قال القاضي كذا في رواية مسلم أن جابراً لم يشهدهما، وقد ذكر أبو عبيد أنه شهد بدراً قال: (ابن عبد البر) ^(٤) الصحيح أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْهُمَا، قوله: (عَنْ جَابِرٍ قَالَ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً وَلَمْ أَشْهَدْ أُحُدًا وَلَا بَدْرًا) هذا صريح منه بأن غزوات رسول الله -ﷺ- لم تكن منحصرة في تسع عشرة بل زائدة، وإنما مراد زيد بن أرقم وبريدة بقولهما تسع عشرة أن منها تسع عشرة كما صرح به جابر، فقد أخبر جابر أنها إحدى وعشرون كما ترى، وقد قدمنا أنها سبع وعشرون، وأما قوله في الرواية الأخرى عن بريدة ست عشرة غزوة فليس فيه نفي الزيادة) ^(٥).

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٠/٥) برقم: (١٨١٤).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٩٩/٥) برقم: (١٨١٣).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٠٣/٣) برقم: (١٦٧٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧١/٥) برقم: (٣٩٤٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٦٠/٤) برقم: (١٢٥٤).

(٤) ابن عبد البر: الإمام، العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، في سنة ثمان وستين وثلاثمائة في شهر ربيع الآخر. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٥٣/١٨-١٥٤).

(٥) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٩٥/١٢-١٩٦).

الباب الخامس

المعارك الكبرى، والأحداث العظيمة بعدها،

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول

غزوة بدر الكبرى وغزوة أحد

الفصل الثاني

أحداث متفرقة، وغزوة الأحزاب وبني قريظة

الفصل الأول

غزوة بدر الكبرى وغزوة أحد

ويحتوي على عشرة مباحث:

- المبحث الأول: مشاوره الرسول - ﷺ - لأصحابه.**
- المبحث الثاني: مناشدة الرسول - ﷺ - ربه عز وجل.**
- المبحث الثالث: شهود الملائكة بدرًا، وفضل أهل بدر.**
- المبحث الرابع: قتلى المشركين ببدر، وأسراهم.**
- المبحث الخامس: في أعقاب غزوة بدر (مقتل كعب بن الأشرف).**
- المبحث السادس: ما ورد عن جبل أحد، ورؤيا الرسول - ﷺ - قبل الغزوة.**
- المبحث السابع: تفاضل المنافقين، وقصة الرماة.**
- المبحث الثامن: إصابة الرسول - ﷺ - وبعض أصحابه.**
- المبحث التاسع: قتال الملائكة مع المسلمين في أحد، وذكر شهداء أحد.**

المبحث الأول

مشاورة الرسول - ﷺ - لأصحابه

إنَّ عداوة كفار قريش لرسول الله - ﷺ - وأفعالهم الشنيعة ضد الصحابة -رضوان الله عليهم-، وخصوصاً المهاجرين منهم، كانت نذير شرٍّ وبلاءٍ عليهم، فلقد كان رسول الله - ﷺ - يُرسل العيون ويتحسَّس الأخبار عن قوافلهم التي تذهب إلى الشام ممَّا شكل عليها خطورة كبيرة، إلا أنَّه رغم تهديد المسلمين لطرق تجارتهم إلى الشام، فإنَّهم لم يشتبكوا مع قوافل قريش في قتالٍ حاسمٍ حتى هذه المرحلة، ممَّا جعل قريشاً تواصل إرسال قوافلها التجارية مع تأمين الحراسة لها، ولكنَّ المسلمين كانوا لها بالمرصاد، فلمَّا بلغهم تحرك قافلة كبيرة لقريش عائدة من الشام ترصدوها، وكان يقودها أبو سفيان صخر بن حرب، وكانت تحمل أموالاً عظيمةً لقريش، وبحرسها ثلاثون أو أربعون رجلاً، وقد أرسل النبي - ﷺ -: (بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء)^(١)؛ لاستطلاع أخبار القافلة، فلمَّا رجع إليه بخبرها ندب أصحابه للخروج، وتعجَّل بمن كان مستعداً دون أن ينتظر من رغب في الخروج من سُكَّان العوالي لئلا تفوتهم القافلة، لذلك فإنَّ جيش المسلمين ببدر لا يمثل كل طاقاتهم العسكرية فإنَّهم خرجوا لأخذ القافلة ولم يعلموا أنَّهم سيواجهون جيش قريش، وخبر إرسال بسبس ثابت في صحيح مسلم وهو دليل على الأخذ بالأسباب ومن ذلك التجسس على العدو وجمع أخباره^(٢).

(١) قال ابن سعد: واسم أبي الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن زهرة بن بديل بن سعد بن عدي بن نصر بن كاهل بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس من جهينة، بعثه رسول الله - ﷺ - مع بسبس بن عمرو الجهني، وقال: بسبس بن عمرو هو: بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعد بن ذبيان بن رشان بن قيس بن جهينة، شهد بدرًا وأحدًا وليس له عقب. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣/٣٧٧/٤٢٢).

(٢) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٣/٣٥٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وكانت عير قريش بها أموال كثيرة جداً، قال الواقدي: (كانت العير ألف بعير، وكان المال خمسين ألف دينار، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً، وكان متجرهم من الشام غزوة، لا يعدونها إلى غيرها)^(١).

قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عَيْرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَنْتَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهُرَانِهِمْ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَالَ: يَقُولُ (عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ)^(٢): يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِّيتُ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ"^(٣).

(١) ينظر: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي، المغازي، الطبعة الثالثة، دار الأعلمي ببيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، (١/٢٠٠).

(٢) قال الذهبي: هو عمير بن الحمام: بضم المهملة وتخفيف الميم، ابن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤/٥٩٤-٥٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٤٣/٢) برقم: (٢٦١٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤٤/٦) برقم: (١٩٠١).

قال الآبادي: (قوله: (بسياسة): بالتصغير اسم رجل (عيناً) أي: جاسوساً (عير أبي سفيان) أي: قافلته. قال في القاموس: العير بالكسر القافلة مؤنثة^(١)).

وقال القرطبي: (العين هنا: الجاسوس؛ سمي بذلك لأنه يعاين فيخبر مرسله بما يراه، فكأنه عينه. و(العير): الإبل التي عليها الأثقال. و(ظهرانهم): جمع ظهر، وقيل: جمع ظهير، كقضييب وقضبان، وكثيب وكثبان، وهو البعير الذي ركب ظهره. و(بخ بخ): كلمة تقال لتفخيم الأمر، وتعظيمه، والتعجب منه، يقال بسكون الخاء، وكسرهما منونة. وقوله: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض) أي: كعرض السماء والأرض، شبه الجنة بسعة السماوات والأرض، وإن كانت الجنة أوسع، مخاطبة لنا بما شاهدنا؛ إذ لم نشاهد أوسع من السماوات والأرض، وهذا أشبه ما قيل في هذا المعنى. وقوله: (لا والله إلا رجاء) رويته بنصب الهمزة من غير تاء تأنيث على أن يكون مفعولاً من أجله، والأولى فيه الرفع، على أن يكون فاعلاً بفعل مضمر، يدل عليه قوله: (ما يملكك على قولك: بخ بخ؟) لأنه جوابه؛ أي: لا يحملني على قولي: بخ بخ إلا رجاء أن أكون من أهل الجنة. وقد رواه كثير من المشايخ: (إلا رجاء) -بناء التأنيث- وهو مصدر الرجاء، لكنه محدود، وقوله: (فأخرج تمرات من قرنه) وهي جعبة السهام^(٢).

وقال النووي: (قوله: (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بُسَيْسَةَ عَيْنًا) وهو بسبس بن عمرو، ويقال ابن بشر من الأنصار من الخزرج، ويقال حليف لهم، قلت: يجوز أن يكون أحد اللفظين اسماً له والآخر لقباً، وقوله: (عَيْنًا) أي: متجسساً ورقيباً، قوله: (مَا صَنَعْتُ عَيْرٌ أَبِي سُفْيَانَ) هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره من الأمتعة، قال في المشارق: العير هي الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات، قال ولا تسمى عيراً إلا إذا كانت كذلك، وقال الجوهري في الصحاح: العير الإبل تحمل الميرة وجمعها عيرات، قوله -ﷺ-: (إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً فَلْيَرْكَبْ) أي شيئاً نطلبه، والظهر الدواب التي تركب، قوله: (فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظَهْرَانِهِمْ) أي مركوباتهم، وفي

(١) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٣٤٣/٢).

(٢) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٤٤/٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

هذا استحباب التورية في الحرب وأن لا يبين الإمام جهة إغارته وإغارة سراياه لئلا يشيع ذلك فيحذرهم العدو، قوله - ﷺ -: (لا يتقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه) أي قدامه متقدماً في ذلك الشيء لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها، قوله: (بَخِ بَخِ) فيه لغتان إسكان الخاء وكسرها منوناً، وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، قوله (لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا) معناه: والله ما فعلته لشيء إلا لرجاء أن أكون من أهلها، قوله: (فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ) أي جُعبَةِ النَّشَابِ، قوله: (لَئِنْ أَنَا حَيِّتُ حَتَّى أَكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ) فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء^(١).

وكان - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لم يُعَاتَبَ أحداً لم يخرج في بدر، ولم يُلْزَمَ الجميع بالخروج، قال كعب بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: "لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ"^(٢).

ولما رأى رسول الله - ﷺ - أنه لابد من اللقاء مع كفّار قريش وخصوصاً بعد تيقُّنه أنَّ القافلة قد نجت، جمع الصحابة ليستشيرهم، وذلك لما يحصل في الاستشارة من خيرٍ عظيم، فيُعطي بذلك مثلاً سامياً للقائد العظيم، ولأنَّ ربه أمره بأن يستشير أصحابه فقال له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣)، وكان - ﷺ - أكثر من يُريد أن يستشيرهم ويعرف رأيهم في القتال هم الأنصار، وذلك لأنَّهم أكثر من في الجيش، وستدور رحى المعركة أكثر ما كان عليهم، وكذلك كان - ﷺ - يُريد أن يستوضح منهم عن بيعتهم له لأنَّهم بايعوه على أن ينصروه إذا بلغ ديارهم، أمّا الآن فهو خارجها، وقد ذكر أنس بن

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٣/٤٤-٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٧٨/٥) برقم: (٣١٠٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٢/٨) برقم: (٢٧٦٩).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٥٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

مالك - رحمه الله -: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سَارَ إِلَى بَدْرٍ، فَاسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتَشَارَ رَجُلًا، فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِيَّاكُمْ يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: إِذَا لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ^(١)، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ ضَرَبْتَ كَبِدَنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ، لَاتَّبَعْنَاكَ" ^(٢).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه وغيره، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، أنه قال: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِفْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ (سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ) ^(٣)، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخْضَنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا، قَالَ: فَندَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - النَّاسَ، فَانْطَلَفُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبْنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرَكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: هَذَا مَصْرَعُ

(١) سورة المائدة الآية: (٢٤).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٨٠/١٠) برقم: (١١٠٧٦).

(٣) سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن حرام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، سيد الخزرج، يكنى أبا ثابت، وأبا قيس، وأمه عمرة بنت مسعود لها صحبة، وشهد سعد العقبة، وكان أحد النقباء، واختلف في شهوده بدراً، قال ابن سعد: وكان يكتب بالعربية، ويحسن العوم والرمي، فكان يقال له الكامل، مات بحوران سنة خمس عشرة، وقيل سنة ست عشرة، وقيل: إن قبره بالمنيحة قرية بدمشق بالغوطة. وقيل: أنه مات ببصرى، وهي أول مدينة فتحت من الشام. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٥٥/٣).

فُلَانٍ، قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَاهُنَا، هَاهُنَا، قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -" (١).

قال العظيم آبادي: (ندب أصحابه): أي دعاهم (فإذا هم) أي: الصحابة التقوا (بروايا قريش) جمع راوية، وهي الإبل التي يستقى عليها. وأصل الراوية: المزادة، ف قيل للبعير راوية؛ لحمله المزادة، قاله الخطابي (وهو يسمع ذلك) الواو للحال (فلما انصرف) أي: من صلاته، وفي رواية مسلم: "فلما رأى ذلك انصرف" قال النووي: معنى انصرف: سلم من صلاته، ففيه استحباب تخفيفها إذا عرض أمر في أثنائها. انتهى. (هذه قريش) هذا مقول رسول الله - ﷺ - (قد أقبلت لتمنع أبا سفيان) أي: ليدفعوا تعرضكم عنه (فسحبوا) بصيغة المجهول؛ أي: جروا. في القاموس: سحبه كمنعه: جره على الأرض. وقال الخطابي: السحب: الجر العنيف (في قلب بدر) قال الخطابي: القلب: البئر التي لم تطو، وإنما هي حفيرة قلب ترابها فسميت قلبياً. وفي الحديث دليل على جواز ضرب الأسير الكافر، إذا كان في ضربه طائل. انتهى) (٢).

وقال النووي: (قوله: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - شَاوَرَ أَصْحَابَهُ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ) قال العلماء: إنما قصد - ﷺ - اختبار الأنصار لأنه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو، وإنما بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصده، فلما عرض الخروج لعير أبي سفيان أراد أن يعلم أنهم يوافقون على ذلك، فأجابوه أحسن جواب بالموافقة التامة في هذه المرة وغيرها، وفيه استشارة الأصحاب وأهل الرأي والخبرة، قوله: (أَنْ تُخِيضَهَا) يعني الخيل وقوله: (بَرَكَ الْغِمَادِ) موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل وقيل بلدتان هذا قول: (الْحَازِمِيُّ) (٣)،

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٨٦/٧) برقم: (٨٢٩٠)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٠/٣) برقم: (٢٦٨١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٠/٥) برقم: (١٧٧٩).

(٢) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (١٠/٣).

(٣) الحازمي الإمام، الحافظ، الحجة، الناقد، النسابة، البارع، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي، الهمداني، مولده: في سنة ثمان وأربعين وخمس مائة، من مؤلفاته (المؤتلف والمختلف في أسماء البلدان)، مات: في شهر جمادى الأولى، سنة أربع وثمانين وخمس. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٦٧/٢١-١٦٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال القاضي وغيره هو موضع بأقاصي هجر، وقال: (إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ)^(١) برك الغماد وسعفات هجر كناية يقال فيما تباعد، قوله: (وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَائِمٌ يُصَلِّي فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ وَتَتْرَكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ) معنى انصرف سلم من صلاته، ففيه استحباب تخفيفها إذا عرض أمر في أثنائها، وهكذا وقع في النسخ تضريبه وتتركوه بغير نون، وهي لغة سبق بيانها مرات أعني حذف النون بغير ناصب ولا جازم، وفيه جواز ضرب الكافر الذي لا عهد له وإن كان أسيراً، وفيه معجزتان من أعلام النبوة، إحداهما: إخباره - ﷺ - بمصرع جابرتهم فلم ينفذ أحد مصرعه، الثانية: إخباره - ﷺ - بأن الغلام الذي كانوا يضربونه يصدق إذا تركوه ويكذب إذا ضربوه، وكان كذلك في نفس الأمر، والله أعلم، قوله: (فماط أحدُهم) أي تباعد)^(٢).

وذكر الحافظ ابن كثير رواية ابن إسحاق وكان المتحدث فيها عن الأنصار هو سعد بن معاذ - رضي الله عنه -: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ. وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَدَدُ النَّاسِ، وَأَنْتُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا بُرَاءُ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دِيَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِنَا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَتَخَوَّفُ أَلَّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نَصْرَهُ إِلَّا مِمَّنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَجَلٌ. قَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاقِفَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَكَ، فَاْمْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ

(١) إبراهيم الحربي الشيخ، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي، الحربي، صاحب التصانيف، مولده: في سنة ثمان وتسعين ومئة، وطلب العلم وهو حدث، ونقل الخطيب وطائفة: أن الحربي توفي: لسبع بقين من ذي الحجة، سنة خمس وثمانين ومائتين، وكانت جنازته مشهودة، صلى عليه يوسف القاضي، صاحب كتاب (السنن)، وقبره بزار ببغداد. ينظر: المرجع السابق (٣٧٠-٣٥٦/١٣).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢٤/١٢-١٢٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

لَخُضْنَاهُ مَعَكَ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ صَدُوقٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ. قَالَ: فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشْطِهِ، ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ". هكذا رواه ابن إسحاق، وله شواهد من وجوه كثيرة (١).

فعندنا الآن روايتان (رواية الإمام مسلم وغيره أنَّ المتكلم عن الأنصار سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه، ورواية الإمام البيهقي وذكرها الحافظ ابن كثير في السيرة أنَّ المتكلم عن الأنصار سعد بن معاذ -ﷺ-)، وقد جمع الحافظ ابن حجر بين الروائتين فقال: (ويمكن الجمع بأن النبي -ﷺ- استشارهم في غزوة بدر مرتين، الأولى وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان وذلك بين في رواية مسلم، ولفظه أنَّ النبي -ﷺ- شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، والثانية كانت بعد أن خرج كما في البخاري) (٢).

فهذه رسالة من النبي -ﷺ- لكل قائد، بل للمسلمين جميعاً أنَّ مشاورة أهل الحل والرأي والحكماء في القوم لا بد منها من أجل نجاح الحياة، وهي أمر تتلاقح فيه الأفكار لتخرج ناضجة صالحة فتواجه الأمور المستجدة، وكذلك في مشاورته -ﷺ- وطلب رأي الأنصار خصوصاً فيه طلب الاستيضاح ومعرفة رأي الغير في أمر يحتل عدة أمور وخصوصاً في المواضع التي تتعلق بحياة الناس ومصيرهم، وفي هذه القصة بيان عظيم نعمة الله على نبيه أنَّ جعل حوله هؤلاء الأصحاب الثابتون على الحق والشجعان والذين وقفوا مع رسولهم في أشد الظروف مع قلة عددهم وعتادهم فرضي الله عنهم وأرضاهم.

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٣٩٢/٢-٣٩٣). وأخرجه الإمام

البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، بسنده إلى ابن إسحاق في دلائل النبوة، ينظر: دلائل النبوة، الطبعة: الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، وبيروت، لبنان، ودار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، (٣/٣١).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٧/١٠٢٣).

المبحث الثاني

مناشدة الرسول - ﷺ - ربه عز وجل

وقبل أن تبدأ المعركة، كان عليه (ﷺ) يناشد ربه ويدعوه ويتضرع إليه ليعطينا درساً عظيماً بأنَّ المسلم بأمس الحاجة لربه دائماً وخصوصاً في مثل هذه الظروف، فيُعلق قلبه بمولاه الذي بيده النُصرة والعزة، ويدعوه أن يُنجز له وعده الحق يوم قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وهذا ممَّا يجعل الثقة بالله في قلب المؤمن عظيمة، فإنَّ المؤمن الذي خرج ليجاهد في سبيل الله وقد ترك أولاده وزوجته وأهله وماله وما فعل ذلك إلا وهو واثق بوعد ربه فيرجو نُصرته ومغفرته له، وقد أخبر عمر بن الخطاب - ﷺ - عن هذه المناشدة فقال: "لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَّرَمَّهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ"^(٢).

قال المباركفوري: (قوله: (نظر نبي الله - ﷺ - إلى المشركين) وفي رواية مسلم لما كان يوم بدر نظر رسول الله - ﷺ - إلى المشركين. قال النووي: بدر هو موضع الغزوة العظمى المشهورة، وهو ماء معروف وقرية عامرة على أربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة. قال ابن قتيبة: بدر بئر كانت لرجل يسمى بدرًا فسميت باسمه. وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة (ثم مد يديه) أي رفعهما (وجعل يهتف) ومعناه يصيح ويستغيث بالله بالدعاء، وفيه

(١) سورة الروم الآية: (٤٧).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٨٣/١٠) برقم: (١١٤٩٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٦٢/٥) برقم: (٣٠٨١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤١/٤) برقم: (٢٩١٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٦/٥) برقم: (١٧٦٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

استحباب استقبال القبلة في الدعاء ورفع اليدين فيه، وأنه لا بأس برفع الصوت في الدعاء (اللهم أنجز لي ما وعدتني) من الإنجاز: أي أحضر لي ما وعدتني، يقال: أنجز وعده إذا أحضره (اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة) قال النووي: ضبطوا تهلك بفتح التاء وضمها، فعلى الأول ترفع العصابة على أنها فاعل، وعلى الثاني تنصب وتكون مفعوله، والعصابة: الجماعة^(١) انتهى.

وقال القرطبي: (بدر: اسم بئر لرجل يقال له: بدر، فسُمِّي البئر به، قاله الشافعي، وقوله: (فجعل يهتف بربه) أي: يرفع صوته. يقال: هتف يهتف: إذا رفع صوته بدعاء أو غيره. وقوله: (اللهم أنجز لي ما وعدتني) أي: عجل لي ما وعدتني من النصر، وكأنه -ﷺ- لم يبين له وقت نصره، فطلب تعجيله. وقوله: (اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) العصابة: الجماعة من الناس. واعصَوْصَبَ القوم: صاروا عصابة، وعصب القوم بفلان أي: أحاطوا به، ومنه سُميت قرابة الرجل: عصابة. وقد أشكل هذا الحديث على طوائف من العلماء، ووجه الإشكال: أنه -ﷺ- أشار إلى أصحابه من أهل بدر، مع أنه قد كان قد انتشر الإسلام بمكة والمدينة، وكثر أهله في مواضع كثيرة، بحيث يكون أهل بدر بالنسبة إليهم قليلاً، وعلى هذا تقدير هلاك هؤلاء المشار إليهم، فيبقى من كان من المسلمين بالمدينة ومكة وغيرهما من المواضع التي أسلم أهلها. ولو لم يكن في الوجود مسلم غير أهل بدر تقديراً، ففي الإمكان إيجاد قوم آخرين يعبدون الله، والقدرة صالحة لذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(٢)، وإذا كانت قدرة الله صالحة لهذا، فمن أين يجزم بذلك؟ ومن أين يلزم من هلاك هؤلاء عدم عبادة الله تعالى في الأرض؟ وقد رسخ هذا الإشكال عند بعض المتشدقين وقال: إنها بادرة بدرت من رسول الله -ﷺ-، وقدّر معاتبة له من الله تعالى على ذلك في كلام تفاصح فيه، فعَدَّ ذلك من زَلَّاتِ هذا القائل؛ إذ قد جهل من حال رسول الله -ﷺ- ما نزهه الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٣)، وقد قال حين قال له عبد الله بن عمرو: "اَكْتُبْ

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٤/١١١).

(٢) سورة محمد الآية: (٣٨).

(٣) سورة النجم الآية: (٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

مَا أَسْمَعُ مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ إِلَّا حَقًّا^(١)، وقد انفصل أهل التحقيق عن ذلك بأوجه:

أحدها: أنه يحتمل أن يكون قال ذلك عن وحي أوحى إليه بذلك، فمن الجائز أن يكون: لو هلكت تلك العصابة في ذلك الوقت على يدي عدوهم؛ أن يفتتن غيرهم، فلا يبقى على الأرض مسلم يعبد الله، ثم لا يبعث نبي آخر، وتتقطع العبادة.

وثانيها: أن هذا اللفظ وهم من بعض الرواة في حديث عُمر؛ إذ قد روي هذا الحديث من جهات متعددة من حديث أنس وابن عباس، وليس فيها هذا اللفظ، وإنما فيها: (اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض).

وثالثها: أن هذه العصابة ليس المراد بها الحاضرين في بدر فقط، بل المسلمين كلهم في المدينة وغيرها، وسماهم عصابة بالنسبة إلى كثرة عدوهم، كما قال -ﷺ-: (عُصْبَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الْأَبْيَضَ، بَيْتَ كِسْرَى)^(٢)، فقللهم بالنسبة إلى عدوهم، فكأنه -ﷺ- لما علم أنه لا نبي بعده، وقدر في نفسه الهلاك عليه وعلى كل من آمن به، ونظر إلى سنة الله في العبادة التي لا تُتَلَقَّى إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْأَنْبِيَاءِ، لزم من ذلك نفي العبادة جزماً، والله تعالى أعلم. وهذا أحسن الأوجه، وأولاهها. وقوله: (فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه) هذا منه -ﷺ- قيام بوظيفة ذلك الوقت من الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، وتعليم لأمته ما يلجؤون إليه عند الشدائد والكرب الواقعة بهم، فإن ذلك الوقت كان وقت اضطراب وشدة، وقد وعد الله المضطر بالإجابة، حيث قال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٣)؛ يعني: عن المضطر عند الدعاء، فقام بعبادة ذلك الوقت، ولا يلزم من اجتهاده في الدعاء في ذلك الوقت أن يكون ارتاب في: أن الله سينجز له ما وعده به، كما ظهر مما وقع لأبي بكر رضي الله عنه؛ حيث قال له: (كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك). كما لا يلزم من دعائه في أن يدخله الله الجنة، وينجيه من النار، ويغفر

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣/٣٥٦) برقم: (٣٦٤٦)، وأحمد في "مسنده" مرجع سابق (٣/١٣٦٩) برقم: (٦٦٢١) وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤/٦) برقم: (١٨٢٢).

(٣) سورة النمل الآية: (٦٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

له ذنوبه أن يكون في شك من شيء من ذلك، فإن الله قد أعلمه قطعاً أنه يدخله الجنة وينجيهِ من النار، ويغفر له، لكنه قام بحق العبودية من إظهار الفاقة، وامتنال العبادَة؛ فإن الدعاء مخ العبادَة، فقلبه - ﷺ - مستغرق بمعرفة الواعد، وإنجاز الموعود، ولسانه وجوارحه مستغرقة بالقيام بحق عبادة المعبود، فقام في كل جراحة بوظيفتها، ولكل عبادة بحقيقتها.

ولا يظن أحد أن أبا بكر - رضي الله عنه - كان في تلك الحالة أقوى من النبي - ﷺ - وأوثق بما وعده الله به من النصر، فإن ذلك ظن من لا يعرف محمداً - ﷺ - حق معرفته، ولا قدره حق قدره، وكيف يصير إلى غير هذا المعنى من سمع قوله في الغار ويوم سراقَة: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، وكيف يظن ذلك من يعلم أن رسول الله - ﷺ - سيد ولد آدم، وأكملهم وأقواهم، ولو وزن بجميع أمته لرجحهم؟ وبلا شك أن الأنبياء أفضل الناس، وأعلمهم بالله وبحدوده. ولا شك في: أنه - ﷺ - أفضل الأنبياء وأكملهم، وإذا كانت هذه حاله مع الأنبياء، فحاله مع من ليس بنبي أعلى وأكمل، وهو فيها أقوى. وكيف لا يكون حاله في هذه القصة أتم، وأقوى من حال أبي بكر؛ وقبل ذلك الوقت بيسير كان قد أخبر أصحابه: بأن الله ينصره على عدوه ذلك، حتى أراهم مصارعهم واحداً واحداً باسمه وعينه، فكان الأمر كما ذكر، فنثبت ما قلناه^(١).

وقال النووي: (قوله: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرِ) اعلم أن بدرًا هو موضع الغزوة العظمى المشهورة وهو ماء معروف وقرية عامرة على نحو أربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة، وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود "أن يوم بدر كان يوماً حاراً"^(٢)، قوله: (فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ اللَّهُمَّ انْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي) معناه يصيح ويستغيث بالله بالدعاء، وفيه استحباب استقبال القبلة في الدعاء، ورفع اليدين فيه وأنه لا بأس برفع الصوت في الدعاء، قوله - ﷺ -: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِن تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَذُ فِي الْأَرْضِ) ضبطوه تهلك بفتح التاء

(١) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٣/٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥/٧٤) برقم: (٣٩٦٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وضمها فعلى الأول ترفع العصابة على أنها فاعل وعلى الثاني تنصب تكون مفعولة، والعصابة الجماعة، قوله: (كَذَٰكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ) المناشدة السؤال مأخوذة من النشيد وهو رفع الصوت هكذا، قال العلماء: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ - ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين إما العير وإما الجيش وكانت العير قد ذهبت وفانت، فكان على ثقة من حصول الأخرى، لكن سأل تعجيل ذلك وتنجيئه من غير أذى يلحق المسلمين^(١).

فإذن رسول الله ﷺ - خرج من المدينة وهو على ثقة بوعده الله الذي وعده إماما الظفر بالقافلة أو الظفر بالنصر: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾^(٢)، ولما فانت القافلة، كان ﷺ - واثقاً أَنَّ النَّصْرَ هو الذي سيظفرون به بإذن الله؛ لأنَّ الله وعده بهزيمة قريش كما قال له وهو ما زال في مكة: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾^(٣).

ومما يؤكد ذلك ما قالته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ - بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾^(٤)"^(٥).

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين، فالآية على هذا مكية"^(٦).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢/٨٤-٨٥).

(٢) سورة الأنفال الآية: (٧).

(٣) سورة القمر الآية: (٤٥، ٤٦).

(٤) سورة القمر الآية: (٤٥، ٤٦).

(٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٧/٢٤٥) برقم: (٧٩٣٣)، والبخاري في "صحيحه"

مرجع سابق (٦/١٤٣) برقم: (٤٨٧٦).

(٦) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق (١٧/١٤٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأخبر ابن عباس -رضي الله عنهما- أيضاً^(١)، عن مناشدة رسول الله -ﷺ- لربه يوم بدر فقال: قال النبي -ﷺ-، وهو في قبة: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدَّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿٢﴾".

فانظر إلى عِظَمِ هذا التَّعَلُّقِ والثِّقَّةِ بالله جل وعلا وعظمة الانكسار بين يديه، فاستجاب الله لنبيه -ﷺ- وحقَّقَ له وعده، وهذا الأمر لما تحقق يُعتبر معجزة من معجزات رسول الله -ﷺ- لأنَّه أمرٌ غيبي أخبر بوقوعه -ﷺ- فوقع، فزاد المؤمنون يقيناً بنبوِّته -ﷺ- عليه الصلاة والسلام-، وهو كذلك يؤكد أنَّ هذا القرآن الذي جاء به رسول الله -ﷺ- هو حقاً منزلٌ من عند الله -جل في علاه-، فلم يأت به رسول الله -ﷺ- من عند نفسه، بل هذه أخبارٌ ذُكِرت في هذا الكتاب العظيم منها وقع من أخبار الأمم الماضية، ومنها ما لم يقع، وها هو هذا الوعد من الله لرسوله -ﷺ- وهو في مكة يُؤذَى ويُعَذَّبُ أصحابه، فيأتيهم وعد الله الذي لا يُخلف، فيُعَايِنُهُ المصطفى -ﷺ- ويُعَايِنُهُ أصحابه -رضوان الله عليهم-.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤١/٤) برقم: (٢٩١٥).

(٢) سورة القمر الآية: (٤٥-٤٦).

المبحث الثالث

شهود الملائكة بدرًا، وفضل أهل بدر

أخبر الله سبحانه وتعالى عن استغاثة المؤمنين بربهم يوم بدر واستجابته لهم بأن مدّهم بجندٍ من عنده من الملائكة فقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ﴾^(١). فأنزل الله جنده يُقاتلون معهم، وكان المصطفى - ﷺ - يُبشّر أصحابه بنزولهم، فهذا عمر - ﷺ - يُخبر بنزول المدد من الملائكة وهذا ابن عباس - رضي الله عنهما - يُخبر بقتالهم مع المسلمين، فهذا كمال كلام عمر بن الخطاب - ﷺ - عندما أخبر بُمناشدة رسول الله - ﷺ - لربه في بدر والذي أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه، قال عمر - ﷺ - : "فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِرْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَّرَمَّهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾^(٢)، فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ"^(٣).

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْرُومَ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَحَرَّ مُسْتَلْفِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ، وَشَقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَأَخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، فَقَالَ: صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ"^(٤).

(١) سورة الأنفال الآية: (٩).

(٢) سورة الأنفال الآية: (٩).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٦٢/٥) برقم: (٣٠٨١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٦/٥) برقم: (١٧٦٣).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٦/٥) برقم: (١٧٦٣).

قال النووي: (قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُدْكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^(١)، أي: معينكم والإمداد الإعانة ومردفين متتابعين، وقيل غير ذلك، قوله: (أَقْدَمَ حَيْزُومٌ) هو اسم فرس الملك وهو منادى بحذف حرف النداء أي يا حيزوم، وأما أقدم فقالوا هي كلمة زجر للفرس معلومة في كلامهم، والثاني بضم الدال وبهمزة وصل مضمومة من التقدم، قوله: (فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ) الخطم الأثر على الأنف وهو بالخاء المعجمة)^(٢).

وقال ابن هشام: (قال ابن إسحاق: ثم عدل رسول الله - ﷺ - الصفوف، ورجع إلى العريش فدخله، ومعه فيه أبو بكر الصديق - ﷺ -، ليس معه فيه غيره، ورسول الله - ﷺ - يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، وأبو بكر يقول: يا نبي الله: بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك)^(٣).

وذكر ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن النبي - ﷺ - قال يوم بدر: "هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ"^(٤).

فكان هؤلاء الملائكة مدد من الله لرسوله - ﷺ - ولمن معه من المسلمين، والملائكة جند من جنود الله يسلطهم الله القوي العزيز على من شاء، وهذا المدد رسالة فعلية تطبيقية بإنفاذ وعد الله لنبيه - ﷺ - بأنه ناصره ومؤيده وهذا جزء من هذه النصر والتأييد، وهي كذلك رسالة لكل مسلم بالعمل بالأسباب، فالحمد سبحانه وتعالى يريد أن يرى من عباده أنهم بذلوا الأسباب وكل ما باستطاعتهم في نصرته دينه وبعد ذلك يأتيهم المدد والنصر، وفي ذلك حكمة عظيمة منه جل في علاه، وكذلك الإرهاب لأعداء الله، وكما أخبر سبحانه وتعالى عن فرار إبليس من أرض المعركة عندما رأى جبريل ومعه الملائكة، وعن هذا الأمر أنقل لكم هذا الكلام الجميل للحافظ ابن حجر وهو يُعَلِّقُ

(١) سورة الأنفال الآية: (٩).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢/٨٥-٨٦).

(٣) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (١/٢٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨١/٥) برقم: (٣٩٩٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

على هذه الحادثة فقال: (أن النبي ﷺ) - قال يوم بدر هذا جبريل الحديث هو من مراسيل الصحابة، ولعل ابن عباس حمله عن أبي بكر، فقد ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ - في يوم بدر خفق خفقة ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه الغبار، قال الشيخ (تقي الدين السبكي^(١)): سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ - مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، فقلت وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ - وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع، والله أعلم^(٢).

ويُخبر علي بن أبي طالب - ﷺ - عن أسر أحد الملائكة لعنه العباس بن عبد المطلب - ﷺ - فقال: "فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله، إنَّ هذا والله ما أسرنِي، لقد أسرنِي رجل أجَلَح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلَق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرتَه يا رسول الله، فقال: اسكت، فقد أيدَكَ اللهُ تعالى بملكٍ كريم"^(٣).

(١) تقي الدين السبكي، هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الشافعي الحافظ أبو الحسن، شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات، ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر)، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام، وولي قضاء الشام سنة (٧٣٩) هـ، واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها، من كتبه "مختصر طبقات الفقهاء" و"إحياء بالنقوس في صنعة إلقاء الدروس" و"الإغريض، في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض" توفي سنة (٧٥٦ هـ). ينظر: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين، التراجم الساقطة من كتاب إكمال تهذيب الكمال من: ترجمة الحسن البصري إلى: ترجمة الحكم بن سنان، الطبعة الأولى، دار المحدث للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م، (٢٦/١). وينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٣٠٢/٤-٣٠٣).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣١٣/٧).

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" مرجع سابق (٢٦١/١) برقم: (٩٦٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي سورة الأنفال يُخبر سبحانه وتعالى عن ما أوحى به إلى الملائكة بتثبيت المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرِبُوا فَوْقَ الْأَغْنَاقِ وَأَصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلًّا بِنَايَ﴾^(١)، قال الحافظ ابن كثير: (وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها، وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتمجد أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا، قال ابن إسحاق: وآزروهم. وقال غيره: قاتلوا معهم وقيل كثروا سوادهم)^(٢).

فهذه العلاقة العظيمة التي تربط السماء بالأرض وتُبين أنّ جند الله في السماء وفي الأرض هم يدٌ واحدة على الباطل وأهله، وهذا المدد الذي كان من الملائكة للمؤمنين في بدر بأمر الله جل وعلا ليُبين نوعاً من أنواع العلاقة بين الملائكة والمؤمنين، وهي النصرة والمؤازرة والتثبيت لهم في ساحات الوغى، وهناك علاقات أخرى قد أخبر الله عنها بين الملائكة والمؤمنين كالاستغفار لهم وحفظهم وكتابة حسناتهم وسيئاتهم وغيرها، وهذه الثلة من المؤمنين من أهل بدر الذين أعزّ الله بهم دينه وكسر بهم شوكة أعدائه، والذين ثبتوا ثبات الرجال مع قلة عددهم وعتادهم وكثرة عدد وعتاد عدوهم، كان لهم الفضل العظيم من الله جل في علاه، فسمّى ذلك اليوم الذين كان لهم تاريخاً عظيماً بيوم الفرقان، نعم الفرقان بين الحق والباطل والنور والظلام والهدى والضلال فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، لقد أظهر فيه الصحبُ الكرام حقيقة الولاء لله ولدينه وحقيقة البراءة من أعدائه ولو كان أقرب قريب، ونزل فيهم قول الله عز وجل:

(١) سورة الأنفال الآية: (١٢).

(٢) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٢١/٤).

(٣) سورة الأنفال الآية: (٤١).

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ
أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ
أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، قال الحافظ ابن كثير: (قال: (سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ)^(٢))
وغیره: أنزلت هذه الآية لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر إلى آخرها في أبي عبيدة
عامر بن عبد الله ابن الجراح حين قتل أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر بن الخطاب -
ﷺ- حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة -رضي الله عنهم-: ولو كان أبو
عبيدة حياً لاستخلفته، وقيل في قوله تعالى: (ولو كانوا آباءهم) نزلت في أبي عبيدة
قتل أباه يوم بدر، (أو أبناءهم) في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، (أو
إخوانهم) في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، (أو عشيرتهم) في
عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة
والوليد بن عتبة يومئذ، فالله أعلم^(٣).

(١) سورة المجادلة الآية: (٢٢).

(٢) سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي، الإمام، القدوة، مفتي دمشق، أبو محمد التنوخي،
الدمشقي، ويقال: أبو عبد العزيز، ولد: سنة تسعين، في حياة سهل بن سعد، وأنس بن مالك
-رضي الله عنهما-، وشباب، وكان ثقة، ومات بدمشق سنة سبع وستين ومائة في خلافة
المهدي وهو ابن بضع وسبعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق
(٣٢٤/٧). وينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٨-٣٢/٨).

(٣) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٨٤/٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي تاريخ الخلفاء عن (ابن سيرين)^(١): (أَنَّ (عبد الرحمن بن أبي بكر)^(٢) كان يوم بدر مع المشركين، فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفت لي يوم بدر، فانصرفت عنك ولم أقتلك، فقال أبو بكر: لكنك لو أهدفت لي لم أنصرف عنك)^(٣).

وكان أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - يُقسم أَنَّ في المبارزة التي صارت في بداية غزوة بدر بين الصحابة ومشركي قريش نزل فيها قرآنٌ يُتلى، فكان - رضي الله عنه -: "يُفْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ ﴿هَٰذَا نِ حَصَمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيهِمْ﴾"^(٤)، نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ، حَمْرَةً، وَعَلِيٌّ، وَعُيَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعُثْبَةُ، وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُثْبَةَ"^(٥). وكان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْتُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". وقال:

(١) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، ولد لسننتين بقيتا من خلافة عمر، تابعي، من أشرف الكتّاب، مولده ووفاته في البصرة، نشأ بزازاً، في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، واستكتبه أنس بن مالك، بفارس، وكان أبوه مولى لأنس، ينسب له كتاب (تعبير الرؤيا) ذكره ابن النديم، وهو غير (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) المطبوع، المنسوب إليه أيضاً، وليس له. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (١٥٤/٦).

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، شقيق أم المؤمنين عائشة، حضر بدرًا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح، وكان أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان، قُتِلَ يوم اليمامة سبعة من كبارهم، له ترجمة في: (تاريخ دمشق)، توفي: في سنة ثلاث وخمسين، وقيل: أنه توفي بالصفاح، وحمل، فدفن بمكة، وقد صح في (مسلم) في الوضوء: أن عبد الرحمن خرج إلى جنازة سعد ابن أبي وقاص، فهذا يدل على أنه عاش بعد سعد. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٧١/٢-٤٧٣).

(٣) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، (٣٣/١).

(٤) سورة الحج الآية: (١٩).

(٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣١٢/٧) برقم: (٨٠٩٨)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٠٣/٤) برقم: (٢٨٣٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧٥/٥) برقم: (٣٩٦٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٤٥/٨) برقم: (٣٠٣٣).

(قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ)^(١): وفيهم أنزلت: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رِيبِهِمَا﴾^(٢)، قال: (هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة)^(٣). قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (مَنْ يَجْتُوْهُ) بالجيم والمثلثة أي يقعد على ركبتيه مخاصماً والمراد بهذه الأولوية تقييده بالمجاهدين من هذه الأمة لأن المبارزة المذكورة أول مبارزة وقعت في الإسلام)^(٤).

ولذلك كان لهم الفضل عند الله جل وعلا، وكان - ﷺ - يُسمِّي ما أعطاهم الله من نصرٍ وفضل يوم بدر بثواب الصدق وما حصل بعده من خير للمسلمين، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ: "رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرَ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَرْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَرْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ بَعْدُ، وَثَوَابُ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ"^(٥). قال النووي: (ومعناه ما جاء الله به بعد بدر)^(٦).

(١) قيس بن عباد القيسي الضبعي، نزيل البصرة، له إدراك، وذكره ابن قانع في الصحابة، قيل: أنه قدم المدينة في خلافة عمر، وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث. وذكره العجلي في التابعين، وقال: ثقة من كبار الصالحين، ووثقه النسائي وغيره، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال: إنه يشكري، يكنى أبا عبد الله، من ولد قيس بن ثعلبة من أهل البصرة، وهو من جملة من قتلهم الحجاج بن يوسف ممن خرج مع ابن الأشعث. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٤٠٢/٥).

(٢) سورة الحج الآية: (١٩).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٩/٨) برقم: (٨٥٩٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧٥/٥) برقم: (٣٩٦٥).

(٤) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٩٧/٧).

(٥) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١١٦/٧) برقم: (٧٦٠٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٧٤/٥) برقم: (٣٩٢١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٣/٤) برقم: (٣٦٢٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥٧/٧) برقم: (٢٢٧٢).

(٦) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٣٢/١٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ولقد أخبر رسول الله - ﷺ - أن الله اطلع على أهل بدر فقال لهم: "اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم" (١).

قال العظيم آبادي: (اطلع: بتشديد الطاء؛ أي: أقبل، (على أهل بدر): ونظر إليهم نظرة الرحمة والمغفرة، (ما شئتم): أي من الأعمال الصالحة قليلة أو كثيرة، (فقد غفرت لكم): المراد غفران ذنوبهم في الآخرة، وإلا فلو وجب على أحدهم حدٌ مثلاً لم يسقط في الدنيا) (٢).

وقال المباركفوري: (فقال لهم: أي مخاطباً لهم خطاب تشريف وإكرام، (اعملوا ما شئتم) في المستقبل، (فقد غفرت لكم) عبر عن الآتي بالواقع مبالغة في تحقيقه، قال القرطبي: وهذا الخطاب قد تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السابقة، وتأهلوا أن تغفر لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت منهم) (٣).

وقال النووي: (قوله: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) قال العلماء: معناه الغفران لهم في الآخرة، وإلا فإن توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا، ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد وأقامه عمر على بعضهم قال وضرب النبي - ﷺ - (مسطحاً) (٤) الحد وكان بدرياً) (٥).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٩٦/١٠) برقم: (١١٥٢١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١/٣) برقم: (٢٦٥٠)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٣٣/٥) برقم: (٣٣٠٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٩/٤) برقم: (٣٠٠٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٦٧/٧) برقم: (٢٤٩٤).

(٢) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (١/٣).

(٣) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (١٩٦/٤).

(٤) مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبى، يكنى: أبا عباد، وقيل: أبو عبد الله، وأمه أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، شهد مسطح بدرًا، وقيل: إن مسطحاً لقب واسمه عوف، لاتفى سنة أربع وثلاثين، وهو ابن ست وخمسين سنة، وقيل: شهد صفين مع علي، ومات سنة سبع وثلاثين. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (١٥٠/٥).

(٥) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٥٦/١٦-٥٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

بل وشهد لهم الرسول -ﷺ- بالجنة، كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه-، عندما أخطأ فأرسل لقريش رسالة ينذرهم بمقدم رسول الله -ﷺ- إليهم في فتح مكة، وكان بذلك يُريد أن تكون له يدٌ عند قريش حتى يحفظوا أهله؛ لأنه لم يكن قرشياً وإنما حليفاً لهم، ولم يفعل ذلك -ﷺ- ارتداداً وكفراً ولا رضاً بالكفر، أخرج الإمام مسلم في صحيحه والنسائي في سننه، من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: "أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ"^(١).

قال المباركفوري: (هذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية، وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله -ﷺ- يومئذ قيل: ألفاً وثلاثمائة، وقيل: وأربعمائة وقيل: خمسمائة، الأوسط أصح قاله الحافظ ابن كثير)^(٢).

وقال القرطبي: (وفي حديث حاطب هذا أبواب من الفقه وأدلة على صحة نبوة نبينا محمد -ﷺ- وعلى فضائل أهل بدر وحاطب بن أبي بلتعة، فمن جملة ما فيه من الفقه: أن ارتكاب الكبيرة لا يكون كفراً، وأن المتأول أعذر من العادم، وقبول عذر الصادق.

ومنه ما يدلُّ على أن الجاسوس حكمه بحسب ما يجتهد فيه الإمام على ما يقوله مالك، وجميع أهل بدر ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً باتفاق أئمة السير والتواريخ، واختلف في طائفة نحو الخمسة هل شهدوها أم لا؟ وتفصيل ذلك في كتب السير)^(٣).

قال النووي: (قوله: (يَا رَسُولَ اللَّهِ لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ) فيه فضيلة أهل بدر والحديبية وفضيلة حاطب لكونه منهم، وفيه أن لفظة الكذب هي الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عمداً كان أو سهواً سواء كان الإخبار عن ماضٍ أو مستقبل، وخصته المعتزلة بالعمد وهذا يرد عليهم، وسبقت المسألة في كتاب الإيمان، وقال بعض أهل اللغة لا يستعمل

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٦٩/٧) برقم: (٢٤٩٥)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٦٧/٧) برقم: (٨٢٣٨).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٣٥٩/٤).

(٣) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٤٣٨/٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الكذب إلا في الإخبار عن الماضي بخلاف ما هو مستقبل، وهذا الحديث يرد عليه. والله أعلم^(١).

وأهل بدر هم من أفضل المسلمين، وكذلك الملائكة من شهد منهم بدرًا فهم من أفضل الملائكة، أخرج الإمام البخاري في صحيحه، من حديث (رفاعة بن رافع الزرقى)^(٢)، عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر، قال: "جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ -، فَقَالَ: مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرٍ فَيُكْمُ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ"^(٣).

فهنيئاً لهم هذا الفضل العظيم من الكريم سبحانه وتعالى، وما حصلوا على ذلك إلا ببذل النفوس والمال في سبيل الله عز وجل، صبروا وصمدوا مع أنهم لم يكونوا مستعدين الاستعداد الكامل لملاقاة هذا الجيش الجرّار، فقد أخبر عمر بن الخطاب - ﷺ - بعدد المشركين وبعدد المسلمين فقال: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا)^(٤)، فما ترددوا وما تقهقروا بل أبلوا بلاءً حسناً، فأعز الله بهم الدين وكسر الله بهم شوكة المشركين، فهم أفضل صحابة رسول الله ﷺ - على الإطلاق بعد العشرة المبشرين بالجنة ترتيباً.

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٥٧/١٦).

(٢) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري الخزرجي، أبو معاذ، وهو من أهل بدر، وشهد هو وأبوه العقبة وبقية المشاهد، قيل: أنه شهد صفين، وقيل: أنه شهد الجمل، مات سنة إحدى أو اثنتين وأربعين. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٤٠٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٠/٥) برقم: (٣٩٩٢).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٨٣/١٠) برقم: (١١٤٩٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٦٢/٥) برقم: (٣٠٨١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤١/٤) برقم: (٢٩١٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٦/٥) برقم: (١٧٦٣).

المبحث الرابع

قتلى المشركين بدر، وقصة أسراهم

لقد تلقى كفار قريش ضربة قوية في غزوة بدر وخسروا كثيراً من ساداتهم وقادتهم، فالثلاثة الذين برزوا للمبارزة كلهم قُتلوا، وهم: (شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد ابن عتبة)، وكذلك قُتل أبو جهل شرّ قِنتلة على يدي غلامين من شباب الأنصار، قال عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -: "بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةَ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعٍ مِنْهُمَا، فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمَّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أَخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَعَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَتَشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟ قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، وَقَضَى بِسَلْبِهِ (لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ)^(١)، وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ^(٢)(٣).

(١) معاذ بن عمرو بن الجموح بن كعب الخزرجي، السلمي، المدني، البصري، العقبي، الأنصاري، قاتل أبي جهل، شهد بدرًا، ضربه عكرمه في يده فبقيت معلقة حتى تمطى عليها فألقاها، وقاتل بقية يومه، ثم بقي بعد ذلك دهرًا حتى مات في زمن عثمان، قاله البخاري وغيره. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (١١٣/٦).

(٢) معاذ بن الحارث بن رفاع بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، النجاري، أخو: عوف، ورافع، ورفاعة، وأهمهم: عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وعرف بها، شهد بدرًا، قال الواقدي: يروى أن معاذًا هذا، ورافع بن مالك الزرقى أول من أسلم من الأنصار بمكة، وأمر الستة أثبت، وشهد معاذ العقبتين جميعاً، وأخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين معمر بن الحارث الجمحي، أحد البصريين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٥٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩١/٤) برقم: (٣١٤١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٨/٥) برقم: (١٧٥٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال القرطبي: (وقوله: (حتى يموت الأعجل منا) أي: الأقرب أجلاً، وهو كلام مستعمل يفهم منه: أنه يلزمه، ولا يتركه إلى وقوع الموت بأحدهما، وصدور مثل هذا الكلام في حالة الغضب والانزعاج يدل على صحة العقل، وثبوت الفهم، والتثبت العظيم في النظر في العواقب؛ فإن مقتضى الغضب أن يقول: حتى أقتله؛ لكن العاقبة مجهولة. وقوله: (فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس) معنى لم أنشب: لم أشتغل بشيء، وهو من: نشب بالشيء؛ إذا دخل فيه، وتعلق به. و(يزول) أي: يجول ويضطرب في المواضع، ولا يستقر على حال، وهو فعل من يعبئ الناس، ويحرضهم، أو فعل من أخذه الزويل، وهو: الفرع والقلق، والأول أولى؛ لرواية (ابن ماهان)^(١)، لهذا الحرف: (يجول) بالجيم. وقوله: (هل مسحتما سيفيكما؟ قال: لا، فنظر في السيفين فقال: كلاكما قتله) هذا يدل على: أن للإمام أن ينظر في شواهد الأحوال ليترجح عنده قول أحد المتداعيين، وذلك أن سؤاله عن مسح السيفين إنما كان لينظر إن كان تعلق بأحدهما من أثر الطعام أو الدّم ما لم يتعلق بالآخر، فيقضي له، فلما رأى تساوي سيفيهما في ذلك قال: (كلاكما قتله)، ومع ذلك ففُضِيَ بالسلب لأحدهما، فكان ذلك أدل دليل على صحة ما قدّمناه من مذهب مالك، وأبي حنيفة. وقد اعتذر المخالفون عن هذا الحديث بأوجه، منها: أن هذا منسوخ بما قاله يوم حنين، وهو فاسد لوجهين: أحدهما: أن الجمع بينهما ممكن، كما قدّمناه، فلا نسخ. والثاني: أنه قد روى أهل السير وغيرهم: أن النبي -ﷺ- قال يوم بدر: (من قتل قتيلاً فله سلبه) كما قال يوم حنين، وغايته: أن يكون من باب تخصيص العموم على ما قلناه. ومنها: أن بعض الشافعية قال: إنما فعل النبي -ﷺ- ذلك؛ لأنه استطاب نفس

(١) أبو جعفر الرازي عيسى بن ماهان، عالم الري، يقال: إنه ولد بالبصرة، وكان يتجر إلى الري، ويقيم به، ولد: في حدود التسعين، في حياة بقايا الصحابة، حدث عن: عطاء بن أبي رباح، وعمر بن دينار، وقتادة، والربيع بن أنس، وجماعة، توفي في حدود سنة ستين ومائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٤٦/٧-٣٤٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أحدهما، وهذا كلام غير محصل، فإنه -ﷺ- لا يستطيع الأنفس بما لا يحل، ثم كيف يستطيع نفس هذا بإفساد قلب الآخر؟ هذا مما لا يليق بذوي المروءات، فكيف بخاتم النبوات؟! ومنها: أنه لعله أن يكون رأى على سيف أحدهما من الأثر ما لم ير على الآخر، فأعطاه السلب لذلك، وقال: (كلاكما قتله) تطيباً لقلب الآخر، وهذا يبطله قوله: (كلاكما قتله) والقتل هو السبب عند القائل، وظاهره التسوية في القتل؛ فإن القائل إذا قال لمخاطبيه: كلاكما قال، أو كلاكما خرج، فظاهره المشاركة فيما نسب إليهما، ثم يلزم هذا القائل أن يجوز على رسول الله -ﷺ- التورية في الأحكام، والقول بذلك باطل، وحرام. والله تعالى أعلم^(١).

وقال النووي: (قوله: (لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ) أي شخصي شخصه، قوله: (حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا) أي لا أفارقه حتى يموت أحداً وهو الأقرب أجلاً، قوله: (فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَنْظُرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ) معناه لم ألبث، قوله -ﷺ-: (أَيُّكُمَا قَتَلَهُ) فقال كل واحد منهما أنا قتلته، فقال هل مسحتما سيفيكما؟ قالوا: لا، فنظر في السيفين، فقال كلا كما قتله، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء، اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال أصحابنا: اشترك هذان الرجلان في جراحته، لكن معاذ بن عمرو بن الجموح ثخنه أولاً فاستحق السلب، وإنما قال النبي -ﷺ- كلا كما قتله تطيباً لقلب الآخر من حيث إن له مشاركة في قتله وإلا فالقتل الشرعي الذي يتعلق به استحقاق السلب وهو الإثخان وإخراجه عن كونه متمنعاً إنما وجد من معاذ بن عمرو ابن الجموح، فلهذا قضى له بالسلب، قالوا وإنما أخذ السيفين ليستدل بهما على حقيقة كيفية قتلتهما، فعلم أن ابن الجموح أثخنه ثم شاركه الثاني بعد ذلك وبعد استحقاقه السلب، فلم يكن له حق في السلب. هذا مذهب أصحابنا في معنى هذا الحديث، وقال أصحاب مالك إنما أعطاه لأحدهما لأن الإمام مخير في السلب يفعل فيه ما شاء (وقد سبق الرد على مذهبيهم

(١) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٥٤٧/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

هذا والله أعلم^(١)، وأما قوله: والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء فهكذا رواه البخاري ومسلم، وذكر مسلم بعد هذا أن ابن مسعود - رضي الله عنه - هو الذي أجهز عليه وأخذ رأسه وكان وجده وبه رمق وله معه خبر معروف، قال القاضي هذا قول أكثر أهل السير، قلت يحمل على أن الثلاثة اشتركوا في قتله وكان الإثخان من معاذ بن عمرو بن الجموح وجاء بن مسعود بعد ذلك وفيه رمق فحز رقبتة، وفي هذا الحديث من الفوائد:

أ- المبادرة إلى الخيرات. ب- والاشتياق إلى الفضائل. ج- وفيه الغضب لله ولرسوله - ﷺ -. د- وفيه أنه ينبغي أن لا يحتقر أحد فقد يكون بعض من يستصغر عن القيام بأمر أكبر مما في النفوس وأحق بذلك الأمر كما جرى لهذين الغلامين، واحتجت به المالكية في أن استحقاق القاتل السلب يكفي فيه قوله بلا بينة، وجواب أصحابنا عنه لعله - ﷺ - علم ذلك ببينة أو غيرها^(٢).

فانظر إلى هذا الذل الذي أذل الله به أباجهل بأن كان مقتله على يدي غلامين، فأين كبره وغروره وترفعه؟ كله ذهب فالباطل يدحضه الله القوي الجبار، وكان - ﷺ - مهتما بمعرفة مصيره النهائي، فقال لأصحابه كما قال أنس بن مالك - رضي الله عنه -: قال رسول الله - ﷺ -: " مَنْ يَنْظُرْ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ؟ فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنًا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، فَأَخَذَ بِلَحْيَتِهِ، فَقَالَ: أَنْتَ، أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ؟ أَوْ قَالَ: قَتَلْتُمُوهُ"^(٣). وفي لفظ آخر: "وَقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: فَلَوْ عَيَّرَ أَكْبَارُ قَتَلَنِي"^(٤).

(١) وقد سبق في الصحتين الماضيتين ذكر رد الإمام القرطبي على الشافعية وانتصاره لذهب الإمام مالك والإمام أبو حنيفة - رحمهم الله جميعاً -.

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢/٦٢-٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧٤/٥) برقم: (٣٩٦٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٣/٥) برقم: (١٨٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٥/٥) برقم: (٤٠٢٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٣/٥) برقم: (١٨٠٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (حتى برد) أي مات، هكذا فسروه، ووقع في رواية مسلم (حتى برك) بكاف بدل الدال أي سقط، قال عياض: وهذه الرواية أولى؛ لأنه قد كلف ابن مسعود، فلو كان مات كيف كان يكلمه؟ انتهى. ويحتمل أن يكون المراد بقوله: (حتى برد) أي صار في حالة من مات، ولم يبق فيه سوى حركة المذبوح، فأطلق عليه باعتبار ما سيؤول إليه، ومنه قولهم للسيوف: بوارد؛ أي: قوائل، وقيل لمن قتل بالسيف: برد؛ أي: أصابه متن الحديد؛ لأن طبع الحديد البرودة، وقيل: معنى قوله: برد أي فتر وسكن، يقال: جد في الأمر حتى برد أي فتر، وبرد النبيذ أي سكن غليانه. وقوله: (أنت أبا جهل؟) قال الداودي: كأن ابن مسعود تعدد اللحن ليغيظ أبا جهل كالمصغر له، وما أبعد ما قال. وقيل: إن قوله أنت مبتدأ محذوف الخبر، وقوله أبا جهل منادى محذوف الأداة، والتقدير أنت المقتول يا أبا جهل، وخاطبه بذلك مقرعاً له ومتشفياً منه؛ لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى^(١)).

وقال النووي: (قوله - ﷺ -: (مَنْ يَنْظُرْ إِلَيْنَا مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ) سبب السؤال عنه أن يعرف أنه مات ليستبشر المسلمون بذلك وينكف شره عنهم، قوله: (ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَكَ) هكذا هو في بعض النسخ برك بالكاف، وفي بعضها برد بالدال فمعناه بالكاف سقط إلى الأرض، وبالدال مات يقال برد إذا مات، واختار جماعة محققون الكاف وأن ابني عفراء تركاه عفيراً، وبهذا كلف ابن مسعود كما ذكره مسلم وله معه كلام آخر كثير مذكور في غير مسلم. وابن مسعود هو الذي أجهز عليه واحتز رأسه، قوله: (وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ) أي لا عار عليّ في قتلكم إياي، قوله: (لَوْ غَيْرَ أَكَارٍ قَتَلْتَنِي) الأكار الزراع والفلاح وهو عند العرب ناقص وأشار أبو جهل إلى ابني عفراء اللذين قتلاه وهما من الأنصار وهم أصحاب زرع ونخيل ومعناه لو كان الذي قتلني غير أكار لكان أحب إلي وأعظم لشأني ولم يكن علي نقص في ذلك^(٢)).

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٤٣/٤).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٦٠-٦٢/١٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فانظر إلى حسرته عند موته بأنه ما كان يريدُ غلماناً من الأنصار يقتلوه!! وقد جمع رسول الله -ﷺ- قتلى المشركين ووضعهم في قليب في بدر ثم خاطبهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "...أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-، تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: يَا أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ يَا عُثْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا. فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنْتَى يُجِيبُوا وَقَدْ جِئْتُمَا؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا. ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا، فَأُلْقُوا فِي قَلْبٍ بَدْرٍ، وفي رواية أخرى قال أنس -رضي الله عنه-: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ- أَمَرَ بِبِضْعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا -وفي حديث رُوِيَ بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا- مِنْ صَنَائِدِ فُرَيْشٍ، فَأُلْقُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ" (١).

قال السندي: (قوله: (جيفوا) بتشديد الياء على بناء الفاعل كما هو مقتضى ظاهر الصحاح، أي: صاروا جيفاً منتنة، والجيفة بكسر الجيم جيفة الميت إذا أنتن، فهو أخص من الميتة) (٢).

وقال العظيم آبادي: (قوله: (فسحبوا) بصيغة المجهول؛ أي: جروا. في القاموس: سحبه كمنعه: جره على الأرض. وقال الخطابي: السحب: الجر العنيف (في قليب بدر) قال الخطابي: القليب: البئر التي لم تطو، وإنما هي حفيرة قلب ترابها فسميت قليباً. وفي الحديث دليل على جواز ضرب الأسير الكافر، إذا كان في ضربه طائل) (٣). انتهى.

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٤٢٦/١) برقم: (٣/٢٠٧٤)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٨١/٢) برقم: (٢٢١٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٠/٥) برقم: (١٧٧٩).

(٢) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن النسائي، مرجع سابق (١١٠/٤).

(٣) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (١٠/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال النووي: (قوله: (وَقَدْ جَيَّفُوا) جَيَّفُوا أي أنتنوا وصاروا جيفاً يقال: جَيَّفَ الميت وجاف وأجاف وأروح وأنتن بمعنى، قوله: (فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلْبِ بَدْرٍ)، وفي الرواية الأخرى في طوي من أطواء بدر القلب، والطوي بمعنى وهي البئر المطوية بالحجارة قال أصحابنا وهذا السحب إلى القلب ليس دفنا لهم ولا صيانة وحرمة بل لدفع رائحتهم المؤذية، والله أعلم^(١)).

وكان عدد المشركين الذين قُتلوا في بدر سبعين والذي أسروا سبعين، وقد أخبر بذلك البراء بن عازب -رضي الله عنه- فقال: (وَكَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا)^(٢).

وكان من الأسرى بعض من آل بيت رسول الله -ﷺ-، قال الحافظ ابن كثير: (وكان جملة الأسارى يومئذ سبعين أسيراً، منهم من آل رسول الله -ﷺ-: عمه العباس بن عبد المطلب، وابن عمه (عقيل بن أبي طالب)^(٣)، و(نوفل ابن الحار بن عبد المطلب)^(٤)، وكان فيهم (أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن أمية)^(٥) زوج زينب بنت النبي -ﷺ-)^(٦).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٠٧/١٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٤) برقم: (٣٠٣٩).

(٣) عقيل بن أبي طالب الهاشمي، هو أكبر إخوته، وأخهم موتاً، شهد بدرًا مشركاً، وأُخرج إليها مكرهاً، فأُسر، ولم يكن له مال، ففداه عمه العباس، قال ابن سعد: خرج عقيل مهاجراً في أول سنة ثمان، وشهد مؤتة، ثم رجع، فتمرض مدة، فلم يسمع له بذكر في فتح مكة، ولا حنين، ولا الطائف، وقد أطعمه رسول الله -ﷺ- بخير مائة وأربعين وسقاً كل سنة، قيل: توفي زمن معاوية. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢١٨/١-٢١٩).

(٤) نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي، ابن عم النبي -ﷺ-، شهد بدرًا مشركاً، وأُسر فيها، خرج من مكة مسلماً ومهاجراً إلى رسول الله -ﷺ- هو والعباس بن عبد المطلب أيام الخندق. ينظر: المرجع السابق (٨١/٢).

(٥) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي العيشمي، ختن رسول الله -ﷺ- على ابنته زينب، أم أمامة، واسمه لقيط، وقال ابن سعد: اسمه مقسم، وأمه هالة بنت خويلد خالة زوجته، فهما أبناء خالة، تزوج بها قبل المبعث، وكان أبو العاص يدعى جرو البطحاء، وأُسر يوم بدر، قال ابن إسحاق: ثم إن أبا العاص رجع إلى مكة مسلماً، فلم يشهد مع النبي -ﷺ- مشهداً، ثم قدم المدينة بعد ذلك، فتوفي في آخر سنة اثنتي عشرة، والله أعلم. ينظر: المرجع السابق (٢٤/٢-٢٧).

(٦) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٤٥٦/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقد استشار رسول الله -ﷺ- الصحابة في الأسرى ما يصنع بهم؟ فكان الصديق -ﷺ- يرى أن تُطلب لهم الفدية من قريش من أجل أن تكون قوةً للمسلمين، وكان الصديق يرجو من الله أن يهديهم للإسلام، وكان عمر بن الخطاب -ﷺ- يرى قتلهم، فأخذ رسول الله -ﷺ- برأي الصديق، ولكن القرآن نزل يوافق رأي عمر -ﷺ-، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- يُخبر عن كلام عمر بن الخطاب -ﷺ-: "قَلَمَّا أَسْرَوْا الْأَسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: لَا بِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ: "مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةٌ عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ بَيْنَكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيْ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ -شَجَرَةِ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ -ﷺ- وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. لَوْلَا كُنْتُ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ^(٢).

قال العظيم آبادي: (أسرى: جمع أسير. {حتى يثخن} أي يبالغ في قتل الكفار، وتمام الآية: {تريدون} أي: أيها المؤمنون {عرض الدنيا} أي: حطامها بأخذ الفداء، {والله يريد الآخرة} أي ثوابها بقتلهم، {والله عزيز حكيم} {لولا كتاب من الله سبق} أي:

(١) سورة الأنفال الآيات: (٦٧-٦٨-٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٣/٣) برقم: (٢٦٩٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٦/٥) برقم: (١٧٦٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

بإحلال الغنائم والأسرى لكم {المسكم فيما أخذتم} أي من الفداء {عذاب عظيم} (من الفداء): ليس هذا من الآية، بل هو تفسير وبيان لما في قوله: فيما أخذتم من بعض الرواة^(١).

وقال القرطبي: (وقوله -ﷺ- لأصحابه: (ما ترون في هؤلاء الأسارى) يدل على أنه -ﷺ- ما كان أوحى إليه في أمرهم بشيء، فاستشارهم لينظروا في ذلك بالنظر الأصح، فاختلف نظر أبي بكر وعمر، فمال أبو بكر إلى الإبقاء طمعاً في إسلامهم، وإلى الفداء ليكون ذلك قوة عليهم، ومال عمر إلى القتل محققاً للكفر، وقصاصاً منهم، وردعاً لأهله، فمال رسول الله -ﷺ- إلى ما قال أبو بكر على مقتضى رأفته ورحمته بالمؤمنين؛ ليتقوا على عدوهم، وعلى مقتضى حرصه على إيمان من أسر منهم، وكل من النظرين له أصول تشهد بصحته، بل نقول: إن نظر أبي بكر يشهد لصحته قضية سرية عبد الله بن جحش، وكانت قبل بدر بنحو ثلاثة أشهر، قتل فيها ابن الحضرمي، وأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأخذوا عيرهم، وقدموا على رسول الله -ﷺ-، فقبل فداء الأسيرين، وسوّغ الله لهم الفداء، فكان ذلك دليلاً على صحة ما اختاره أبو بكر، وكذلك مال إليه رسول الله -ﷺ- وهويّه، وعند هذا يشكل ما جاء في آخر هذا الحديث من عتب الله لنبيه -ﷺ- بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِي أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَفَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، ويقول -ﷺ-: (لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة)، ووجه هذا الإشكال: أن هذا الاجتهاد الذي صدر من أبي بكر، ووافقه عليه رسول الله -ﷺ- إما أن يكون الله قد سوّغه لهم أو لا، فإن كان الأول، فكيف يعاتبون، ويتوعدون على ما سوّغ لهم؟ وإن لم يكن مسوّغاً، فكيف أقدموا عليه، لا سيما النبي -ﷺ- الذي قد برأ الله نطقه عن الهوى، واجتهاده عن الخطأ؟! ولما أشكل هذا اختلفت أجوبة العلماء عنه، فقليل فيه أقوال: أحدها: أنهم أقدموا عليه لأنه أمر مصلحي دنيوي، والأمور المصلحية الإقدام عليها مسوّغ، ولا بعد في العتب على ترك المصلحة الراجحة وإن كانت دنيوية. وهذا فاسد من وجهين: أحدهما: أن هذا الاجتهاد منهم إنما كان في

(١) ينظر: العظيم أبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (١٣/٣).

(٢) سورة الأنفال الآيات: (٦٧-٦٨-٦٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أمر شرعي حكمي؛ لأنه يقتضي سفك دماء، واستباحة أموال، وإرقاق أحرار، وهذه لا تستباح إلا بالشرع. وثانيهما: أن العتب الشرعي لا يتوجه على ترك مصلحة دنيوية لا يتعلق بها مقصود شرعي، كما لم يتوجه على النبي -ﷺ- عتب في قضية إibar النخل، وإن كان عدل فيه عن المصلحة الدنيوية الراجعة، وهذا من نوع الأول.

الثاني: إنما عوتبوا؛ لأن قضية بدر عظمة الموقع، والتصرف في صناديد قريش وساداتهم وأموالهم بالقتل، والاسترقاق، والتملك، ذلك كله عظيم الموقع، فكان حقهم أن ينتظروا الوحي، ولا يستعجلوا، فلما استعجلوا، ولم ينتظروا توجه عليهم ما توجه. وهذا أيضاً فاسد؛ لأنه يلزم منه أن يكونوا أقدموا على ما لا يجوز لهم شرعاً، ووافقهم على ذلك النبي -ﷺ-، وكل ذلك عليهم مُحال بما قدّمناه من وجوب عصمة النبي -ﷺ- عن الخطأ في الشريعة ومن ظهور الأدلة المرجحة بما قدمناه.

الثالث: أن ذلك إنما توجه على من أراد بفعله عرض الدنيا، ولم يرد الدين، ولا الدار الآخرة، بدليل قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(١)، ولم يكن النبي -ﷺ-، ولا أبو بكر، ولا من نحا نحوهما ممن يريد عرض الدنيا، فالوعيد والتوبيخ متوجهان إلى غيرهم ممن أراد ذلك. وهذا أحسنها، والله تعالى أعلم.

وبكاء النبي -ﷺ- وأبي بكر لم يكن لأنهما دخلا فيمن توعّد بالعذاب، بل شفقة على غيرهما ممن توعّد بذلك؛ بدليل قوله -ﷺ-: (أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة)، لا سيما وقد أوحى إليه: أنه يقتل منهم عاماً قابلاً مثلهم. فبكى رسول الله -ﷺ- لذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يُمُخَّخَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، فليس بتوبيخ، ولا ذم، وإنما هو من باب التنبيه على أن القتل كان الأولى، والأردع، مع أنه ما كان الله تعالى تقدّم له في ذلك بشيء، كما قررناه. وهذا من باب قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾^(٣)، فقدّم العفو على المعاتبة؛ إذ لم يتقدّم له في إنهم بشيء، والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأنفال الآيات: (٦٧-٦٨-٦٩).

(٢) سورة الأنفال الآيات: (٦٧-٦٨-٦٩).

(٣) سورة التوبة الآية: (٤٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

و(الإثخان): إكثار القتل، والمبالغة فيه، ومنه الثخانة في الثوب، وهي: غلظه وكثرة سداه. و(الأسرى): جمع أسير، وأصل الأسر: الشدّ والربط. وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ﴾^(١)، فيها أربعة أقوال: أحدها: لولا أنه سبق في أم الكتاب: أنه سيحل لهم الغنائم والفداء؛ قاله ابن عباس. والثاني: لولا ما سبق لأهل بدر من أنه لا يعذبهم؛ قاله الحسن. والثالث: لولا ما سبق من أنه لا يعذب من غير أن يتقدّم بالإنذار؛ قاله ابن إسحاق. والرابع: لولا ما سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ممن تاب؛ قاله الزجاج. فيتخرّج على هذه الأقوال في (الكتاب) قولان: أحدهما: أنه كتاب مكتوب. والثاني: أنه قضاء مقضي.

وقد أفاد هذا الحديث: أن الإمام مخير في الأسارى بين الفداء، والقتل، والمن، فإنه قتل منهم، وفدى، ومنّ. وقد سوّغ الله تعالى فيهم كل ذلك. وقد استوفينا هذا المعنى فيما تقدّم^(٢).

وقال النووي: (قوله: (هَؤُلَاءِ أُمَمٌ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا) يعني أشرافها الواحد صناديد بكسر الصاد والضمير في صناديدها يعود على أئمة الكفر أو مكة، قوله: (فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ) أي أحب ذلك واستحسنه، قوله: (وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ) هكذا هو في بعض النسخ ولم يهو، وفي كثير منها ولم يهوي بالياء وهي لغة قليلة بإثبات الباء مع الجازم ومنه قراءة من قرأ إنه من يتقي ويصبر بالياء ومنه قول الشاعر:.... ألم يأتيك والأنباء تنمي، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)، أي يكثر القتل والقهر في العدو^(٤).

(١) سورة الأنفال الآيات: (٦٧-٦٨-٦٩).

(٢) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٣/٥٧١).

(٣) سورة الانفال الآية: (٦٧).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢/٨٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقد أمر النبي - ﷺ - أصحابه بالإحسان إلى الأسرى، قال ابن هشام: (قال ابن إسحاق: وحدثني (نبيه بن وهب) ^(١)، أخو بني عبد الدار، أن رسول الله - ﷺ - حين أقبل بالأسارى فرقمهم بين أصحابه، وقال: استوصوا بالأسارى خيراً، قال: وكان (أبو عزيز بن عمير بن هاشم) ^(٢)، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، فقال وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر، لوصية رسول الله - ﷺ - إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها. قال: فأستحيي فأردها على أحدهم، فيردها علي ما يمسها) ^(٣).

فانظر إلى عظمة هذه الأخلاق التي غرسها رسول الله - ﷺ - في أصحابه، ومن إحسانه لهم - ﷺ - أنه جعل الأسرى في مكان قريب من المسجد لكي يسمعو قراءته للقرآن فعمل الله أن يهديهم، فيخبر جبير بن مطعم - ﷺ - وكان يومئذ مع الأسرى قبل أن يسلم وكيف أن القرآن أثر فيه وكان ذلك سبباً في إسلامه، فقال: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُوتُ . أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ . أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمْ الْمُصْطَفُونَ﴾" ^(٤)، قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ" ^(٥).

(١) نبيه بن وهب بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، أولاده: وهباً، وعبد الله، وعبد الرحمن، وعمراً، وأم سلمة، وأم جميل، وأمهم أم جميل بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وتوفي نبيه في فتنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان ثقة قليل الحديث، وكانت أحاديثه حسناً. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣٣٠/٥).

(٢) أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدي، قيل: اسمه زرارة، وله صحبة وسماع من النبي - ﷺ -، واتفق أهل المغازي على أنه أسر يوم بدر مع من أسر من المشركين، قال أبو نعيم: لا أعلم له إسلاماً. وقال الزبير بن بكار، وابن الكلبي، وأبو عبيد، والبلاذري، والدارقطني: إن أبا عزيز قتل يوم أحد كافراً. ورد ذلك أبو عمر بأن ابن إسحاق عدّ من قتل من الكفار من بني عبد الدار أحد عشر رجلاً ليس فيهم أبو عزيز، وإنما فيهم أبو يزيد بن عمير، وفات خليفة خياط ذكره في الصحابة. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٢٢٨/٧-٢٢٩).

(٣) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٦٤٥/١-٦٤٦).

(٤) سورة الطور الآية: (٣٥-٣٦-٣٧).

(٥) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٢١٦/١) برقم: (١/٩٨٦)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (١٥/٢) برقم: (١٠٦١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢٩٨/١) برقم: (٨١١)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢١/٢) برقم: (٨٣٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٣/١) برقم: (٧٦٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤١/٢) برقم: (٤٦٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

لقد كانت موقعة بدر -رغم صغر حجمها- فاصلة في تاريخ الإسلام لذلك سمّاها الله تعالى في كتابه بـ(يوم الفرقان)؛ لأنّه فرّق بها بين الحق والباطل، وفيها حققت العقيدة الإسلامية انتصارات كبيرة، فقد ظهر استعلاؤها على سائر المصالح والمطامح والعلائق الدنيوية، فهاهم الأنصار يعلنون قبل بدئها أنّ التزاماتهم تجاه العقيدة لا تحُدّها اللوائح والعهود التي قطعوها في بيعة العقبة الثانية، بل هم جند مطيعون ومضخّون من أجل عقيدتهم دون شرط ولا قيد، وها هم المهاجرون يواجهون أقاربهم في المعركة فالابن يلقي أباه والأخ يلقي أخاه، فلا تمنعهم أوامر القرى من قتلهم لأنّ مصلحة العقيدة فوق كل آصرة وارتباط، وقد استحق المقاتلون ببدر أن ينالوا التقدير الكبير الذي صار يلزم كلمة (البدري) حتى كونوا الطبقة الأولى من الصحابة في سجل الجند لعمر -عليه السلام-، فكانوا يأخذون أعلى العطاء واحتلوا الصفحات الأولى من كتب الطبقات، وهكذا نالهم التكريم الأدبي والمادي على مر الدهور، وقد أوضحت الأحاديث الصحيحة فضل البدرين وعلو مقامهم في الجنة، وكانت أصداء بدر عميقة في المدينة ومكة وأرجاء الجزيرة العربية فقد استعلی المؤمنون في المدينة على اليهود وبقايا المشركين، فانخذل اليهود وظهرت أحقادهم التي دفعت بهم إلى المجاهرة بالعداء، فقد غاظتهم النتيجة التي ما كانوا يتوقعونها فلم يعودوا يسيطرون على أفعالهم وأقوالهم التي تتم عن الغضب والحقد المتأججين، فاندفعوا نحو العدوان ممّا أدّى إلى إجلاء بني قينقاع عن المدينة، ودخل الكثيرون في الإسلام، وبعضهم دخل حماية لمصالحه بعد أن شعر برجحان كفة المسلمين، فكون هؤلاء جبهة المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر على رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، وأمّا قريش في مكة فلم تكذب تصدق ما حدث، فقد قتل ساداتها وأبطالها، وتشير رواية مرسلة إلى أنها تجلّدت فمنعت البكاء والنياحة على قتلها لئلا يشمت بهم المسلمون^(١).

(١) ينظر: الدكتور/علي ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٣٧١/٢-٣٧٣).

المبحث الخامس

في أعقاب بدر (مقتل كعب بن الأشرف)

بعد انتصار المسلمين في بدر اغتاز من في قلبه حقد وكره للمسلمين ومنهم كعب ابن الأشرف اليهودي، الذي نقض العهد الذي بينهم وبين رسول الله - ﷺ - الذي صار بينهم عندما قدم المدينة، ولذلك كان يقول: (بطن الأرض اليوم خير من ظهرها، هؤلاء أشرف الناس وساداتهم، وملوك العرب، وأهل الحرم والأمن، قد أصيبوا! فخرج إلى مكة فنزل على (أبي وداعة بن ضبيرة)^(١)، فجعل يرسل هجاء المسلمين ورثاء قتلى بدر من قريش)^(٢).

وجعل يأتي بالشعر ويهجو المسلمين ويحرض قريشاً، ورجع إلى المدينة فجعل يأتي بالشعر في أذية نساء المسلمين، وعندها حث رسول الله - ﷺ - أصحابه أن يقتلوه^(٣)، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما -، قال: قال رسول الله - ﷺ -: "مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ (مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ)^(٤): يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ائْذَنْ لِي، فَلَا قَوْلَ، قَالَ: قُلْ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً، وَقَدْ عَنَانَا، فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ: وَأَيْضاً وَاللَّهِ، لَتَمْلُئَنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ، وَنَكَرَهُ أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ، قَالَ: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسَلِّفَنِي سَلَفًا، قَالَ: فَمَا تَرْهَنُنِي؟ قَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ، قَالَ: أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، أَنْتَ أَجْمَلُ نِسَاءَتِنَا؟ قَالَ لَهُ: تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ، قَالَ: يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا، فَيَقَالُ: زُهْنٌ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ

(١) هو أبو وداعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، وزوجته عائشة بنت عمرو بن أبي عقرب. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣٣/٦).

(٢) ينظر: الواقدي، المغازي، مرجع سابق (١٢١/١).

(٣) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٥١/٢-٥٤).

(٤) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد ابن عدي بن مجدعة الأنصاري الأوسي، أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو سعيد، من نجباء الصحابة، شهد: بدرًا، والمشاهد، وكان ممن اعتزل الفتنة، ولا حضر الجمل، ولا صفين؛ بل اتخذ سيفاً من خشب، وتحول إلى الريدة، فأقام بها، وكان رجلاً طويلاً، أسمرًا، معتدلاً، أصلع، وقوراً، عاش ابن مسلمة سبعاً وسبعين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٧٢/٢-٣٧٣).

تَمَرٍ، وَلَكِنْ نَرَهُنَّكَ اللَّامَةَ -يَعْنِي السَّلَاحَ-، قَالَ: فَتَنَعَمْ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ (بِالْحَارِثِ) ^(١)،
(وَأَبِي عَبْسٍ بْنِ جَبْرِ) ^(٢)، وَ(عَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ) ^(٣)، قَالَ: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، قَالَ
(سُفْيَانُ) ^(٤): قَالَ غَيْرُ (عَمْرٍو) ^(٥): قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ،

(١) وهو الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان الأنصاري، ثم الأوسي، ويكنى أبا أوس وأمه هند بنت سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وهي عمة أسيد بن الحضير بن سماك، وكانت من المبايعات، وليس للحارث عقب، وهو ابن أخي سعد بن معاذ سيد الأوس، شهد بدرًا، وقد شهد قتل كعب بن الأشرف، وشهد بعد ذلك أحداً وقتل يومئذ شهيداً في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً، وكان يوم قتل ابن ثمان وعشرين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣/٣٣٣-٣٣٤). وينظر: الحافظ ابن حجر، الصحابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (١/٦٥٩-٦٦٠).

(٢) أبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري، قيل: كان اسمه في الجاهلية عبد العزى، وقيل معبد، فسماه النبي ﷺ - عبد الرحمن، وهو أحد من قتل كعب بن الأشرف، وذكره موسى بن عقبة وغيره فيمن شهد بدرًا، وقيل: كان عمره يومئذ ثمانياً وأربعين سنة، قيل: مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة، وصلى عليه عثمان. وقال ابن سعد: أخى النبي ﷺ - بينه وبين خنيس بن حذافة. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٧/٢٢٢).

(٣) عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء الأنصاري، ابن عبد الأشهل الإمام، أبو الربيع، أحد البدرين، كان من سادة الأوس، أخى النبي ﷺ - بينه وبين أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، عاش خمساً وأربعين سنة، أسلم على يد مصعب بن عمير، وكان أحد من قتل كعب بن الأشرف اليهودي، أبلى يوم اليمامة بلاءً حسناً، واستشهد يومها. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١/٣٣٩-٣٤١).

(٤) وهو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ويكنى أبا محمد، مولى لبني عبد الله بن ربيعة من بن هلال بن عامر بن صعصعة، ولد سنة سبع ومائة، وكان أصله من أهل الكوفة، وكان أبوه من عمال خالد بن عبد الله القسري، فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عيينة بن أبي عمران بمكة فنزلها، ومات في سنة ست وعشرين ومائة، حج سبعين مرة وبعد آخر حجة رجع فتوفي في السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، ودفن بالحجون، وكان ثقة ثباتاً كثير الحديث حجة، وتوفي وهو ابن إحدى وتسعين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٦/٤١-٤٢).

(٥) وهو عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي مولاهم، الإمام الكبير، الحافظ، المكي، الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه، ولد: في إمرة معاوية، سنة خمس، أو ست وأربعين، هو من كبار التابعين أفتى بمكة ثلاثين سنة، وكان فارسياً. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٥/٣٠٠-٣٠٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قَالَ: إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيْعُهُ، وَ(أَبُو نَائِلَةَ)^(١)، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيَلَّا لِأَجَابٍ، قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنِّي إِذَا جَاءَ، فَسَوْفَ أُمْدُ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ، فَقَالُوا: نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطَّيِّبِ، قَالَ: نَعَمْ تَحْتِي فَلَانَّةٌ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ، قَالَ: فَتَأَذُّنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ، قَالَ: نَعَمْ فَشَمَّ، فَتَنَاولَ فَشَمَّ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأَذُّنُ لِي أَنْ أَعُوذَ، قَالَ: فَاسْتَمَكَنْ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: دُونَكُمْ، قَالَ: فَقَتَلُوهُ^(٢).

قال العظيم آبادي: (قوله: (من لكعب بن الأشرف) أي: من الذي ينتدب إلى قتله (قد آذى الله ورسوله) لأنه كان يهجو النبي - ﷺ - والمسلمين ويحرض قريشاً (فأذن لي أن أقول شيئاً) أي: قولاً غير مطابق للواقع يسر كعباً لنتوصل به إلى التمكن من قتله وإنه استأذن أن يفتعل شيئاً يحتال به (فاتاه) أي: أتى محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف (إن هذا الرجل) يعني النبي - ﷺ - (وقد عنانا) من العناء وهو التعب (قال) أي: كعب بن الأشرف (وأيضاً) أي: وزيادة على ذلك وقد فسر بعد ذلك قوله (لتملنه) من الملل أي ليزيدن ملالتكم وضجركم عنه (أن ندعه) أي: نتركه (إلى أي شيء يصير أمره) أي أمر النبي - ﷺ - أي يغلب الناس أو يغلبه الناس (أن تسلفنا) السلف السلم والقرض (وسقاً) الوسق: بفتح الواو وكسرهما ستون صاعاً، والصاع أربعة أمداد (أي شيء ترهنوني؟) أي: أي شيء تدفعونه إلي يكون رهناً (قال) كذا في بعض النسخ، وفي بعضها قالوا وهو الظاهر (نساءكم) أي: أريد نساءكم (يسب) بصيغة

(١) أبو نائلة الأنصاري: اسمه سلكان بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي، أخو سلمة بن سلامة بن وقش، وقيل: اسمه سعد، وقيل سعد أخوه، وقيل سلكان لقب، واسمه سعد، وهو مشهور بكنيته، ثبت ذكره في الصحيح في قصة قتل كعب بن الأشرف، وشهد أحداً وغيرها، وكان شاعراً، ومن الرماة المذكورين. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٣٣٦/٧).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٤/٨) برقم: (٨٥٨٧)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٤٢/٣) برقم: (٢٧٦٨)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٠/٥) برقم: (٤٠٣٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٤/٥) برقم: (١٨٠١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

المجهول (رهنت) بصيغة المجهول (الأمّة) باللام وسكون الهمزة (يريد السلاح) هذا تفسير الأمّة من بعض الرواة. وقال أهل اللغة: الأمّة الدرع، فعلى هذا إطلاق السلاح عليها من إطلاق اسم الكل على البعض. وفي النهاية: الأمّة مهموزة الدرع وقيل: السلاح، ولأمّة الحرب أدواته، وقد يترك الهمز تخفيفاً، انتهى (ينضخ رأسه) أي: يفوح منه ريح الطيب (جاء معه) أي: مع محمد بن مسلمة (قال دونكم) أي: قال محمد بن مسلمة لأصحابه خذوه^(١).

وقال القرطبي: (قوله: (من لكعب بن الأشرف) كعب هذا: رجل من بني نبهان من طيء، وأمّه من بني النضير، وكان شاعراً، وكان قد عاهد النبي - ﷺ - أن لا يعين عليه، ولا يتعرض لأذاه، ولا لأذى المسلمين، فنقض العهد، وانطلق إلى مكة إثر وقعة بدر، فجعل يبكي من قتل من الكفار، ويحرض على رسول الله - ﷺ -، وهو الذي أغرى قريشاً وغيرهم حتى اجتمعوا لغزوة أحد، ثم إنه رجع إلى بلده، فجعل يهجو رسول الله - ﷺ -، ويؤذيه، والمسلمين، فحينئذ قال رسول الله - ﷺ -: (من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله) فأغرى بقتله، ونبه على علة ذلك، وأنه مستحق للقتل، ولا يظن أحد: أنه قتل غدرًا، فمن قال ذلك قتل، كما فعله علي بن أبي طالب - ﷺ -، وذلك أن رجلاً قال ذلك في مجلسه، فأمر علي بضرب عنقه، قلت: ويظهر لي: أنه يقتل، ولا يستتاب؛ لأن ذلك زندقة إن نسب الغدر للنبي - ﷺ -، فأما لو نسبته للمباشرين لقتله بحيث يقول: إنهم أمنوه، ثم غدروه، لكانت هذه النسبة كذباً محضاً؛ لأنه ليس في كلامهم معه ما يدل على أنهم أمنوه، ولا صرحوا له بذلك، ولو فعلوا ذلك لما كان أماناً؛ لأن النبي - ﷺ - إنما وجههم لقتله لا لتأمينه، ولا يجار على الله، ولا على رسوله، ولو كان ذلك لأدى لإسقاط الحدود، وذلك لا يجوز بالإجماع، وعلى هذا فيكون في قتل من نسب ذلك إليهم نظر، وتردد، وسببه: هل يلزم من نسبة الغدر لهم نسبته للنبي - ﷺ -؛ لأنه قد صوّب فعلهم، ورضي به، فيلزم منه: أنه قد رضي بالغدر؟ ومن صرح بذلك قُتل - أو لا يلزم ذلك؛ لأنه لم يصرح به؛ وإنما هو لازم على

(١) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٤٢/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قوله- ولعله لو تنبه لذلك الإلزام لم يصرح بنسبة الغدر إليهم، ويكون هذا من باب التكفير بالمآل، وقد اختلف فيه، والصحيح: أنه لا يكفر بالمآل، ولا بما يلزم على المذاهب، إلا إذا صرح بالقول اللازم، وإذا قلنا: إنه لا يقتل فإنه لا بد من تتكيل ذلك القائل، وعقوبته بالسجن، والضرب الشديد، والإهانة العظيمة، وقوله: (إن هذا الرجل قد أراد صدقة، وقد عنانا) هذا الكلام ليس فيه تصريح بأمان، بل هو كلام ظهر لكعب منه: أن محمد بن مسلمة ليس محققاً، ولا مخلصاً في اتباع النبي -ﷺ- ولا في الكون معه، ولذلك أجابه بقوله: وأيضاً والله لتملّنه، وكلام محمد من باب المعاريض، وليس فيه من الكذب، ولا من باب الباطل شيء، بل هو كلام حق، فإن محمداً -ﷺ- رجل، لكن أي رجل، وقد أراد صدقة من أمته، وأوجبها عليهم، وقد عنّاهم بالتكاليف، أي: أتعبهم، لكن تعباً حصل لهم به خير الدنيا والآخرة، وإذا تأملت كلام محمد هذا؛ علمت أن محمداً بن مسلمة من أقدر الناس على البلاغة، واستعمال المعاريض، وعلى أعمال الحيلة، وأنه من أكمل الناس عقلاً ورأياً، وقول امرأة كعب: (إني لأسمع صوتاً كأنه صوت دم)؛ أي: صوت طالب دم، كانت هذه المرأة من شياطين الإنس، أو تكلم على لسانها شيطان، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِرَ إِلَىٰ أُولِيَٰهَا لِيُجِدُوهُمْ﴾^(١)، وقوله: (نزل وهو متوشح) أي: بثوب جعله على أحد منكبيه، وأخرج الآخر، و(دونكم) منصوب على الإغراء أي: بادروا إلى قتله، ولازموه^(٢).

وقال النووي: (ذكر مسلم فيه قصة محمد بن مسلمة مع كعب بن الأشرف بالحيلة التي ذكرها من مخادعته، واختلف العلماء في سبب ذلك وجوابه، فقال الإمام المازري: إنما قتله كذلك لأنه نقض عهد النبي -ﷺ- وهجاه وسبه وكان عاهده أن لا يعين عليه أحداً ثم جاء مع أهل الحرب معيناً عليه، قال وقد أشكل قتله على هذا الوجه على بعضهم ولم يعرف الجواب الذي ذكرناه، قال القاضي قيل هذا الجواب، وقيل لأن محمد بن مسلمة لم يصرح له بأمان في شيء من كلامه وإنما كلمه في أمر البيع والشراء واشتكى إليه وليس في كلامه عهد ولا أمان، قال ولا يحل لأحد أن يقول إن

(١) سورة الأنعام الآية: (١٢١).

(٢) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٦٥٩/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قتله كان غدرًا، وقد قال ذلك إنسان في مجلس علي بن أبي طالب - عليه السلام - فأمر به علي فضرب عنقه، وإنما يكون الغدر بعد أمان موجود، وكان كعب قد نقض عهد النبي - عليه السلام - ولم يؤمنه محمد بن مسلمة ورفقته، ولكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان، وأما ترجمة البخاري على هذا الحديث (بِبَابِ الْفَتْكِ فِي الْحَرْبِ)^(١)، فليس معناه الحرب بل الفتك هو القتل على غرة وغفلة والغيلة نحوه، وقد استدل بهذا الحديث بعضهم على جواز اغتيال من بلغته الدعوة من الكفار وتبنيته من غير دعاء إلى الإسلام، قوله: (اِئْذَنْ لِي فَلَأَقُلَّ) معناه: ائذن لي أن أقول عني وعنك ما رأيته مصلحة من التعريض وغيره، ففيه دليل على جواز التعريض وهو أن يأتي بكلام باطنه صحيح ويفهم منه المخاطب غير ذلك، فهذا جائز في الحرب وغيرها ما لم يمنع به حقًا شرعيًا، قوله: (وَقَدْ عَنَّا) هذا من التعريض الجائز بل المستحب لأن معناه في الباطن أنه أدبنا بآداب الشرع التي فيها تعب لكنه تعب في مرضات الله تعالى فهو محبوب لنا والذي فهم المخاطب منه العناء الذي ليس بمحبوب، قوله: (وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلَّنَّهُ) أي يتضجر من أكثر من هذا الضجر، قوله: (يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا فَيُقَالُ زُهْنٌ فِي وَسَقَيْنِ مِنْ تَمَرٍ)، والوسق أصله الحمل، قوله: (نَرْهُوكَ اللَّأْمَةَ) بالهمز وهي السلاح^(٢).

وبهذا تمّ التخلص من عدو الله وعدو رسوله والمؤمنين، (وكان ذلك في شهر ربيع الأول في السنة الثالثة للهجرة)^(٣)، وتخلص المسلمون من واحد من يهود الغدر والخيانة، اليهود الذين لا يعرفون للعهد والميثاق مكانة، والذين جعلهم حقدهم يوصلون العداوة لأهل الإسلام، ومن نظر إلى عداوة اليهود للمسلمين وحقدهم عليهم يجدها منذ بزغ شمس هذا الدين، وأنهم قوم لا يعرفون للعهد والمواثيق احتراماً أبداً.

(١) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق (٦٤/٤).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٠٤/١٢-١٠٥).

(٣) ينظر: الواقدي، المغازي، مرجع سابق (١٨٤/١).

المبحث السادس

ما ورد عن جبل أحد، ورؤيا الرسول - ﷺ - قبل الغزوة

أولاً: ما ورد عن جبل أحد: أرادت قريش الانتقام من المسلمين بعد ما أصابها في بدر، فأعدت لغزوة أحد، وسُميت الغزوة بهذا الاسم لأنها وقعت عند جبل أحد، وأحد سُمي بذلك لتوحيده وانقطاعه عن جبال أخرى^(١)، وهو: (يقع في شمال المدينة، وكان يرتفع ١٢٨ متراً، أما الآن فيرتفع ١٢١ متراً فقط بسبب عوامل التعرية، ويبعد عن المسجد النبوي خمسة أكيال ونصف الكيل بدءاً من باب المجيدي أحد أبواب المسجد النبوي، ويتكون أحد من صخور جرانيتية حمراء وله رعوس متعددة، ويقابله من جهة الجنوب جبل صغير يُسمى (عينين) وهو الذي عُرف بعد المعركة بجبل الرماة، وبين الجبلين واد عُرف بوادي قناة، وقد وقعت هذه المعركة نتيجة هجوم شنته قريش على المدينة ولم يمر على غزوة بدر سوى سنة واحدة وشهر، واستهدفت الثأر لقتلها ببدر، وإنقاذ طرق التجارة إلى الشام من سيطرة المسلمين واستعادة مكانتها عند العرب بعد أن زعزعتها موقعة بدر)^(٢).

(أحد) ذاك الجبل الذي لن ينساه المسلمون أبداً، فقد ارتبط ذكره بحادثة عظيمة وهي غزوة أحد، وهذا الجبل بيننا وبينه علاقة محبة، فلما خرج رسول الله - ﷺ - إلى تبوك، وعندما كانوا في طريق الرجعة إلى المدينة أخبر - ﷺ - الصحابة بأنه مسرع في المشي، فمن شاء منهم أن يسرع معه فليسرع، فلما أقبل - ﷺ - على المدينة قال: "هَذِهِ طَابَةٌ، وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"^(٣).

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٧٧/٧).

(٢) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٣٧٨/٢).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٥/٢) برقم: (١٤٨٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٣/٤) برقم: (١٣٩٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ويُخبر أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "تَظَرَّ إِلَى أَحَدٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَدًا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"، وفي لفظٍ آخر يأتي به -رضي الله عنه- مؤكداً على هذا الحب فيقول: "إِنَّ أَحَدًا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"^(١).

قال النووي: (قوله -رضي الله عنه-: (إِنَّ أَحَدًا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) قيل معناه يحبنا أهله وهم أهل المدينة ونحبهم، والصحيح أنه على ظاهره وأن معناه يحبنا هو بنفسه، وقد جعل الله فيه تمييزاً، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٢)، وكما حنَّ الجذع اليابس، وكما سبَّح الحصى، وكما فرَّ الحجر بثوب موسى -رضي الله عنه-، وكما قال نبينا -صلى الله عليه وسلم-: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي، وكما دعا الشجرتين المفترقتين فاجتمعا، وكما رجف حراء فقال: اسكن حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق الحديث، وكما كلمه ذراع الشاة، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٣)، وصحيح في معنى هذه الآية: أن كل شيء يسبح حقيقة بحسب حاله، ولكن لا نفقهه، وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه، واختاره المحققون في معنى الحديث، وأن أحداً يحبنا حقيقة، وقيل: المراد يحبنا أهله، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. والله أعلم)^(٤).

فهذه علاقة محبة بين المؤمنين وجبل أحد والعلاقة المشتركة بينهم أنهم كلهم عبيد لله عز وجل يوحدونه ويسبحونه ويحمدونه، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحب أن يضرب الأمثال بجبل أحد، فعن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "مَا يَسْرُنِي أَنَّ جَبَلَ أَحَدٍ لِي ذَهَباً أَمُوتُ يَوْمَ أَمُوتُ وَعِنْدِي دِينَارٌ أَوْ نِصْفُ دِينَارٍ إِلَّا لِعَرِيمٍ"^(٥).

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٠٦/٦) برقم: (٣٩٢٢)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٩٤/٤) برقم: (٣١١٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٦/٤) برقم: (٣٣٦٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٤/٤) برقم: (١٣٦٥).

(٢) سورة البقرة الآية: (٧٤).

(٣) سورة الإسراء الآية: (٤٤).

(٤) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٦٢/٩-١٦٣).

(٥) أخرجه أحمد في "مسنده" مرجع سابق (٤٩٧٤/٩) برقم: (٢١٧١٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: "مَنْ حَفَرَ قَبْرًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ غَسَلَ مَيِّتًا خَرَجَ مِنَ الْخَطَايَا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَمَنْ كَفَّنَ مَيِّتًا كَسَاهُ اللَّهُ أَثْوَابًا مِنْ حُلِّ الْجَنَّةِ، وَمَنْ عَزَّى حَزِينًا أَلْبَسَهُ اللَّهُ النَّقْوَى وَصَلَّى عَلَى رُوحِهِ فِي الْأَرْوَاحِ، وَمَنْ عَزَّى مُصَابًا كَسَاهُ اللَّهُ حُلَّتَيْنِ مِنْ حُلِّ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا، وَمَنْ اتَّبَعَ جِنَازَةً حَتَّى يُفْضَى دَفْنُهَا كُتِبَ لَهُ ثَلَاثَةُ قَرَارِيطَ، الْقِرَاطُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ، وَمَنْ كَفَلَ يَتِيمًا أَوْ أَرْمَلَةً أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ"^(١).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَعْظُمُونَ فِي النَّارِ حَتَّى يَصِيرَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنٍ أَحَدِهِمْ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ، وَغِلْظُ جِلْدٍ أَحَدِهِمْ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَضِرْسُهُ أَكْثَرُ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ"^(٢).

وعن أبي هريرة وابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا، وَفِيهِ: وَمَنْ أَقْرَضَ مَلْهُوفًا، فَأَحْسَنَ طَلَبَهُ، فَلْيَسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ، وَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَلْفُ قِنْطَارٍ لَهُ فِي الْجَنَّةِ. وَمَنْ أَقْرَضَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَلَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ وَزْنُ جَبَلٍ أَحَدٍ، وَحِرَاءٍ، وَطُورٍ سَيْنَاءَ، حَسَنَاتٍ، فَإِنْ رَفَقَ بِهِ فِي طَلَبِهِ بَعْدَ حُلِّهِ، جَرَى عَلَيْهِ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَجَارَ عَلَى الصِّرَاطِ كَالْبَرْقِ اللَّامِعِ، لَا حِسَابَ عَلَيْهِ وَلَا عَذَابَ، وَمَنْ اخْتَأَجَ إِلَيْهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فِي قَرْضٍ فَلَمْ يُفْرِضْهُ وَهُوَ عِنْدَهُ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ يَوْمَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ"^(٣).

(١) أخرجه سليمان بن أحمد الطبراني في "المعجم الأوسط"، الطبعة: الأولى، دار الحرمين- القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، (١١٧/٩) برقم (٩٢٩٢).

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" مرجع سابق (١٠٨٤/٣) برقم: (٤٨٩٢)، والطبراني في "الأوسط" مرجع سابق (٤١/٣) برقم: (٢٤١٠).

(٣) أورده ابن حجر العسقلاني في "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية"، الطبعة: الأولى، دار العاصمة، دار الغيث-الرياض- السعودية، ١٤١٩: ١٤٢٠هـ/١٩٩٨: ٢٠٠٠م، (٣٧٧/٧) برقم: (١٤٤٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعن زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلٌ أَحَدٍ -أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ- ذَهَبًا أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ"^(١).

فانظر كيف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يحب أن يضرب الأمثال بهذا الجبل المبارك، وضرب الأمثال أسلوب من أساليب التربية الناجحة، التي يحث المربي والمعلم من خلاله النفوس والعقول على فعل الخير والبر، ويدفعها إلى الأخلاق الفاضلة، ويحجزها عن الشر والمعصية، وهو أسلوب استخدمه النبي -صلى الله عليه وسلم- في تعليم وتربية أصحابه -رضوان الله عليهم- في أحداث ومواقف متعددة؛ لما يحمله من سرعة إيصال المعنى المراد، والذي من خلاله تغرس في النفس القيمة التربوية المرادة والمقصودة، ويستقر في العقل والقلب المعنى المطلوب، وهنا النبي -صلى الله عليه وسلم- يمثل لهم بجبل أحد وهو ظاهر أمامهم بعظمته وكبره ليكون ذلك له وقع كبير وتأثير عظيم في نفوسهم.

ثانياً: رؤيا الرسول -صلى الله عليه وسلم- قبل الغزوة: وبعد ما أصاب قريش من الهزيمة في بدر أرادت أن تنتقم وجمعت أموال تلك القافلة التي كانت بقيادة أبي سفيان لينفقوها في قتال المسلمين، وجاءت الأخبار إلى المدينة فجمع النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه ليستشيرهم في ملاقات قريش، وكان رأيهم -صلى الله عليه وسلم- أن يقاتلهم داخل المدينة وترميهم النساء والأطفال بالأحجار من أعلى أسطح البيوت، وكان بعض المسلمين على هذا الرأي إلا أن مجموعة من شباب المسلمين وخصوصاً الأنصار والذين لم يخرجوا ببدر، قالوا: لا يدخلونها علينا عنوةً، وإنَّا لنرجو أن نلقاهم فيرى الله منا فيهم صنيعاً، وكانوا يرجون أن يكون لهم من الفضل ما كان لأهل بدر.

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٦١/٤) برقم: (٤٦٩٩)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٥٥/١) برقم: (٧٧)، وأحمد في "مسنده" مرجع سابق (٥٠٥٠/٩) برقم: (٢١٩٩٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وكان - عليه الصلاة والسلام - رأى رؤيا فيها بشائر خير وشر فقال - عليه الصلاة والسلام - لهم: "رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ" (١).

وفي لفظ الإمام مسلم وغيره من حديث أبي موسى الأشعري - عليه السلام - قال: قال النبي - عليه السلام -: "رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِيَ إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ بَعْدُ، وَثَوَابُ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ" (٢).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: "تَنَقَّلَ رَسُولُ اللَّهِ - عليه السلام - سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: رَأَيْتُ فِي سَيْفِي ذِي الْفَقَارِ فَلَا، فَأَوْلَتْهُ فَلَا يَكُونُ فِيكُمْ، وَرَأَيْتُ أَنِّي مُزْدَفٌ كِبْشًا، فَأَوْلَتْهُ كِبْشَ الْكُتَيْبَةِ، وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعِ حَصِينَةٍ، فَأَوْلَتْهَا الْمَدِينَةَ، وَرَأَيْتُ بَقْرًا تَذْبَحُ، فَبَقَّرَ وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَبَقَّرَ وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَكَانَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - عليه السلام -" (٣).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١١٦/٧) برقم: (٧٦٠٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٧٤/٥) برقم: (٣٩٢١). من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥٧/٧) برقم: (٢٢٧٢)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١١٦/٧) برقم: (٧٦٠٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٧٤/٥) برقم: (٣٩٢١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٣/٤) برقم: (٣٦٢٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥٧/٧) برقم: (٢٢٧٢).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٢٢٠/٣) برقم: (١٥٦١)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٨٨/٤) برقم: (٢٨٠٨)، وأحمد في "مسنده" مرجع سابق (٦٠١/٢) برقم: (٢٤٨٤). وقال الشيخ أحمد شاكر: (إسناده صحيح) وذكره الحافظ ابن كثير في السيرة النبوية (٧٠٧/٤). وحسنه الألباني، ينظر: للألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق (٩١/٣). وأخرجه الترمذي بلفظ: (تَنَقَّلَ سَيْفُهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وضعفه محمد ناصر الدين الألباني في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، الإسكندرية، مصر، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية (٦١/٤). وحسنه بلفظ: (تَنَقَّلَ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ) دون ذكر الزيادة، ينظر: لمحمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، الإسكندرية، مصر، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، ج (٣٠٨/٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده، من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، أن رسول الله -ﷺ- قال: "رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ كَأَنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، وَكَأَنَّ ضَبَّةَ سَيْفِي انْكَسَرَتْ، فَأَوَّلْتُ أَنِّي أَقْتُلُ صَاحِبَ الْكُتَيْبَةِ". وفي لفظ آخر من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقْرَةً مَنُحَوْرَةً، فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدَّرْعَ الْمَدِينَةَ، وَالْبَقْرَةَ بَقَرٌ" (١).

وأخرج الإمام البيهقي بسنده، من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، أنه قال: "تَنَقَّلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ-، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- لَمَّا جَاءَهُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ كَانَ رَأْيُهُ أَنْ يُقِيمَ بِالْمَدِينَةِ فَيَقَاتِلَهُمْ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ نَاسٌ لَمْ يَكُونُوا شَاهِدُوا بَدْرًا تَخْرُجُ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ نُقَاتِلُهُمْ بِأُحُدٍ، وَرَجَوْا أَنْ يُصِيبُوا مِنَ الْفَضِيلَةِ، مَا أَصَابَ أَهْلُ بَدْرٍ، فَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى لَبَسَ أَدَاتَهُ، ثُمَّ نَدِمُوا، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِمِ فَالرَّأْيُ رَأْيُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ أَنْ لَبَسَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ" قَالَ: وَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَنْ يَلْبَسَ الْأَدَاةَ: "إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ وَإِنِّي مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَأَوَّلْتُهُ كَبْشَ الْكُتَيْبَةِ وَرَأَيْتُ أَنَّ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ قُلٌّ، فَأَوَّلْتُهُ فَلَا فِيكُمْ وَرَأَيْتُ بَقْرًا تُدْبِحُ فَبَقَرٌ وَاللَّهُ خَيْرٌ" (٢).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١١٤/٧) برقم: (٧٦٠٠)، وأحمد في "مسنده" مرجع سابق (٣١٢٠/٦) برقم: (١٥٠١٥). وأبو بكر بن أبي شيبة في "المصنف لابن أبي شيبة"، الطبعة: الأولى، دار القبلة -جدة- السعودية، مؤسسة علوم القرآن -دمشق- سوريا، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، (٥٠/١٦) برقم: (٣١١٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٢٠/٣) برقم: (١٥٦١)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٨٨/٤) برقم: (٢٨٠٨)، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي في "السنن الكبرى للبيهقي" الطبعة: الأولى، مجلس دائرة المعارف العمانية بحيدر آباد الدكن -الهند، ١٣٥٢/١٣٥٥هـ، (٣٠٤/٦) برقم: (١٢٨٧٤).

قال الحافظ ابن كثير: (لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم مهزومهم - إلى مكة، ورجع أبو سفيان بغيره، ومشى عبد الله بن أبي ربيعة و(عكرمة بن أبي جهل)^(١)، و(صفوان ابن أمية)^(٢)، في رجال من قريش ممن أصيب أبائهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثاراً، ففعلوا، قال ابن إسحاق: ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾^(٣)، قالوا: فاجتمعت قريش لحرب رسول الله - ﷺ - حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة. فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة)^(٤).

(١) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، الشريف، الرئيس، الشهيد، أبو عثمان، المكي، لما قتل أبوه، تحولت رئاسة بني مخزوم إليه، ثم إنه أسلم، وحسن إسلامه بالمرة، قال الشافعي: كان محمود البلاء في الإسلام، نزل يوم اليرموك، فقاتل قتالاً شديداً، ثم استشهد، فوجدوا به بضعاً وسبعين من طعنة، ورمية، وضربة، وقال عروة، وابن سعد، وطائفة: قتل يوم أجنادين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٢٣/١-٣٢٤).

(٢) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، أبو وهب الجمحي، قتل أبوه يوم بدر كافراً، وحكى الزبير أنه كان إليه أمر الأزام في الجاهلية، قيل: أنه هرب يوم فتح مكة، وحضر وقعة حنين قبل أن يسلم ثم أسلم، وقيل: عاش إلى أول خلافة معاوية، سنة اثنتين وأربعين، ويقال: إنه شهد اليرموك، وقيل: أنه كان حينئذ أميراً على كردوس. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٣٤٩/٣-٣٥٢).

(٣) سورة الأنفال الآية: (٣٦).

(٤) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٣/٢٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال النووي: (قوله -ﷺ-: (وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَرْتُ سَيْفًا فَأَنْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أَصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ثُمَّ هَزَرْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ) قال العلماء وتفسيره -ﷺ- هذه الرؤيا بما ذكره لأن سيف الرجل أنصاره الذين يصلون بهم كما يصل بسيفه، وقد يفسر السيف في غير هذا بالولد والوالد والعم أو الأخ أو الزوجة، وقد يدل على الولاية أو الوديعة وعلى لسان الرجل وحجته، وقد يدل على سلطان جائر وكل ذلك بحسب قرائن تتضمن تشهد لأحد هذه المعاني في الرائي أو في الرؤية، قوله -ﷺ-: (وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ فَإِذَا هُمْ النَّفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ.....) قد جاء في غير مسلم زيادة في هذا الحديث ورأيت بقرًا تنحر، وبهذه الزيادة يتم تأويل الرؤيا بما ذكر، فنحر البقر هو قتل الصحابة -رضي الله عنهم- الذين قتلوا بأحد، قال القاضي عياض ضبطنا هذا الحرف عن جميع الرواة، والله خير رفع الهاء والراء على المبتدأ والخبر وبعد يوم بدر بضم دال بعد ونصب يوم قال وروي بنصب الدال قالوا ومعناه ما جاء الله به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب المؤمنين؛ لأن الناس جمعوا لهم وخوفوهم فزادهم ذلك إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، وتفرق العدو عنهم هيبة لهم، قال القاضي قال أكثر شراح الحديث: معناه ثواب الله خير أي صنع الله بالمقتولين خير لهم من بقائهم في الدنيا، قال القاضي: والأولى قول من قال: والله خير من جملة الرؤيا وكلمة ألقيت إليه وسمعا في الرؤيا عند رؤياه البقر بدليل تأويله لها بقوله -ﷺ- وإذا الخير ما جاء الله به، والله أعلم^(١).

ومن تأمل في كل هذه الأمور يزداد حباً لرسول الله -ﷺ- وصحابته الكرام، وكيف لا نزداد حباً لهم وهذه الجبال تحبهم والمدينة المنورة هي درعهم وحصنهم، فلا تكن الأحجار والمدن خير منا أبداً، فنشهد الله على حبه -ﷺ- وحب أصحابه،

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٣٢/١٥-٣٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ويزيدنا كذلك يقيناً بشجاعتهم جميعاً، وكيف أنَّهم سمعوا الرؤيا ومع أنَّ فيها ما يبشر بالقتل منهم إلا أنَّهم أصرُّوا على لقاء هذا العدو المتكبر، فكان ذلك امتحاناً لهم من الله عز وجل، وكان مُرادهم الله والدار الآخرة، وكان لهم من ذلك دروس وعبر، وهذه الدروس لابد أن يستفيدوا كل قائد وغيره، فانظر كيف شاور - عَلَيْهِ السَّلَام - أصحابه وطرح رأيه ونزل على رأي غيره - ﷺ - وهكذا هو القائد العظيم وهو هنا يغرس في قلوبهم مبدأ التشاور وكذلك هو يشاورهم فيما لا نص فيه، بل يعطيهم الفرصة ليعرضوا آراءهم وتناقش ويستفاد منها، وهذا يعودهم على حل مشاكلهم ومشاكل أمتهم، وفي ذلك أدب عظيم للصحابة - رضي الله عنهم - فهم لم يُلزموا قائدهم برأيهم مع أنهم الأغلبية، ولكنَّهم لما أحسوا أنهم أنزلوا رسول الله - ﷺ - على رأيهم وهو كاره لذلك ندموا، وجعلوا الأمر كله إليه - عَلَيْهِ السَّلَام -، وما كان - عَلَيْهِ السَّلَام - يأخذ برأي أحدٍ ثم يلومه بعد ذلك كلا والله، فلم يكن هذا من خلقه - ﷺ -، وعندما يرى من يرى الخروج إليهم إنما هو لما في ذلك من إظهار القوة والشجاعة للمسلمين، والرسول - ﷺ - كان يرى أن يُستفاد من تحصين المدينة ببنيانها والاستفادة من طاقة كل فرد فيها ذكوراً ونساءً وأطفالاً.

المبحث السابع

تخاذل المنافقين، وقصة الرماة

أولاً: **تخاذل المنافقين**: ثبت الله أصحاب رسول الله - ﷺ -، فخرجوا معه إلى عدوهم الذي جاء يُحَادِثُ الله ورسوله ويحارب دينه، (خرجت قريش في ثلاثة آلاف مقاتل وكان حامل رايتهم طلحة بن أبي طلحة^(١))، فكان هذا العدد امتحان من الله للمؤمنين فثبت أهل الإيمان وتزعزع أهل النفاق، وقد قُتِلَ من الصحابة من قُتِلَ وجرح من جرح، ويخبر الله تعالى عن هذه الحادثة فيقول جل في علاه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْعِيمِ فَمِإِذٍ أَنْتُمْ لِرَبِّكُمْ تُؤْمِنُونَ . وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾^(٢)، قال الحافظ ابن كثير: (وما أصابكم يوم التقي الجمعان فمِإِذٍ أَنْتُمْ لِرَبِّكُمْ تُؤْمِنُونَ أي: فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لآخرين، كان بقضاء الله وقدره، وله الحكمة في ذلك، وليعلم المؤمنون أي الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول الذين رجعوا معه في أثناء الطريق، فاتبعهم رجال من المؤمنين يحرضونهم على الإيابة والقتال والمساعدة، ولهذا قال أو ادفعوا قال ابن عباس و(عكرمة)^(٣)، و(سعيد بن جبيرة)^(٤)، والضحاك

(١) ينظر: الواقدي، المغازي، مرجع سابق (٢٠٤/١).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٦٦، ١٦٧).

(٣) **عكرمة أبو عبد الله القرشي** مولاها، العلامة، الحافظ، المفسر، المدني، البربري الأصل، قيل: كان لحصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عباس، وقال أحمد العجلي: مكي، تابعي، ثقة، بريء مما يرميه به الناس من الحرورية -يعني: من رأيهم-، وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة، وقال النسائي: ثقة، وقال البخاري، وغيره: عن علي بن المدني، قال: مات عكرمة بالمدينة، سنة أربع ومائة، وهو ابن ثمانين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٢/٥-٣٤).

(٤) **سعيد بن جبيرة بن هشام الوالبي** مولاها، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، الأسدي، الكوفي، أحد الأعلام، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان قتله: في شعبان، سنة خمس وتسعين، وعلى هذا يكون مولده في خلافة أبي الحسن علي بن أبي طالب - ﷺ -. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٢١/٤-٣٤٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وغيرهم: يعني كثروا سواد المسلمين، فتعللوا قائلين لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، قال مجاهد: يعنون لو نعلم أنكم تلقون حرباً لجئناكم، ولكن لا تلقون قتالاً. قال ابن إسحاق: خرج رسول الله - ﷺ - يعني حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة، انحاز عنه عبد الله ابن أبي بن سلول بثلاث الناس، وقال: أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق وأهل الريب، واتبعهم (عبد الله بن عمرو بن حرام)^(١) أخو بني سلمة يقول: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكن لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم، ومضى رسول الله - ﷺ -، قال الله عز وجل: ﴿ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾^(٢)، استدلوا به على أن الشخص قد تتقلب به الأحوال، فيكون في حال أقرب إلى الكفر، وفي حال أقرب إلى الإيمان، لقوله: هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان، ثم قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾^(٣)، يعني أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته، ومنه قولهم هذا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم فإنهم يتحققون أن جنداً من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من سراتهم يوم بدر، وهم أضعاف المسلمين أنه كائن بينهم قتال لا محالة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾^(٤)، قال مجاهد عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه^(٥) انتهى كلامه بتصرف.

(١) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، ويكنى أبا جابر، وكان لعبد الله بن عمرو من الولد جابر، شهد العقبة، وشهد عبد الله بن عمرو العقبة مع السبعين من الأنصار وهو أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرًا وأحدًا وقتل يومئذ شهيداً على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤٢٣/٣-٤٢٥).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٦٧).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٦٧).

(٤) سورة آل عمران الآية: (١٦٧).

(٥) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (١٤٠/٢-١٤١).

وهذا الموقف من عبدالله بن أبي سلول ومن أطاعه من المنافقين يدلُّ على خبث هؤلاء المنافقين، فهم لم ينسحبوا قبل الوصول إلى أحد ولم يقعدوا في المدينة، ولكنهم أخفوا خبثهم حتى وصلوا إلى ساحة المعركة من أجل أن يثبطوا المسلمين ويزيدوا في عزيمة المشركين، ومن أجل شق العصا وشق صف المسلمين، ولكن الله فضحهم، أخرج الإمام البخاري في صحيحه، من حديث زيد بن ثابت -رضي الله عنه-: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾^(١)، رَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -رضي الله عنه- مِنْ أَحَدٍ، وَكَانَ النَّاسُ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ: فَرِيقٌ يَقُولُ: اقْتُلْهُمْ، وَفَرِيقٌ يَقُولُ: لَا، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾^(٢)، وَقَالَ: إِنَّهَا طَيِّبَةٌ تَنْفِي الْخَبَثَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ^(٣).

قال المباركفوري: (قوله: (رجع ناس من أصحاب النبي -رضي الله عنه- يوم أحد) يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، وقد ورد ذلك صريحاً في رواية موسى بن عقبة في المغازي، وأن عبد الله بن أبي كان وافق رأيه رأي النبي -رضي الله عنه- على الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج، وأجابهم النبي -رضي الله عنه- فخرج، قال عبد الله بن أبي لأصحابه: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا؟ فرجع بثلاث الناس. قال ابن إسحاق في روايته: فأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، وهو والد جابر، وكان خزرجياً كعبد الله بن أبي، فناشدهم أن يرجعوا، فأبوا، فقال: أبعدكم الله (فكان الناس فيهم) أي: في الحكم في من انصرف مع عبد الله بن أبي (فنزلت هذه الآية إلخ) هذا هو الصحيح في سبب نزولها. (إنها) أي المدينة (طيبة) هذا أحد أسماء المدينة، ويقال: طابة أيضاً (إنها تنفي الخبث) أي: الوسخ (كما تنفي النار خبث الحديد) أي وسخه الذي تخرجه النار. والمراد أنها لا تترك فيها من في قلبه دغل، بل تميزه عن القلوب الصادقة، وتخرجه كما يميز الحداد رديء الحديد من جيده)^(٤).

(١) سورة النساء الآية: (٨٨).

(٢) سورة النساء الآية: (٨٨).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٦٨/١٠) برقم: (١١٠٤٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٢٢/٥) برقم: (٣٠٢٨)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٢/٣) برقم: (١٨٨٤).

(٤) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٨٩/٤).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِرَقَتَيْنِ) أي في الحكم فيمن انصرف مع عبد الله بن أبي، قوله: (فَنَزَلَتْ) هذا هو الصحيح في سبب نزولها)^(١).

ومن هذا الموقف الخطير الذي قام به المنافقون في ساعة خطرة يُبين خطورة المنافقين الذين يتسترون بأنهم مع المسلمين ثم يطعنونهم من الخلف، ولذلك فقد حذر الله منهم في القرآن الكريم أيما تحذير وأفرد الله لهم سورة كاملة سماها سورة المنافقون، وفضحهم الله وكشف خططهم ومكرهم بالمسلمين في سورة التوبة واستفتح الله في أول كتابه في سورة البقرة بذكر أقسام الناس فقسمهم إلى: (مؤمنين، وكافرين، ومنافقين)، فذكر الله المؤمنين في أربع آيات، وذكر الكفار في آيتين، وذكر المنافقين في ثلاث عشرة آية وذلك ليوضح مدى خطورتهم وما استحق أولئك القوم أن يكونوا في الدرك الأسفل من النار إلا لشدة مكرهم وخبثهم، ولذلك كان خروجهم من وسط صفوف المسلمين تطهير للصف الإسلامي وتنقية له، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

ومثل هذه المواقف العظيمة تؤثر على بعض المسلمين، فلقد أثر موقف المنافقين هذا في نفوس طائفتين من المسلمين ففكروا بالعودة إلى المدينة، ولكنهم غالبوا الضعف الذي ألمَّ بهم والتفكير بالرجوع الذي نزل بهم، وانتصروا على أنفسهم بعد أن تولاهم الله تعالى بفضلٍ منه وتكرُّم عليهم فدفع عنهم الوهن، فثبتوا مع رسول الله ﷺ - ومع إخوانهم المؤمنين، وهاتان الطائفتان هما: بنو سلمة (من الخزرج) وبنو حارثة (من الأوس)، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم موقف الطائفتين ونعمته عليهما بأنه تولاهم فقال جل في علاه: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣)، ولكنهم فرحوا بهذا الذكر وكيف لا يفرحون وقد أخبر ربهم عنهم

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٥٦/٧).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٧٩).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٢٢).

أنه تولاهم الله، أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما، من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-، قال: "فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)، بَنُو سَلَمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ، وَمَا نُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزَلْ، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾^(٢)"^(٣).

ثانياً: قصة الرماة: وعندما وصل المسلمون إلى مكان غزوة أحد، وتقدّم الجيش الإسلامي إلى ميدان أحد، واتخذ مواقعه بموجب خطة محكمة، حيث نظم الرسول -ﷺ- صفوف جيشه جاعلاً ظهورهم إلى جبل أحد ووجوههم تستقبل المدينة، وجعل خمسين من الرماة بقيادة عبد الله بن جبير فوق جبل عينين المقابل لأحد لحماية المسلمين من التفاف خيالة المشركين عليهم وشدّد عليهم بلزوم أماكنهم، وبذلك سيطر المسلمون على المرتفعات تاركين الوادي لجيش قريش الذي تقدّم وهو يواجه أحداً وظهره إلى المدينة، وبدأت المعركة فخسرت قريش وفرّ رجالها وفرسانها وبقيت النساء يهرين حتى رأى بعض الصحابة خلايلهنّ، ولما رأى الرماة ذلك تركوا مواقعهم وعصوا بذلك أمر رسول الله -ﷺ-، فانقلبت دفة المعركة على المسلمين وتحول النصر إلى هزيمة عندما استدار (خالد بن الوليد)^(٤) -وكان مع المشركين يومئذٍ- على جبل الرماة وعلا الجبل هو ومن معه من فرسان قريش وقتلوا (عبدالله بن جبير)^(٥).

(١) سورة آل عمران الآية: (١٢٢).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٦/٥) برقم: (٤٠٥١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٣/٧) برقم: (٢٥٠٥).

(٤) **خالد بن الوليد** بن المغيرة المخزومي القرشي: سيف الله الفاتح الكبير، الصحابي، كان من أشرف قريش في الجاهلية، يلي أعنة الخيل، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة (هو وعمرو بن العاص) سنة ٧هـ، فسرّ به رسول الله -ﷺ- -ولاه الخيل، فتح الحيرة وجانباً عظيماً منه، وكان أميراً فيها من الأمراء، مات بحمص (في سورية) وقيل بالمدينة، كان مظفراً خطيباً فصيحاً، يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصفته، ومما كتب في سيرته (خالد بن الوليد) لطف الهاشمي، استعرض به حياته العسكرية، ومثله لصادق عرجون، و(موجز سيرة خالد بن الوليد) لمحمد سعيد العرفي، ذهب فيه إلى القول ببقاء ذرية خالد. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٣٠٠/٢).

(٥) **عبد الله بن جبير** بن النعمان بن أمية بن البرك وهو امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار في رواية موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبي معشر ومحمد بن عمر، وشهد عبد الله بدرًا واحداً، واستعمله رسول الله -ﷺ- يوم أحد أميراً على الرماة وهم خمسون رجلاً، واستشهد يومها في السنة الثالثة للهجرة، وكان الذي قتله عكرمة بن أبي جهل. وليس له عقب. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣٦٢-٣٦٣/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ومن بقي معه من أصحابه، وعن هذا يتحدث البراء بن عازب -رضي الله عنهما-، قال: "جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ - عَلَى الرَّجَالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَأَيْتُمُونَا تَخَطَفْنَا الطَّيْرَ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَرَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، فَهَرَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلَاجُهُنَّ وَأَسْوَفُهُنَّ، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةُ أَيُّ قَوْمٍ الْغَنِيمَةُ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنْسَيْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَرِمِينَ، فَذَلِكَ إِذْ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ فِي أَخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ - وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ - أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي فُحَّافَةٍ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ، فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءَ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ، قَالَ: يَوْمَ بِيَوْمٍ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنْكُمْ سَتَجِدُونَنِي فِي الْقَوْمِ مُثَلَّةً، لَمْ أَمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسْؤَنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِرُ: أَعْلُ هَيْلٌ، أَعْلُ هَيْلٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: أَلَا تُجِيبُونَا لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ، قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُرَى وَلَا عُرَى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ -: أَلَا تُجِيبُونَا لَهُ؟ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ" (١).

قال العظيم آبادي: (قوله: (على الرماة) جمع رام (عبد الله بن جبير) أمره عليهم (تخطفنا الطير) كناية عن الهزيمة والقتل (فلا تبرحوا) أي لا تفارقوا (وأوطأناهم) أي: غلبناهم (يسندن) أي: يصعدن، يقال: أسند في الجبل يسند إذا صعد. وفي بعض النسخ: يشتدْنَ؛ أي: يسرعن في الصعود، يقال: اشتد في مشيه إذا أسرع (الغنيمة) بالنصب على الإغراء (ظهر أصحابكم) أي غلبوا (فصرفت وجوههم) قال الحافظ: أي تحيروا فلم يدروا أين يتوجهون انتهى. وذلك عقوبة لعصيانهم أمر رسول الله ﷺ) (٢).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣١/٨) برقم: (٨٥٨١)، وأبو داود في "سننه" مرجع

سابق (٥/٣) برقم: (٢٦٦٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٤) برقم: (٣٠٣٩).

(٢) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٥/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فكانت هذه المعصية من أغلب الرماة سبباً في الهزيمة، وهي رسالة لهذه الأمة أنّ معصية الله ورسوله من أعظم أسباب الهزيمة، فهؤلاء الصحابة وهم خيرة خلق الله بعد الأنبياء، وفيهم رسول الله -ﷺ-، ومع ذلك صار لهم ما صار بسبب معصية واحدة، فكيف بأمة النبي -ﷺ- في هذه الأزمنة تريد نصراً وهي غارقة والعياذ بالله في المعاصي، وفي هذه الرواية التي رواها لنا البراء بن عازب -رضي الله عنه- في المحادثة بين المسلمين وأبي سفيان، وكيف أنّ رسول الله -ﷺ- غار على جناب التوحيد لما مسّه أبو سفيان فطلب من الصحابة أن يردوا عليه، وقد كان يمنعهم من الرد لما كان الكلام حينذاك على شخصه الكريم وأبي بكر وعمر، ولكن لما انتقل الكلام إلى التوحيد أمرهم أن يردوا عليه.

المبحث الثامن

إصابة الرسول -ﷺ- وبعض أصحابه

لَمَّا خَالَفَ الرِّمَاءُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، وَوَقَعَتِ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِمْ، وَمِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ انْسَحَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَهُمْ قَلِيلٌ جَدًّا، فَقُتِلَ مِنَ الصَّحَابَةِ سَبْعُونَ شَهِيدًا، عَلَى رَأْسِهِمْ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَ(أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ)^(١)، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ، وَأُصِيبَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، فَشَجَّ رَأْسُهُ وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَدَخَلَتْ حَلَقَتِي الْمَغْفَرِ فِي وَجْنَتِهِ الشَّرِيفَةِ -ﷺ-، قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ -رضي الله عنه- وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ السَّاعَةِ الْحَرَجَةِ: (قَلَمَ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ)^(٢).

أَفْرَدَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَعَ تِسْعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: (سَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَاثْنَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَهُمَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-)، وَحَاصِرُهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَتَقَدَّمَ الْأَنْصَارُ وَسَطَّرُوا أَعْظَمَ صَفَحَاتِ الْفِدَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يَتَسَابِقُونَ إِلَى ذَلِكَ الْوَاحِدِ تَلُو الْآخِرِ، وَكَانَ آخِرُهُمْ (عِمَارَةُ بْنُ السَّكَنِ)^(٣) -رضي الله عنه-، وَمَاتَ عَلَى حِجَرِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، وَرَدَّ سَعْدُ الْمُشْرِكِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَكَانَ يَرُدُّهُمْ بِالسَّهَامِ، وَفَدَى طَلْحَةُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- بِنَفْسِهِ، وَكَانَ يَتَصَدَّى لِلضَّرَبَاتِ بِجَسَدِهِ وَسِلَاحِهِ إِلَّا تَصِيبَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- عَلَيْهِ (الضَّرَبَةُ وَالضَّرَبَةُ)، يَذْكُرُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ

(١) أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ بْنِ ضَمْضَمَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ بْنِ جَنْدَبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَارِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ، عَمَّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ إِلَّا أُخْتُهُ الرَّبِيعَةُ بِنْتُ النَّضْرِ، مَا عَرَفَتْهُ إِلَّا بَيْنَانَهُ، وَوَجَدُوا فِي جَسَدِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ أَوْ رَمِيَّةٍ سَهْمٍ أَوْ طَعْنَةٍ رَمَحٍ. يَنْظُرُ: الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ، الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ، مَرْجِعُ سَابِقٍ (٢٨١/١).

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي "الْكَبَرِيِّ" مَرْجِعُ سَابِقٍ (٣١/٨) بِرَقْمٍ: (٨٥٨١)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي "سُنَنِهِ" مَرْجِعُ سَابِقٍ (٥/٣) بِرَقْمٍ: (٢٦٦٢)، وَابْنُ الْبَارِ فِي "صَحِيحِهِ" مَرْجِعُ سَابِقٍ (٦٥/٤) بِرَقْمٍ: (٣٠٣٩).

(٣) عِمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ بْنِ رَافِعِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ بْنِ جِشْمِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيِّ ثُمَّ الْأَشْهَلِيِّ، اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْهِجْرَةِ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ -ﷺ-. يَنْظُرُ: ابْنُ الْأَثِيرِ، أَسَدُ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، مَرْجِعُ سَابِقٍ (١٣٢/٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الله - ﷺ - أُفِرِدَ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رَهَقُوهُ، قال: "مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيْضاً، فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِصَاحِبِيهِ: مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا" (١).

قال النووي: (قوله: (فَلَمَّا رَهَقُوهُ) أي غشوه وقربوا منه، أرهقه أي غشيه قال صاحب الأفعال رهقته وأرهقته أي أدركته، قال القاضي في المشارق: قيل لا يستعمل ذلك إلا في المكروه، قوله: (أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ مَعَهُ سَبْعَةُ رِجَالٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ فَقُتِلَتِ السَّبْعَةُ فَقَالَ لِصَاحِبِيهِ - ﷺ - مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا) الرواية المشهورة فيه ما أنصفنا بإسكان الفاء وأصحابنا منصوب مفعول به هكذا ضبطه جماهير العلماء من المتقدمين والمتأخرين، ومعناه: ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجوا للقتال بل خرجت الأنصار واحداً بعد واحد، وذكر القاضي وغيره أن بعضهم رواه ما أنصفنا بفتح الفاء، والمراد على هذا الذين فروا من القتال فإنهم لم ينصفوا لفرارهم) (٢).

وهذه قصة فداء طلحة بن عبيد الله - ﷺ - لرسول الله - ﷺ -، يرويه لنا أنس بن مالك - ﷺ -، فيقول: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ - ﷺ - مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا، شَدِيدَ النَّزْعِ، وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ، لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ" (٣).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٠/٨) برقم: (٨٥٩٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٨/٥) برقم: (١٧٨٩).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٤٨/١٢).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٦٢/٧) برقم: (٨٢٢٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٣٣/٤) برقم: (٢٨٨٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٩٦/٥) برقم: (١٨١١).

قال النووي: (قوله: (مُجَوَّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ) أي مترس عنه ليقية سلاح الكفار، قوله: (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ) أي شديد الرمي)^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: (فلما وقعت الهزيمة فيمن انهزم وصاح الشيطان قُتِلَ محمد، اشتغل كل واحد منهم بهمه والذب عن نفسه، ثم عرفوا عن قرب ببقائه فتراجعوا إليه أولاً فأولاً، ثم بعد ذلك كان يندبهم إلى القتال فيشتغلون به، وروى ابن إسحاق بإسناد حسن عن الزبير بن العوام قال: مال الرماة يوم أحد يريدون النهب، فأتينا من ورائنا، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل، فانكفأنا راجعين وانكفأ القوم علينا، وسمى ابن إسحاق في المغازي بإسناد له أن جملة من استشهد من الأنصار الذين بقوا مع النبي -ﷺ- يومئذ: (زياد بن السكن)^(٢)، قال وبعضهم يقول عمارة بن السكن في خمسة من الأنصار وعند (ابن عائذ)^(٣)، من مرسل (المطلب بن عبد الله بن حنطب)^(٤)، أن الصحابة تفرقوا عن النبي -ﷺ- يوم أحد حتى بقي معه اثنا عشر رجلاً من الأنصار، وعند محمد بن سعد أنه ثبت معه أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين منهم أبو بكر وسبعة من الأنصار، ويجمع بينه وبين حديث الباب بأن سعداً جاءهم بعد ذلك كما في حديثه الذي قدمته في الحديث الخامس وأن المذكور من

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٨٩/١٢).

(٢) زياد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي، يجتمع هو وسعد بن معاذ في امرئ القيس، قتل يوم أحد شهيداً. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (٣٣٥/٢).

(٣) محمد بن عائذ أبو عبد الله القرشي، الإمام، المؤرخ، الصادق، صاحب المغازي، الدمشقي، الكاتب، متولي ديوان الخراج بالشام زمن المأمون، ولد: سنة خمسين ومائة، وقيل: مات سنة ثلاث، وقال أبو زرعة: مات سنة أربع وثلاثين، ومولده سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٠٤/١١-١٠٧).

(٤) المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي القرشي، المدني، أحد الثقات، قال أبو حاتم: لم يدرك عائشة، وعامة حديثه مراسيل، وقال أبو زرعة: أرجو أن يكون سمع منها، وقال ابن سعد: ليس يحتج بحديثه، لأنه يرسل كثيراً، كان حياً في حدود سنة عشرين ومائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣١٧/٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الأنصار استشهدوا كما في حديث أنس، فإن فيه عند مسلم فقال النبي -ﷺ- من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة، فقام رجل من الأنصار فذكر أن المذكورين من الأنصار استشهدوا كلهم، فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء بعدهم من جاء والله أعلم^(١).

ذكر الواقدي بسنده عن: (عن المقداد بن عمرو -ﷺ-)، قال: "لما تصاففنا للقتال جلس رسول الله -ﷺ- تحت راية مصعب بن عمير، فلما قتل أصحاب اللواء وهزم المشركون الهزيمة الأولى، وأغار المسلمون على عسكرهم فانتهبوا، ثم كروا على المسلمين فأتوا من خلفهم فتفرق الناس، ونادى رسول الله -ﷺ- في أصحاب الألوية، فأخذ اللواء مصعب بن عمير ثم قتل، وأخذ راية الخزرج سعد بن عباد، ورسول الله -ﷺ- قائم تحتها، وأصحابه محدقون به، ودفع لواء المهاجرين إلى (أبي الروم العبدري)^(٢) آخر النهار، ونظرت إلى لواء الأوس مع (أسيد بن حضير)^(٣)، فناوشوهم ساعة واقتتلوا على الاختلاط من الصفوف، ونادى المشركون بشعارهم: يا للعزى، يا آل هبل! فأوجعوا والله فينا قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله -ﷺ- ما نالوا، لا والذي بعثه بالحق، إن رأيت رسول الله -ﷺ- زال شبراً واحداً، إنه لفي وجه العدو، وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة وتتفرق عنه مرة، فربما رأيته قائماً يرمي عن قوسه أو يرمي بالحجر حتى تحاجزوا، وثبت رسول الله -ﷺ- كما هو في عصابة صبروا معه،

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٦٠/٧).

(٢) أبو الروم بن عمير بن هاشم بن قصي، وأمه رومية، وهو أخو مصعب بن عمير لأبيه، قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، وقد ذكره أيضاً موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق في روايتهما فيمن هاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية. وشهد أحداً وتوفي وليس له عقب. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٩١/٤).

(٣) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي الأنصاري، الإمام أبو يحيى، وقيل: أبو عتيك، كان يعد من عقلاء الأشراف، وذوي الرأي، وهو أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، أسلم قديماً، قال ابن سعد: أخى النبي -ﷺ- بينه وبين زيد بن حارثة، وروي أنه كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، مات سنة عشرين، وقد جرح يوم أحد سبع جراحات. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٤٣/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار: أبو بكر، وعبد الرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام، ومن الأنصار: (الحباب بن المنذر)^(١)، و(أبو دجانة)^(٢)، و(عاصم بن ثابت)^(٣)، و(الحارث بن الصمة)^(٤)، و(سهل بن حنيف)^(٥)،

(١) **الحباب بن المنذر** بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب، ويكنى أبا عمرو، شهد الحباب بدرًا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكان صاحب المشورة في بدر، وكان لواء الخرج يوم بدر معه، وشهد أحدًا، وثبت يومئذ مع رسول الله - ﷺ -، وبايعه على الموت، وشهد الخندق والمشاهد كلها، وشهد سقيفة بني ساعدة، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب وليس له عقب. ينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق (٤٢٧/٣-٤٢٨).

(٢) **أبو دجانة الأنصاري** سماك بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد الساعدي، كان يوم أحد عليه عصابة حمراء، قيل: أخى النبي - ﷺ - بينه وبين عتبة بن غزوان، وهو ممن شارك في قتل مسيلمة الكذاب، رمى بنفسه يوم اليمامة إلى داخل الحديقة، فانكسرت رجله، فقاتل وهو مكسور الرجل حتى قتل - ﷺ - ثم استشهد يومئذ، قال ابن سعد: لأبي دجانة عقب بالمدينة وببغداد إلى اليوم. ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق (٢٤٣/١-٢٤٥).

(٣) **عاصم بن ثابت** بن قيس بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة، يكنى أبا سليمان، وأخى رسول الله - ﷺ - بينه وبين عبد الله بن جحش، وشهد بدرًا وأحدًا وثبت يوم أحد مع رسول الله - ﷺ -، وكان من الرماة المذكورين وكان قتله وقتل أصحابه يوم الرجيع في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من الهجرة، ينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق (٣٥٢/٣-٣٥٣).

(٤) **الحارث بن الصمة** بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول، يكنى أبا سعد، أخى رسول الله - ﷺ - بين الحارث بن الصمة وصهيب بن سنان، وشهد أحدًا وثبت مع رسول الله - ﷺ -، وشهد الحارث يوم بئر معونة وقتل يومئذ شهيدًا في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من الهجرة. وللحارث بن الصمة اليوم عقب بالمدينة وبغداد. ينظر: المرجع السابق (٣٨٦/٣-٣٨٧).

(٥) **سهل بن حنيف** أبو ثابت الأنصاري الأوسي، العوفي، والد أبي أمامة بن سهل، وأخو عثمان بن حنيف، شهد بدرًا، والمشاهد، مات: بالكوفة، في سنة ثمان وثلاثين، وصلى عليه علي - ﷺ -، قيل: أخى النبي - ﷺ - بين سهل وبين علي، وثبت يوم أحد، وبايع على الموت، وجعل ينضح بالنبل عن رسول الله - ﷺ - ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق (٣٢٧/٣-٣٢٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، ويقال ثبت سعد بن عباد، ومحمد بن مسلمة، فيجعلونهما مكان أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، وبايعه يومئذ ثمانية على الموت ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار: علي، والزبير، وطلحة عليه السلام، وأبو دجانة، والحارث بن الصمة، وحباب ابن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، فلم يقتل منهم أحد^(١).

فيا لها من ساعة عسيرة مرّت على هذه الثلثة المباركة ومعهم الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، وقد ابتلى الله نبيّه - عليه الصلاة والسلام - فكان ممّا أصيب به يوم أحد ما حدّثنا عنه (سهل بن سعد)^(٢) - رضي الله عنه - فقال: "جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، وَكُسِرَتْ رِجْلُهُ، وَهُسِمَتْ أَلْيَةُ رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةً حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ"^(٣).

قال السندي: (قوله: (رباعيته) الثانية (وهشمت) كسرت (يسكب) يصب بالمجن بكسر الميم وتشديد النون وهو الترس)^(٤).

(١) ينظر: الواقدي، المغازي، مرجع سابق (٢٣٩/١-٢٤٠).

(٢) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الساعدي الخزرجي الانصاري، الإمام، الفاضل، المعمر، بقية أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أبو العباس، وكان يقول: شهدت المتلاعنين عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وكان من أبناء المائة، وكناه بعضهم: أبا يحيى، ذكر عدد كبير وفاته في سنة إحدى وتسعين، وقال أبو نعيم، وتلميذه البخاري: سنة ثمان وثمانين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٢٢/٣-٤٢٤).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٩٠/٨) برقم: (٩١٩١)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٥٩٤/٣) برقم: (٢٠٨٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٥١٧/٤) برقم: (٣٤٦٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٥٨/١) برقم: (٢٤٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٨/٥) برقم: (١٧٩٠).

(٤) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (٣٤٧/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال النووي: (قوله: (وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ) هي السن التي تلي الثنية من كل جانب وللإنسان أربع رباعيات، وفي هذا وقوع الانتقام والابتلاء بالأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- لينالوا جزيل الأجر ولتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم ويتأسوا بهم، قال القاضي: وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات وتلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم، قوله: (وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ) فيه استحباب لبس البيضة والدروع وغيرها من أسباب التحصن في الحرب، وأنه ليس بقادح في التوكل، قوله: (يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمَجَنِّ) أي يصب عليها بالترس وهو بكسر الميم، وفي هذا الحديث إثبات مداواة ومعالجة الجراح وأنه لا يقدر في التوكل لأن النبي -ﷺ- فعله مع قوله تعالى: وتوكل على الحي الذي لا يموت. قوله: (دُووِي جُرْحُهُ) هو بواوين ويقع في بعض النسخ بواو واحدة وتكون الأخرى محذوفة كما حذف من داود في الخط^(١).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢).

قال السندي: (قوله: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٣) هذا يدل على أنه نسخ لعن الكافرين في الصلاة، والظاهر أن أبا هريرة كان يحمله على لعن الكافر المعين، ويرى لعن مطلق الكافرين في الصلاة جائزاً، والله تعالى أعلم^(٤).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢/١٤٨-١٤٩).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٢٨).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٢٨).

(٤) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن النسائي، مرجع سابق (٢/٢٠٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي لفظ آخر عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، قال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: "رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (١).

قال السندي: (قوله: (وهو يحكي نبياً) أي: يذكر حاله (وهو يمسح) أي: ذلك النبي الذي ضربه قومه) (٢).

وقال النووي: (قوله: (إِنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- حَكَى نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ -صَلَّاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فيه ما كانوا عليه -صلوات الله وسلامه عليهم- من الحلم والتصبر والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرى لنبينا -ﷺ- مثل هذا يوم أحد) (٣).

ولقد اشتد غضب الله على أولئك القوم الذين فعلوا برسول الله -ﷺ- ذلك ولم يعرفوا له حرمة وتقدير، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن رسول الله -ﷺ-، فذكر أحاديث منها، وقال رسول الله -ﷺ-: "اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ حِينَئِذٍ يُشِيرُ إِلَى رِبَاعِيَّتِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (٤).

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١٥٤/٥) برقم: (٤٠٢٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٥/٤) برقم: (٣٤٧٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٩/٥) برقم: (١٧٩٢).

(٢) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (٢٩٠/٢).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٥٠/١٢).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠١/٥) برقم: (٤٠٧٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٩/٥) برقم: (١٧٩٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال النووي: (قوله: (اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فقوله في سبيل الله احتراز ممن يقتله في حد أو قصاص؛ لأن من يقتله في سبيل الله كان قاصداً قتل النبي - ﷺ -) (١).

وقال الحافظ ابن حجر: (وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي - ﷺ - السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته، وأن عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن (مالك بن سنان) (٢) مص الدم من وجه رسول الله - ﷺ - ثم ازدرده، فقال لن تمسك النار، وروى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقاص قال: "فَمَا حَرَصْتُ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ قَطُّ حِرْصِي عَلَى قَتْلِ أَخِي عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ لِمَا صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمَ أُحُدٍ"، وفي حديث (أبي أمامة الباهلي) (٣) - ﷺ -، قال: "رَمَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُمَيْةٍ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمَ أُحُدٍ فَشَجَّ وَجْهَهُ وَكَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ، فَقَالَ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قُمَيْةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ مَالِكُ أَقْمَأَكَ اللَّهُ، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَيْسَ جَبَلٍ فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً" (٤) (٥).

-
- (١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢/١٥٠).
- (٢) مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج، واسم الأبجر: خدرة، وقيل: بل خدرة هي أم الأبجر، استشهد يوم أحد، وهو الذي مص الدم من وجه رسول الله - ﷺ - لما أصيب في وجنته. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٥/٥٣٨).
- (٣) أبو أمامة الباهلي، واسمه الصدي بن عجلان، كان يصفر لحيته، قيل: توفي أبو بالشام سنة ست وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ابن إحدى وستين سنة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٧/٢٨٨-٢٨٩).
- (٤) أخرجه سليمان بن أحمد الطبراني في "المعجم الكبير"، الطلعة (بدون)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، أما الأجزاء: (١٣، ١٤، ٢١)، فهي بتحقيق فريق من الباحثين بإشراف: سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، (٨/١٣٠) برقم (٧٥٩٦).
- (٥) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٧/٣٦٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وَمِمَّنْ أُصِيبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يَوْمَ أُحُدٍ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه- وهو يدافع عن النبي -ﷺ-، قال (قيس بن أبي حازم)^(١) -رحمته الله-، قال: "رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَاءَ وَقَى بِهَا النَّبِيَّ -ﷺ- يَوْمَ أُحُدٍ"^(٢).

إِنَّهُ حَبٌّ لِرَسُولِهِ وَدِفَاعٌ عَنْ قَائِدِهِ -ﷺ- حَتَّى تُصَابَ يَدُهُ بِالشَّلَالِ الَّذِي يَبْطُلُ عَمَلُ الْأَصَابِعِ أَوْ عَمَلُ بَعْضِهَا، وَشُلَّتْ أَصْبَعُهُ السَّبَابَةُ وَالَّتِي تَلِيهَا، وَجَرَحَ -ﷺ- يَوْمَهَا تِسْعًا وَثَلَاثِينَ جِرْحًا أَوْ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ مَا بَيْنَ طَعْنَةِ بَسِيفٍ أَوْ رَمِيَةِ بَسْمٍ أَوْ ضَرْبَةِ بَرْمَحٍ، وَلِذَلِكَ كَانَ الصَّدِيقُ -ﷺ- إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ يَوْمَ أُحُدٍ يَقُولُ: "ذَاكَ يَوْمَ طَلْحَةَ، وَقَالَ عَنْهُ: كَانَ يُقَاتِلُ قِتَالَ الْوَاحِدِ عَشَرَ رَجُلًا"^(٣).

(١) قيس بن أبي حازم أبو عبد الله البجلي الأحمسي، الكوفي، العالم، الثقة، الحافظ، واسم أبيه: حصين عوف بن عبد الحارث بن عوف بن حشيش بن هلال، وفي نسبه اختلاف، وبجيلة: هم بنو أنمار، أسلم، وأتى النبي -ﷺ- ليبياعه، فقبض النبي الله وقيس في الطريق، ولأبيه أبي حازم صحبة، وقيل: إن لقيس صحبة، ولم يثبت ذلك، وكان من علماء زمانه، وكان في جيش خالد بن الوليد، إذ قدم الشام على برية السماوة، وروى: ابن معين فقال: مات سنة سبع، أو ثمان وتسعين، وقيل: مات سنة ثمان وتسعين في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٩٨/٤-٢٠٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٩٢/١) برقم: (١٢٨)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٢/٥) برقم: (٣٧٢٤).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٦١/٧).

المبحث التاسع

قتال الملائكة مع المسلمين في أحد، وذكر شهداء أحد

وكما أمدَّ الله المسلمين يوم بدر بالملائكة، فقد أمدَّهم سبحانه بهم في أحد، فالملائكة جنده الذين لا يعصون له أمراً، وكان جبريل -عليه السلام- وميكائيل -عليه السلام- منهم، فعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، قال: "رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابُ بَيَاضٍ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ -عليهما السلام-".^(١)

قال القرطبي: (رؤية سعد -رضي الله عنه- لهذين الملكين في ذلك اليوم: كرامة من الله تعالى خصَّه بها، كما قد خصَّ عمران بن حصين بتسليم الملائكة عليه^(٢)، وأسيد بن حضير برؤية الملائكة الذين تنزلوا لقراءة القرآن^(٣)، وقتال الملائكة للكفار يوم بدر، ويوم أحد لم يخرج عن عادة القتال المعتاد بين الناس، ولو أذن الله تعالى لملك من أولئك الملائكة بأن يصيح صيحة واحدة في عسكر العدو لهلكوا في لحظة واحدة، أو لخسف بهم موضعهم، أو أسقط عليهم قطعة من الجبل المطل عليهم، لكن لو كان ذلك: لصار الخبر عياناً، والإيمان بالغيب مشاهدة، فيبطل سر التكليف، فلا يتوجَّه لوم، ولا تعنيف، كما قد صرَّح الله تعالى بذلك قولاً وذكرأ، إذ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٤)^(٥)).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩٦/٥) برقم: (٤٠٥٤)، ومسلم في "صحيحه"

مرجع سابق (٧٢/٧) برقم: (٢٣٠٦).

(٢) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" مرجع سابق (٣٤٤/٤) برقم: (٨٨٢٢) وغيره.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٩٠/٦) برقم (٥٠١٨).

(٤) سورة الأنعام الآية: (١٥٨).

(٥) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (١٠٠/٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال النووي: (فيه بيان كرامة النبي -ﷺ- على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن الملائكة تقاتل وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر، وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم اختصاصاً، فهذا صريح في الرد عليه، وفيه فضيلة الثياب البيض، وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء، وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة، والله أعلم^(١)).

وهو كذلك فضل من الله على المسلمين وتأيد لهم وإعانة، وقد اختار الله سبحانه وتعالى من أصحاب رسول الله -ﷺ- شهداء ليرفع درجاتهم ويكرمهم بفضله سبحانه، وكان عدد شهداء أحد سبعين شهيداً، قال البراء بن عازب -رضي الله عنه- وهو يتحدث عن يوم أحد: "قَاصَبُوا مِنَّا سَبْعِينَ"^(٢).

ولا شك أن هذا عدد كبير وكان مؤثراً على الرسول -ﷺ- وعلى المسلمين، كيف لا يكون مؤثراً؟ وفيهم (سيد الشهداء)^(٣) حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-، وأول سفير في الإسلام مصعب بن عمير -رضي الله عنه-، وأنس بن النضر وغيرهم، وكان عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنهما- إذا ذُكر حمزة ومصعب يبكي -رضي الله عنهم جميعاً-، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه، قصته عندما كان صائماً وفُرب إليه الطعام فبكى وقال: "قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ: إِنَّ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأَرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ"^(٤).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٦٦/١٥).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣١/٨) برقم: (٨٥٨١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٥/٣) برقم: (٢٦٦٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٥/٤) برقم: (٣٠٣٩).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: (وهذا اللفظ قد ثبت في حديث مرفوع أخرجه الطبراني من طريق الأصبع بن نباتة عن علي قال: قال رسول الله -ﷺ- "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ").

ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٦٨/٧). وصححه الألباني، في

"سلسلة الأحاديث الصحيحة" مرجع سابق، (٧١٦/١) برقم (٣٧٤).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧٧/٢) برقم: (١٢٧٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وكان منظر تكفين مصعب بن عمير وتغطيته بهذه الطريقة منظرًا مؤثرًا في حياة الصحابة حتى بعد مرور وقتٍ عليه، وصاروا يذكرونه ويجعلونه عبرة لهم ولمن بعدهم، قال خباب بن الارت -رضي الله عنه-: "هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يُوَجَدْ لَهُ شَيْءٌ يُكْفَنُ فِيهِ إِلَّا نَمْرَةً، فَكُنَّا إِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رَأْسِهِ، خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رِجْلَيْهِ، خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِنْذِرَ، وَمِنَّا مَنْ أَتَيْتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِيهَا"^(١).

قال العظيم آبادي: (قوله: (إلا نمرة) شملة فيها خطوط بيض وسود أو برودة من صوف يلبسها الأعراب (إذا غطينا) من التغطية؛ أي سترنا (من الإنذر) حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب، وهمزتها زائدة. قال الخطابي: فيه دلالة على أن الكفن من رأس المال وأنه إن استغرق جميع المال كان الميت أولى به من الورثة)^(٢).

وقال المباركفوري: (قوله: (نبتغي وجه الله) أي: جهة ما عنده من الثواب لا جهة الدنيا (فوقع أجرنا على الله) أي: إثابتنا وجزاؤنا، وفي رواية: فوجب أجرنا على الله، وإطلاق الوجوب على الله بمعنى إيجابه على نفسه بوعده الصادق وإلا فلا يجب على الله شيء (لم يأكل من أجره شيئاً) كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتح، وكأن المراد بالأجر ثمرته فليس مقصوراً على أجر الآخرة، قال الحافظ في الفتح: هذا مشكل على ما تقدم من تفسير ابتغاء وجه الله، ويجمع بأن إطلاق الأجر على المال

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٣٩٥/١) برقم: (٤/١٩٠٢)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤١٢/٢) برقم: (٢٠٤١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٧٥/٣) برقم: (٢٨٧٦)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٦٣/٦) برقم: (٣٨٥٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧٧/٢) برقم: (١٢٧٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤٨/٣) برقم: (٩٤٠).

(٢) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٧٥/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

في الدنيا بطريق المجاز بالنسبة لثواب الآخرة، وذلك أن القصد الأول هو ما تقدم، لكن منهم من مات قبل الفتوح كمصعب بن عمير، ومنهم من عاش إلى أن فتح عليهم ثم انقسموا، فمنهم من أعرض عنه وواسى به المحاويج أولاً فأولاً، بحيث بقي على تلك الحالة الأولى، وهم قليل. منهم أبو ذر وهؤلاء ملتحقون بالقسم الأول، ومنهم من تبسط في بعض المباح فيما يتعلق بكثرة النساء والسراري أو الخدام، والملابس ونحو ذلك ولم يستكثر، وهم كثير ومنهم ابن عمر، ومنهم من زاد فاستكثر بالتجارة وغيرها مع القيام بالحقوق الواجبة، والمندوبة وهم كثير أيضاً، منهم عبد الرحمن بن عوف، وإلى هذين القسمين أشار خباب، فالقسم الأول، والملتحق به توفر له أجره في الآخرة، والقسم الثاني مقتضى الخبر أنه يحسب عليهم ما وصل إليهم من مال الدنيا من ثوابهم في الآخرة، ومن ثم أثر كثير من السلف قلة المال وقنعوا به، إما ليتوفر لهم ثوابهم في الآخرة، وإما ليكون أقل لحسابهم عليه. انتهى. (ومنا من أينعت) أي: أدركت ونضجت، يقال: أينع الثمر يונع وينع بينع فهو مונع ويانع: إذا أدرك ونضج (فهو يهدبها) أي: يقطعها ويجتتيها من هذب الثمرة إذا اجتتاها (الإذخر) وهو حشيش معروف طيب الرائحة^(١).

وقال النووي: (قوله: (فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ) معناه وجوب إنجاز وعد بالشرع لا وجوب بالعقل كما تزعمه المعتزلة وهو نحو ما في الحديث (حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُهُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ)^(٢)، قوله: (فَمِمَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً) معناه لم يوسع عليه في الدنيا ولم يعجل له شيء من جزاء عمله، قوله: (فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ شَيْءٌ يُكْفَنُ فِيهِ إِلَّا نَمْرَةً) هي كساء، وفيه دليل على أن الكفن من رأس المال، وأنه مقدم على

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٤/٣٥٧).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٧٨/٥) برقم: (٥٨٤٦)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٣٠/٢) برقم: (٢٥٥٩)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٨٣/٤) برقم: (٢٦٤٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٣٥٣/٥) برقم: (٤٢٩٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٩/٤) برقم: (٢٨٥٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤٣/١) برقم: (٣٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الديون؛ لأن النبي -ﷺ- أمر بتكفينه في نمرة ولم يسأل هل عليه دين مستغرق أم لا، ولا يبعد من حال من لا يكون عنده إلا نمرة أن يكون عليه دين، واستثنى أصحابنا من الديون الدين المتعلق بعين المال فيقدم على الكفن وذلك كالعبد الجاني والمرهون والمال الذي تعلقت به زكاة أو حق بائعه بالرجوع بإفلاس ونحو ذلك، قوله -ﷺ-: (ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ) هو معروف طيب الرائحة، وفيه دليل على أنه إذا ضاق الكفن عن ستر جميع البدن ولم يوجد غيره جعل مما يلي الرأس وجعل النقص مما يلي الرجلين ويستر الرأس، فإن ضاق عن ذلك سترت العورة فإن فضل شيء جعل فوقها فإن ضاق عن العورة سترت السوأتان لأنهما أهم وهما الأصل في العورة، وقد يستدل بهذا الحديث على أن الواجب في الكفن ستر العورة فقط ولا يجب استيعاب البدن عند التمكن، فإن قيل لم يكونوا متمكنين من جميع البدن لقوله لم يوجد له غيرها فجوابه أن معناه لم يوجد مما يملك الميت إلا نمرة ولو كان ستر جميع البدن واجباً لوجب على المسلمين الحاضرين تنميمة إن لم يكن له قريب تلزمه نفقته، فإن كان وجب عليه، فإن قيل كانوا عاجزين عن ذلك لأن القضية جرت يوم أحد وقد كثرت القتلى من المسلمين واشتغلوا بهم وبالخوف من العدو وغير ذلك، فجوابه أنه يبعد من حال الحاضرين المتولين دفنه أن لا يكون مع واحد منهم قطعة من ثوب ونحوها والله أعلم، قوله: (مِمَّا مَنَ أُيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ) أي أدركت ونضجت، قوله: (فَهُوَ يَهْدُبُهَا) أي يجتنيها يقال ينع الثمر وأينع ينعاً وينوعاً فهو يانع وهذبها يهدبها إذا جناها وهذا استعارة لما فتح عليهم من الدنيا^(١).

قال الحافظ ابن حجر: (وقال ابن إسحاق: وكان الذي قتل مصعب بن عمير عمرو بن قمئة الليثي، فظن أنه رسول الله -ﷺ- فرجع إلى قريش فقال لهم: قتلت محمداً^(٢)).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٧/٦-٧).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٧/٣٥٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأما حمزة بن عبد المطلب -ﷺ-، فقد قتله وحشي بن حرب وكان يومئذ على الشرك وكان عبداً لجبير بن مطعم، وقد قتله مقابل أن تُعطى له حرّيته، وقد أخبر هو كيف قتله؟ وما هو الجزاء الذي كان له عندما قتل حمزة -ﷺ-، وقد قصّ القصة لرسول الله -ﷺ- عندما سأله، ولقد أراد أن يُكفّر عن هذه الفعلة الشنيعة فقتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة، فقال عندما سُئل عن ذلك: (إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، قال: فلما أن خرج الناس عام عنين، وعينين جبل بحيال أحد، بينه وبينه واد، خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال، خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد الله ورسوله -ﷺ-؟ قال: ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحرتي، فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله -ﷺ- رسولا، فقبل لي: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله -ﷺ-، فلما رأيته قال: أنت وحشي؟ قلت: نعم، قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال: فخرجت فلما قبض رسول الله -ﷺ- فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة، لعلي أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثلثة جدار، كأنه جمل أورق نائر الرأس، قال: فرميته بحرتي، فأضعها بين ثديه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته، قال: قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني (سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ)^(١) أنه سمع عبد الله بن عمر، يقول: فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين، قتله العبد الأسود قتله العبد الأسود^(٢).

(١) سليمان بن يسار المدني مولى أم المؤمنين ميمونة، الفقيه، الإمام، عالم المدينة، ومفتيها، أبو أيوب -وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو عبد الله المدني، مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية، وأخو: عطاء بن يسار، وعبد الملك، وعبد الله، وقيل: كان سليمان مكاتباً لأم سلمة، ولد: في خلافة عثمان، وقال ابن سعد: كان ثقة، عالماً، رفيحاً، فقيهاً، كثير الحديث، مات سنة سبع ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، فيكون مولده في أواخر أيام عثمان، في سنة أربع وثلاثين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤/٤٤٤-٤٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٠/٥) برقم: (٤٠٧٢).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (أَلَا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ نَعَمْ) في رواية (الطَّيَالِسِيِّ)^(١)، فقال سأحدثكما كما حدثت رسول الله -ﷺ- حين سألني، قوله: (فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ) أي قريش ومن معهم عام عشرين أي سنة أحد، وقوله: (عَيْنَيْنِ) جبل بحيال أحد أي من ناحية أحد، قوله: (خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ) في رواية الطيالسي فانطلقت يوم أحد معي حربتي وأنا رجل من الحبشة ألعب لعبهم، قال: وخرجت ما أريد أن أقتل ولا أقاتل إلا حمزة، وعند ابن إسحاق وكان وحشي يقذف بالحرية قذف الحبشة قلماً يخطئ، قوله: (خَرَجَ سِبَاعٌ) وهو بن عبد العزى الخزاعي ثم الغُبَّشَانِي، قوله: (فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ) في رواية الطيالسي فإذا حمزة كأنه جمل أورك ما يرفع له أحد إلا قمعه بالسيف فهبته، وبادر إليه رجل من ولد سباع كذا قال والذي في الصحيح هو الصواب، وعند ابن إسحاق فجعل يهد الناس بسيفه، وعند ابن عائد فرأيت رجلاً إذا حمل لا يرجع حتى يهزمنا، فقلت: من هذا قالوا حمزة، قلت: هذا حاجتي، قوله: (يَا بْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ) هي أمه كانت مولاة لشرقي بن عمرو الثقفي والد الأخنس، قوله: (مُقَطَّعَةُ الْبُطُورِ) جمع بظر وهي اللحمة التي تقطع من فرج المرأة عند الختان، قال ابن إسحاق: كانت أمه ختانة بمكة تختن النساء، والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم وإلا قالوا خاتنة، وذكر (عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ)^(٢) في كتاب مكة عن (عبد العزيز بن المطلب)^(٣) أنها أم سباع وعبد العزى الخزاعي، وكانت أمة، وهي والدة

(١) الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود، الحافظ الكبير، صاحب (المسند)، أبو داود الفارسي، ثم الأسدي، ثم الزبيري، مولى آل الزبير بن العوام الحافظ، البصري، استشهد به البخاري في صحيحه، وقال ابن سعد: ثقة، كثير الحديث، ربما غلط، توفي بالبصرة سنة ثلاث ومائتين، وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٧٨/٩-٣٨٤).

(٢) عمر بن شبة بن عبدة أبو زيد النميري البصري النحوي ابن زيد بن رائطة، العلامة الأخباري، الحافظ، الحجة، صاحب التصانيف، نزيل بغداد، ولد: سنة ثلاث وسبعين ومائة، كان مستقيم الحديث، وكان صاحب أدب وشعر، وأخبار ومعرفة بأيام الناس، كان قد نزل في آخر عمره بسراً من رأى، وتوفي بها، قيل: مات يوم الخميس لأربع بقين من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وستين ومائتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٣٧١/١٢-٣٦٩).

(٣) عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم القرشي، المخزومي والد المطلب، قال ابن أبي حاتم: له صحبة، وذكره ابن حبان في الصحابة، وقال أبو عمر: له صحبة، وكان عبد العزيز يكنى أبا المطلب، وكان قاضياً على المدينة في خلافة أبي جعفر، وكانت عنده أحاديث يروها. ينظر: لابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤٦٧/٥)، وينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٥٦/٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

خباب ابن الأرت الصحابي المشهور، قوله: (أَتَحَادَّ) أي أتعاند، وأصل المحاددة أن يكون ذا في حد وذا في حد ثم استعمل في المحاربة والمعاداة، وقوله: (كَأَمْسِ الذَّاهِبِ) هي كناية عن قتله أي صيره عدما، وفي رواية ابن إسحاق فكأنما أخطأ رأسه وهذا يقال عند المبالغة في الإصابة، قوله: (وَكَمَنْتُ) أي اختفيت، وفي رواية ابن عائد عند شجرة وعند ابن أبي شيبه من مرسل عمير وابن إسحاق أن حمزة عثر فانكشفت الدرع عن بطنه فأبصره العبد الحبشي فرماه بالحربة، قوله: (فِي ثُنْتِهِ) هي العانة وقيل ما بين السرة والعانة، وللطيالسي فجعلت ألود من حمزة بشجرة ومعى حربتي حتى إذا استمكن منه هزرت الحربة حتى رضيت منها ثم أرسلتها فوقعت بين ثندوتيه، وذهب يقوم فلم يستطع، والثندوة: هي من الرجل موضع الثدي من المرأة والذي في الصحيح أن الحربة أصابت ثنته أصح، قوله: (فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ) أي إلى مكة، زاد الطيالسي، فلما جئت عتقت، ولابن إسحاق فلما قدمت مكة عتقت وإنما قتلته لأعتق، قوله: (حَتَّى فَشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ) في رواية ابن إسحاق فلما فتح رسول الله - ﷺ - مكة هربت إلى الطائف، قوله: (فَارْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -) في رواية ابن إسحاق، فلما خرج وفد الطائف ليسلموا تغمتم علي المذاهب، فقلت ألحق باليمن أو الشام أو غيرها، قوله: (فَقِيلَ لِي إِنَّهُ لَا يَهِيْجُ الرُّسُلَ) أي لا ينالهم منه إزعاج، وفي رواية الطيالسي فأردت الهرب إلى الشام، فقال لي رجل ويحك: والله ما يأتي محمداً أحد بشهادة الحق إلا خلى عنه، قال: فانطلقت، فما شعر بي إلا وأنا قائم على رأسه أشهد بشهادة الحق، وعند ابن إسحاق فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه، قوله: (قَالَ أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةً) قلت قد كان من الأمر ما قد بلغك، في رواية الطيالسي، فقال: ويحك حدثني عن قتل حمزة، وفي المغازي عند ابن إسحاق قال فقيل لرسول الله - ﷺ - هذا وحشي، فقال: "دعوه فلاسلام رجل واحد أحب إلي من قتل ألف كافر"، قوله: (فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني) في رواية الطيالسي، فقال: غيب وجهك عني فلا أراك، قوله: (قَالَ فَخَرَجْتُ) زاد الطيالسي فكنت أتقي أن يراني، ولابن عائد فما رآني حتى مات، وعند الطبراني فقال: يا وحشي اخرج فقاتل في سبيل الله كما كنت تصد عن سبيل الله، قوله: (فَقُلْتُ لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلَمَةَ) في رواية الطيالسي، فلما كان من أمر مسيلمة ما كان انبعثت مع البعث فأخذت حربتي، ولابن إسحاق نحوه، قوله: (فَأُكْفِي بِهٍ حَمْزَةً) بالهمز أي أساويه به، وقد فسر بعد بقوله: (فَقَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ وَشَرَّ النَّاسِ)، وقوله: (فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مَا كَانَ) أي من محاربته وقتل جمع من الصحابة في الواقعة التي كانت بينهم

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وبينه ثم كان الفتح للمسلمين بقتل مسيلمة، قوله: (فِي ثَلَمَةِ جِدَارٍ) أي خلل جدار، قوله: (جَمَلٌ أَوْزَقُ) أي لونه مثل الرماد وكان ذلك من غبار الحرب، وقوله: (ثَائِرُ الرَّأْسِ) أي شعره منتفش، قوله: (وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ) هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني كما جزم به الواقدي وغيره، ولعل عبد الله بن زيد هو الذي أصابته ضربته وأما الآخرا فحملا عليه في الجملة، قوله: (فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ) هذا فيه تأكيد لقول وحشي أنه قتله، وفي حديث وحشي من الفوائد غير ما تقدم: ما كان عليه من الذكاء المفرط، ومناقب كثيرة لحمزة، وفيه أن المرء يكره أن يرى من أوصل إلى قريبه أو صديقه أذى ولا يلزم من ذلك وقوع الهجرة المنهية بينهما، وفيه أن الإسلام يهدم ما قبله، وذكر ابن إسحاق قال حدثني (محمد بن جعفر بن الزبير)^(١) قال خرج رسول الله - ﷺ - يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد مثل به، فقال: لولا أن تحزن صافية يعني بنت عبد المطلب وتكون سنة بعدي لتركته حتى يحشر من بطون السباع وحواصل الطير، زاد ابن هشام قال: وقال لن أصاب بمثلك أبداً. ونزل جبريل، فقال: إن حمزة مكتوب في السماء أسد الله وأسد رسوله^(٢).

وكذلك من الشهداء في يوم أحد، أنس بن النضر الأنصاري - ﷺ -، وكان ممن أبلى بلاءً حسناً يوم أحد، وفيه وفي أصحابه الصادقين نزل قول الله عز وجل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٣)، فلقد قاتل - ﷺ - حتى أنه لم تعرفه إلا أخته ببنانه، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث أنس بن مالك - ﷺ -، قال: "عَمِيَ الَّذِي سُمِّيَتْ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بَدْرًا، فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - غُيِّبْتُ

(١) محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد، وأمه أم ولد، فولد محمد بن جعفر: إبراهيم، وزينب، وأمهما أم ولد، وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر، وروى عنه أيضاً ابن جريج، والوليد ابن كثير، وكان عالماً وله أحاديث. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣٣٠/٥).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٦٨/٧-٣٧٢).

(٣) سورة الأحزاب الآية: (٢٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

عَنْهُ، وَإِنْ أَرَانِي اللَّهَ مَشْهُدًا فِيمَا بَعْدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لِيرَانِي اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، قَالَ: فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا، قَالَ أَنَسُ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ أَنَسُ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، قَالَ: فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ، قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ - عَمَّتِي الرَّبِيعُ بِنْتُ النَّضْرِ - فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بَيِّنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(١)، قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ^(٢).

قال المباركفوري: (قوله: (فكبر عليه) وفي رواية مسلم: فشق عليه) (أول مشهد) أي لأن بديراً أول غزوة خرج فيها النبي - ﷺ - بنفسه مقاتلاً وقد تقدمها غيرها لكن ما خرج فيها - ﷺ - بنفسه مقاتلاً (أما) بالتخفيف للتنبيه (والله لئن أَرَانِي اللَّهَ مَشْهُدًا) وفي رواية: لئن الله أشهدني قتالاً للمشركين (ليرين الله) ومعناه: ليرين الله الناس ما أصنعه ويبرزه الله تعالى لهم (ما أصنع) مفعول لقوله: ليرين، ومراده أن يبالغ في القتال ولو زهقت روحه (قال) أي أنس بن مالك (فهاب) أي خشي أنس بن النضر (أن يقول غيرها) أي غير هذه الكلمة، وذلك على سبيل الأدب منه والخوف؛ لئلا يعرض له عارض، فلا يفي بما يقول فيصير كمن وعد فأخلف (فقال) أي أنس بن النضر (يا أبا عمرو) هو كنية سعد بن معاذ (أين) أي أين تذهب؟ (قال) أي أنس بن النضر، ابتداءً في كلامه ولم ينتظر جوابه لغلبة اشتياقه إلى إيفاء ميثاقه وعهده بربه بقوله: ليرين الله ما أصنع (واها لريح الجنة) قال في القاموس: واها له ويترك تنوينه كلمة تعجب من طيب شيء وكلمة تلهف انتهى، والمراد هنا هو الأول (أجدها دون أحد) أي عند أحد،

(١) سورة الأحزاب الآية: (٢٣).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٦٥/٧) برقم: (٨٢٣٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٥٩/٥) برقم: (٣٢٠٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٩/٤) برقم: (٢٨٠٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤٥/٦) برقم: (١٩٠٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال الحافظ: يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة بأن يكون شم رائحة طيبة زائدة عما يعهد فعرف أنها ريح الجنة ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين حتى كأن الغائب عنه صار محسوساً عنده، والمعنى أن الموضع الذي أقاتل فيه يؤول بصاحبه إلى الجنة (إلا ببنانه) جمع بنانة وهي الأصبع وقيل طرفها {ما عاهدوا} المراد بالمعاهدة المذكورة ما تقدم ذكره من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّبْنَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾^(١)، وكان ذلك أول ما خرجوا إلى أحد، وهذا قول ابن إسحاق، وقيل: ما وقع ليلة العقبة من الأنصار (إذ بايعوا النبي - ﷺ - أن يؤوه وينصروه ويمنعوه) والأول أولى {فمنهم من قضى نحبه} أي: مات أو قتل في سبيل الله، وأصل النحب النذر، فلما كان كل حي لا بد له من الموت، فكأنه نذر لازم له فإذا مات فقد قضاه، والمراد هنا من مات على عهده لمقابلته بمن ينتظر ذلك. {وما بدلوا تبديلاً} أي: ما غيروا عهد الله ولا نقضوه^(٢).

وقال النووي: (قَوْلُهُ: (لِيرَانِي اللَّهُ مَا أَصْنَعُ) هكذا هو في أكثر النسخ ليراني بالألف وهو صحيح ويكون ما أصنع بدلاً من الضمير في أراني أي ليرى الله ما أصنع، ووقع في بعض النسخ ليرين الله بياء بعد الراء ثم نون مشددة، وهكذا وقع في صحيح البخاري، وعلى هذا ضبطوه بوجهين: أحدهما ليرين بفتح الياء والراء أي يراه الله واقعاً بارزاً، والثاني ليرين بضم الياء وكسر الراء، ومعناه ليرين الله الناس ما أصنعه ويبرزه الله تعالى لهم، قوله: (فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا) معناه أنه اقتصر على هذه اللفظة المبهمة أي قوله ليرين الله ما أصنع مخافة أن يعاهد الله على غيرها فيعجز عنه أو تضعف بنيته عنه أو نحو ذلك، وليكون إبراء له من الحول والقوة، قوله: (وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجْدُهُ دُونَ أُحُدٍ) قال العلماء واهاً كلمة تحنن وتلهف، قوله: (أَجْدُهُ دُونَ أُحُدٍ)

(١) سورة الأحزاب الآية: (١٥).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٤/١٦٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

محمول على ظاهره وأن الله تعالى أوجده ريحها من موضع المعركة، وقد ثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام^(١).

ومن شهداء أحد (عبد الله بن عمرو بن حرام)^(٢) والد جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -، وكان قد مثل به المشركون وقطعوا أنفه وأذنه - ﷺ -، وقد بشر النبي - ﷺ - أهله ببشارة عظيمة، قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنهم -: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، جِيءَ بِأَبِي مُسَجَّى، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوبَ، فَتَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوبَ، فَتَهَانِي قَوْمِي، فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرَفَعَ فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِئَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالُوا بِنْتُ عَمْرٍو، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو، فَقَالَ: وَلِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا حَتَّى رُفِعَ، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: قَالَ جَابِرٌ - ﷺ -: أُصِيبَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوبَ عَنْ وَجْهِهِ، وَأَبْكِي وَجَعَلُوا يَنْهَوْنِي، وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَا يَنْهَانِي، قَالَ: وَجَعَلْتُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو، تَبْكِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: تَبْكِيهِ، أَوْ لَا تَبْكِيهِ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا، حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ أَيْضًا: قَالَ جَابِرٌ - ﷺ -: (جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ مُجَدَّعًا، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ - ﷺ -، وَذَكَرَ الْحَدِيثُ)^(٣).

قال النووي: (قوله: (جِيءَ بِأَبِي مُسَجَّى وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ) المسجى المغطى، ومثل يقال مثل بالقتيل والحيوان يمثل مثلاً كقتل يقتل قتلاً إذا قطع أطرافه أو أنفه أو أذنه أو مذاكيره ونحو ذلك، والاسم المثلة، فأما مثل بالتشديد فهو للمبالغة والرواية هنا بالتخفيف، قوله - ﷺ -: (فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا حَتَّى رُفِعَ). قال القاضي يحتمل أن ذلك لتراحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٤٨/١٨).

(٢) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، ويكنى أبا جابر، وكان له من الولد جابرًا، شهد العقبة، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار وهو أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرًا وأحداً، وقتل يومئذ شهيداً على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤٢٤/٣).

(٣) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٣٨٤/١) برقم: (١/١٨٤١)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٨٧/٢) برقم: (١٩٨١)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٧٢/٢) برقم: (١٢٤٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٥١/٧) برقم: (٢٤٧١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

عليه ازدحموا عليه إكراماً له وفرحاً به أو أظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه، قوله: (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تَنْظُرُهُ) معناه سواء بكى عليه أم لا فما زالت الملائكة تنظره أي فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره، فلا ينبغي البكاء على مثل هذا وفي هذا تسليّة لها، قوله: (جئ بِأبي مُجَدَّعاً) أي مقطوع الأنف والأذنين، قال الخليل الجذع قطع الأنف والأذن، والله أعلم^(١).

وعندما أراد -عليه الصلاة والسلام- دفن الشهداء كان يجمع بين الرجلين في ثوب واحد، ويقدم أكثرهم أخذاً للقرآن في اللحد، فقد ذكر جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-، أن رسول الله -ﷺ-: "كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمُ أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُغَسِّلُوا"^(٢).

وقد تقبلهم الله عز وجل ورفع قدرهم وهذه شهادة عظيمة لهم من رسول الله -ﷺ- بأنهم شهداء، وقد نزلت بشأنهم آيات من سورة آل عمران فيها سلوان لقلب رسول الله -ﷺ- وقلب أهلهم وللصحابه -رضي الله عنهم-، فهم ما زالوا أحياء عند ربهم يرزقون، ولقد استفتح الله هذه الآيات التي تتحدث عن غزوة أحد بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)، قال الحافظ ابن كثير: (المراد بهذه الواقعة يوم أحد عند الجمهور، قاله ابن عباس والحسن وقتادة و(السدي)^(٤) وغير واحد)^(٥).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٤/١٦-٢٦).
(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٤٠٤/١) برقم: (١/١٩٥٤)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٤٣٤/٢) برقم: (٢٠٩٣)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٦٥/٣) برقم: (٣١٣٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٤٢/٢) برقم: (١٠٣٦)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤٧٧/٢) برقم: (١٥١٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٩١/٢) برقم: (١٣٤٣)،

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٢١).

(٤) السدي إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة، الإمام، المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، الأعور، السدي، أحد موالى قريش، كان السدي عظيم اللحية جداً، مات إسماعيل السدي في سنة سبع وعشرين ومائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٦٤/٥-٢٦٥).

(٥) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٩٤/٢).

الفصل الثاني

أحداث متفرقة، وغزوة الأحزاب وبنو قريظة

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: مأساة بعث الرجيع، وبئر معونة.

المبحث الثاني: غزوة بني النضير، وغزوة ذات الرقاع.

المبحث الثالث: غزوة بني المصطلق.

المبحث الرابع: حادثة الإفك.

المبحث الخامس: غزوة الأحزاب وحفر الخندق.

المبحث السادس: دعاء رسول الله ﷺ على المشركين.

المبحث السابع: بشارة رسول الله ﷺ - بفتح الشام والمدائن واليمن.

المبحث الثامن: نهاية غزوة الخندق.

المبحث التاسع: غزوة بني قريظة.

المبحث الأول

مأساة بعث (الرجيع)^(١)، وبئر معونة

أولاً: مأساة بعث الرجيع: بعد غزوة أحد والهزيمة التي كانت على المسلمين وانتشار الخبر بين القبائل، طمع الطامعون في المسلمين، ولذلك فقد توالى عليهم المكائدات، ومنها ما حصل لبعض الصحابة من القتل والأسر بل والتأمر على قتل رسول الله - ﷺ - من قبل اليهود في المدينة، قال المباركفوري: (ففي شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة، قَدِمَ على رسول الله - ﷺ - قوم من (عضل وقارة)^(٢)، وذكروا أنَّ فيهم إسلاماً، وسألوا أن يبعث معهم من يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن، فبعث معهم ستة نفر في قول (ابن إسحاق)^(٣)، وفي رواية البخاري أنَّهم كانوا عشرة، وأمر عليهم (مرثد بن أبي مرثد الغنوي)، في قول ابن إسحاق، وعند (البخاري)^(٤) أنَّه عاصم بن ثابت جد (عاصم بن عمر بن الخطاب)^(٥) فذهبوا معهم، فلما كانوا بالرجيع وهو ماء

(١) ماء لهذيل على سبعة أميال من الهدة، وبه غدر بمرثد بن أبي مرثد وسريته لما بعثها - ﷺ - مع رهط عضل والقارة فغدروا بهم. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق (٧٢١/١).

(٢) قال ابن هشام: عضل والقارة، من الهون بن خزيمة بن مدركة، ويقال: الهون، بضم الهاء. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (١٦٩/٢).

(٣) ذكر ابن هشام في السير عن ابن إسحاق قوله: (فبعث رسول الله - ﷺ - نفرًا ستة من أصحابه، وهم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وخبيب بن عدي أخو بني جحجى بن كلفة ابن عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة بن معاوية أخو بني بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حار بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. وأمر عليهم مرثد). ينظر: المرجع السابق (١٦٩/٢).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٢٣/٨) برقم: (٨٧٨٨)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٤/٣) برقم: (٢٦٦٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٧/٤) برقم: (٣٠٤٥).

(٥) عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، ولد في السنة السادسة للهجرة، كان شاعراً، وكان من أحسن الناس خلقاً، وكان طويلاً جسيماً، وهو جد عمر ابن عبد العزيز لأمه، مات بالريذة سنة سبعين للهجرة. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٤/٥).

لهذيل بناحية الحجاز بين رابغ وجدة، استصرخوا عليهم حياً من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقرب من مائة رام، واقتصوا آثارهم حتى لحقوهم، فأحاطوا بهم وكانوا قد لجأوا إلى فدقد، وقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فأماً عاصم فأبى من النزول، وقاتلهم في أصحابه، فقتل منهم سبعة بالنبل، وبقي (خبيب بن عدي)^(١). و(زيد بن الدثنة)^(٢) ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق مرة أخرى، فنزلوا إليهم، ولكنهم غدروا بهم وربطوهم بأوتار قسيهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، وأبى أن يصحبهم، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد فباعوهما بمكة، وكانا قتلاً من رؤوسهم يوم بدر، فأما خبيب فمكت عندهم مسجوناً، ثم أجمعوا على قتله، فخرجوا به من الحرم إلى التعيم، فلما أزمعوا على صلبه قال: دعوني حتى أركع ركعتين، فتركوه فصلاهما، فلما سلم قال: والله لولا أن تقولوا: إن ما بي جزع لذت، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تبق منهم أحداً، ثم قال:

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنوع
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي ... وما جمع الأحزاب لي عند مضجعي
فذا العرش صبرني على ما يراد بي ... فقد بضعوا لحمي وقد بؤس مطمعي
وقد خيروني الكفر والموت دونه ... فقد ذرفت عيناى من غير مدمع
ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شق كان في الله مضجعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يُبارك على أوصال شلو مُمَزَّع

(١) خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجي بن عوف بن كلفة ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا واستشهد في عهد النبي ﷺ، قتله المشركون في مكة مع أصحاب الرجيع، وقيل: أنه لما قتل جعلوا وجهه إلى غير القبلة، فوجدوه مستقبل القبلة، فأداروه مراراً ثم عجزوا فتركوه. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٢/٢٢٤).

(٢) زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد البياضي، من بني بياضة، من الخزرج، من الأنصار: من فقهاء الصحابة، شهد بدرًا وأحداً، واستشهد على يد مشركي قريش صلبوه في التعيم، وكان مع أصحابه أصحاب بعث الرجيع كان ذلك في السنة الخامسة للهجرة. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٣/٥٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فقال له أبو سفيان: أيسرك أن محمداً عندنا نضرب عنقه، وأنتك في أهلك؟ فقال: لا والله ما يسرني أنني في أهلي وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه.

ثم صلبوه ووكلوا به من يحرس جثته، فجاء (عمرو بن أمية الضمري)^(١)، فاحتمله بخدعة ليلاً، فذهب به فدفنه، وكان الذي تولى قتل خبيب هو عقبة بن الحارث، وكان خبيب قد قتل أباه حارثاً يوم بدر^(٢).

وكان خبيب - ﷺ - أول من سنّ ركعتين قبل القتل، وكان كذلك يقطف من العنب ويأكل ولم يكن في مكة عنب، وقد أخبر بهذه القصة أبو هريرة - ﷺ -، فقال: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَانْطَلَفُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَاةِ، وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هَذِيلٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَنفَرُوا لَهُمْ قَرِيباً مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامٍ، فَانْقَسَوْا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمَرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمَرٌ يَتَرَبَّ فَاانْقَسَوْا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجُّوا إِلَى فَدَقٍ وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ، وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا، قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَرَمَوْهُمْ بِالْثَّبَلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبُ الْأَنْصَارِيُّ، وَابْنُ دَثَنَةَ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ،

(١) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشرة من بني كنانة، شهد بدرًا وأحداً مع المشركين ثم أسلم حين انصرف المشركون عن أحد، وكان رجلاً شجاعاً له إقدام ويكنى أبا أمية، وبعثه رسول الله - ﷺ - إلى النجاشي بكتابين كتب بهما إليه في أحدهما أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وفي الآخر يسأله أن يحمل إليه من بقي عنده من أصحابه، وكانت لعمر بن أمية دار بالمدينة عند الخراطين، ومات بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤/١٨٧-١٨٨).

(٢) ينظر: صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق (١/٢٣١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي فِي هَؤُلَاءِ لَأَسْوَأَ يُرِيدُ الْقَتْلَى، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى فَقَتَلُوهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَابْنِ دَثَنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَأَبْتَعَ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فَأَخْبَرَنِي (عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَّاضٍ)^(١)، أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ قَالَتْ: فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ، فَقَزَعْتُ فَرْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عَنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثِقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: ذَرُونِي أَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَكَرَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ تَطُّنُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا:

مَا أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقِّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَرَّعٍ
فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَ الرُّكَعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا،
فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصَيْبٍ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ - أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ، وَمَا
أُصِيبُوا، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حَدَّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ، لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ
يُعْرِفُ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ
الدَّبَرِ، فَحَمَنَهُ مِنْ رَسُولِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا^(٢).

(١) عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن زهرة القرشي الزهري، جدّ فقيه الحجاز ابن شهاب، وهو

محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري، قيل أنه مات في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - . ينظر:

الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٣٢/٤) (١١٢/٤).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٢٣/٨) برقم: (٨٧٨٨)، وأبو داود في "سننه"

مرجع سابق (٤/٣) برقم: (٢٦٦٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٧/٤) برقم:

(٣٠٤٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فكان في هذه الحادثة بعض الكرامات لخبیب ولعاصم -رضي الله عنهما- التي أظهرها الله سبحانه وتعالى، وقد حفظ الله جسد عاصم بن ثابت -رضي الله عنه- أن يمسّه مشرك، ولذلك من حَفِظَ الله في نفسه وأوامره حفظه الله، وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول وهو يذكر عاصماً وكان عاصم نذر ألا يمس مشركاً ولا يمسّه مشرك تتجسّأ به، فقال عمر -رضي الله عنه-: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَحْفَظُ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَنْعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ مَسَّوهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَمَا امْتَنَعَ فِي حَيَاتِهِ"^(١).

قال ابن سعد: (وأما زيد بن الدثنة -رضي الله عنه- فابتناعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه، وقال: إِنَّ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ حَضَرُوا قَتْلَ زَيْدٍ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: يَا زَيْدُ أُنَشِدُكَ اللَّهَ، أَتَحِبُّ أَنَّكَ الْآنَ فِي أَهْلِكَ وَأَنْ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا مَكَانَكَ نَضْرِبُ عُقْقَهُ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ مُحَمَّدًا يُشَاكَ فِي مَكَانِهِ بِشَوْكَةٍ تُؤْذِيهِ وَأَنْنِي جَالِسٌ فِي أَهْلِي. فقال: أَبُو سُفْيَانَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ قَوْمٍ قَطُّ أَشَدَّ حُبًّا لِصَاحِبِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لَهُ)^(٢).

فيا لله أي حبٍ عظيم كان في قلوب أولئك الأصحاب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، هذا الحب الذي صُدِمَ به كفار مكة وصناديد العرب والعجم.

(١) ينظر: الواقدي، المغازي، مرجع سابق (٣٥٦/١).

(٢) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤٣/٢).

ثانياً: غزوة بئر معونة:

وتستمر على المسلمين المؤامرات من المشركين وأعوانهم، (فعندما قَدِمَ أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله - ﷺ - المدينة، فعرض عليه رسول الله - ﷺ - الإسلام، ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال: رسول الله - ﷺ -: إنني أخشى عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله - ﷺ - المنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة، في أربعين رجلاً من أصحابه، من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصمة، و(حرام بن ملحان أخو بني عدي بن النجار)^(١)، و(عروة بن أسماء بن الصلت السلمي)^(٢)، و(نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي)^(٣)، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، في رجال مُسمَّين من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهي بين أرض (بني عامر)^(٤) وحرّة بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرة بني

(١) حرام بن ملحان، واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، شهد بدرًا وأُحُدًا وبئر معونة، وقتل يومئذ شهيداً في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة، وليس له عقب. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣/٣٩٠-٣٩١).

(٢) عروة بن أسماء بن الصلت السلمي، حليف لبني عمرو بن عوف، لم يقبل بأمان المشركين يوم بئر معونة ثم تقدم فقاتل حتى قتل شهيداً وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤/٢٧٨).

(٣) نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، كان قديم الإسلام، واستشهد في عهد النبي - ﷺ -، استشهد ببئر معونة، وقال ابن إسحاق: فقال ابن رواحة ينعي نافعاً:

رحم الله نافع بن بديل ... رحمة المبتغي ثواب الجهاد
صابراً صادق الحديث إذا ما ... أكثر القوم قال قول السّداد.
ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٦/٣١٩).

(٤) بني عامر هم الذي رفضوا أن يغدروا بأصحاب النبي - ﷺ - يوم بئر معونة. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/١٨٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

سليم أقرب، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله - ﷺ - إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم من عصية ورعل وذكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رجالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم - يرحمهم الله - إلا (كعب بن زيد)^(١)، أخا بني دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق، (فارتث)^(٢) من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً، ﷺ^(٣).

وأخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما، من حديث أنس بن مالك - ﷺ -، قال: "جاء ناس إلى النبي - ﷺ -، فقالوا: أن ابعت مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَفْرَعُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ - ﷺ - إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا، قَالَ: وَآتَى رَجُلٌ حَرَامًا، خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمَحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا"^(٤).

(١) كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار، وكان له من الولد عبد الله وجميلة وأمهما أم الرياح بنت عبد عمرو من بني دينار، وشهد بدرًا وأحدًا وبئر معونة وارتث يومئذ فشهد الخندق وقتل يومئذ شهيداً، قتله ضرار بن الخطاب الفهري وذلك في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة، وليس لكعب بن زيد عقب. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٣/٣٩٤).

(٢) يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا ضُرِبَ فِي الْحَرْبِ فَأُتْخِنَ وَحُمِلَ وَبِهِ رَمَقٌ ثُمَّ مَاتَ: قَدْ ارْتُثَ فُلَانٌ. ينظر: الهروي، تهذيب اللغة، مرجع سابق (١٥/٤٤).

(٣) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/١٨٤).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٦/٢) برقم: (١٠٠٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢/١٣٥) برقم: (٦٧٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال القرطبي: (وقوله: (فبعث إليهم سبعين رجلاً) هؤلاء السبعون هم الذين استشهدوا ببئر معونة، غدرَ بهم قبائلُ من سليم مع عدوِّ الله عامر بن الطفيل، فاستصرخوا عليهم، فقتلوه عن آخرهم إلا رجلين، ولم يُصَب النبي -ﷺ- ولا المسلمون بمثلهم -رضي الله عنهم-. و(الصفّة): بيت في المسجد مُقْتَطَع عنه، وفيه دليل على جواز استيطان الغرباء والفقراء مكاناً من المسجد، وعلى وضع الماء فيه للشرب وغيره، وعلى الاجتماع على قراءة القرآن ومدارسه العلم، وعلى أن المتفرغ للعبادة وطلب العلم لا يُخل بحاله، ولا ينقص توكله اشتغاله بالنظر في مطعمه، ومشربه، وحاجته؛ كما يذهب إليه بعض جهال المتزهدة.

وفيه دليل على أن أيدي الفقراء غير المتفرغين للعبادة فيما يكسبه بعضهم ينبغي أن تكون واحدة، ولا يستأثر بعضهم على الآخر بشيء. وقولهم: (إنا قد لقيناك) أي: قد وصلنا إلى ما أنعمت به من الجنة، والكرامة، ومنزلة الشهادة؛ لأن لقاء الله ليس على ما تعارفنا من لقاء بعضنا لبعض. وقولهم: (فرضينا عنك) أي: بما أوصلتنا إليه من الكرامة والمنزلة الرفيعة، و(رضيت عنا) أي: أحللنا محل من ترضى عنه، فأكرم غاية الإكرام، وأحسن إليه غاية الإحسان، وعلى هذا: فيكون رضا الله تعالى من صفات الأفعال، ويصح أن يعبر بالرضا في حق الله تعالى عن إرادة الإكرام والإحسان؛ فيكون من صفات الذات. وقول حرام عندما طعن: (فُزْتُ ورب الكعبة) أي: بما أعدَّ الله للشهداء، وظاهره: أنه عاين منزلته في الجنة في تلك الحالة، ويحتمل أن يقول ذلك محققاً لوعده الله ورسوله الحقّ الصدق، فصار كأنه عاين. والله تعالى أعلم^(١).

قال النووي: (قوله: (وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ) معناه يضعونه في المسجد مسبلاً لمن أراد استعماله لطهارة أو شرب أو غيرهما، وفيه جواز وضعه في المسجد، وقد كانوا يضعون أيضاً أعذاق التمر لمن أرادها في المسجد في

(١) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٣/٤٧٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

زمن النبي -ﷺ-، ولا خلاف في جواز هذا وفصله، قوله: (وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ) أصحاب الصفة هم الفقراء الغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي -ﷺ- وكانت لهم في آخره صفة، وهو مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه قاله إبراهيم الحربي والقاضي، وأصله من صفة البيت وهي شيء كالظلة قدامه. فيه فضيلة الصدقة وفضيلة الاكتساب من الحلال لها، وفيه جواز الصفة في المسجد وجواز المبيت فيه بلا كراهة وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، قوله: (اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا) فيه فضيلة ظاهرة للشهداء وثبوت الرضا منهم ولهم وهو موافق لقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(١)، قال العلماء -رضي الله عنهم- بطاعتهم ورضوا عنه بما أكرمهم به وأعطاهم إياه من الخيرات، والرضا من الله تعالى إفاضة الخير والإحسان والرحمة فيكون من صفات الأفعال، وهو أيضا بمعنى إرادته، فيكون من صفات الذات^(٢).

وجاءت تفاصيل قصة مأساة بئر معونة في الصحيح، وكذلك جاء ذكر هذه القبائل وأنها (رعل، وذكوان، وعصية وبني لحيان)، وهم الذي غدروا بأصحاب النبي -ﷺ- وتواطؤوا مع الخبيث الحاقد عامر بن الطفيل، وأما بنو عامر فقد حفظوا العهد الذي بين أبي براء ورسول الله -ﷺ- ولم يخفوه، وقد جاءت روايات تُبَيِّنُ أَنَّ هذه القبائل استمدت رسول الله -ﷺ- على عدو وكانوا يُبَيِّتُونَ الغدر في نفوسهم، فعندما أرسل معهم رسول الله -ﷺ- سبعين رجلاً غدروا بهم، وبالنسبة للعدد ففي الصحيحين أنهم كانوا سبعين وما ذكره ابن هشام أنهم أربعين، ولعل الأربعين كانوا رؤساء والبقية أتباعاً^(٣).

(١) سورة التوبة الآية: (١٠٠).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٣/٤٧-٤٨).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٧/٣٨٦-٣٨٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ولما وصلت الأخبار على المدينة أخبر رسول الله - ﷺ - الصحابة باستشهاد القوم وكان يقنت في الصلاة على هذه القبائل، وقد أخبر أنس - رضي الله عنه - أنه نزل بشأن الشهداء قرآناً في الإخبار أنهم قد لقيوا ربهم وهو راضٍ عنهم ورضوا عنه ثم نُسخت بعد ذلك، أخرج الإمام البخاري في صحيحه، من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، قال: "بَعَثَ النَّبِيُّ - ﷺ - سَبْعِينَ رَجُلًا لِحَاجَةٍ، يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ، فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، رِغْلٌ، وَذَكْوَانٌ، عِنْدَ بَيْتٍ يُقَالُ لَهَا بَيْتُ مَعُونَةَ، فَقَالَ الْقَوْمُ: وَاللَّهِ مَا إِيَّاكُمْ أَرَدْنَا، إِنَّمَا نَحْنُ مُجْتَازُونَ فِي حَاجَةِ لِلنَّبِيِّ - ﷺ -، فَقَتَلُوهُمْ. فَدَعَا النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَيْهِمْ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ، وَذَلِكَ بَدْءُ الْقُنُوتِ، وَمَا كُنَّا نَقْنُتُ. قَالَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) ^(١): وَسَأَلَ رَجُلٌ أَنْسًا عَنِ الْقُنُوتِ أَبَعْدَ الرُّكُوعِ أَوْ عِنْدَ فَرَغٍ مِنَ الْقِرَاءَةِ؟ قَالَ: لَا بَلْ عِنْدَ فَرَغٍ مِنَ الْقِرَاءَةِ" ^(٢).

وفي لفظ آخر من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أيضاً: "أَنَّ رِغْلًا، وَذَكْوَانًا، وَعُصَيَّةً، وَبَنِي لَحْيَانَ، اسْتَمَدُوا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى عَدُوٍّ، فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَاءَ فِي زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى كَانُوا بِبَيْتِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ - ﷺ -: فَقَنَّتْ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، عَلَى رِغْلٍ، وَذَكْوَانٍ، وَعُصَيَّةً، وَبَنِي لَحْيَانَ، قَالَ أَنْسٌ: فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ: بَلَّغُوا عَنَّا قَوْمًا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا" ^(٣).

(١) عبد العزيز بن صهيب البناني البصري، الأعمى، الحافظ، حدث عن: أنس بن مالك، وأبي نضرة العبدى، وشهر بن حوشب، وروى عنه: شعبة، والثوري، وحمام بن زيد، وهشيم، وعبد الوارث، والمبارك بن سحيم، وسفيان بن عيينة، وآخرون، وثقه: أحمد بن حنبل، وغيره، وما هو بالمكثر، مات: سنة ثلاثين ومائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٠٣/٦).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٧/١) برقم: (٦٦١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٥٤١/١) برقم: (١٤٤٤)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٥٦/٢) برقم: (١١٨٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٤/٥) برقم: (٤٠٨٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٥/٢) برقم: (٦٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٥/٥) برقم: (٤٠٩٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤٥/٦) برقم: (٦٧٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وذكر أنس -رضي الله عنه- قصة ذهاب خاله حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل، وأن حرام أخذ معه رجلين وأحدهما كان أعرجاً، وهو الذي سلم من القتل عندما صعد إلى الجبل، قال أنس -رضي الله عنه-: "أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- بَعَثَ خَالَهُ، أَخَ لَأُمِّ سُلَيْمٍ، فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا -إِلَى أَنْ قَالَ- : فَأَنْطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجٌ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، قَالَ: كُونَا قَرِيبًا حَتَّى آتِيَهُمْ فَإِنْ آمَنُونِي كُنْتُمْ، وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ، فَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أَبْلَغَ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ، وَأَوْمَأُوا إِلَى رَجُلٍ، فَأَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ، -قَالَ (هَمَامٌ)^(١) أَحْسِبُهُ- حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرُّمْحِ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُرْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَلَحِقَ الرَّجُلُ، فَفَتِلُوا كُلُّهُمْ غَيْرَ الْأَعْرَجِ، كَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا، ثُمَّ كَانَ مِنَ الْمَنْسُوحِ: إِنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا، فَدَعَا النَّبِيُّ -ﷺ- عَلَيْهِمْ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا، عَلَى رِغْلٍ، وَذُكُوانَ، وَبَنِي لَحْيَانٍ، وَعُصَيَّةَ، الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ^(٢) ﷺ".

وسبحان الله!! انظر إلى هذا اليقين العظيم الذي كان في قلب حرام بن ملحان -رضي الله عنه-، فهو يعلم أنه خرج في سبيل الله وأنه طعن وهو في سبيل الله وكيف أن الله ختم له وهو يكبر ويذكر الفوز العظيم الذي ناله، وقد تأثر طاعنه من هذا المشهد فكان يقول ما فاز؟!! أنا أقتله وهو يقول فاز؟ فقالوا: له فاز بالجنة، فأسلم، وأما المجرم عامر بن الطفيل فمات على الكفر والعياذ بالله^(٣).

(١) همام بن يحيى بن دينار العوزي المحلمي، الإمام، الحافظ، الصدوق، الحجة، أبو بكر، وأبو عبد الله، البصري، وبنو عوذ: بطن من الأزدي، وهو من مواليتهم، وكان أبوه قصاباً بالبصرة، ولد: بعد الثمانين، روى: البخاري أن وفاته في سنة ثلاث وستين ومائة، وقال ابن حبان: مات في رمضان، سنة أربع وستين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٢٩٦/٧-٣٠١).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٢٣١/١) برقم: (١/١٠٦٩)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٧/١) برقم: (٦٦١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٥٤١/١) برقم: (١٤٤٤)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٥٦/٢) برقم: (١١٨٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٦/٢) برقم: (١٠٠١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٥/٢) برقم: (٦٧٧).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٨٨/٧). وينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (١٨٧/٢).

وكانت هذه الفاجعة التي خسر فيها المسلمون سبعون رجلاً أغلبهم من القراء قد أثرت كثيراً في النبي - ﷺ - وخصوصاً أنهم قُتلوا بهذه الطريقة من الغدر والخيانة، فكان - عليه الصلاة والسلام - كما في حديث أنس السابق يقنت عليهم في الصلوات، بل كان يلعنهم حتى نزل القرآن بالنهي عن ذلك، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث (خُفَّاف بن إِيمَاء الغفاري) ^(١) - ﷺ -، قال: قال رسول الله - ﷺ -: "فِي صَلَاةِ اللَّهِ الْعَنَ بَنِي لِحْيَانٍ، وَرِعْلًا، وَذُكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" ^(٢).

قال النووي: (قوله: اللَّهُمَّ الْعَنَ بَنِي لِحْيَانٍ وَرِعْلًا، لحيان هم بطن من هذيل، وفيه جواز لعن الكفار جملة أو الطائفة منهم بخلاف الواحد بعينه) ^(٣).

وقد استمر على ذلك - عليه الصلاة والسلام - شهراً كاملاً، يدعو على الكفار، عن أنس بن مالك - ﷺ -، قال: "قَنَتَ النَّبِيُّ - ﷺ - بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ، وَذُكْوَانَ، وَيَقُولُ عُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" ^(٤).

(١) خفاف بن إيماء بن رخصة بن خربة بن خلاف بن حارثة بن غفار الغفاري، كان أبوه سيد غفار، وكان هو إمام بني غفار وخطيبهم، شهد الحديبية، وبايع بيعة الرضوان، يعد في المدنيين، يقال: إن للخفاف هذا ولأبيه ولجده رخصة صحبة، وكانوا ينزلون غيقة من بلاد غفار، ويأتون المدينة كثيراً. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (١٧٩/٢).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٢٣١/١) برقم: (١/١٠٦٩)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٧/١) برقم: (٦٦١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٥٤١/١) برقم: (١٤٤٤)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٥٦/٢) برقم: (١١٨٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٦/٢) برقم: (١٠٠١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٥/٢) برقم: (٦٧٧).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٧٣/١٦-٧٤).
(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٢٣١/١) برقم: (١/١٠٦٩)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٧/١) برقم: (٦٦١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٥٤١/١) برقم: (١٤٤٤)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٥٦/٢) برقم: (١١٨٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٥/٥) برقم: (٤٠٨٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٤٥/٦) برقم: (٦٧٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال أيضاً: "إِنَّمَا قَنَّتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أَنَاسٍ قَتَلُوا أَنَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، يُقَالُ لَهُمُ الْفُرَّاءُ" (١).

وعنه أيضاً وهو يذكر حزن رسول الله ﷺ - عليهم، فقال: "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - وَجَدَ عَلَى سَرِيَّةٍ مَا وَجَدَ عَلَى السَّبْعِينَ الَّذِينَ أُصِيبُوا يَوْمَ بئرِ معونة، كَانُوا يَدْعُونَ الْفُرَّاءَ، فَمَكَثَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى قَتَلَتِهِمْ" (٢).

ولمّا كانت هذه نازلة عظيمة نزلت بالمسلمين، فإنّ خسارتها العددية في الرجال كخسارة غزوة أحد ولا حول ولا قوة إلا بالله، فبعدها استمر رسول الله ﷺ - على القنوت شهراً، وفي هذا دلالة على أنّ الأمة لا بد أن تكون مرتبطة دائماً بربها سبحانه، وكذلك تجعلك تتذكر إخوانك المستضعفين في البلدان الأخرى، فلم ينس رسول الله ﷺ - المستضعفين من المسلمين في مكة فقد كان يدعو لهم بالنجاة وهذا يدل على رحمته بأصحابه ومحبته لهم، قال أبو هريرة - قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -، يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَيُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كَسَنِي يُوسُفَ، اللَّهُمَّ الْعَنِ لِحْيَانَ، وَرِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"، ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٣) (٤).

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٦/٢) برقم: (٦٧٧).

(٢) المصدر السابق (١٣٦/٢) برقم: (٦٧٧).

(٣) سورة آل عمران الآية: (١٢٨).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٢٣٢/١) برقم: (٣/١٠٧٢)، والنسائي في

"الكبرى" مرجع سابق (٣٣٨/١) برقم: (٦٦٤)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٥٤٠/١)

برقم: (١٤٤٠)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٢٩٧/٢) برقم: (١٢٤٤)، والبخاري في

"صحيحه" مرجع سابق (١٦٠/١) برقم: (٨٠٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٤/٢)

برقم: (٦٧٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال العظيم آبادي: (قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: إن القنوت مسنون في صلاة الصبح دائماً، وأما غيرها فله فيه ثلاثة أقوال: الصحيح المشهور أنه إن نزلت نازلة كعدو وقحط ووباء وعطش وضرر ظاهر في المسلمين ونحو ذلك قننوا في جميع الصلوات المكتوبة وإلا فلا. ومحل القنوت بعد رفع الرأس من الركوع في الركعة الأخيرة، وفي استحباب الجهر بالقنوت في الصلاة الجهرية وجهان أصحهما ما يجهر، ويستحب رفع اليدين فيه، ولا يمسح الوجه، وقيل: يستحب مسحه، والصحيح أنه لا يتعين فيه دعاء مخصوص بل يحصل بكل دعاء، وفيه وجه أنه لا يحصل إلا بالدعاء المشهور: اللهم اهديني فيمن هديت إلخ، والصحيح أن هذا مستحب لا شرط، وذهب أبو حنيفة وأحمد وآخرون إلى أنه لا قنوت في الصبح. وقال مالك: يقنت قبل الركوع، ودلائل الجميع معروفة، وقد أوضحناها في شرح المذهب، والله أعلم^(١)).

وقال القرطبي: (وقوله: اللهم أنج الوليد ... إلى آخره، أنج: من النجاة، والهمزة للتعدية، وقد عُذِيَ بالتضعيف، وأصله من النجوة وهو المرتفع من الأرض، وهؤلاء المدعو لهم هم قوم من أهل مكة أسلموا، ففتنهم أهل مكة وعذبوهم، وبعد ذلك نجوا منهم وهاجروا إلى النبي - ﷺ -، وقوله: واجعلها عليهم كَسِينِي يوسف، يعني به قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾^(٢)، فاستجيب له - ﷺ - فأجذبوا سبعةً أكلوا فيها كل شيء، حتى أكلوا الميتة والعظام، وكان الواحد منهم يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع والضعف، حتى جاء أبو سفيان فكلم النبي - ﷺ - فدعا لهم فسُقُوا على ما ذكرناه عن ابن مسعود في كتاب التفسير. وَلَحْيَان ورِغْل وَذُكُوان وَعُصَيَّة: قبائل من العرب قَتَلُوا أصحاب بئر مَعُونَة، وهم السبعون الفُرَاء.

(١) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (١/٥٤٠).

(٢) سورة يوسف الآية: (٤٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي هذا الحديث من الفقه: (١) جواز الدعاء على معين وله. (٢) جواز الدعاء بغير ألفاظ القرآن في الصلاة، وهو حجة على أبي حنيفة في منعه ذلك كله فيها، ولا خلاف في جواز لعن الكفرة والدعاء عليهم، واختلفوا في جواز الدعاء على أهل المعاصي؛ فأجازه قوم، ومنعه آخرون وقالوا: يُدعى لهم بالتوبة لا عليهم، وقيل: إنما يدعى على أهل الانتهاك في حين فعلهم ذلك، وأما في إدبارهم فيدعى لهم بالتوبة. قلت: والذي استقر عليه أمر رسول الله - ﷺ - في القنوت ما رواه الدارقطني بإسناد صحيح عن أنس أنه قال: "ما زال رسول الله - ﷺ - يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا والله أعلم" (١).

وقال النووي: (القنوت إذا نزلت بالمسلمين نازلة والعياذ بالله، واستحبابه في الصباح دائماً وبيان أن محله بعد رفع الرأس من الركوع في الركعة الأخيرة والله أعلم، قوله: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَيُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى آخِرِهِ) فيه استحباب القنوت والجهر به وأنه بعد الركوع وأنه يجمع بين قوله سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد، وفيه جواز الدعاء لإنسان معين وعلى معين، قوله - ﷺ -: (اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرٍّ) هي البأس، قوله - ﷺ -: (وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كَسْنِي يَوْسُفَ) أي اجعلها سنين شدادا ذوات قحط وغلاء، قوله - ﷺ -: (اللَّهُمَّ الْعَنَ لِحْيَانَ إِلَى آخِرِهِ) فيه جواز لعن الكفار وطائفة معينة منهم، قوله ثم بلغنا أنه ترك ذلك يعني الدعاء على هذه القبائل وأما أصل القنوت في الصباح فلم يتركه حتى فارق الدنيا كذا (ص) (٢).

وهكذا فَقَدَ المسلمون في شهرٍ واحدٍ ثمانين من خيرة الدعاة إلى الله، فلم يكن تبليغ الدعوة الإسلامية سهلاً مأموناً في بوادي الأعراب بل كان محفوفاً بالأخطار والموت

(١) أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" مرجع سابق (١٩٩/٢) برقم: (٣١٤٥).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٧٦/٥-١٧٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ولكن لم يحل شيء دون الدعاة وتبليغ دعوة الله، وليعلم الداعية أنّ هذه الطريق فيها من المصاعب والعقبات الكثير ولكنّ الموفق من وفقه الله، وبعد هذه الجراً من الأعراب كان لابد من تأديبهم، ففي السنة السادسة للهجرة قاد رسول -ﷺ- جيشاً إلى بني لحيان الذين قتلوا القراء في الرجيع، وكان ذلك بعد غزوة بني قريظة، قال ابن إسحاق: (ثم أقام رسول الله -ﷺ- بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غرة، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رعوس الجبال، فقال: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة، فهبط في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم، ثم كرا، وراح قافلاً^(١)).

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/٢٧٩-٢٨٠).

المبحث الثاني

غزوة بني النضير، وغزوة ذات الرقاع

أولاً: غزوة بني النضير: اليهود قوم غدر وخيانة، وكانت بينهم وبين رسول الله - ﷺ - عهود أمان وتعايش في المدينة، قال الحافظ ابن كثير: (وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^(١)، يعني يهود بني النضير، قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد: كان رسول الله - ﷺ - لما قدم المدينة هادئهم وأعطاهم عهداً ودية على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصد، فأجلاههم النبي - ﷺ - وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئاً وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم، وسيرهم رسول الله - ﷺ - وأجلاههم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم)^(٢).

وكان نقض يهود بني النضير للعهد الذي بينهم وبين رسول الله - ﷺ - بالتآمر عليه لقتله، وتنقل لنا كتب السير أن يهود بني النضير تأمروا على قتله - عليه الصلاة والسلام -، وكان ذلك خلال محاولتين:

- المحاولة الأولى: عندما كتبت إليهم قريش كتاب تهديد بالحرب عليهم إن لم يقاتلوا رسول الله - ﷺ -، وكان ذلك بعد غزوة بدر، فاستجاب بنو النضير لهم وعزموا على الغدر، وأرسلوا إلى النبي أن يخرج إليهم في ثلاثين رجلاً من أصحابه، ووعدوا أن يخرجوا بمثلهم من أحبارهم، إلى موضع وسط ليستمعوا منه، فإن صدقوه آمنت يهود، فلما اقتربوا اقترح اليهود أن يجتمع النبي ومعه ثلاثة من أصحابه بثلاثة من أحبارهم

(١) سورة الحشر الآية: (٢).

(٢) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٨٦/٨-٨٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فإن أقنعهم آمنت بنو النضير، وقد حمل الثلاثة خناجرهم، لكن امرأة منهم أفشت خبرهم لأخ لها مسلم، فأخبر النبي - ﷺ - فرجع ولم يقابلهم، ثم حاصرهم بالكتائب وقاتلهم فنزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم. وهذه الرواية إسنادها رجاله ثقات وفيه جهالة اسم الصحابي ولا تضر^(١).

وأخرج الإمام أبي داود في السنن، من حديث (عبد الرحمن بن كعب بن مالك)^(٢)، عن رجل، من أصحاب النبي - ﷺ -: "أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أَبِي، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْجِ، وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللَّهِ لَنُقَاتِلَنَّهُ، أَوْ لَنُخْرِجَنَّهُ، أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ - ﷺ - لَفِيهِمْ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ. فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، كَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْفَةِ وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَنُقَاتِلَنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعُلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ، وَهِيَ الْخَلَاخِيلُ، فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ - ﷺ -، أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلِيُخْرِجَ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَبْرًا، حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمُنْصَفِ فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ آمَنًا بِكَ، فَقَصَّ خَبَرَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ، وَاللَّهِ لَا تَأْمُنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ فَأَبَوْا أَنْ يُعْطَوْهُ عَهْدًا فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ فَعَاهَدُوهُ فَأَنْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ

(١) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٣٠٧/١).

(٢) عبد الرحمن بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب، وكان يكنى أبا الخطاب، وكان ثقة وهو أكثر حديثاً من أخيه، وتوفي في خلافة سليمان بن عبد الملك. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٢١٠/٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، فَجَلَّتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْتَعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا، فَكَانَ نَحْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - خَاصَّةً أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَخَصَّهُ بِهَا^(١).

قال العظيم آبادي: (والنضير كأمير حي من يهود خيبر من آل هارون أو موسى ﷺ، وقد دخلوا في العرب، كانت منازلهم وبني قريظة خارج المدينة في حدائق وآطام، وغزوة بني النضير مشهورة. قال الزهري: كانت على ستة أشهر من وقعة أحد، كذا في تاج العروس، وفي شرح المواهب: قبيلة كبيرة من اليهود دخلوا في العرب. (إنكم أويتم صاحبنا) أي: أنزلتموه في المنازل. وهذا تفسير وبيان لما كتب قريش إلى ابن أبي وغيره، والمراد بصاحبنا النبي - ﷺ - (حتى نقتل مقاتلتكم) أي: المقاتلين منكم (ونستبيح نساءكم) أي: نسبي ونهبي (المبالغ) بفتح الميم جمع مبلغ هو حد الشيء ونهايته، والمبالغ أي الغايات (ما كانت) أي: قريش، وما نافية (تكيدكم) أي: ما تضرركم وما تخدعكم وما تمكر بكم (بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم) لأنكم إن قاتلتُمونا ففينا أبناءكم وإخوانكم الذين أسلموا فتقاتلونهم أيضاً ويقاتلونكم، فيكون الضرر أكثر من أن تقاتلكم قريش (تفرقوا) ورجعوا عن عزم القتال (إنكم أهل الحلقة) قال الخطابي: يريد بالحلقة السلاح، وقيل: أراد بها الدروع لأنها حلق سلسلة (وبين خدم نساءكم) أي خلا خيلهن واحدها خدمة (وهي) أي: الخدم (الخلاخيل) جمع خلخال، وهذا التفسير من بعض الرواة (فلما بلغ كتابهم) أي: كتاب قريش إلى يهود المدينة وغيرها (النبي - ﷺ -) بنصب ياء النبي - ﷺ - أي في أمر النبي - ﷺ - ومقاتلتهم معه (حبراً) أي: عالماً (بمكان المنصف) الموضع الوسط (فقص خبرهم) أي: أخبر النبي - ﷺ - الناس بخبرهم (بالكتائب) أي الجيوش المجتمعة واحدها كتيبة ومنه الكتاب، ومعناه الحروف المضمومة بعضها إلى بعض. قاله الخطابي (والله لا تأمنون) من أمن كسمع (ثم غدا الغد) أي: سار في أول نهار الغد (على الجلاء) أي: الخروج من المدينة وهو الخروج من البلاد (ما أقلت) من الإقلال أي حملت ورفعت (من أمتعتهم) جمع متاع^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (١١٦/٣) برقم: (٣٠٠٤)، وصححه الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود"، مرجع سابق (٢/١).

(٢) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (١١٦/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

- المحاولة الثانية: محاولتهم إلقاء الرحي على رأس رسول الله - ﷺ -، ولكن الله فضحهم، قال ابن هشام: (قال ابن إسحاق: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَقَدَ لَهُمَا، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحِلْفٌ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ، قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ، مِمَّا اسْتَعْنَتْ بِنَا عَلَيْهِ، ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قَاعِدٌ - فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً، فَيُرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشٍ بْنُ كَعْبٍ، أَحَدَهُمْ، فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ، وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ، - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ. فَلَمَّا اسْتَلَبَتْ النَّبِيُّ - ﷺ - أَصْحَابُهُ، قَامُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ. فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ - ﷺ -، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْعُدْرِ بِهِ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِالتَّهْيِئِ لِحَرْبِهِمْ، وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ، وَنَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ^(١)).

وهاتان المحاولتان تدل على خبث اليهود، ولذلك كان لابد من خروجهم فحاصرهم رسول الله - ﷺ -، وقد ثبت في نص القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة أنَّ رسول الله - ﷺ - حَرَّقَ نَخِيلَهُمْ وَقَطَعَ بَعْضَهَا وَقَتَ الْحَصَارِ، وَذَلِكَ لِلضَّغْطِ عَلَيْهِمْ لِلخُرُوجِ عَلَى الصَّلْحِ أَوْ الْقِتَالِ بَعْدَ أَنْ تَحَصَّنُوا فِي بُيُوتِهِمْ، وَأُنْزِلَتْ فِي شَأْنِهِمْ سُورَةُ الْحَشْرِ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ - ﷺ - عِنْدَمَا سَأَلَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٢)، وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/١٩٠-١٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦١/٦) برقم: (٤٦٤٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٤٥/٨) برقم: (٣٠٣١).

أخبر الله عز وجل عن ما فعلوه بأيديهم في بيوتهم من تخريب، حتى أنهم ليخرجون أبوابها منها، بعد ما تقرر في معاهدة الجلاء حقن دماءهم، وإجلاءهم عن ديارهم، والسماح لهم بأخذ ما تحمله إبلهم من المتاع والأموال سوى السلاح فيتركونه للمسلمين، ونزل في حرق وقطع نخيلهم قول الله عز وجل في سورة الحشر: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَسِيقِينَ﴾^(١)، قال الحافظ ابن كثير: (وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم)^(٢). وأخرج الإمام البخاري ومسلم وغيرهما^(٣)، عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقَطَعَ، وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ، -زَادَ (قُتَيْبَةُ)^(٤)، و(ابْنُ رُمَحٍ)^(٥) فِي حَدِيثِهِمَا-: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَسِيقِينَ﴾^(٦).

(١) سورة الحشر الآية: (٥).

(٢) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٩١/٨).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٠/٨) برقم: (٨٥٥٤)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٤٢/٢) برقم: (٢٦١٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢١٠/٣) برقم: (١٥٥٢)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١١٠/٤) برقم: (٢٨٤٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٤/٣) برقم: (٢٣٢٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٥/٥) برقم: (١٧٤٦).

(٤) قتيبة أبو رجاء بن سعيد بن جميل الثقفي مولاها مبلخي، البغلاني، هو: شيخ الإسلام، المحدث، الإمام، الثقة، الجوال، راوية الإسلام، من أهل قرية بغلان، من موالى الحجاج بن يوسف الأمير الظالم، مولده: في سنة تسع وأربعين ومائة، وكان رجلاً ربعة، أصلع، حلو الوجه، حسن اللحية، واسع الرجل، وكان كثير الحديث، ومات لليلتين خلتا من شعبان، سنة أربعين ومائتين، وهو في تسعين سنة، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٩-١٣/١١).

(٥) محمد بن رمح بن المهاجر التجيبي مولاها، الحافظ، الثبت، العلامة، أبو عبد الله، المصري، ولد: بعد الخمسين ومائة، وتوفي: في شوال، سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وكان معروفاً بالإنفاق الزائد والحفظ، ولم يرحل. ينظر: المرجع السابق (١١-٤٩٨-٥٠٩).

(٦) سورة الحشر الآية: (٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعنه أيضاً^(١)، أنه قال: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَطَعَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَحَرَّقَ، وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ: وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ.

وَفِي ذَلِكَ نَزَلَتْ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَسِقِينَ﴾^(٢).

قال العظيم آبادي: (قوله: (حرق): من التحريق (نخل بني النضير) وهم طائفة من اليهود (وقطع) أي أمر بقطع نخيلهم وتحريقها (وهي البؤيرة) بالتصغير موضع كان به نخل بني النضير {ما قطعتم من لينة} أي: أي شيء قطعتم من نخلة، والحديث يدل على جواز إفساد أموال الحرب بالتحريق والقطع لمصلحة في ذلك. قال في سبل السلام: وقد ذهب الجماهير إلى جواز التحريق والتخريب في بلاد العدو وكرهه الأوزاعي وأبو ثور واحتجوا بأن أبا بكر -ﷺ- وصى جيوشه أن لا يفعلوا ذلك، وأجيب بأنه رأى المصلحة في بقاءه لأنه قد علم أنها تصير للمسلمين فأراد بقاءها لهم^(٣) انتهى.

وقال النووي: (قوله: (حرق) -ﷺ- نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ وَهِيَ الْبُؤَيْرَةُ) هي موضع نخل بني النضير، واللينه المذكورة في القرآن هي أنواع الثمر كلها إلا العجوة، وقيل كرام النخل، وقيل كل النخل، وقيل كل الأشجار للينها، وقد ذكرنا قبل هذا أن أنواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعاً، وفي هذا الحديث جواز قطع شجر الكفار

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٠/٨) برقم: (٨٥٥٤)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣٤٢/٢) برقم: (٢٦١٥)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢١٠/٣) برقم: (١٥٥٢)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (١١٠/٤) برقم: (٢٨٤٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٤/٣) برقم: (٢٣٢٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٥/٥) برقم: (١٧٤٦).

(٢) سورة الحشر الآية: (٥).

(٣) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٣٤٢/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وإحراقه، وقول حسان: (وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ) المستطير المنتشر والسرارة أشرف القوم ورؤسائهم والله أعلم^(١).

وأخبر عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، أنه ما صار لهم ذلك إلا بعد ما حاربوا الله ورسوله.

ولقد تبعهم في الخيانة يهود بني قريظة الذين قاتلهم رسول الله -ﷺ- وقتل رجالهم وسنأتي لذلك إن شاء الله، وكذلك أجلى يهود بني قينقاع لنقضهم للعهد، قال ابن عمر -رضي الله عنهما-: "أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقُرَيْظَةَ، حَارَبُوا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-، فَأَجَلَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنْ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَأَمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجَلَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ، بَنِي قَيْنِقَاعَ، وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِيٍّ كَانَ بِالْمَدِينَةِ"^(٢).

قال العظيم آبادي: (قوله: (فأمنهم) أي أعطاهم الأمان (بني قينقاع) وكانوا أول من أخرجوا من المدينة. قاله الحافظ، وفي هذا دليل على أن المعاهد والذمي إذا نقض العهد صار حربياً وجرت عليه أحكام أهل الحرب، ولإمام سبي من أراد منهم، وله المن على من أراد. وفيه أنه إذا من عليه ثم ظهر منه محاربة انتقض عهده، وإنما ينفع المن فيما مضى لا فيما يستقبل، وكانت قريظة في أمان، ثم حاربوا النبي -ﷺ- ونقضوا العهد، وظاهروا قريشاً على قتال النبي -ﷺ- يوم الخندق في غزوة الأحزاب سنة خمس على الصحيح)^(٣).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٥١/١٢).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (١١٧/٣) برقم: (٣٠٠٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٨٨/٥) برقم: (٤٠٢٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٩/٥) برقم: (١٧٦٦).

(٣) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (١١٧/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال الحافظ ابن حجر: (وكان الكفار بعد الهجرة مع النبي -ﷺ- على ثلاثة أقسام: (١) قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه عدوه، وهم طوائف اليهود الثلاثة: قريظة والنضير وقينقاع. (٢) قسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش. (٣) قسم تركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره كطوائف من العرب، فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة، وبالعكس كبني بكر، ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً وهم المنافقون، فكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على حكمه، وأراد قتلهم فاستوهمهم منه عبد الله بن أبي وكانوا حلفاءه فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات، ثم نقض العهد بنو النضير، وكان رئيسهم حيي بن أخطب، ثم نقضت قريظة كما سيأتي شرح حالهم بعد غزوة الخندق -إن شاء الله تعالى-) (١).

وقال النووي: (قوله: (عن ابن عمر أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله -ﷺ- فأجلى رسول الله -ﷺ- بني النضير....) في هذا أن المعاهد والذمي إذا نقض العهد صار حربياً وجرت عليه أحكام أهل الحرب، ولإمام سبي من أراد منهم وله المن على من أراد وفيه أنه إذا من عليه ثم ظهرت منه محاربة انتقض عهده وإنما ينفع المن فيما مضى لا فيما يستقبل، وكانت قريظة في أمان ثم حاربوا النبي -ﷺ- ونقضوا العهد وظاهروا قريشاً على قتال النبي -ﷺ-، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِّنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (٢)، قوله: (يهود بني قينقاع) هو بفتح القاف ويقال بضم النون وفتحها وكسرهما ثلاث لغات مشهورات) (٣).

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٨٢/٧).

(٢) سورة الأحزاب الآية: (٢٦).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٩١/١٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ولقد كانت كل أموال يهود بني النضير خاصة لرسول الله - ﷺ - مما أفاء الله عليه بها، فكان يُنفق على أهله منها نفقة سنة ويجعل الباقي في السلاح والكراع في سبيل الله، وفي ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾^(١)، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: "كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، مِمَّا لَمْ يُوجِفْ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - خَاصَّةً، فَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَنَةً، وَمَا بَقِيَ يَجْعَلُهُ فِي الْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ، عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(٢).

قال السندي: (قوله: (مما أفاء الله) خبر كانت، أي: رده الله عليه، أي: أعطاه الله إياه، وسمي العطاء رداً للتنبيه على أن المستحقين للأموال هم المسلمون، والكفرة كالمغلبين على أموال المسلمين فما جاء إلى المسلمين من الكفرة فكأنه رد إليهم (مما لم يوجف) لم يسرع ولم يجر، أي: مما بلا حرب (في الكراع) أي: الخيل)^(٣).

قال القرطبي: (وقوله: (كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله) أفاء: أي: رد على رسوله من أموال الكفار، وهذا يدل على: أن الأموال إنما كانت للمسلمين بالأصالة، ثم صارت للكفار بغير الوجوه الشرعية، فكأنهم لم يملكو ملكاً صحيحاً، لا سيما إذا تنزلنا على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، ومع ذلك فلهم شبهة الملك؛

(١) سورة الحشر الآية: (٦، ٧).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٨١٥/١) برقم: (٨/٤١٥١)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٢٨/٤) برقم: (٤٤٢٦)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٠٠/٣) برقم: (٢٩٦٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٥٥/٣) برقم: (١٦١٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٣٨/٤) برقم: (٢٩٠٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٥١/٥) برقم: (١٧٥٧).

(٣) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن النسائي، مرجع سابق (١٣٢/٧).

إذ قد أضاف الله إليهم أموالاً؛ كما أضاف إليهم أولاداً، فقال: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١)، قد اتفق المسلمون على: أن الكافر إذا أسلم وببده مال غير متعين للمسلمين كان له، لا ينتزعه أحدٌ منه بوجه من الوجوه، وسيأتي للمسألة مزيد بيان، وقوله: (مما لم يوجف عليه) أي: يسرع، والإيجاف: الإسراع، ووجيف الخيل: إسراعها، والركاب: الإبل. وقوله: (فكانت للنبي -ﷺ- خاصة) هذا الحديث حجة لمالك على: أن الفيء لا يقسم، وإنما هو موكول لاجتهاد الإمام، والخلاف الذي ذكرناه في الخمس هو الخلاف هنا، فمالك لا يقسمه، وأبو حنيفة يقسمه أثلاثاً، والشافعي أخماساً، وقوله: (فكان ينفق على أهله نفقة سنة) أي: يعطيهم قوت سنتهم، كما في البخاري: (أنه -ﷺ- كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم) وأما لنفسه فما روي عنه -ﷺ- أنه ادخر، ولا احتكر؛ وإنما كان يفعل ذلك بأهله قياماً لهم بحقوقهم، ودفعاً لمطالبتهم، ومع ذلك فكان أهله يتصدقن، وقلماً يمسكن شيئاً، ولذلك ما قد كان للنبي -ﷺ- ربما ينزل به الضيف فيطلب له شيئاً في بيوت أزواجه، فلا يوجد عندهن شيء، وفيه ما يدل على: جواز ادخار قوت العيال سنة، ولا خلاف فيه إذا كان من غلة المدخر، وأما إذا اشتراه من السوق، فأجازه قوم ومنعه آخرون إذا أضر بالناس، وهو مذهب مالك في الاحتكار مطلقاً، و(الكراع): الخيل والإبل^(٢).

قال الحافظ ابن كثير: (يقول تعالى مبيناً مال الفيء وما صفته وما حكمه، فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول

(١) سورة التوبة الآية: (٥٥).

(٢) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٣/٥٥٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الله - ﷺ -، فأفاده الله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات^(١).

قال النووي: (قوله: (كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِمَّا لَمْ يُوجِفْ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ)) أما الكراع فهو الخيل وقوله ينفق على أهله نفقة سنة أي يعزل لهم نفقة سنة ولكنه كان ينفقه قبل انقضاء السنة في وجوه الخير فلا تتم عليه السنة، ولهذا توفي - ﷺ - ودرعه مرهونة على شعير استدانه لأهله ولم يشبع ثلاثة أيام تباعاً وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بكثرة جوعه - ﷺ - وجوع عياله، وقوله: (كَانَتْ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - خَاصَّةً) هذا يؤيد مذهب الجمهور أنه لا خمس في الفيء، والشافعي أوجبه ومذهب الشافعي أن النبي - ﷺ - كان له من الفيء أربعة أخماسه وخمس خمس الباقي فكان له أحد وعشرون سهماً من خمسة وعشرين والأربعة الباقية لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، ويتأول هذا الحديث على هذا فنقول، قوله: (كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ) أي معظمها وفي هذا الحديث جواز ادخار قوت سنة وجواز الادخار للعيال وأن هذا لا يقدح في التوكل وأجمع العلماء على جواز الادخار فيما يستغله الإنسان من قريته كما جرى للنبي - ﷺ -، وأما إذا أراد أن يشتري من السوق ويدخره لقوت عياله فإن كان في وقت ضيق الطعام لم يجز بل يشتري مالاً يضيق على المسلمين كقوت أيام أو شهر وإن كان في وقت سعة اشترى قوت سنة وأكثر هكذا نقل القاضي هذا التفصيل عن أكثر العلماء وعن قوم إباحته مطلقاً، وأما ما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فالإيجاف الإسراع^(٢).

ومن غزوة بني النضير والأحداث هذه التي كانت يتلخص الآتي:

(أ) إصرار قريش على أدية المسلمين حتى بعد هجرتهم من مكة.

(ب) شدة بغض اليهود على المسلمين وحقدهم عليهم وتدبير المكائد والدسائس والمؤامرات على رسول الله - ﷺ - وعلى أصحابه.

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق (٩١/٨).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٧١-٧٠/١٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

(ج) اليهود أهل غدر وخيانة، فلا يَعْرِفُونَ للعهود والمواثيق أي قدر وهذا حالهم إلى اليوم.

(د) عدم التهاون مع من يريد المساس من شخص رسول الله - ﷺ - أو المساس بأمن المسلمين، وسرعة تفادي هذا الأمر، وأن الإسلام دين رحمة وتعايش مع الآخرين، وكذلك هو دين السلم أحب إليه من الحرب ويتبين ذلك عندما تمّ إجلاء يهود بني النضير وعدم قتلهم والسماح لهم بمغادرة المدينة في أمان.

(هـ) وفاء رسول الله - ﷺ - بالعهد، ويتبين ذلك من دفعه لدية العامريين مع قلة ما في اليد وشحة الموارد.

(و) جواز الضغط على المحاربين باهلاك أموالهم وتدميرها من أجل أن يخضعوا لأمر المسلمين.

(ز) ما جاءت من أحكام شرعية، في الفيء وطرق إنفاقه، ومع هذه الأحكام الشرعية المباركة فقد كان بعد هذه الغزوة من السعة والرزق لرسول الله - ﷺ - في نفقة أهله بما يكفيهم سنة، وكذلك ما فيه من القوة للمسلمين ونفقته في السلاح والخيول.

ثانياً: غزوة ذات الرقاع: سُميت هذه الغزوة بهذا الاسم لأن الصحابة -رضي الله عنهم- خرجوا مع رسول الله -ﷺ- في هذه الغزوة، وكانوا يتعاقبون الستة منهم على بعير واحد حتى تأثرت أقدامهم وسقطت أطرافهم فلقوا عليها الخرق فسُميت بذات الرقاع، وتُسمى كذلك بغزوة نجد لأنها كانت جهتها، وتُسمى غزوة بني محارب وبني ثعلبة من غطفان لأنها كانت عليهم، قال أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه-، قال: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، قَالَ: فَتَقَبْتُ أَقْدَامُنَا، فَتَقَبْتُ قَدَمَائِي، وَسَقَطَتْ أَطْفَارِي، فَكُنَّا نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ لِمَا كُنَّا نُعَصِّبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنَ الْخِرْقِ. قَالَ (أَبُو بُرْدَةَ)^(١) فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِهَ الْأَشْعَرِيُّ -رضي الله عنه- ذَلِكَ، قَالَ: كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ"^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (خرجنا مع النبي -ﷺ- في غزاة ونحن في ستة نفر) لم أقف على أسمائهم وأظنهم من الأشعريين. وقوله: (بيننا بعير نعتقه) أي: نركبه عقبة عقبة، وهو أن يركب هذا قليلاً ثم ينزل فيركب الآخر بالنوبة حتى يأتي على سائرهم، وقوله: (فتقبت أقدامنا) بفتح النون وكسر القاف بعدها موحدة أي رقت، يقال: نقب البعير إذا رق خفه، وقوله: (لما كنا) أي من أجل ما فعلناه من ذلك، وقوله: (كره ذلك) أي لما خاف من تزكية نفسه، قوله: (كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه) وذكر أن كتمان العمل الصالح أفضل من إظهاره، إلا لمصلحة راجحة كمن يكون ممن يقتدى به)^(٣).

وقال النووي: (قوله: (وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ) أي يركبه كل واحد منا نوبة فيه جواز مثل هذا إذا لم يضر بالمركوب، قوله: (فَتَقَبْتُ أَقْدَامُنَا) أي قرحت من الحفاء، قوله: (فَسُمِّيَتْ ذَاتُ الرَّقَاعِ لِذَلِكَ) هذا هو الصحيح في سبب تسميتها، وقال

(١) هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري واسمه عامر بن عبد الله بن قيس، وقد ولي قضاء الكوفة، وتوفي أبو بردة بالكوفة سنة ثلاث ومائة، وقيل: مات أبو بردة سنة أربع ومائة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٢٧٨/٦).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١١٣/٥) برقم: (٤١٢٨)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٠٠/٥) برقم: (١٨١٦).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٤٨٦/٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

سميت بذلك جبل هناك فيه بياض وسواد وحمرة وقيل سميت باسم شجرة هناك، وقيل لأنه كان في ألويتهم رقاع ويحتمل أنها سميت بالمجموع، قوله: (وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْسَاهُ) فيه استحباب إخفاء الأعمال الصالحة وما يكابده العبد من المشاق في طاعة الله تعالى ولا يظهر شيئاً من ذلك إلا لمصلحة مثل بيان حكم ذلك الشيء والتنبية على الاقتداء به فيه ونحو ذلك وعلى هذا يحمل ما وجد للسلف من الإخبار بذلك^(١).

وقال -رحمته الله- مُتحدثاً عن زمن وقوعها: (هي غزوة معروفة كانت سنة خمس من الهجرة بأرض غطفان من نجد)^(٢).

وهذه الغزوة لم يحصل فيها قتال بين المسلمين والمشركين، مع أنهم فيها قد اقترب المسلمون من جموع غطفان ولكن لم يقع بينهم قتال، ولكن أخافوا بعضهم حتى صلى المسلمون صلاة الخوف في مكان يبعد من المدينة يومين يدعى نخلاً ثم عادوا إلى المدينة^(٣).

يحدثنا حديث (صالح بن خوات)^(٤) -رحمته الله-، عَمَّنْ صَلَّى مع رسول الله -ﷺ- يوم ذات الرِّقَاع صلاة الخوف: "أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ وَطَائِفَةٌ وَجَّاهَ الْعَدُوَّ، فَصَلَّى بِالَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَّتَ قَائِمًا، وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وَجَّاهَ الْعَدُوَّ، وَجَاءَتْ

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢/١٩٧-١٩٨).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٦/١٢٨).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٧/٤٢).

(٤) صالح بن خوات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف من الأوس الأنصاري، فولد صالح بن خوات خواتاً وأبا حنة وبرة وأم موسى وأمهم أم حسن بنت أبي حنة بن غزية من بني مازن بن النجار، وهضبة بنت صالح وأمها من بني أنيف من بني قضاة، وقد روى صالح بن خوات عن أبيه، وكان قليل الحديث، توفي في السنة الواحدة والثمانون للهجرة، وهو من الطبقة الرابعة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٥/١٩٩-٢٠٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الطائفة الأخرى فصلّى بهم الركعة التي بقيت، ثمّ ثبّت جالساً وأتموا لأنفسهم، ثمّ سلّم بهم^(١).

قال العظيم آبادي: (قوله: (الطائفة الأخرى) الطائفة: الفرقة أو القطعة من الشيء تقع على القليل والكثير، لكن قال الشافعي: أكره أن تكون الطائفة في صلاة الخوف أقل من ثلاثة، فينبغي أن تكون الطائفة التي مع الإمام ثلاثة فأكثر، والذين في وجه العدو كذلك، واستدل بقول الله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾^(٢)، وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا { الآية، فأعاد على كل طائفة ضمير الجمع، وأقل الجمع ثلاثة على المشهور، وخالف فيه بعض الأئمة (ثم يسلم) الإمام (بهم جميعاً) أي: بالطائفتين جميعاً كما هو ظاهر العبارة، لكن حديث الباب لا يدل على ذلك)^(٣).

وقال السندي: (قوله: (وطائفة من قبل العدو) أي: طائفة تقوم في جانب العدو ولعل قوله ووجههم إلى الصف أي أنه لا بد لهم من النظر إلى الصف لئلا يقع عليهم أحد وهو مخصوص بما إذا كان العدو في جهة قبلتهم، قوله: (ركعة) أي تمامها مع السجدين ثم يمكث الإمام مكانه جالساً حتى يتم هؤلاء أي الطائفة الأولى لأنفسهم الصلاة، هذا معنى قوله ويركعون لأنفسهم ويسجدون لأنفسهم سجدتين في مكانهم)^(٤).

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٣٢٩/١) برقم: (٨/١٥٣٥)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٦٧/٢) برقم: (١٩٣٧)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٤٧٨/١) برقم: (١٢٣٧)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٥٦٦/١) برقم: (٥٦٥)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٣٠٩/٢) برقم: (١٢٥٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١١٣/٥) برقم: (٤١٢٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢١٤/٢) برقم: (٨٤١).

(٢) سورة النساء الآية: (١٠٢).

(٣) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٤٧٨/١).

(٤) ينظر: السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (٣٨٠/١).

وقال النووي: (قوله: (أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ) هـ كذا هو في أكثر النسخ وفي بعضها صلت معه وهما صحيحان، قوله: (وَطَائِفَةٌ وَجَّاهَ الْعُدُوَّ) الطائفة الفرقة والقطعة من الشيء تقع على القليل والكثير لكن قال الشافعي أكره أن تكون الطائفة في صلاة الخوف أقل من ثلاثة فينبغي أن تكون الطائفة التي مع الإمام ثلاثة فأكثر والذين في وجه العدو كذلك واستدل بقول الله تعالى وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا إلى آخر الآية فأعاد على كل طائفة ضمير الجمع وأقل الجمع ثلاثة على المشهور^(١)).

وهذا من تيسير الله على الناس، وكذلك من أجل الحفاظ على النفس المسلمة وليبين الشارع الحكيم أهمية الصلاة حتى في مثل هذه الظروف العصيبة والتي فيها تتطايروا الرؤوس وتسيل الدماء إلا أن الصلاة لم تسقط، ويبين أن المسلم لابد أن يكون في اتصال دائم مع ربه -جل وعلا-، ولقد حصل في هذه الغزوة موقف عظيم لرسول الله -ﷺ-، ويتضح في ذلك الموقف شدة تعلق قلب رسول الله -ﷺ- بربه، وكبير الثقة التي كانت في صدره -عليه الصلاة والسلام- بأن الله حافظه ومؤيده، وأن الله -عز وجل- عندما وعده بأنه سيعصمه من الناس فعصمه، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-، قال: "أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَاعِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرْكَنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَعْلَقٌ بِشَجَرَةٍ، فَأَخَذَ سَيْفَ نَبِيِّ اللَّهِ -ﷺ- فَأَخْتَرَطَهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-: أَتَخَافُنِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ، قَالَ: فَتَهَدَّدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَعْمَدَ السَّيْفَ، وَعَلَّقَهُ، قَالَ: فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تَأَخَّرُوا، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْآخَرَى رُكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَرْبَعُ رُكْعَاتٍ، وَلِلْقَوْمِ رُكْعَتَانِ"^(٢).

قال النووي: (قوله: (شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ) أي ذات ظل قوله فأخذ السيف فاخترطه أي سله، قوله: (فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ تَأَخَّرُوا وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْآخَرَى رُكْعَتَيْنِ فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَرْبَعُ رُكْعَاتٍ وَلِلْقَوْمِ رُكْعَتَيْنِ) معناه صلى بالطائفة الأولى ركعتين وسلم وسلموا وبالثانية كذلك وكان النبي -ﷺ- متنفلاً في الثانية وهم متفرضون واستدل به الشافعي وأصحابه على جواز صلاة المفترض خلف المتنفل والله أعلم^(٣)).

وهذا من حفظ الله لنبيه -عليه الصلاة والسلام-، وكذلك يدل على شجاعته وقوته -ﷺ-.

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٦/١٢٨-١٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢/٢١٤) برقم: (٨٤٣).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٦/١٢٩-١٣٠).

المبحث الثالث

غزوة بني المصطلق^(١) (المريسيه)^(٢)

غزوة بني المصطلق وهم من خزاعة، ويُقال لها غزوة المريسيه وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل، وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله -ﷺ- بلغه أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم (الحارث بن أبي ضرار)^(٣) أبو جويرية بنت الحارث، زوج رسول الله -ﷺ-، فلما سمع رسول الله -ﷺ- بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيه، من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله -ﷺ- أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه^(٤).

وكان أول موقف عدائي لبني المصطلق على المسلمين إسهامهم في جيش قريش في غزوة أحد، وبعد غزوة أحد وما أصاب المسلمين فيها من هزيمة تجرأت مرة أخرى على المسلمين كما تجرأت بعض القبائل الأخرى، ولعلها كانت تخشى انتقام المسلمين

(١) قال الحافظ ابن حجر: (المصطلق بن سعيد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، ويقال إن المصطلق لقب واسمه جذيمة بفتح الجيم بعدها ذال معجمة مكسورة). ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١٧١/٥).

(٢) بالضم ثم الفتح، وباء ساكنة ثم سين مهملة مكسورة، وباء أخرى، وآخره عين مهملة في الأشهر ورواه بعضهم بالغين معجمة، كأنه تصغير المرسوع، وهو الذي انسلقت عينه من السهر: وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل. ينظر: شهاب الدين الحموي، معاجم البلدان، مرجع سابق (١١٨/٥).

(٣) الحارث بن أبي ضرار وهو حبيب بن الحارث بن عائد بن مالك بن جذيمة، وهو المصطلق بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي المصطلق، أبو جويرية زوج النبي -ﷺ- بنت الحارث، قدم المدينة وأسلم بعد غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة للهجرة. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (٦١٧/١).

(٤) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢٩٠/٢).

منها لدورها في غزوة أحد، وكذلك كانت ترغب في أن يبقى الطريق التجاري مفتوحاً أمام قريش لا يهدده أحد لما في ذلك من مصالح لها محققة فكانت بزعامه الحارث ابن أبي ضرار تنهياً للأمر بجمع الرجال والسلاح وتأليب القبائل المجاورة ضد المسلمين، وقد أرسل الرسول -ﷺ- بريدة بن الحصيب الأسلمي للاطلاع على أحوالهم، فأظهر أنه جاء لعونهم وعرف نيتهم في الهجوم على المدينة فعاد وأخبر الرسول -ﷺ- بما يبيتون^(١).

ففي شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة خرج الرسول -ﷺ- بجيشه من المدينة نحو ديار بني المصطلق، وهذا هو الراجح والله أعلم وهو قول موسى بن عقبة -رحمته الله- حكاه عن الزهري^(٢)، والواقدي في المغازي^(٣)، وابن سعد في الطبقات^(٤)، وغيرهم، أما ابن إسحاق: فذهب إلى أنها في شعبان سنة ست للهجرة^(٥)، ويُعارض ذلك ما في الصحيحين من اشتراك سعد بن معاذ -رضي الله عنه- في حوار شديد مع سعد بن عباد -رضي الله عنه- في قضية المنافق ابن سلول الذي تزعم حادثة الإفك، وكانت عقب غزوة بني المصطلق، مع أن سعد بن معاذ -رضي الله عنه- كان استشهاده في غزوة بني قريظة عقب الخندق مباشرة، فلا يمكن أن تكون غزوة بني المصطلق إلا قبل الخندق والله أعلم، وهذا ما اختاره الحافظ ابن حجر بعد عرضه للقولين ومناقشتها^(٦).

وقد بَوَّب الإمام مسلم في صحيحه فقال: (باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام، من غير تقدم الإعلام بالإغارة) ويتضح من هذا التبويب أن رأي الإمام مسلم بجواز الإغارة على الكفار من دون إعلامهم إذا كانوا قد بلغتهم الدعوة،

(١) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٢/٢٩٠).

(٢) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/٣٥٤).

(٣) ينظر: الواقدي، المغازي، مرجع سابق (١/٤٠٤).

(٤) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٧٥).

(٥) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/٢٨٩).

(٦) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٧/٤٣٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وذكر الحديث عن (ابن عون)^(١)، قال: "كَتَبْتُ إِلَى (نَافِعٍ)^(٢) أَسْأَلُهُ عَنِ الدَّعَاءِ قَبْلَ الْقِتَالِ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، قَدْ أَغَارَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُونَ، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَهُمْ، وَسَبَى سَبْيَهُمْ"^(٣).

قال العظيم آبادي: (قوله: (أن ذلك): أي دعاء المشركين إلى الإسلام (بني المصطلق) بطن شهير من خزاعة (وهم غارون) جمع غار أي غافلون فأخذهم على غرة، والجملة حال (فقتل) أي النبي -ﷺ- (مقاتلتهم) جمع مقاتل: والتاء باعتبار الجماعة والمراد بها ههنا من يصلح للقتال وهو الرجل البالغ العاقل (وسبى سبيهم) أي نسأهم وصبيانهم، قال في السبل: الحديث دليل على جواز المقاتلة قبل الدعاء إلى الإسلام في حق الكفار الذين قد بلغتهم الدعوة من غير إنذار، وهذه أصح الأقوال الثلاثة في المسألة، وهي عدم وجوب الإنذار مطلقاً، والثاني وجوبه مطلقاً، والثالث يجب إن لم تبلغهم الدعوة ولا يجب إن بلغتهم ولكن يستحب)^(٤).

(١) عبد الله بن عون بن أربطبان، ويكنى أبا عون مولى عبد الله بن درة بن سراق المزني، وكان أكبر من سليمان التميمي، وكان عثمانياً، وكان ثقة كثير الحديث ورعاً، قيل: ولد قبل الجارف بثلاث سنين، قال بكار بن محمد: وكان ابن عون في مرضه أصبر من أسد أي ما رأيته يشكو شيئاً من علته حتى مات ولم يخلف درهماً ولا ديناراً وإنما خلف داراً في العطارين وداره التي كان يسكنها في سكة المريد، قال: ومات في رجب سنة إحدى وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٩٣/٧-١٩٩).

(٢) وهو نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، ويكنى أبا عبد الله، وكان من أهل أبرشهر، أصابه عبد الله في غزاته، وكان ثقة كثير الحديث، ومات نافع بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة، في خلافة هشام بن عبد الملك. ينظر: المرجع السابق (٣٤١/٥-٣٤٢).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٧/٨) برقم: (٨٥٣١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢ / ٣٤٦) برقم: (٢٦٣٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٨/٣) برقم: (٢٥٤١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٩/٥) برقم: (١٧٣٠).

(٤) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٣٤٦/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال الحافظ ابن حجر: (قوله: (وهم غارون) جمع غار بالتشديد أي غافل، أي أخذهم على غرة، وقوله: (وأصاب يومئذ جويرية) بالجيم مصغراً بنت الحارث بن أبي ضرار، وكان أبوها سيد قومه وقد أسلم بعد ذلك، وقد روى مسلم هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عون، وبين فيه أن نافعاً استدل بهذا الحديث على نسخ الأمر بالدعاء إلى الإسلام قبل القتال)^(١).

وقال القرطبي: (وقول نافع -وقد سئل عن الدعوة قبل القتال-: (أنها كانت في أول الإسلام)، واستدلّاه بقضية بني المصطلق؛ يفهم منه: أن حكم الدعوة كان متقدماً، وأنه منسوخ بقضية بني المصطلق، وبه تمسك من قال بسقوط الدعوة مطلقاً، ومنهم من ذهب إلى أنها واجبة مطلقاً، متمسكاً بظاهر وصية النبي -ﷺ- بذلك أمراءه، ولم تصلح عنده قضية بني المصطلق لأن تكون ناسخة لذلك؛ لأن تلك الوصايا تقعيد قاعدة عامة، وقضية بني المصطلق قضية في عين؛ ولأن الوصية قول، وقضية بني المصطلق فعل، والفعل لا ينسخ القول على ما يُعرف في الأصول، والذي يجمع بين هذه الأحاديث صريح مذهب مالك، وهو أنه قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يُدْعَوْا، ولا تلتمس غرتهم، إلا أن يكونوا ممن بلغتهم الدعوة، فيجوز أن تؤخذ غرتهم، وعلى هذا فيحمل حديث بني المصطلق: على أنهم كانوا قد بلغتهم الدعوة، وعرفوا ما يطلبه المسلمون منهم، وهذا الذي صار إليه مالك هو الصحيح؛ لأن فائدة الدّعوة أن يعرف العدو أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا، ولا للعصبية، وإنما يقاتلون للدين، وإذا علموا بذلك أمكن أن يكون ذلك سبباً مُمِلاًّ لهم إلى الانقياد للحق بخلاف ما إذا جهلوا مقصود المسلمين، فقد يظنون أنهم يقاتلون للملك، وللدنيا، فيزيدون عتوّاً، وتعصباً، وقوله: (أغار عليهم) أي: أرسل عليهم الغارة، وهي الخيل التي تغير في أول النهار، والمقاتلة: الصالحون للقتال، المطيقون له، والسبي: الذراري، والنساء.

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٢٠٣/٥).

فرع: إذا قتل من أمر بدعوته من قبل أن يُدعى، فهل على قاتله دية، أم لا؟ فذهب مالك وأبو حنيفة: إلى أنه لا دية عليه؛ لأنه حلال الدّم بأصل الكفر، ولم يتجدد من جهته ما يوجب حرمة دمه، فبقي على الأصل لعدم الناقل، ولا يصلح المنع من قتالهم قبل الدعوة موجباً لحرمتهم، كما لا يصلح ذلك موجباً لحرمة نسائهم، وأبنائهم. والله تعالى أعلم^(١).

وقال النووي: (قوله: (وَهُمْ غَارُونَ) أي غافلون، وفي هذا الحديث جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة من غير إنذار بالإغارة، وفي هذا الحديث جواز استرقاق العرب لأن بني المصطلق عرب من خزاعة وهذا قول الشافعي في الجديد وهو الصحيح وبه قال مالك وجمهور أصحابه وأبو حنيفة و(الأوزاعي)^(٢)، وجمهور العلماء، وقال جماعة من العلماء لا يسترقون وهذا قول الشافعي في القديم)^(٣).

فبني المصطلق يُعتبرون في حرب مع المسلمين منذ اشتراكهم مع قريش في غزوة أحد، كما كانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين، فبوغتوا واضطربوا ولم يتمكنوا من المقاومة طويلاً، بل إن رواية الصحيحين لا تشير إلى المقاومة، ولكن ابن إسحاق ذكر وقوع قتال على ماء المريسيع ثم انهزم بنو المصطلق وقتل بعضهم وأخذ المسلمون أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فتمت قسمة ذلك بينهم كما نقلنا ذلك مُسبقاً، وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب ممن شارك في هذه الغزوة، كما قال نافع مولى ابن عمر: (وحدثني هذا الحديث عبد الله بن عمر، وكان في ذاك الجيش)^(٤).

(١) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، مرجع سابق (٥١٧/٣).

(٢) الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين، ولد في بعلبك، كان مولده: في حياة الصحابة، سنة ثمان وثمانين للهجرة، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع، وكان عظيم الشأن بالشام، له كتاب (السنن)، و(المسائل) ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كله، توفي: سنة سبع وخمسين ومائة (١٥٧هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٠٧/٧-١١٥)، والأعلام، للزركلي (٣٢٠/٣).

(٣) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٣٦/١٢-٣٧).

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٣٩/٥) برقم: (١٧٣٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي هذه الغزوة تزوج رسول الله - ﷺ - بأُمّ المؤمنين جويرية بنت الحارث وكانت أكرم امرأة على أهلها؛ لأنَّ الصحابة أطلقوا كل الأسرى وقالوا أصهار رسول الله ﷺ، وقد ذكرنا ذلك في الحديث عن زوجاته - ﷺ -، وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرون للإسلام والمسلمين، فكلما كسب الإسلام نصراً جديداً ازدادوا غيظاً على غيظهم، وقلوبهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمون لتشتفى من الغل، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار، فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيذاء الرسول - ﷺ - في نفسه وأهل بيته فشئوا حرباً نفسية مريعة من خلال حادثة الإفك التي اختلقوها، وها هو الصحابي الشاب زيد بن أرقم - ﷺ - وهو كان حاضر وشهد على موقف من مواقف الحقد من المنافقين للرسول الله - ﷺ - وعلى أصحابه، فيقول: "كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعَمْرٍ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ - ﷺ -، فَدَعَانِي فَحَدَّثَنِي، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَمَقَّتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١)، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ - ﷺ - فَقَرَأَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ"^(٢).

(١) سورة المنافقون الآية: (١).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٠٢/١٠) برقم: (١١٥٣٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٣٩/٥) برقم: (٣٣١٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٢/٦) برقم: (٤٩٠٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٩/٨) برقم: (٢٧٧٢).

فانظر إلى هذا الخبث والحق الذي في قلوبهم، فالمؤمنون يفرحون بنصر الله، أما أهل النفاق فيغيظهم ذلك، وانظر إلى هذا السقوط الذي يسقطه صاحب النفاق ويرضى أن يكون كذاباً جباناً والعياذ بالله، ومن مؤامرتهم على الإسلام والمسلمين، في محاولتهم إثارة النعرات الجاهلية بين أوساط أهل الإسلام، وذلك لأتفه يغيظهم اتحاد كلمة المسلمين، ويحكي شاهد عيان آخر هو جابر بن عبد الله الأنصاري ما حدث عند ماء المريسي، وأدى إلى كلام المنافقين لإثارة العصبية وتمزيق وحدة المسلمين، فهذا جابر بن عبد الله يقول: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ، فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَحْطَانَ: قَدْ فَعَلُوهَا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُقُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ" (١).

قال المباركفوري: (قوله: (فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار) قال في القاموس: كسعه كمنعه: ضرب دبره بيده، أو بصدر قدمه (يا للمهاجرين) بفتح اللام، وهي للاستغاثة أي أغيثوني، وكذا قول الآخر: يا للأنصار (ما بال دعوى الجاهلية؟) أي: ما شأنها؟ وهو في الحقيقة إنكار ومنع عن قول يا لفلان ونحوه (دعوها) أي: اتركوا هذه المقالة وهي دعوى الجاهلية (فإنها منتنة) من النتن، أي أنها كلمة قبيحة خبيثة، وكذا ثبتت في بعض الروايات (أوقد فعلوها) أي: أوقعت هذه وقد فعلوها؟ وفي رواية البخاري: "قد فعلوها؟" قال الحافظ: هو استفهام بحذف الأداة، أي: أفعلوها أي الأثرة؟ شركناهم فيما نحن فيه، فأرادوا الاستبداد به علينا. وفي مرسل قتادة: "فقال رجل منهم عظيم النفاق: ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك" (لا يتحدث برفع يتحدث على الاستئناف، ويجوز الكسر على أنه جواب قوله: "دعه" (أن محمداً يقتل أصحابه) أي: أتباعه (لا تتقلب) أي: لا ترجع (حتى تقرر) من الإقرار، أي: حتى تعترف) (٢).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٣٥/٨) برقم: (٨٨١٢)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٤٢/٥) برقم: (٣٣١٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٥٤/٦) برقم: (٤٩٠٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٩/٨) برقم: (٢٥٨٤).
(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٢٠٢/٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال النووي: (قوله: (اقْتَتَلَ غُلَامَانِ) أي تضاربا، وقوله: (فَنَادَى الْمُهَاجِرُ يَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَنَادَى الْأَنْصَارِيَّ يَا لِلْأَنْصَارِ) معناه أَدْعُو الْمُهَاجِرِينَ وَأَسْتَغِيثُ بِهِمْ، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ - ﷺ - ذلك دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ كِرَاهَةٌ مِنْهُ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ مِنَ التَّعَاوُدِ بِالْقَبَائِلِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَتَعَلِّقَاتِهَا وَكَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَأْخُذُ حَقُوقَهَا بِالْعَصَبَاتِ وَالْقَبَائِلِ فَجَاءَ الْإِسْلَامُ بِإِبْطَالِ ذَلِكَ وَفَصَلَ الْقَضَايَا بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِذَا اعْتَدَى إِنْسَانٌ عَلَى آخَرٍ حَكَمَ الْقَاضِي بَيْنَهُمَا وَأَلْزَمَهُ مَقْتَضَى عَدَوَانِهِ كَمَا تَقَرَّرُ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ، قَوْلُهُ: (فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ) أَيُضْرَبُ دَبْرَهُ وَعَجِيزَتُهُ بِيَدٍ أَوْ رَجُلٍ أَوْ سَيْفٍ وَغَيْرِهِ، قَوْلُهُ - ﷺ -: (دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ) أَيُقْبِيحَةُ كَرِيهَةٌ مُؤْذِيَّةٌ، قَوْلُهُ - ﷺ -: (دَعَا لَمْ يَتَحَدَّثْ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) فِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ - ﷺ - مِنَ الْحِلْمِ وَفِيهِ تَرْكُ بَعْضِ الْأُمُورِ الْمُخْتَارَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى بَعْضِ الْمَفَاسِدِ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَنْتَرِبَ عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا، وَكَانَ - ﷺ - يَتَأَلَّفُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى جَفَاءِ الْأَعْرَابِ وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ لَتَقْوَى شَوْكَةُ الْمُسْلِمِينَ وَتَتِمَّ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ وَيَتِمَّكَانَ الْإِيمَانُ مِنْ قُلُوبِ الْمُؤَلَّفَةِ وَيَرْغَبُ غَيْرُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَكَانَ يُعْطِيهِمُ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ لِذَلِكَ وَلَمْ يَقْتُلِ الْمُنَافِقِينَ لِهَذَا الْمَعْنَى وَلِإِظْهَارِهِمُ الْإِسْلَامَ وَقَدْ أَمَرَ بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ، وَلَأنَّهُمْ كَانُوا مَعْدُودِينَ فِي أَصْحَابِهِ - ﷺ - وَيَجَاهِدُونَ مَعَهُ إِمَّا حِمِيَّةً وَإِمَّا لَطَلْبِ دُنْيَا أَوْ عَصَبِيَّةٍ لِمَنْ مَعَهُ مِنْ عَشَائِرِهِمْ، قَالَ الْقَاضِي وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ بَقِيَ حُكْمُ الْإِغْضَاءِ عَنْهُمْ وَتَرَكَ قِتَالَهُمْ أَوْ نَسَخَ ذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ وَنَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ^(١)، وَأَنَّهَا نَاسَخَةٌ لِمَا قَبْلَهَا، وَقِيلَ قَوْلُ ثَالِثٍ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ الْعَفْوُ عَنْهُمْ مَا لَمْ يَظْهَرُوا نِفَاقَهُمْ فَإِذَا أَظْهَرُوهُ قَتَلُوا ^(٢).

فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ أَوْضَحَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ الْعَصَبِيَّاتِ هِيَ مِنْ دَعَاوِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَا بَدَّ مِنْ تَرْكِهَا وَالتَّخَلُّصِ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ أُعْطِيتَا هَذِهِ الْحَادِثَةُ اهْتِمَامُهُ ﷺ الْكَبِيرُ بِسَمْعَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَوْسَاطِ الْقَبَائِلِ بِتَرْكِ مَعَاقِبَةِ الْمُنَافِقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي لَهْمٍ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَصْلَحَةِ تَأْلِيفِ الْقَبَائِلِ وَمَنْعِ الدَّعَايَةِ الَّتِي قَدْ تَنْفَرُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَقْتَصِرِ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى مَعَالِجَةِ الْمَوْقِفِ بِالْبَيَانِ وَإِنَّمَا أَمَرَ الْجَيْشَ بِالتَّحَرُّكِ لِيَشْغَلَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ.

(١) سورة التوبة الآية: (٧٣).

(٢) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٣٧/١٦-١٣٩).

المبحث الرابع

حديث الإفك

وتستمر مكائد أهل النفاق في أوساط المسلمين وطعن الجسد المسلم من الداخل، ولكن هذه المرة بطريقة خبيثة أخرى، تستهدف نور الرسالة والهدي المبارك، ليصوبوا سهامهم على عرضه الشريف، ولما كان العرب عندهم من الشهامة العظيمة والغيرة الجمة في أعراضهم أرادوا بذلك يُشككوا أهل الإسلام، ولينشغل المجتمع المسلم بمصيبة داخلية تموج بينه كموج البحار، وها هي أمنا عائشة -عليها رضوان الله- تتحدث عن هذه الحادثة بنفسها، أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير و(علقمة بن وقاص)^(١) و(عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود)^(٢)، عن حديث عائشة زوج النبي -ﷺ-، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا: فبرأها الله مما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، ذكروا، أنها قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيُّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَعَهُ، فَأَفْرَعُ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-،

(١) **علقمة بن وقاص** بن محصن بن كلدة بن عبد ياليل بن طريف بن عتورة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وقد روى عن عمر بن الخطاب، وكان ثقة قليل الحديث وله دار بالمدينة في بني ليث وله بها عقب، وتوفي علقمة بن وقاص بالمدينة في خلافة عبد الملك بن مروان. ينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، مرجع سابق (٤٤/٥-٤٥).

(٢) **عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي المدني**، الإمام، الفقيه، مفتي المدينة، وعالمها، وأحد الفقهاء السبعة، أبو عبد الله، الأعمى، وهو أخو المحدث عون، وجدهما عتبة هو: أخو عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما-، ولد: في خلافة عمر، أو بعديها، قال الواقدي: كان ثقة، عالماً، فقيهاً، كثير الحديث والعلم بالشعر، وقد ذهب بصره، وكان أعمش، وكان أحد فقهاء المدينة، ثقة، رجلاً صالحاً، جامعاً للعلم، وهو معلم عمر بن عبد العزيز، قيل: مات سنة تسع وتسعين، وقيل غير ذلك. ينظر: **الذهبي، سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق (٤٧٥-٤٧٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلْ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَبِشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَزْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَبِشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ (صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ السَّلْمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ) ^(١) قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَبِشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَاِنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَبِشَ، بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سُلُولٍ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاسْتَكْنَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا

(١) صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن فالح بن زكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور السلمي الذكواني كذا نسبه أبو عمر، يكنى أبا عمرو، أسلم قبل المريسيع وشهد المريسيع، وقال الواقدي: شهد صفوان الخندق والمشاهد بعدها وكانت الخندق سنة خمس وكان صفوان شجاعاً خيراً فاضلاً، وله دار بالبصرة، وقتل في غزوة أرمينية شهيداً، سنة تسع عشرة في خلافة عمر، قاله ابن إسحاق، وقيل: مات بالجزيرة بناحية شمشاط، ودفن هناك، وقيل: إنه غزا الروم في خلافة معاوية، فاندقت ساقه، ثم لم يزل يطاعن حتى مات، وذلك سنة ثمان وخمسين، والله أعلم. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (٣/٣١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- اللَّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَيَسْلَمُ، ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ فَذَلِكَ يَرِيْنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ وَخَرَجْتُ مَعِيَ أُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُفَّ قَرِيبًا مِنْ بَيْوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي النَّتْرَةِ، وَكُنَّا نَتَّأَذَى بِالْكُفِّ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بَيْوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَ(أُمُّ مِسْطَحٍ)^(١)، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُحْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُحْمِ قَبْلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَانِنَا، فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحُ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ، أَتَسْبِيْنَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَيُّ هُنَا هُوَ أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ قُلْتُ: أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَتِي أُرِيدُ أَنْ أَتِيَقْنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوْنِي عَلَيْكَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهِذَا؟ قَالَتْ: فَكَيْفَ تِلْكَ اللَّيْلَةُ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمٌ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَ(أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ)^(٢) حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ

(١) أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، تزوجها أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فولدت له مسطحاً من أهل بدر وهنداء، وأسلمت أم مسطح فحسن إسلامها وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك في عائشة -ﷺ-. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (١٨٢/٨).

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل، ابن عبد العزى بن امرئ القيس المولى، الأمير الكبير، حب رسول الله -ﷺ- ومولاه، وابن مولاه، أبو زيد، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو حارثة، وقيل: أبو يزيد، وقيل: إنه شهد يوم مؤتة مع والده، وقد سكن المزة مدة؛ ثم رجع إلى المدينة، فمات بها، وقيل: مات بوادي القرى، وكان شديد السواد، خفيف الروح، شاطراً، شجاعاً، ربه النبي -ﷺ- وأحبه كثيراً، وكان ممن اعتزل الفتنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٤٩٦/٢-٤٩٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

بُنْ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقُكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - (بَرِيرَةَ) ^(١) فَقَالَ: أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَتَّامُ عَنْ عَجِبِينَ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَلَى الْمُنْبَرِ، فَاسْتَعْدَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سُلُوفٍ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عَنْقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اجْتَهَلَنَاهُ الْحَمِيَّةَ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّه فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هُمَا أَنْ يَفْتَنُلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ -، قَانِمٌ عَلَى الْمُنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتْ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبْوَايَ يَطْنَانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنْتِ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذًا وَكَذًا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيُريُّكَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي

(١) بَرِيرَةُ مَوْلَاةُ عَائِشَةَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، بَيَّعَتْ لِعَائِشَةَ فَأَعْتَقَتْهَا، وَكَانَ اسْمُ زَوْجِهَا مَغِيْثًا، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي زَوْجِهَا: هَلْ كَانَ عَبْدًا أَوْ حُرًّا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (٣٧/٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -، فِيمَا قَالَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةً حَدِيثُةُ السَّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهِذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيَّةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي وَإِنِّي، وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١)، قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا، وَاللَّهُ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيَّةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِرَاعَتِي، وَلَكِنْ، وَاللَّهُ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُنْثَلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحَقَّ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُنْثَلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ -، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأكَ. فَقَالَتْ لِي أُمِّي: فُؤِمِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهُ لَا أَفُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بِرَاعَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾^(٢)، مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بِرَاعَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرِهِ: وَاللَّهُ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

(١) سورة يوسف الآية: (١٨).

(٢) سورة النور الآية: (١١).

رَجِيمٌ^(١)، قال (حَبَّانُ بْنُ مُوسَى)^(٢): قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعْهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ -ﷺ- عَنْ أَمْرِي مَا عَلِمْتَ؟ أَوْ مَا رَأَيْتَ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -ﷺ-، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أَخْذُهَا (حَمَنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ)^(٣) تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيْمَنْ هَلَكَ^(٤).

قال العظيم آبادي: (قولها: (إذا أراد سفرًا) مفهومه اختصاص القرعة بحالة السفر وليس على عمومها، بل لتعين القرعة من يسافر بها. وتجرى القرعة أيضاً فيما إذا أراد أن يقسم بين زوجاته فلا يبدأ بأيهن شاء، بل يقرع بينهما فيبدأ بالتي تخرج لها القرعة إلا أن يرضين بشيء فيجوز بلا قرعة؛ قاله الحافظ (خرج بها معه) الباء للتعدية؛ أي أخرج النبي -ﷺ- المرأة التي خرج سهمها معه -ﷺ- في السفر. واستدل بالحديث

(١) سورة النور الآية: (٢٢).

(٢) حَبَّانُ بْنُ مُوسَى بن سوار السلمي الحافظ، الإمام، الحجة، أبو محمد السلمي، المروزي، الكُشْمِينِي، وقال البخاري: مات في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١١/١٠-١١).

(٣) حَمَنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ الأُسْدِيَّة، أخت أم المؤمنين زينب وإخوتها، وكانت زوج مصعب بن عمير، فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها طلحة بن عبيد الله، وكانت من المبايعات، وشهدت أحداً، فكانت تسقي العطشى، وتحمل الجرحى، وتداويهم، وكانت تستحاض، وقال ابن سعد: أطعمها رسول الله -ﷺ- من خير ثلاثين وسقاً، وهي والددة محمد بن طلحة المعروف بالسَّجَّاد. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٨/٨٨-٨٩).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٥/٤٤٥) برقم: (٥٩٩٠)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٢/٢٠٩) برقم: (٢١٣٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٥/٢٤١) برقم: (٣١٨٠)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٣/١٤٣) برقم: (١٩٧٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٣/١٦٧) برقم: (٢٦٣٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٨/١١٢) برقم: (٢٧٧٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

على مشروعية القرعة في القسمة بين الشركاء وغير ذلك، والمشهور عن الحنفية والمالكية عدم اعتبار القرعة. قال القاضي عياض: هو مشهور عن مالك وأصحابه لأنها من باب الخطر والقمار، وحكي عن الحنفية إجازتها، انتهى^(١).

وقال السندي: (قوله: (أقرع بين نسائه) أي بينهن القرعة واجبة عند الجمهور، مستحبة عندنا لمن وجب عليه القسم، وأما النبي -ﷺ-؛ فالقسم غير واجب عليه)^(٢).

ولاشك أن هذه القصة احتوت على عبر وعظات وأحكام شرعية كثيرة، وهنا يقول النووي: (قولها: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ) هذا دليل لمالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات وفي العتق والوصايا والقسمة ونحو ذلك، وقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، قال (أبو عبيد)^(٣) عمل بها ثلاثة من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- يونس وزكريا ومحمد -ﷺ-، وفيه القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن ولا يجوز أخذ بعضهن بغير قرعة هذا مذهبنا وبه قال أبو حنيفة وآخرون وهو رواية عن مالك وعنه رواية أن له السفر بمن شاء منهن بلا قرعة لأنها قد تكون أنفع له في طريقه والأخرى أنفع له في بيته وماله، ولا شك أن المسلمين الثلاثة اشتركوا في إشاعة الإفك ولكن الدور الكبير كان للمنافقين أتباع عبد الله بن أبي بن سلول، قولها: (وَعَفِدي مِنْ جَزَعِ ظَفَّارٍ قَدْ انْقَطَعَ) أما العقد فمعروف نحو القلادة والجزع هو خرز يمانى وأما ظفار هي قرية في اليمن، قولها: (وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِي كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فحملوا هودجي فَرَحَلُوهُ عَلَى

(١) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٢/٢٠٩).

(٢) ينظر: السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (١/٦٠٨).

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، من أهل هرة، ولد وتعلم بها، وكان مؤدباً، ورحل إلى بغداد فولى القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، ورحل إلى مصر سنة ٢١٣هـ وإلى بغداد، فسمع الناس من كتبه، وحج، فتوفي بمكة، ومن كتبه "الغريب المصنف"، في غريب الحديث، ألفه في نحو أربعين سنة، وهو أول من صنف في هذا الفن. توفي سنة ٢٢٤هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٥/١٧٦-١٧٧).

بَعِيرِي) أي يجعلون الرجل على البعير وهو معنى قولها فرحلوه بتخفيف الحاء، والرهط هم جماعة دون عشرة والهودج بفتح الهاء مركب من مراكب النساء، قولها: (وَكَاَنَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ) قال أهل اللغة: يقال هبله اللحم وأهبله إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه، وفي رواية البخاري لم يثقلن وهو بمعناه وهو أيضاً المراد بقولها ولم يغشهن اللحم ويأكلن العلقة بضم العين أي القليل، ويقال لها أيضاً البلغة، قولها: (فَتَيَمَّمْتُ مَنَزْلِي) أي: قصدته، قولها: (عَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ) التعريس النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة، قولها: (ادَّلَجَ) بتشديد الدال وهو سير آخر الليل، قولها: (فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ) أي شخصه، قولها: (فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ) أي انتبهت من نومي بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون، قولها: (خَمَرْتُ وَجْهِي) أي: غطيته، قولها: (وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ) أي يخوضون فيه، قولها: (وَيُرِيْبُنِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ) يرييني بفتح أوله وضمه يقال رابه وأرابه إذا أوهمه وشككه، واللفظ بضم اللام وإسكان الطاء ويقال بفتحها معا لغتان وهو البر والرفق، قولها: (ثُمَّ يَقُولُ كَيْفَ تِيكُمُ) هي إشارة إلى المؤنثة كذلك في المذكر، قولها: (خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَفَقْتُ) والناقه هو الذي أفاق من المرض ويبرأ منه وهو قريب عهد به لم يتراجع إليه كمال صحته، قولها: (وَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ) المناصع هي مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها، قولها: (قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ) هي جمع كنيف قال أهل اللغة الكنيف السائر مطلقاً، قولها: (وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّنَزُّهِ) والتنزّه طلب النزاهة بالخروج إلى الصحراء، قولها: (فَعَثَرْتُ أُمِّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ تَعَسَ مِسْطَحُ) معناه عثر وقيل هلك وقيل لزمه الشر وقيل بعد وقيل سقط بوجهه خاصة، وهو كساء من صوف وقد يكون من غيره، قولها: (أَيُّ هَنَآءٍ) وهذه اللفظة تختص بالنداء ومعناه يا هذه، وقيل يا امرأة وقيل يا بلهاء كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشورورهم، والله أعلم، قولها: (قَلَمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا) هي الجميلة الحسنة والوضاءة الحسن ووقع في رواية بن ماهان حظية من الحظوة وهي الوجاهة وارتفاع المنزلة والضراير جمع ضرة وزوجات الرجل ضراير لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى بالغيرة والقسم وغيره، وقولها: (إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا) أي

أكثرن القول في عيبها ونقصها، قولها: (لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ) هو بالهمزة أي لا ينقطع، قولها: (وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ) أي لا أنام، قولها: (اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ) أي أبطأ ولبث ولم ينزل، قولها: (وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ) هذا الذي قاله علي -عليه السلام- هو الصواب في حقه لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي -صلى الله عليه وسلم- في اعتقاده ولم يكن ذلك في نفس الأمر لأنه رأى انزعاج النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذا الأمر وتقلقه فأراد راحة خاطره وكان ذلك أهم من غيره، قولها: (وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ تَتَأَمُّ عَنْ عَجَبِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنَ فَتَأْكُلُهُ) فقولها أغمصه أي أعيبها والداجن الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى ومعنى هذا الكلام أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلاً ولا فيها شيء من غيره إلا نومها عن العجين، قولها: (فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى الْمُنْبَرِ فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَلَلٍ) استعذر فمعناه أنه قال من يعذرني فيمن آذاني في أهلي كما بينه في هذا الحديث، ومعنى من يعذرني من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعالة ولا يلومني، وقيل معناه من ينصرني والعذير الناصر، قولها: (فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ) قال القاضي عياض هذا مشكل لم يتكلم فيه أحد وهو قولها فقام سعد بن معاذ فقال أنا أعذرك منه وكانت هذه القصة في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق ومعلوم أن سعد بن معاذ مات في إثر غزاة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك سنة أربع بإجماع أصحاب السير إلا شيئاً قاله الواقدي وحده قال القاضي قال بعض شيوخنا ذكر سعد بن معاذ في هذا وهم والأشبه أنه غيره ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير وإنما قال إن المتكلم أولاً وآخرأ أسيد بن حضير قال القاضي وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المريسيع كانت سنة أربع وهي سنة الخندق وقد ذكر البخاري اختلاف ابن إسحاق وابن عقبة، قال القاضي فيحتمل أن غزاة المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق قال القاضي وقد ذكر الطبري عن الواقدي أن المريسيع كانت سنة خمس قال وكانت الخندق وقريظة بعدها، وذكر القاضي إسماعيل الخلاف في ذلك وقال الأولى أن يكون المريسيع قبل الخندق قال القاضي وهذا لذكر سعد في قصة الإفك وكانت في المريسيع فعلى هذا يستقيم فيه ذكر سعد بن معاذ وهو الذي في

الصحيحين، وقول غير ابن إسحاق في غير وقت المريسيع أصح هذا كلام القاضي وهو صحيح، قولها: (وَلَكِنْ اجْتَهَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ) أي استخفته وأغضبته وحملته على الجهل، قولها: (فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ) أي تناهضوا للنزاع والعصبية كما قالت حتى هموا أن يقتتلوا، قوله -ﷺ-: (وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ) معناه إن كنت فعلت ذنباً وليس ذلك لك بعادة وهذا أصل اللوم، قولها: (قَلَصَ دَمْعِي) أي ارتفع لاستعظام ما يعينني من الكلام، قولها لأبويها: (أَجِيبَا عَنِّي) فيه تفويض الكلام إلى الكبار لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه وأبواها يعرفان حالها وأما قول أبويها لا ندري ما نقول فمعناه أن الأمر الذي سألتها عنه لا يقفان منه على زائد على ما عند رسول الله -ﷺ- قبل نزول الوحي من حسن الظن بها والسرائر إلى الله تعالى، قولها: (مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَجْلِسَهُ) أي ما فارقه، قولها: (فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبِرْحَاءِ) هي الشدة، قولها: (حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ) معنى ليتحدر لينصب والجمان هو الدر شبهت قطرات عرقه -ﷺ- بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن، قولها: (فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-) أي كشف وأزيل، قولها: (فَقَالَتْ لِي أُمِّي قَوْمِي فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي) معناه: قالت لها أمها قومي فاحمديه وقبلني رأسه واشكره لنعمة الله تعالى التي بشرك، فقالت عائشة ما قالت إدلالاً عليه وعتباً لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن طرائقها وجميل أحوالها وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون ولا حجة له ولا شبهة فيه، قالت وإنما أحمد ربي سبحانه وتعالى الذي أنزل براءتي وأنعم علي بما لم أكن أتوقعه كما قالت ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى، قوله عز وجل: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ) أي لا يحلفوا والألية اليمين، قولها: (أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي) أي أصون سمعي وبصري من أن أقول سمعت ولم أسمع وأبصرت ولم أبصر، قولها وهي التي كانت تساميني أي تفاخرنني وتضاهيني بجمالها ومكانها عند النبي -ﷺ- وهي مفاعلة من السمو وهو الارتفاع، قولها: (وَطَفِئَتْ أُخْتُهَا حَمْنَهُ تُحَارِبُ لَهَا) أي جعلت تتعصب لها فتحكي ما يقوله أهل الإفك، قوله: (ما كشفت من كنف أنثى قط) الكنف هنا أي ثوبها الذي يسترها وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن، قوله -ﷺ-: (أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنْاسٍ أَبْنُوا أَهْلِي) يقال أبنه يأبنه ويأبنه

بضم الباء وكسرها إذا اتهمه ورماه بخلة سوء فهو مأبون قالوا وهو مشتق من الأبن بضم الهمزة وفتح الباء وهي العقد في القسي تفسدها وتعاب بها، قوله: (حتى أسقطوا لهابه فَقَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ) معناه: صرحوا لها بالأمر ولهذا قالت سبحان الله استعظماً لذلك، وقيل أتوا بسقط من القول في سؤالها وانتهارها يقال أسقط وسقط في كلامه إذا أتى فيه بساقط وقيل إذا أخطأ فيه، قولها: (وأما المنافق عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَهُوَ الذي كان يستوشيه) أي يستخرجه بالبحث والمسألة ثم يفشيه ويشيعه ويحركه ولا ندعه بحمد والله أعلم، واعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة:

- (١) جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة عن كل واحد قطعةً مبهمَةً منه وهذا وإن كان فعل الزهري وحده فقد أجمع المسلمون على قبوله منه والاحتجاج به.
- (٢) صحة القرعة بين النساء وفي العتق وغيره مما ذكرناه في أول الحديث مع خلاف العلماء.
- (٣) وجوب الإقراع بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن.
- (٤) أنه لا يجب قضاء مدة السفر للنسوة المقيمات وهذا مجمع عليه إذا كان السفر طويلاً وحكم القصير حكم الطويل على المذهب الصحيح وخالف فيه بعض أصحابنا.
- (٥) جواز سفر الرجل بزوجه.
- (٦) جواز غزوهن.
- (٧) جواز ركوب النساء في الهودج.
- (٨) جواز خدمة الرجال لهن في تلك الأسفار.
- (٩) أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير.
- (١٠) جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان بغير إذن الزوج وهذا من الأمور المستثناة.
- (١١) جواز لبس النساء القلائد في السفر كالخضر.
- (١٢) أن من يركب المرأة على البعير وغيره لا يكلمها إذا لم يكن محرماً إلا لحاجة لأنهم حملوا الهودج ولم يكلموا من يظنونها فيه.

١٣) فضيلة الاقتصار في الأكل للنساء وغيرهن وأن لا يكثر منه بحيث يهبله اللحم لأن هذا كان حالهن في زمن النبي - ﷺ - وما كان في زمانه - ﷺ - فهو الكامل الفاضل المختار.

١٤) جواز تأخر بعض الجيش ساعة ونحوها لحاجة تعرض له عن الجيش إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع.

١٥) إعانة الملهوف وعون المنقطع وإنقاذ الضائع وإكرام ذوي الأقدار كما فعل صفوان - رضي الله عنه - في هذا كله.

١٦) حسن الأدب مع الأجنيبات لاسيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها كما فعل صفوان من إبرائه الجمل من غير كلام ولا سؤال وإنه ينبغي أن يمشي قدامها لا بجانبها ولا وراءها.

١٧) استحباب الإيثار بالركوب ونحوه كما فعل صفوان.

١٨) استحباب الاسترجاع عند المصائب سواء كانت في الدين أو الدنيا وسواء كانت في نفسه أو من يعز عليه.

١٩) تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي سواء كان صالحاً أو غيره.

٢٠) جواز الحلف من غير استحلاف.

٢١) أنه يستحب أن يستتر عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة كما كتّموا عن عائشة - رضي الله عنها - هذا الأمر شهراً ولم تسمع بعد ذلك إلا بعارض عرض وهو قول أم مسطح تعس مسطح.

٢٢) استحباب ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة.

٢٣) أنه إذا عرض عارض بأن سمع عنها شيئاً أو نحو ذلك يقلل من اللطف ونحوه لتفطن هي أن ذلك لعارض فتسأل عن سببه فتزيله.

٢٤) استحباب السؤال عن المريض.

٢٥) أنه يستحب للمرأة إذا أرادت الخروج لحاجة أن تكون معها رفيقة تستأنس بها ولا يتعرض لها أحد.

٢٦) كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا آذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه.

- (٢٧) فضيلة أهل بدر والذب عنهم كما فعلت عائشة في ذبها عن مسطح.
- (٢٨) أن الزوجة لا تذهب إلى بيت أبيها إلا بإذن زوجها.
- (٢٩) جواز التعجب بلفظ التسبيح وقد تكرر في هذا الحديث وغيره.
- (٣٠) استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقائه فيما ينوبه من الأمور.
- (٣١) جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة عن له به تعلق أما غيره فهو منهي عنه وهو تجسس وفضول.
- (٣٢) خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم.
- (٣٣) اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين من تعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به.
- (٣٤) فضائل ظاهرة لصفوان بن المعطل - رضي الله عنه - بشهادة النبي - ﷺ - له بما شهد وبفعله الجميل في إركاب عائشة - رضي الله عنها - وحسن أدبه في جملة القضية.
- (٣٥) فضيلة لسعد بن معاذ وأسيد بن حضير - رضي الله عنهما -.
- (٣٦) المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات وتسكين الغضب.
- (٣٧) قبول التوبة والحث عليها.
- (٣٨) تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار لأنهم أعرف.
- (٣٩) جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز ولا خلاف أنه جائز.
- (٤٠) استحباب المبادرة بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه بلية ظاهرة.
- (٤١) براءة عائشة - رضي الله عنها - من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين، قال ابن عباس وغيره لم تزن امرأة نبي من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهذا إكرام من الله تعالى لهم.
- (٤٢) تجديد شكر الله تعالى عند تجدد النعم.
- (٤٣) فضائل لأبي بكر - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ ^(١)، الآية.
- (٤٤) استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين.

(١) سورة النور الآية: (٢٢).

- (٤٥) العفو والصفح عن المسيء.
- (٤٦) استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات.
- (٤٧) أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه.
- (٤٨) فضيلة زينب أم المؤمنين - عليها السلام -.
- (٤٩) التثبيت في الشهادة.
- (٥٠) أن الخطبة تبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله.
- (٥١) أنه يستحب في الخطب أن يقول بعد الحمد والثناء والصلاة على النبي - عليه السلام - والشهادتين أما بعد وقد كثرت فيه الأحاديث الصحيحة.
- (٥٢) غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك.
- (٥٣) جواز سب المتعصب لمبطل كما سب أسيد بن حضير سعد بن عباد لتعصبه للمنافق وقال إنك منافق تجادل عن المنافقين وأراد أنك تفعل فعل المنافقين ولم يرد النفاق الحقيقي^(١).
- فما أجملها من فوائد نفعتني الله وإياكم بها، وهنا أم المؤمنين - عليها السلام - ذكرت أسماء الثلاثة وهم: (حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش عليها السلام)؛ لأنهم مسلمون، وما كان ينبغي أن يقعوا في حبائل المنافقين وقد عاتبهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(٢)، وكان كثير من المؤمنين على يقظة كاملة وثقة كبيرة بآل بيت النبوة، وقد أمر النبي - عليه السلام - بإقامة حد القذف على مسطح وحسان وحمنة^(٣)، أمّا عبد الله بن أبي بن سلول الذي

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٧/١٠٢-١١٨).

(٢) سورة النور الآية: (١٢).

(٣) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، مرجع سابق (٤١/٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

تولى كبر الإفك وقاد حملة الدعاية فلم يقم عليه الحد ولعل ذلك لأن إقامة الحدود فيها كفارة عن الجناة، وهو ممن توعدده الله بالعذاب العظيم في الآخرة فليس أهلاً لإقامة الحد عليه، وقيل لأن هذا المنافق كان لا يترك دليلاً ضده فلا يتكلم بالإفك أمام المؤمنين، وسبحان الله فهذه الحادثة كادت تشعل نار العصبية من جديد بين الأوس والخزرج التي انطفأت بينهم منذ بزغ نور الأيمان في المدينة المنورة، وفي هذه المرة تجادل زعماءهم بغضب في المسجد، وكان هذا هو مقصد المنافقين أن يهدموا وحدة المسلمين ويزعزعوا ثقتهم بقيادتهم، ويشعلوا نار الفتنة بينهم، ولكن الله سلم، وتمكن الرسول - عليه الصلاة والسلام - من تهدئة الجميع والحفاظ على وحدتهم والخروج من الامتحان الصعب بنجاح، وكان في تلك الحادثة تبرة فراش رسول الله - ﷺ - وصارت تلك البراءة تقرأ في كتاب الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وفي ذلك تعويضاً لأُم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن ما أصابها، ولذلك فالذين يتكلمون بالإفك اليوم هم أكثر جرماً من الذين تكلموا من قبل، فالذين تكلموا من قبل لما تكلموا كان قبل نزول القرآن بالتبرئة أما هؤلاء فيتكلمون بعد نزولها في القرآن، والذين تكلموا من قبل لما نزلت البراءة كفوا، أما هؤلاء فلازالوا ومع أن الله حذر من الرجوع إليه فقال: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)، فنسأل الله أن يعصم ألسنتنا عن أعراض المسلمين ويستر عوراتنا.

(١) سورة النور الآية: (١٧).

المبحث الخامس

غزوة الأحزاب وحفر الخندق

غزوة الخندق أو كما تعرف أيضاً بمعركة الأحزاب، هي من أهمّ الوقائع القتالية التي خاضها الرسول والمسلمون ضدّ الكفار، حيث تعتبر هذه المعركة من أخطر المعارك، كون المشركين حاصروا المسلمين في المدينة المنورة، بغرض القضاء على المسلمين عن بكرة أبيهم، وتعتبر هذه نقطة تحوّل خطيرة في سير المعارك بين المسلمين والمشركين، وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين إذ لا خلاف أن أحداً كانت في شوال سنة ثلاث، وواعد المشركون رسول الله -ﷺ- في العام المقبل، وهو سنة أربع، ثم أخفوه لأجل جذب تلك السنة، فرجعوا، فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه هذا قول أهل السير والمغازي^(١).

وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد، وعلموا بميعاد أبي سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك، ثم رجع للعام المقبل خرج أشرافهم كسلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع، وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله -ﷺ- ويؤلبونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان، فدعوهم، فاستجابوا لهم، ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف، ووافتهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت بنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة، وجاءت غطفان وقائدهم (عبيدة بن حصن)^(٢)، وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف، وهذا الحقد من اليهود كان من أسبابه ما فعله النبي -

(١) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق (٣/٢٤٠).

(٢) عبيدة بن حصن الفزاري بن حذيفة بن بدر بن عمرو من بني عيلان الفزاري، يكنى: أبا مالك، أسلم بعد الفتح، وقيل: أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح مسلماً، وشهد حنيناً أو الطائف أيضاً، وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان عبيدة في الجاهلية من الجرارين، يقود عشرة آلاف، وتزوج عثمان بن عفان ابنته. ينظر: ابن الأثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، مرجع سابق (٣١٨/٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

ﷺ - والصحابة بيهود بني النضير الذين كانوا قد نقضوا عهدهم مع رسول الله الأعظم محمد - ﷺ -، وحاولوا قتله والقضاء عليه، فحاصروهم الرسول والمسلمون بسبب خيانتهم ونقضهم العهد، وعلى إثر ذلك بدأوا بهذا الكيد للمسلمين، وبدأوا بتأليب القبائل العربية وتجميعها لأجل مهاجمة المسلمين والقضاء عليهم، فتقاطعت المصالح كلها مع بعضها البعض، حيث تجمع من معسكر المشركين كلاً من قريش وكنانة، غطفان والتي ضمت بنو مرة، وفزارة، وأشجع، بالإضافة إلى سليم، وبنو أسد، ولأجل هذا أطلق عليهم اسم الأحزاب، حيث انضم إليهم يهود بني قريظة فيما بعد في خيانة يهودية أخرى.

فلما سمع رسول الله - ﷺ - بمسيرهم إليه استشار الصحابة، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة، فأمر به رسول الله - ﷺ -، فبادر إليه المسلمون، وعمل بنفسه فيه، وبادروا هجوم الكفار عليهم، وكان في حفره من آيات نبوته، وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به، وبالفعل عمل المسلمون على حفر هذا الخندق بكل ما أتاهاهم الله من قوة، فأتوا العمل قبل وصول المشركين، وعندما وصلوا تفاجؤوا به مفاجأة كبيرة، وضربوا حصاراً على المدينة المنورة استمر قرابة شهر، وقد تعرض المسلمون خلال هذه الفترة إلى أذى كبير بسبب الجوع، والتعب، والإنهاك، وكان حفر الخندق أمام سلع، وسلع: جبل خلف ظهور المسلمين، والخندق بينهم وبين الكفار، وخرج رسول الله - ﷺ - في ثلاثة آلاف من المسلمين، فتحصن بالجبل من خلفه، وبالخندق أمامهم، وأمر النبي - ﷺ - بالنساء والذراري، فجعلوا في أطام المدينة، واستخلف عليها ابن أم مكتوم، وتعرض المسلمون خلال هذه المعركة إلى نقض آخر من قبل اليهود ولكن هذه المرة من قبل يهود بني قريظة، إذ انطلق حيي بن أخطب إلى بني قريظة فدنا من حصنهم، فأبى كعب بن أسد أن يفتح له، فلم يزل يكلمه حتى فتح له، فلما دخل عليه قال: لقد جئتكم بعز الدهر جئتكم بقريش وغطفان وأسد على قادتها لحرب محمد، قال كعب: جئتي والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء، فلم يزل به حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله - ﷺ -، ودخل مع المشركين في محاربتهم، فسر بذلك المشركون، وشرط كعب على حيي

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

أنه إن لم يظفروا بمحمد أن يجيء حتى يدخل معه في حصنه، فيصيبه ما أصابه، فأجابه إلى ذلك، ووفى له به^(١).

وقد تعامل رسول الله والمسلمون مع بني قريظة بحزم وقوة وشدة، حيث ساعد ذلك على التخفيف من وطأة انضمامهم إلى المشركين، كما استطاع جيش رسول الله أن يقطع الإمدادات التي كان يتم إرسالها من اليهود إلى جيش الأحزاب، مما أضعف موقف بني قريظة بشكل كبير، وبعد أخذ ورد لمدة طويلة نسبياً من الزمن، وبعد أن استنفذ المشركون كافة الوسائل لأجل اختراق صفوف المسلمين، وبعد عدة محاولات ناجحة من جيش المسلمين، وبعد دعاء المسلمين الله تعالى بأن ينصرهم ويدحرهم خاسئين، شنت الله تعالى تجمعهم الماكر بان أرسل عليهم الريح العاتية التي اقتلعت خيامهم، ودحرتهم عن المدينة، كما بث الله تعالى الرعب في قلوبهم، وبعد انتهاء المعركة اقتصر رسول الله والمسلمون من بني قريظة بسبب خيانتهم ومكرهم من المسلمين، وبعد هذا الاقتصار فرغت المدينة المنورة من كل اليهود الذين كانوا فيها، وصارت بكاملها للمسلمين.

وكان حصار المشركون للمدينة المنورة قد استمر شهراً، ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود، وجماعة معه أقبلوا نحو الخندق، فلما وقفوا عليه قالوا: إن هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها، ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فاقتحموه، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وطلع، ودعوا إلى المبارزة، فانتدب عمرو علي بن أبي طالب -ﷺ-، فبارزه، فقتله الله على يديه، وكان من شجعان المشركين وأبطالهم، وانهزم الباقيون إلى أصحابهم "وكان شعار المسلمين يومئذ "حم لا ينصرون"^(٢).

(١) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق (٢/ ٢٤٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٣/ ٢٤٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وجاءت الأحاديث والأخبار التي تقصّ علينا أحداث هذه الغزوة، قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى الْخَنْدَقِ فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفَرُونَ فِي عِدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ قَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ، فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا^(١).

واستمر الأنصار والمهاجرون يرددون تلك الكلمات الجميلة وتعطيهم همة كبيرة في الاستمرار على العمل، كيف لا؟ وبين جناباتهم رسول الله -ﷺ- يردد معهم ويعمل معهم، قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ وَيَقُولُونَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدًا وَالنَّبِيُّ -ﷺ- يُجِيبُهُمْ وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ^(٢).

وكان -عليه الصلاة والسلام- يحمل التراب معهم، فعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعْرَ صَدْرِهِ وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ وَهُوَ يَرْتَجِرُ بَرَجَزٍ عَبْدُ اللَّهِ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا
فَأَنْزِلْ سَكِينَةً عَلَيْنَا
إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا
يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ^(٣).

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٢٢/٦) برقم: (٦٦٠٢)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٦٦/٦) برقم: (٣٨٥٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٥/٤) برقم: (٢٨٣٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٨/٥) برقم: (١٨٠٥).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٧٤/٧) برقم: (٨٢٥٨)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (١٦٦/٦) برقم: (٣٨٥٧)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٥/٤) برقم: (٢٨٣٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٨/٥) برقم: (١٨٠٥).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٣٣/٨) برقم: (٨٨٠٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢٦/٤) برقم: (٢٨٣٧)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٨٨/٥) برقم: (١٨٠٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال المباركفوري: (قال الحافظ: وفيه أن في إنشاد الشعر تنشيطاً في العمل وبذلك جرت عادتهم في الحرب، وأكثر ما يستعملون في ذلك الرجز) ^(١).

وقال القرطبي: (وقوله: فكانوا يرتجزون ورسول الله - ﷺ - معهم؛ اختلف أصحاب العروض وعلم الشعر في أعاريض الرِّجَز هل هي من الشعر؟ والصحيح أنه من الشعر؛ لأن الشعر هو كلام موزون تُلْتَزَم فيه قوافٍ، والرِّجَز كذلك، وأيضاً: فإن قريشاً لما اجتمعوا وتراووا فيما يقولون للناس عن النبي - ﷺ -، فقال قائل: نقول: هو شاعر، فقالوا: والله لتكذبنكم العرب؛ قد عرفنا الشعر كله، هزجه، ورجزه، ومقبوضه، ومبسوطه، فذكروا الرجز من جملة أنواع الشعر، وإنما أخرجه من جنس الشعر من أشكل عليه إنشاد النبي - ﷺ - إياه، فقال: لو كان شعراً لما علمه النبي - ﷺ -؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ ^(٢)، وهذا ليس بشيء؛ لأن من أنشد القليل من الشعر، أو قاله، أو تمثل به على الدور، لم يستحق به اسم الشاعر، ولا يقال فيه: إنه تعلم الشعر، ولا ينسب إليه، ولو كان ذلك للزم أن يقال على الناس كلهم: شعراء، ويعلمون الشعر؛ لأنهم لا يَخْلُون أن يعرفوا كلاماً موزوناً مرتبطاً على أعاريض الشعر.

ثم قوله: كانوا يرتجزون ورسول الله - ﷺ - معهم، ليس فيه دليل راجح على أن النبي - ﷺ - كان المنشد، بل الظاهر منهم أنهم هم كانوا المرتجزين، وبحضرة النبي - ﷺ -، فإن الواو للحال، ورسول: مبتدأ، ومعهم: الخبر، والجملة في موضع الحال، هذا الظاهر، ويحتمل أن يكون معطوفاً على المضمرة في: يرتجزون، والله تعالى أعلم، وهذا الحديث وشبهه يُستدل به على جواز إنشاد الشعر، والاستعانة بذلك على الأعمال والتنشيط) ^(٣).

ويحفر النبي - ﷺ - الخندق ومعه الصحب الكرام فتعترضهم صخرة عظيمة، ويخرج النبي - ﷺ - ليكسرها وبطنه الشريف رابط عليها الحجر من شدة الجوع، وتحصل له من المعجزات المسليات والمثبتات ما يجعل الله في يده البركة والقوة، يقول جابر - رضي الله عنه -: "إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدَيْةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٣٥٨/).

(٢) سورة يس الآية: (٦٩).

(٣) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (١٢٠/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

- (ص) -، فقالوا: هَذِهِ كُذِيَّةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: أَنَا نَازِلٌ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ - (ص) - الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهِيلًا، أَوْ أَهِيمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِمَرَّتَيْنِ: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ - (ص) - شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ الْعَنَاقَ، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ - (ص) - وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْتَضَجَ، فَقُلْتُ: طُعِمَ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: كَمْ هُوَ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: قُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِي، فَقَالَ: قُومُوا، فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكَ جَاءَ النَّبِيُّ - (ص) - بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا، فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيَحْمَرُّ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ^(١).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (فعرضت كدية) قيل: هي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض وقيل القطعة الصماء، وقال عياض: كأن المراد أنها واحدة الكيد كأنهم أرادوا أن الكيد -وهي الجبل- أعجزهم فلجئوا إلى النبي - (ص) -، قوله: (أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر) أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي - (ص) - على بطنه حجراً من الجوع وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر، وقيل: لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر، ولأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء فلا يتحلل شيء مما في البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل، قوله: (ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً) هي جملة معترضة أوردها لبيان السبب في ربطه - (ص) - الحجر على بطنه، وقوله: (فأخذ المعول) بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الواو بعدها لام أي المسحاة، قوله: (فضرب فعاد كثيباً) أي رملاً، وقوله: (هيل أو أهيم)

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٨/٥) برقم: (٤١٠١).

شك من الراوي، والمعنى أنه صار رملاً يسيل ولا يتماسك، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً﴾^(١)، أي: رملاً سائلاً، وأما "أهيم" فقال عياض: ضبطها بعضهم بالمثلثة وبعضهم بالمتثاة وفسرها بأنها تكسرت، والمعروف بالتحسانية وهي بمعنى أهيل، وقد قال في قوله تعالى: ﴿فَشَدِيدُونَ شَرَبَ الْخَمِيرِ﴾^(٢)، المراد الرمال التي لا يرويه الماء، وقد تقدم الخلاف في تفسيرها في كتاب البيوع، وأعطى النبي -ﷺ- في حفر الخندق لكل عشرة أناس عشرة أذرع، قوله: (فقلت لامرأتي) اسمها سهيلة بنت مسعود الأنصارية، قوله: (عندي شعير) قيل: أنه صاع، قوله: (وعناق) بفتح العين المهملة وتخفيف النون هي الأنثى من المعز، وقوله: (طحنت) بفتح المهملة وفتح النون، فالذي ذبح هو جابر، وامرأته التي طحنت، قوله: (والعجين قد انكسر) أي لان ورطب وتمكن منه الخمير، قوله: (والبرمة بين الأثافي) بمتلثة وفاء أي الحجارة التي توضع عليها القدر وهي ثلاثة، قوله: (طعيم) بتشديد التحتانية على طريقة المبالغة في تحقيره، قالوا: من تمام المعروف تعجيله وتحقيره، قوله: (فقال: قوموا، فقام المهاجرون) فإن الأحاديث تدل على أنه لم يخص المهاجرين بذلك، فكأن المراد فقام المهاجرون ومن معهم، وخصهم بالذكر لشرفهم، وفي بقية الحديث ما يؤيد هذا فإنه قال: فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء رسول الله -ﷺ- بالمهاجرين والأنصار، قوله: (قالت: هل سألك؟ قال: نعم. فقال: ادخلوا) فهي أوصته أولاً بأن يعلمه بالصورة، فلما قال لها إنه جاء بالجميع ظنت أنه لم يعلمه فخاصمته، فلما أعلمها أنه أعلمه سكن ما عندها لعلمها بإمكان خرق العادة، ودل ذلك على وفور عقلها وكمال فضلها، قوله: (ولا تضاعطوا) أي لا تزدحموا، وفي الرواية التي بعدها: فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك، قوله: (ويخمر البرمة) أي يغطيها، قوله: (ثم ينزع) أي يأخذ اللحم من البرمة، قوله: (كلي هذا وأهدي) فعل أمر للمرأة من الهدية، ثم بين سبب ذلك بقوله: فإن الناس أصابتهم مجاعة، وفي رواية أخرى: كلي وأهدي، فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع، وفي رواية أخرى، عن جابر: فأكلنا نحن

(١) سورة المزمل الآية: (١٤).

(٢) سورة الواقعة الآية: (٥٥).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وأهدينا لجيراننا، فلما خرج رسول الله - ﷺ - ذهب ذلك، وقد تقدم في علامات النبوة حديث أنس في تكثير الطعام القليل أيضاً في قصة أخرى بما يغني عن الإعادة^(١).

وقد عانى الصحابة -رضوان الله عليهم- من شدة الحصار وأصابهم الجوع الشديد، ولكنهم ضربوا أروع الأمثلة في الصبر والثبات على الحق، مع قلة الزاد وشدة الخوف، قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "يُؤْتُونَ بِمِلءِ كَفِّي مِنَ الشَّعِيرِ، فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سَنَخَةٌ، تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَوْمِ، وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ، وَهِيَ بَشْعَةٌ فِي الْحَلْقِ، وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ"^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (قال يؤتون) قائل ذلك أنس بن مالك، وهو موصول بالإسناد المذكور إليه، قوله: (بملء كفي) روي بالإفراد والتثنية، (فيصنع لهم الشعير) أي يطبخ، وقوله: بإهالة: الدهن الذي يؤتد به سواء كان زيتاً أو سمناً أو شحماً، وأغرب الداودي فقال: الإهالة وعاء من جلد فيه سمن، وقوله: سنخة: أي تغير طعمها ولونها من قدمها، ولهذا وصفها بكونها بشعة، وكان يحصل لهم عند ازديادها شبيه بالغثى، وقوله: (ولها ريح منتن) يدل على أنها عتيقة جداً حتى عفنت وأنتنت)^(٣).

وكان رسول الله - ﷺ - مع الصحابة يشارك معهم في الحفر، ويربط الحجرين على بطنه الشريف كما سبق، وبه من الشدة والتعب ما الله به عليم، قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: "لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - خَمَصًا شَدِيدًا"^(٤).

قال النووي: (قوله: (رأيت النبي ﷺ خمصاً) أي رأيت ضامر البطن من الجوع)^(٥).

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٤٧٥/٧).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٢٢/٦) برقم: (٦٦٠٢)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٨/٥) برقم: (٤١٠٠).

(٣) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١٠٨/٧).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٨/٥) برقم: (٤١٠٢)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٧/٦) برقم: (٢٠٣٩).

(٥) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٨٦/١٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وقال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بَطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ حَجَرَيْنِ" (١).

قال المباركفوري: (قوله: (ورفعنا عن بطوننا) أي: وكشفنا ثيابنا عنها كشفاً صادراً (عن حجر حجر) أي: لكل منا حجر واحد ورفع عنه، فالتكرير باعتبار تعداد المخبر عنهم بذلك. قال الطيبي: عن الأولى متعلقة برفعنا على تضمين الكشف، والثانية صفة مصدر محذوف: أي كشفنا عن بطوننا كشفاً صادراً عن حجر. ويجوز أن يحمل التكرير في حجر على نوع: أي عن حجر مشدود على بطوننا فيكون بدلاً، وعادة من اشتد جوعه وخصم بطنه أن يشد على بطنه حجراً ليتقوم به صلبه، انتهى (رفع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن حجرين) قال الحافظ في الفتح: وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضم من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك، فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر. وأخرجه الترمذي في شمائله أيضاً وقال: معنى قوله: ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، كان أحدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد والضعف الذي به من الجوع) (٢).

لقد ضرب النبي -صلى الله عليه وسلم- المثل الرائع والعظيم للقائد الناجح الذي يشارك أصحابه حربهم وسلمهم، وجوعهم وشبعهم، وخوفهم وأمنهم وهو بين ظهرانيهم.

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (١٨٢/٤) برقم: (٢٣٧١). والحديث فيه ضعف، ولكن وله شواهد من حديث جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، وحديث عبد الله بن عباس، فأما حديث جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٨/٥) برقم: (٤١٠١)، وأحمد في "مسنده" (٣٠١٠/٦) برقم: (١٤٤٤٠)، والدارمي في "مسنده" (١٨٤/١) برقم: (٤٣)، والطبراني في "الكبير" (٣٠٢/٢٥) برقم: (٥١)، والطبراني في "الأوسط" (٣١٨/٣) برقم: (٣٢٧٦)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٤٤٨/١٦) برقم: (٣٢٣٦٧)، وأبو يعلى في "مسنده" (٨/٤) برقم: (٢٠٠٤). وأما حديث عبد الله بن عباس، أخرجه الطبراني في "الكبير" (٣٧٦/١١) برقم: (١٢٠٥٢).

(٢) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٢٧٦/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال ابن إسحاق: (ولما فرغ رسول الله -ﷺ- من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقي إلى جانب أحد، وخرج رسول الله -ﷺ- والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم^(١)).

وتحدث القرآن الكريم عن هذه الأحداث، وأنزل سورة عظيمة اسمها سورة الأحزاب على نفس اسم المعركة، وتحدثت بعض آياتها عن الفتنة العظيمة التي نزلت بالمسلمين فزلزوا بسببها زلزالاً عظيماً ولكن الله بفضلہ ونعمته ثبت قلوبهم وأقدامهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا^١. إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا^(٢)﴾، قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن هذه الآيات: "كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ"^(٣).

وتحدث الله سبحانه وتعالى عن ثبات أهل الإيمان لما رأوا الأحزاب فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا^(٤)﴾، وهو موقف التصديق والتسليم والثقة الكاملة في وعد الله ورسوله.

(١) ينظر: الحافظ ابن كثير، السيرة النبوية، مرجع سابق (١٩٧/٣).

(٢) سورة الأحزاب الآيات (٩-١٠-١١).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢١٦/١٠) برقم: (١١٣٣٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٩/٥) برقم: (٤١٠٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٤١/٨) برقم: (٣٠٢٠).

(٤) سورة الأحزاب الآية: (٢٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعندها ومن باب التخفيف والتقليل من الأعداء أراد النبي -ﷺ- أن يصلح غطفان على ثلث ثمار المدينة ويذهبوا عنهم خصوصاً لما طلب لك سيد غطفان الحارث الغطفاني، ولكن لما استشار زعماء الأنصار وعندما علموا أنه ليس أمر منه عليه الصلاة والسلام أو بوحى من السماء، أبوا أن يعطوهم إلا السيوف ولا يذوقون من ثمار المدينة شيئاً إلا بحقه، فعندما قال لهم رسول الله -ﷺ-: "إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّ الْحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ تَمَرِ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَامَكُمْ هَذَا، حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْحَى مِنَ السَّمَاءِ، فَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَوْ عَنْ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأَيْنَا تَبَعَ لِهَوَاكَ وَرَأْيِكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الْإِبْقَاءَ عَلَيْنَا، فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا يَنَالُونَ مِنَّا تَمَرَةً إِلَّا بِشَرِي، أَوْ قَرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: هُوَ ذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ، قَالُوا: غَدَرْتَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَا حَارِ مَنْ يَغْدِرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ	أَبَدًا فَإِنَّ مُحَمَّداً لَا يَغْدِرُ
وَأَمَانَةَ الْمَرْءِ حَيْثُ لَقِيَتْهَا	كَسْرُ الرُّجَا جَةِ صَدْعُهَا لَا يُجْبِرُ
إِنْ تَغْدِرُوا فَالْغَدْرُ مِنْ عَادَاتِكُمْ	وَاللُّؤْمُ يَنْبُتُ فِي أَصُولِ السَّخْبَرِ ^(١) .

واشتد بالمؤمنين البلاء، وخصوصاً بعد علمهم بنقض يهود بني قريظة للعهد الذي بينهم وبين النبي -ﷺ-، وخافوا على نساءهم وذريتهم لأنهم كانوا في حصن قريب منهم، فالتجأوا إلى الله بالدعاء ووجههم رسول الله -ﷺ- أن يقولوا: اللهم استر عوراتنا، قال أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه-: "قُلْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ؟ فَقَدْ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ! قَالَ: نَعَمْ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، قَالَ: فَضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجْهَ أَعْدَائِهِ بِالرَّيْحِ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالرَّيْحِ"^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" مرجع سابق (٢٨/٦) برقم: (٥٤٠٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" مجع سابق (٢٢٧٢/٥) برقم (١١٠٩٤).

المبحث السادس

دعاء رسول الله - ﷺ - على المشركين

كان ارتباط رسول الله - ﷺ - بربه شديد جداً في كل المواقف، وكان عليه الصلاة والسلام لا يفتر عن دعاء ربه واللجوء إليه وطلب السند منه والمدد والنصر وخصوصاً في الغزوات، وكما مر معنا ذلك في غزوة بدر وغزوة أحد، وفي غزوة الأحزاب لما اشتد بالمسلمين البلاء من قبل المشركين توجه رسول الله - ﷺ - يدعو عليهم، وعندما أشغله عن الصلاة بسبب محاولاتهم المستمرة لردم الخندق أو اجتيازه لدخول المدينة، والرسول - عليه الصلاة والسلام - والصحابة يمنعونهم من ذلك برميهم بالنبال والسهام من على جبل سلع، يقول علي - رضي الله عنه -: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا شَعَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ" (١). وفي لفظ تفرد به مسلم: "ثُمَّ صَلَّاهَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ" (٢).

قال المباركفوري: (قوله: (يوم الأحزاب) هي الغزوة المشهورة، يقال لها: الأحزاب والخندق، وكانت سنة أربع من الهجرة، وقيل: سنة خمس (عن صلاة الوسطى) بإضافة الصلاة إلى الوسطى، وهو من باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْسِ﴾ (٣)، وفيه المذهبان المعروفان: مذهب الكوفيين جواز إضافة الموصوف إلى صفته، ومذهب البصريين منعه ويقدرّون فيه محذوفاً وتقديره هنا: عن صلاة الصلاة الوسطى، أي عن فعل الصلاة الوسطى؛ قاله النووي. (حتى غابت الشمس) وفي رواية

(١) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١١٦/١) برقم: (٢/٤٧٢)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢١٩/١) برقم: (٣٥٦)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٥٨/١) برقم: (٤٠٩)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٩١/٥) برقم: (٢٩٨٤)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤٣٦/١) برقم: (٦٨٤)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤٣/٤) برقم: (٢٩٣١)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١١/٢) برقم: (٦٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١١/٢) برقم: (٦٢٧).

(٣) سورة القصص الآية (٤٤).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

لمسلم: "شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً"، ثم صلاها بين العشائين؛ بين المغرب والعشاء. وحديث علي هذا نص صريح في أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، وهو أصح الأقوال في هذا الباب^(١).

قال الحافظ ابن حجر: (وفيه الدعاء عليهم بأن يملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، وليس فيه الدعاء عليهم بالهزيمة، لكن يؤخذ ذلك من لفظ الزلزلة لأن في إحراق بيوتهم غاية التزلزل لنفوسهم)^(٢).

وقال القرطبي: (وقوله: شغلونا: يحتمل: أنه نسيها لشغله بالعدو، ويحتمل: أن يكونوا لم يمكنوه منها، ولم يفرغوه لفعالها، ويحتمل: أن يكون آخرها قصداً لأجل شغله بالعدو، وعلى هذا يكون هذا التأخير لأجل القتال مشروعاً، ثم نسخ بصلاة الخوف)^(٣). قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: "أَنَّ الْمُشْرِكِينَ شَغَلُوا النَّبِيَّ -ﷺ- عَنْ أَرْبَع صَلَوَاتٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَأَمَرَ بِإِلَاقَةِ فَادَنْ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعِشَاءَ"^(٤).

قال السندي: (قوله: (عن أربع صلوات يوم الخندق) لا ينافي ما تقدم لامتداد الوقعة، فيمكن أن يكون كل منهما في يوم، على أن المعنى أنهم شغلوه -ﷺ- حتى اجتمع أربع صلوات، وذلك لأن العشاء كانت في الوقت، وحينئذ يمكن أن يكون المغرب في الوقت، لكنها كانت في آخر الوقت، والعشاء في أولها، والله تعالى أعلم)^(٥).

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٧٧/٤).

(٢) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١٢٤/٦).

(٣) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٢٥٢/٢).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١٤٤/١) برقم: (٢/٦٢١)، وفي "الكبرى" مرجع

سابق (٢٣٠/٢) برقم: (١٦٠٢)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٢٠/١) برقم:

(١٧٩).

(٥) ينظر: للسندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (١٧/٢).

وهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يأت مغضباً يسب مشركي قريش لأنهم كان سبباً في ضياع صلاة العصر على المسلمين، قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كِدْتُ أُصَلِّيَ الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ، قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا. فَقُمْنَا إِلَى (بُطْحَانَ)^(١)، فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ، وَتَوَضَّأْنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ"^(٢).

قال المباركفوري: (قوله: (وجعل يسب كفار قريش) لأنهم كانوا السبب في تأخيرهم الصلاة عن وقتها، إما المختار كما وقع لعمر، وإما مطلقاً كما وقع لغيره (فنزلنا بطحان) واد بالمدينة (فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب) استدل به على عدم مشروعية الأذان للفائتة، وأجاب من اعتبره بأن المغرب كانت حاضرة ولم يذكر الراوي الأذان لها، وقد عرف من عاداته -ﷺ- الأذان للحاضرة، فدل على أن الراوي ترك ذكر ذلك لا أنه لم يقع في نفس الأمر، كيف وقد وقع في حديث ابن مسعود المذكور في الباب "فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر" الحديث)^(٣).

وقال القرطبي: (وقوله: ثم صلاها بين العشاءين المغرب والعشاء؛ ظاهر هذا أنه صلى العصر المتروكة بعد أن صلى المغرب، وليس بصحيح بدليل ما جاء في حديث جابر، قال: فصلى رسول الله -ﷺ- العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب. وهذا نص، وإنما أراد بقوله: بين العشاءين: بين وقتي العشاءين، فإن التأخير كان منه إلى أن غربت الشمس، ثم توضأ، ثم أوقعها بعد الغروب قبل أن يصلي المغرب، وقد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن أبيه: أن المشركين شغلوا

(١) بطحان: هو واد بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة، وهي العقيق وبطحان وقناة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق (٤٤٦/١).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٢٩١/١) برقم: (١/١٣٦٥)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (١٠٩/٢) برقم: (١٢٩١)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٢٢١/١) برقم: (١٨٠)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٢/١) برقم: (٥٩٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١١٣/٢) برقم: (٦٣١).

(٣) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٨٥/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

رسول الله - ﷺ - عن أربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شاء الله، فأمر بلالاً فأذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ثم أقام فصلى المغرب، ثم أقام فصلى العشاء. وبهذه الأحاديث استدلل جميع العلماء على أن من فاتته صلوات قضاها مرتبة كما فاتته إذا ذكرها في وقت واحد^(١).

وقال النووي: (قوله: (أن عمر - ﷺ -، قال: يا رسول الله، ما كدت أن أصلي العصر حتى كادت أن تغرب الشمس، فقال رسول الله - ﷺ -: فوالله إن صليتها) معناه: ما صليتها، وإنما حلف النبي - ﷺ - تطيباً لقلب عمر - ﷺ -: فإنه شق عليه تأخير العصر إلى قريب من المغرب، فأخبره النبي - ﷺ - أنه لم يصلها بعد؛ ليكون لعمر به أسوة، ولا يشق عليه ما جرى وتطيب نفسه، وأكد ذلك الخبر باليمين، وفيه دليل على جواز اليمين من غير استحلاف، وهي مستحبة إذا كان فيه مصلحة من تأكيد الأمر أو زيادة طمأنينة، أو نفي توهم نسيان أو غير ذلك من المقاصد السائغة، وقد كثرت فيه الأحاديث، قوله: (فنزلنا إلى بطحان فتوضأ رسول الله - ﷺ - وتوضأنا فصلى - ﷺ - العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب) هذا ظاهره أنه صلاهما في جماعة، فيكون فيه دليل لجواز صلاة الفريضة الفائتة جماعة، وبه قال العلماء كافة إلا ما حكاه القاضي عياض، عن (الليث بن سعد)^(٢) أنه منع ذلك، وهذا إن صح عن الليث مردود بهذا الحديث والأحاديث الصحيحة الصريحة: أن رسول الله - ﷺ - صلى الصبح بأصحابه جماعة حين ناموا عنها، كما ذكره مسلم بعد هذا بقليل، وفي هذا الحديث دليل على أن من فاتته صلاة وذكرها في وقت أخرى ينبغي له أن يبدأ بقضاء الفائتة، ثم يصلي الحاضرة، وهذا مجمع عليه، لكنه عند الشافعي وطائفة على الاستحباب، فلو صلى الحاضرة ثم الفائتة جاز، وعند مالك، وأبي حنيفة وآخرين على الإيجاب فلو قدم الحاضرة لم يصح، وقد يحتج به من يقول: إن وقت المغرب

(١) ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مرجع سابق (٢/٢٥٢).

(٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار لمصرية، أبو الحارث، مولى خالد بن ثابت بن طاعن، وأهل بيته يقولون: نحن من الفرس، من أهل أصبهان، ولا منافاة بين القولين، مولده: بقرقشندة - قرية من أسفل أعمال مصر - في سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، وكان الليث فقيه البدن، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن المذاكرة، مات الليث للنصف من شعبان، سنة خمس وسبعين ومائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٥/ ١٣٦/ ١٦٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

متسع إلى غروب الشفق؛ لأنه قدم العصر عليها، ولو كان ضيقاً لبداً بالمغرب؛ لئلا يفوت وقتها أيضاً، ولكن لا دلالة فيه لهذا القائل؛ لأن هذا كان بعد غروب الشمس بزمان بحيث خرج وقت المغرب عند من يقول: إنه ضيق، فلا يكون في هذا الحديث دلالة لهذا، وإن كان المختار أن وقت المغرب يمتد إلى غروب الشفق كما سبق إيضاحه بدلائله والجواب عن معارضتها^(١).

ودعاء النبي -ﷺ- أن يهزم الأحزاب كما قال (عبد الله بن أبي أوفى)^(٢) -ﷺ-، قال: قال رسول الله -ﷺ- يوم الأحزاب: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ وَزَلِّزْ بِهِمْ زَادًا"^(٣).

قال السندي: (قوله: (منزل الكتاب، سريع الحساب) لكونهما للفصل بين الحق والباطل يقتضيان دفع أهل الباطل وهدم بنيانهم، فينبغي التوسل بهما لذلك)^(٤).

وقال المباركفوري: (قوله: (اللهم) يعني يا الله، يا (منزل الكتاب) أي القرآن، (سريع الحساب) يعني يا سريع الحساب، إما يراد به أنه سريع حسابه بمجيء وقته، وإما أنه سريع في الحساب، (اهزم الأحزاب) فهزمهم الله تعالى بأن أرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها كما ورد في سورة الأحزاب، وهم أحزاب اجتمعوا يوم الخندق، (وزلزلهم) قال النووي: وقد اتفقوا على استحباب الدعاء عند لقاء العدو، انتهى. وقال الحافظ: المراد الدعاء عليهم إذا انهزموا أن لا يستقر لهم قرار. وقال الداودي: أراد أن تطيش عقولهم وترعد أقدامهم عند اللقاء فلا يثبتوا)^(٥).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٢٧١/٥).

(٢) عبد الله بن أبي أوفى، واسم أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم بن أفصى من خزاعة، ويكنى عبد الله أبا معاوية، وكان من أصحاب الشجرة. ولم يزل بالمدينة حتى قبض النبي -ﷺ- فتحول إلى الكوفة فنزلها حيث نزلها المسلمون وابتنى بها داراً في أسلم، وكان قد ذهب بصره، وتوفي بالكوفة سنة ست وثمانين، وقيل: أن عبد الله بن أبي أوفى آخر من مات من أصحاب النبي -ﷺ- بالكوفة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٩٨/٦-٩٩).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٢٣/٩) برقم: (١٠٣٦٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٠٤/٣) برقم: (١٦٧٨)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٨٠/٤) برقم: (٢٧٩٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤٤/٤) برقم: (٢٩٣٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٣/٥) برقم: (١٧٤٢).

(٤) ينظر: السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (١٨٣/٢).

(٥) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٢٣/٣).

المبحث السابع

بشارة رسول الله - ﷺ - بفتح الشام والمدائن واليمن

عندما واجهت الصحابة صخرة عجزوا عن كسرها أثناء حفر الخندق، فنادوا على النبي - ﷺ -؛ فضربها ثلاث ضربات ففتتها وقال إثر الضربة الأولى: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضربها الثانية، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إنني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إنني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة. وهكذا بشرهم بما سيكون من فتوح لهذه البلدان وهم محصورون في خندق يقرصهم البرد والجوع! فقال المؤمنون: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾^(١)، وأما المنافقون فقد سخروا من هذه البشارة وقالوا: ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾^(٢)، وموقف المنافقين كان يتسم بالجبن والإرجاف والتخذيل المؤمنين، وقد وردت روايات ضعيفة تحكي أقوالهم في السخرية والإرجاف والتخذيل، ولكن القرآن الكريم يتكفل بتصوير ذلك أدق تصوير والآيات هي:

﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا . وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنفَرُوا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا . أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ

(١) سورة الأحزاب الآية: (٢٢).

(٢) سورة الأحزاب الآية: (١٢).

يَسْأَلُونَكَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ^(١)، والآيات تشير إلى حالة النفاق وما تولده من القلق في النفوس والجبين في القلوب وانعدام الثقة بالله عند تعاظم الخطوب والجرأة على الله تعالى بدل اللجوء إليه عند الامتحان، ولا يقف الأمر عند الاعتقاد بل يتبعه العمل المخذل المرجف، فهم يستأذنون الرسول -ﷺ- للانصراف عن ميدان العمل والقتال بحجج واهية زاعمين أن بيوتهم مكشوفة للأعداء، وإنما يقصدون الفرار من الموت لضعف معتقدتهم وللخوف المسيطر عليهم، بل ويحثون الآخرين على ترك مواقعهم والرجوع إلى بيوتهم، ولم يراعوا عقد الإيمان وعهود الإسلام، ورغم كل تخذيل المنافقين وإرجافهم وظروف المجاعة وشدة البرد، فقد مضى المسلمون في تنفيذ مهامهم وإكمال خطة الدفاع عن المدينة ^(٢).

واستبشر أهل الإيمان بهذه البشائر النبوية لهم بالنصر والتمكين والظفر، وازدادت في قلوبهم يقيناً وثقةً بوعد الله ونصره، يقول البراء بن عازب -رضي الله عنه-: "لَمَّا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ نَحْفَرَ الْخَنْدَقَ عَرَضَ لَنَا فِيهِ حَجَرٌ لَا يَأْخُذُ فِيهِ الْمُعُولُ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- - فَأَلْقَى ثَوْبَهُ وَأَخَذَ الْمُعُولَ وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ الْآنَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَكَسَرَ ثُلُثًا آخَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ فَارِسَ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضِ الْآنَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ" ^(٣).

(١) سورة الأحزاب الآية: (١٣-٢٦).

(٢) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٢/٤٢٣-٤٢٥).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" (٨ / ١٣٣) برقم: (٨٨٠٧) وأحمد في "مسنده" (٨/٤٢٥٩) برقم: (١٨٩٩٤)، قال الحافظ ابن حجر: (إسناد حسن). ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٧/٤٥٧).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وعن رجل من أصحاب النبي -ﷺ- قال: "لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ -ﷺ- بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَفْرِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، وَوَضَعَ رِذَاءَهُ نَاحِيَةَ الْخَنْدَقِ، وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١)، فَتَدَرَّ ثُلُثُ الْحَجَرِ وَسَلَّمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ، فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بَرْقَةٌ. ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)، فَتَدَرَّ الثُّلُثُ الْآخَرُ، فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَأَاهَا سَلْمَانُ ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣)، فَتَدَرَّ الثُّلُثُ الْبَاقِي، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ رِذَاءَهُ وَجَلَسَ. قَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: يَا سَلْمَانُ، رَأَيْتَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا، وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ. قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا، وَيُغْنِمَنَا دِيَارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-. ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا، وَيُغْنِمَنَا دِيَارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِذَلِكَ. ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الْحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: عِنْدَ ذَلِكَ: دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ"^(٤).

(١) سورة الأنعام الآية: (١١٥).

(٢) سورة الأنعام الآية: (١١٥).

(٣) سورة الأنعام الآية: (١١٥).

(٤) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٢٧/١) برقم: (١/٣١٧٦)، والنسائي في

"الكبرى" مرجع سابق (٣٠٣/٤) برقم: (٤٣٧٠)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٨٦/٤)

برقم: (٤٣٠٢).

قال السندي: (قوله (حالت بينهم وبين الحفر) أي منعهم من الحفر (أخذ المعول) بكسر الميم آلة (فندر) بدال مهملة أي سقط (فبرق) من البريق بمعنى اللمعان (رفعت) على بناء المفعول أي أظهرت (ويغنمنا) من التغنيم (ويخرب) من خرب بالتشديد أو أخرج (دعوا الحبشة إلخ) أي اتركوا الحبشة والترك ما داموا تاركين لكم، وذلك لأن بلاد الحبشة وعرة وبين المسلمين وبينهم مفاوز وقفار وبحار فلم يكلف المسلمين بدخول ديارهم لكثرة التعب، وأما الترك فبأسهم شديد وبلادهم باردة والعرب وهم جند الإسلام كانوا من البلاد الحارة فلم يكلفهم دخول بلادهم، وأما إذا دخلوا بلاد الإسلام والعياذ بالله فلا يباح ترك القتال كما يدل عليه ما ودعوكم، وأما الجمع بين الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾^(١) فبال تخصيص، أما عند من يجوز تخصيص الكتاب بخبر الأحاد فواضح وأما عند غيره فلأن الكتاب مخصوص لخروج الذمي، وقيل: يحتمل أن تكون الآية ناسخة للحديث لضعف الإسلام ثم قوته، قلت: وعليه العمل والله تعالى أعلم، قيل: في الحديث حجة على من قال أنهم أماتوا ماضي يدع إلا أن يكون مرادهم قلة ورود ذلك، وقيل: يحتمل أن يكون من تصرف الرواة المولدين بالمعنى، ويحتمل أن يكون في الأصل وادعوا بالألف بمعنى سالموا وصالحوا ثم سقط الألف من بعض الرواة أو الكتاب، ويحتمل أن مجيئه لقصد المشاكلة كما روعي الجناس في قوله "واتركوا الترك ما تركوكم" والحق أنه جاء على قلة فقد قرئ في الشواذ ما ودعك بالتخفيف، وجاء في بعض الأشعار أيضاً، والله تعالى أعلم^(٢).

(١) سورة التوبة الآية: (٣٦).

(٢) عبد الله بن حوالة، ويكنى أبا حوالة، وهو من الأزدي، من بني معيص بن عامر بن لؤي، ويكنى أبا محمد، وكان يسكن الأردن، قال البخاري: له صحبة، قيل: مات سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل سنة ثمانين في الشم. ينظر: لابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٢٩٠/٧)، وينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٦٠-٥٩/٤).

وفي إشارة نبوية أخرى لفتح المسلمين الشام والعراق واليمن، فعن (عبدالله بن حوالة)^(١) - رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ. قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خَرُّ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خَيْرُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَنِبِي إِلَيْهَا خَيْرَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْتَفُوا مِنْ غَدْرِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ، وَأَهْلِهِ^(٢).

قال العظيم آبادي: (قوله: (جنوداً مجندة) أي: مختلفة، وقيل: مجتمعة، والمراد بتصويرهم فرقا ثلاثة (خر لي) أي: خر لي خير تلك الأماكن ومعناه بالفارسية يسندكن براي من بهترین ازين أمكنه (فإنها) أي الشام (خيرة الله) أي مختارته (خيرته من عباده) أي: المختارين منهم (إذا أبيتم) أي: امتنعتم من التزام الشام (فعليكم بيمينكم) أي فالزموا اليمن (من غدركم) كصرد جمع غدير وهو الحوض (توكل) أي تكفل وتضمن (لي بالشام) بأن لا يخربه بالفتنة (وأهله) أي: تكفل لي بأهل الشام بأن لا تصيبه الفتنة ولا يهلك الله بالفتنة من أقام بها)^(٣).

وعن سفيان بن أبي زهير - رضي الله عنه - أنه قال: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: تُفْتَحُ الْيَمَنُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبْسُونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبْسُونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَتُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبْسُونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"^(٤).

(١) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن النسائي، مرجع سابق (٤٣/٦).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" مرجع سابق (٣١٣/٢) برقم: (٢٤٨٣). وصححه الألباني كما في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" مرجع سابق (٢).

(٣) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٣١٣/٢).

(٤) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٥٢/٤) برقم: (٤٢٤٩)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢١/٣) برقم: (١٨٧٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٢/٤) برقم: (١٣٨٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي هذه الأحاديث والبشارات دلائل من دلائل نبوة نبينا محمد - ﷺ -؛ إذ أخبر أن هذه البلدان ستفتح وبالفعل فتحت بعضها في زمانه - عليه الصلاة والسلام - وبعضها في عهد الخلفاء الراشدين، وفي هذه الأحاديث أيضاً فوائد كثيرة، قال النووي: (قال العلماء: في هذا الحديث معجزات لرسول الله - ﷺ -؛ لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم، وأن الناس يتحملون بأهلهم إليها ويتركون المدينة، وأن هذه الأقاليم تفتح على هذا الترتيب، ووجد جميع ذلك كذلك بحمد الله وفضله، وفيه: فضيلة سكنى المدينة، والصبر على شدتها وضيق العيش بها. والله أعلم)^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: (قوله: (تفتح اليمن) قال ابن عبد البر وغيره: افتتحت اليمن في أيام النبي - ﷺ - وفي أيام أبي بكر، وافتتحت الشام بعدها، والعراق بعدها، وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي - ﷺ - وعلى ترتيبه، ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء، ولو صبروا على الإقامة بالمدينة لكان خيراً لهم، وفي هذا الحديث فضل المدينة على البلاد المذكورة، وهو أمر مجمع عليه، وفيه دليل على أن بعض البقاع أفضل من بعض، ولم يختلف العلماء في أن للمدينة فضلاً على غيرها، وإنما اختلفوا في الأفضلية بينها وبين مكة. قوله: (يبسون) قال أبو عبيد: معناه يسوقون دوابهم، والبس سوق الإبل، تقول: بس بس، عند السوق وإرادة السرعة. وقال الداودي: معناه يزجرون دوابهم فيبسون ما يطئون من الأرض من شدة السير فيصير غباراً. قال تعالى: ﴿وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾^(٢)، أي: سالت سيلاً، وقيل: معناه سارت سيراً، وقيل: معناه يزينون لأهلهم البلاد التي تفتح ويدعونهم إلى سكنائها فيتحملون بسبب ذلك من المدينة راحلين إليها، ويشهد لهذا حديث أبي هريرة عند مسلم: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ، وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"^(٣)، وعلى هذا فالذين يتحملون غير الذين يبسون، كأن الذي حضر الفتح أعجبه حسن البلد ورخاؤها فدعا قريبه إلى المجيء إليها لذلك، فيتحمل المدعو بأهله وأتباعه، قوله: (لو كانوا يعلمون) أي: بفضلها من الصلاة في المسجد النبوي وثواب الإقامة فيها وغير ذلك، ويحتمل أن يكون "لو" بمعنى ليت فلا يحتاج إلى تقدير، وعلى الوجهين ففيه تجهيل لمن فارقها وآثر غيرها، قالوا: والمراد به الخارجون من المدينة رغبة عنها كارهين لها، وأما من خرج لحاجة أو تجارة أو جهاد أو نحو ذلك فليس بداخل في معنى الحديث)^(٤).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٥٠٩/٩).

(٢) سورة الواقعة الآية: (٥).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٠/٤) برقم: (١٣٨١).

(٤) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (١٠٩/٤).

المبحث الثامن

نهاية غزوة الخندق

أقام المشركون محاصرين رسول الله - ﷺ - شهراً، ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود، وجماعة معه أقبلوا نحو الخندق، فلما وقفوا عليه قالوا: إن هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها، ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فاقتحموه، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وطلع، ودعوا إلى المبارزة، فانتدب لعمرو علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، فبارزه، فقتله الله على يديه، وكان من شجعان المشركين وأبطالهم، وانهزم الباقيون إلى أصحابهم^(١).

وقال ابن إسحاق: (وأقام رسول الله - ﷺ - وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم. قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة ابن أشجع بن ريث بن غطفان، أتى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت. فقال رسول الله - ﷺ -: "إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة"، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة قد عرفتكم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم ونسأؤهم وأموالهم بغيره، فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك

(١) ينظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق (٢٤٣/٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تتاجزوه، قالوا: لقد أشرت بالرأي، ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني، قالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: أنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم، فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنيع الله تعالى لرسوله ﷺ - أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام، هلك الخف والحافر، فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهم يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشملوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه، فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الرسول بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن تقتاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفاً قدورهم وتطرح أنيتهم^(١).

قال الدكتور/ أكرم ضياء العمري -معلقاً على هذه القصة-: (وقد ساق ابن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي أخباراً وحكايات حول دور نعيم بن مسعود الغطفاني، وأنه كان مسلماً جديداً لا تعرف قريش ويهود والأعراب بإسلامه، فقام بزرع الشك بين الأطراف المتحالفة بأمر من رسول الله -ﷺ-، فأغرى اليهود بطلب رهائن من قريش لئلا تدعهم وتتصرف عن الحصار، وقال لقريش بأن يهود إنما تطلب الرهائن لتسليمها للمسلمين ثمناً لعودتها إلى صلحهم، وهذه الروايات لا تثبت من الناحية الحديثية، ولكنها اشتهرت في كتب السيرة، وهي لا تتنافى مع قواعد السياسة الشرعية فالحرب خدعة)^(٢). قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: "سَمَى النَّبِيُّ -ﷺ- الْحَرْبَ خَدْعَةً"^(٣).

فكان هذا سبباً من أسباب هزيمتهم، ولكن أصبح من ذلك استجابة الله لدعاء النبي -ﷺ- لما دعاء عليهم بالهزيمة والزلزلة، كما قال عبد الله بن أبي أوفى -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ- يوم الأحزاب: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ

(١) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق (٢/٢٢٩-٢٣٠) من رواية ابن إسحاق بدون إسناد، والواقدي: في المغازي (٢/٤٨١-٤٨٢، ٤٨٥)، والسيرة النبوية، لابن كثير (٣/٢١٦).
(٢) ينظر: الدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٣/٤٣٠).
(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٤/٧٤) برقم: (٢٢١٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤/٦٤) برقم: (٣٠٢٩)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٥/١٤٣) برقم: (١٧٤٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وَزَلْزَلَ بِهِمْ زَادٌ^(١). فأرسل الله عليهم جنوداً من عنده، وريحاً قوية أكفأت آنيتهم واقتلعت خيامهم وقذف الله بها الرعب في قلوبهم، وهذه الريح من جند الله عز وجل التي نصر بها نبيه -ﷺ-، وتسمى بريح الصبا، فعن ابن عباس أن النبي -ﷺ- قال: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ"^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (نصرت بالصبا) ذلك وقع في غزوة الأحزاب وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٣)، كما جزم به مجاهد وغيره، وإما بأن يكون نصرها له بسبب إهلاك أعدائه فيخشى من هبوبها أن تهلك أحداً من عصاة أمته وهو كان بهم رؤوفاً رحيماً -ﷺ-، وأيضاً فالصبا تؤلف السحاب وتجمعه، فالمطر في الغالب يقع حينئذ، وقد وقع في الخبر الماضي أنه كان إذا أمطرت سري عنه، وذلك يقتضي أن تكون الصبا أيضاً مما يقع التخوف عند هبوبها فيعكر ذلك على التخصيص المذكور، والله أعلم. قوله: (بالصبا) يقال لها القبول بفتح القاف؛ لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس، وضدها الدبور وهي التي أهلكت بها قوم عاد، ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول وكون الدبور أهلكت أهل الإدبار، وأن الدبور أشد من الصبا لما سنذكره في قصة عاد أنها لم يخرج منها إلا قدر يسير ومع ذلك استأصلتهم، قال الله تعالى:

(١) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٢٣/٩) برقم: (١٠٣٦٣)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣٠٤/٣) برقم: (١٦٧٨)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٨٠/٤) برقم: (٢٧٩٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٤٤/٤) برقم: (٢٩٣٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٤٣/٥) برقم: (١٧٤٢).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٤٦/١٠) برقم: (١١٤٠٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٣٣/٢) برقم: (١٠٣٥)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٢٧/٣) برقم: (٩٠٠).

(٣) سورة الأحزاب الآية: (٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقٍ﴾^(١)، ولما علم الله رافة نبيه - ﷺ - بقومه رجاء أن يسلموا سلط عليهم الصبا فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين لما أصابهم بسببها من الشدة، ومع ذلك فلم تهلك منهم أحداً ولم تستأصلهم^(٢).

وأياً كان فقد كانت معنوية الأحزاب انهارت لطول الحصار من ناحية، ولهبوب العواصف الشديدة الباردة فقد نصر الله المسلمين بهذه الرياح، فنادى فيهم أبو سفيان بالرحيل، وما نالهم من الغزوة سوى التعب وخسارة النفقات، فأراد النبي - ﷺ - أن يتحقق من خبر القوم وما ذا فعلوا؛ فأرسل حذيفة بن اليمان - ﷺ - ليستطلع له الأخبار، فلنترك الحديث للشاهد العيان - ﷺ -، قال حذيفة: "لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. فَقَالَ: فَمَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، فَاتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ. فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذَعْرَهُمْ عَلَيَّ. فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتِيَهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَيْدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -: وَلَا تَذَعْرَهُمْ عَلَيَّ. وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَعْتُ قُرْرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: فَمَنْ يَا نَوْمَانُ"^(٣).

(١) سورة الحاقة الآية: (٨).

(٢) ينظر: للحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٦٠٤/٢).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٧٧/٥) برقم: (١٧٨٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وفي لفظ عند (البخاري)^(١): قال حذيفة -رضي الله عنه-: "..... وَقَدْ تَفَرَّقَ الْأَحْزَابُ عَنْهُ فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُمْ فَحَسَّ أَبُو سُفْيَانَ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ فِيهِمْ مَنْ غَيْرِهِمْ، فَقَالَ: لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ جَلِيسِهِ فَضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى الَّذِي عَلَى يَمِينِي فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، ثُمَّ ضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى الَّذِي عَلَى يَسَارِي، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَلَبِثْتُ هُنَيْهَةً ثُمَّ قُمْتُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-، وَهُوَ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ أَدْنِيَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيَّ مِنَ الثَّوْبِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ لِيُذِفَنِي فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: يَا ابْنَ الْيَمَانِ، أَفَعُدَّ مَا خَبَرَ النَّاسِ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي عَصْبَةِ ثُوْقُدِ النَّارِ وَقَدْ صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَرْدِ مِثْلَ الَّذِي صَبَّ عَلَيْنَا فَأَلْقَى عَلَيَّ النَّبِيُّ -ﷺ- ثَوْبَهُ فَنِمْتُ، فَقَالَ: "قُمْ يَا نَوْمَانُ"^(٢).

قال النووي: (قوله -ﷺ-: (اذهب فأنتي بخبر القوم ولا تذعرهم علي) معناه: لا تفرعهم علي ولا تحركهم علي، وقيل: معناه: لا تتفرعهم، وهو قريب من المعنى الأول، والمراد: لا تحركهم عليك؛ فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضرراً علي؛ لأنك رسولي وصاحبي، وقوله: (فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم) يعني: أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً؛ بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي -ﷺ-، وذهابه فيما وجهه له، ودعائه -ﷺ- له، واستمر ذلك اللطف به ومعاافاته من البرد حتى عاد إلى النبي -ﷺ-، فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس، وهذه من معجزات رسول الله -ﷺ-، ولفظه الحمام عربية،

(١) البخاري أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، الشيخ، الإمام، الحافظ الكبير، صاحب (المسند) الكبير، الذي تكلم على أسانيده، ولد: سنة نيف عشرة ومائتين، وقد ارتحل في الشيخوخة ناشراً لحديثه، فحدث بأصبهان عن الكبار، وببغداد، ومصر، ومكة، والرملة، وأدركه بالرملة أجله، فمات: في سنة اثنتين وتسعين ومائتين. ينظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (١٣/٥٥٤-٥٥٦).

(٢) ينظر: لأبي بكر أحمد بن عمرو البخاري، البحر الزخار المعروف بمسند البخاري، الطبعة: الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٩/١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، (٧ / ٣١٧) برقم: (٢٩١٦).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

وهو مذكر مشتق من الحميم، وهو: الماء الحار، قوله: (فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره) أي: يدفعه ويدنيه منها، وهو الصلاة بفتح الصاد والقصر، والصلاء بكسرهما والمد، قوله: (كبد القوس) هو: مقبضها، وكبد كل شيء وسطه، قوله: (فألْبَسني رسول الله - ﷺ - من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها) العبادة بالمد، والعباية بزيادة ياء لغتان مشهورتان معروفتان، وفيه جواز الصلاة في الصوف، وهو جائز بإجماع من يعتد به، وسواء الصلاة عليه وفيه، ولا كراهية في ذلك، قال العبدري من أصحابنا: وقالت الشيعة: لا تجوز الصلاة على الصوف، وتجوز فيه، وقال مالك: يكره كراهة تنزيه، قوله: (فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قم يا نومان) هو بفتح النون وإسكان الواو وهو كثير النوم، وأكثر ما يستعمل في النداء كما استعمله هنا، وقوله: (أصبحت) أي: طلع الفجر، وفي هذا الحديث: أنه ينبغي للإمام وأمير الجيش بعث الجواسيس والطلائع لكشف خبر العدو. والله أعلم^(١).

وهكذا انفض الأحزاب عن المدينة فتنفس المسلمون الصعداء ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(٢)، واستجاب الله لدعاء نبيه خلال الحصار "اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم"، وقد عبر الرسول - ﷺ - عن الآثار الخطيرة التي ترتبت على فشل الأحزاب في غزوة المدينة رغم ما حشدوه من طاقاتهم - وهو أقصى ما يستطيعون -، فعن (سليمان بن صرد)^(٣) - ﷺ -، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: "حِينَ أَجَلَى

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (١٢/٤٧٨).

(٢) سورة الاحزاب الآية: (٢٥).

(٣) سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون، ويكنى أبا مطرف، أسلم وصحب النبي - ﷺ -

وكان اسمه يسار، فلما أسلم سماه رسول الله - ﷺ - سليمان، وكانت له سن عالية وشرف في قومه، فلما قبض النبي - ﷺ - تحول فنزل الكوفة حين نزلها المسلمون، وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين، قتل في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين لما خرجوا يطلبون الثأر للحسين قتلوه أهل الشام، وكان سليمان يوم قتل ابن ثلاث وتسعين سنة. ينظر: لابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق (٤/٢١٨-٢١٩).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الْأَحْزَابَ عَنْهُ، الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ^(١). مما يدل على تغير الاستراتيجية الإسلامية من مرحلة الدفاع عن المدينة إلى مرحلة الهجوم ومما يوضح ذلك أن مسرح الأحداث انتقل من المدينة وما حولها إلى مكة والطائف ثم تبوك بعيداً عن عاصمة الإسلام "المدينة المنورة"^(٢).

ومن الدروس العظيمة التي نستفيدها من هذه الغزوة:

(١) أن الحق والباطل في صراع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي سنة من سنن الله تعالى بين البشر بهدف الإصلاح وعمارة الأرض ومن عليها؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

(٢) قد ينصر الله أهل الإسلام برأي صائب من صاحب خبرة أو حكمة، ولا يستصغر الشخص رأيه ولا يحتقره قد يكون سبب نجاة أمة.

(٣) اليقين بنصر الله تعالى للمؤمنين، وتأنيده وتثبيته لهم، وربطه على قلوبهم، وذلك تمثل عند تبشير الرسول - عَلَيْهِ السَّلَام - الصحابة - رضي الله عنهم - بفتح عواصم أكبر وأعظم الدول آنذاك، وكان ذلك في أصعب اللحظات التي مرت بالمسلمين حينها، وحين خانهم اليهود، وخذلهم المنافقون، واشتد الكرب والبلاء في نفوسهم، وبذلك يستفيد المسلم أهمية الحرص على زيادة الإيمان واليقين بالله تعالى، والصدق بما وعد به، والثبات على الدين والصراط المستقيم مهما كان حجم البلاء والهَمّ الواقع على العبد، مع الحرص على الاستعانة بالله تعالى على تفريج وكشف الهموم والغموم، وهذا كان موقف المسلمين في هذه الغزوة؛ حيث أثنى الله تعالى عليهم، فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا. مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٤).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١١٠/٥) برقم: (٤١١٠).

(٢) ينظر: للدكتور/ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مرجع سابق (٢/٤٣٠-٤٣١).

(٣) سورة البقرة الآية: (٢٥١).

(٤) سورة الأحزاب الآية: (٢٢، ٢٣).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

(٤) أيد الله تعالى الرسول الكريم مع المسلمين في غزوة الخندق بالجنود من عنده، فالجندي الأول كان نعيم بن مسعود -رضي الله عنه- الذي أسلم وقت غزوة الخندق، وكذلك أيدهم الله تعالى بالريح التي تميّزت بشدتها وقوتها وبرودتها على الكافرين، فاقتلعت خيامهم، ودمّرتها، ممّا جعلهم يعقدون العزم على الرجوع إلى ديارهم دون قتال المسلمين، وبفكّ الحصار عنهم، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(١).

(٥) أهمية الدعاء وأنه سبب عظيم من أسباب النصر.

(٦) استمرّ الحصار على المسلمين شهراً كاملاً امتحاناً واختباراً للمسلمين، وتمييزاً للصادق عن الكاذب، والمؤمن من المنافق، كما أنّ الله تعالى أراد عدم قضاء الريح على الكافرين بالكامل، أملاً بإسلامهم بعد حينٍ من الزمن، ويكون منهم أيضاً مقاتلون في جيش الإسلام، وقد كان ذلك.

(٧) القائد الناجح هو الذي يشارك أصحابه سلمهم وحربهم وأمنهم وخوفهم وجوعهم وشبعهم، وقد تمثل ذلك في نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في هذه الغزوة.

(٨) أهمية طاعة القائد وضرورة ذلك خصوصاً في وقت الحرب ويتمثل ذلك في موقف حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- في هذه الغزوة.

(٩) بركة الامتثال لأمر الله وأمر رسول -صلى الله عليه وسلم-، وكيف أن الله جعل لحذيفة بن اليمان الدفء من شدة البرد عندما أطاع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليأتي بخبر القوم.

(١) سورة الأحزاب الآية: (٢٥).

المبحث التاسع

غزوة بني قريظة

كان يهود بني قريظة قد ظاهرُوا المشركين على المسلمين ونقضوا عهد رسول الله - ﷺ - كما تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾^(١)، فأرسل رسول الله - ﷺ - - الزبير بن العوام يأتيه بخبر يهود بني قريظة، فعن عبد الله بن الزبير - ﷺ -، قال: "كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَ(عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ)^(٢) فِي النَّسَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ رَأَيْتَكَ تَخْتَلِفُ؟ قَالَ: أَوْهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِيَنِي بِخَبَرِهِمْ فَأَنْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَبُوهُ فَقَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي"^(٣).

قال السندي: (قوله: (جمع لي) أي: قال مثلاً: بأبي وأمي، أي أنت مفدى بهما، والمقصود به التشريف والتعظيم، وفيه جواز المدح في حضور الممدوح إذا كان أهلاً)^(٤).

(١) سورة الأحزاب الآية: (٢٦).

(٢) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد، وهو ربيب النبي - ﷺ -، أمه أم سلمة أم المؤمنين، ولد بالحبشة في السنة الثانية، وقيل قبل ذلك، وقبل الهجرة إلى المدينة، ويدل عليه قول عبد الله بن الزبير: كان أكبر منه بسنتين، وكان يوم الخندق هو وابن الزبير في الخندق في أطم حسان بن ثابت، ولي البحرين زمن علي، وكان قد شهد معه الجمل، مات بالمدينة سنة ثلاث وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان. ينظر: الحافظ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق (٤/٤٨٧).

(٣) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٣٣٥/٧) برقم: (٨١٥٦)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٩٨/٦) برقم: (٣٧٤٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٨٩/١) برقم: (١٢٣)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٢١/٥) برقم: (٣٧٢٠)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٢٨/٧) برقم: (٢٤١٦).

(٤) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن ابن ماجه، مرجع سابق (٥٩/١).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال المباركفوري: (قوله: (جمع لي رسول الله - ﷺ - أبويه) أي: في التقدمة" فقال: بأبي وأمي" أي: فذاك أبي وأمي، وفي هذه التقدمة تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بأمره وذلك؛ لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيبذل نفسه، أو أعز أهله له، وقد تقدم وجه الجمع بين هذا الحديث وحديث علي: ما سمعت النبي - ﷺ - جمع أبويه لأحد غير سعد بن أبي وقاص. في باب ما جاء في فذاك أبي وأمي من أبواب الآداب^(١)).

وأتى الأمر من السماء عبر أمين الوحي جبريل - عليه السلام - لتأديب يهود بني قريظة، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السَّلَاحَ وَاغْتَسَلَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الْغُبَارُ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟ فَوَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: فَأَيْنَ. قَالَ: هَا هُنَا وَأَوْمَأَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -"^(٢).

فتوجه جبريل - عليه السلام - ومن معه من الملائكة والنبي - ﷺ - والصحابة حتى رأى بعض الصحابة غبار موكبهم، قال أنس بن مالك - رضي الله عنه -: " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنَمٍ، مُوَكَّبَ جِبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ"^(٣).

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي، مرجع سابق (٣٣٣/٤).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (١٦١/١) برقم: (٢/٧٠٩)، وفي "الكبرى" مرجع سابق (٣٩٣/١) برقم: (٧٩١)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (١٥٣/٣) برقم: (٣١٠١)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٤٢٤/٤) برقم: (٢٦٩٣)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٦٥١/٤) برقم: (٣٦٩٦)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٠٠/١) برقم: (٤٦٣)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٦٠/٥) برقم: (١٧٦٩).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١١١/٥) برقم: (٤١١٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: (كأنني أنظر إلى الغبار) يشير إلى أنه يستحضر القصة حتى كأنه ينظر إليها مشخصة له بعد تلك المدة الطويلة، وبنو غنم بفتح المعجمة وسكون النون بطن من الخزرج، وهم بنو غنم بن مالك بن النجار، منهم أبو أيوب الأنصاري وآخرون، ووهم من زعم أن المراد بهم هنا بنو غنم حي من بني تغلب بفتح المثناة وسكون المعجمة فإن أولئك لم يكونوا بالمدينة يومئذ، وقوله: (ساطعاً) أي مرتفعاً^(١)).

عندها نادى النبي -ﷺ- في الصحابة بسرعة المسير إلى بني قريظة، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: قال النبي -ﷺ- لنا لما رجع من الأحزاب: "لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ. فَأَذْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يَرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ -ﷺ-، فَلَمْ يُعَفِّ وَاحِدًا مِنْهُمْ"^(٢). وفي لفظ آخر عند مسلم: "أَنْ لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الظُّهْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"^(٣).

وللجمع بين الروایتين يقول النووي: (أما جمعهم بين الروایتين في كونها الظهر والعصر، فمحمول على أن هذا الأمر كان بعد دخول وقت الظهر، وقد صلى الظهر بالمدينة بعضهم دون بعض، فقليل للذين لم يصلوا الظهر: لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة، وللذين صلوا بالمدينة: لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة، ويحتمل أنه قيل للجميع: ولا تصلوا العصر ولا الظهر إلا في بني قريظة، ويحتمل أنه قيل للذين ذهبوا أولاً: لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة، وللذين ذهبوا بعدهم: لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة. والله أعلم. وأما اختلاف الصحابة -رضي الله عنهم- في المبادرة

(١) ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق (٣٥٧/٦)، و(٤٧١/٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" مرجع سابق (١٥/٢) برقم: (٩٤٦)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٦٢/٥) برقم: (١٧٧٠).

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" مرجع سابق (١٦٢/٥) برقم: (١٧٧٠).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

بالصلاة عند ضيق وقتها، وتأخيرها، فسببه أن أدلة الشرع تعارضت عندهم بأن الصلاة مأمور بها في الوقت، مع أن المفهوم من قول النبي -ﷺ-: (لا يصلين أحد الظهر أو العصر إلا في بني قريظة) المبادرة بالذهاب إليهم، وأن لا يشتغل عنه بشيء، لا أن تأخير الصلاة مقصود في نفسه من حيث إنه تأخير، فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم نظراً إلى المعنى لا إلى اللفظ، فصلوا حين خافوا فوت الوقت، وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته فأخروها، ولم يعنف النبي -ﷺ- واحداً من الفريقين؛ لأنهم مجتهدون، ففيه: دلالة لمن يقول بالمفهوم والقياس، ومراعاة المعنى، ومن يقول بالظاهر أيضاً، وفيه أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله باجتهاده إذا بذل وسعه في الاجتهاد، وقد يستدل به على أن كل مجتهد مصيب، وللقائل الآخر أن يقول لم يصرح بإصابة الطائفتين، بل ترك تعنيفهم، ولا خلاف في ترك تعنيف المجتهد وإن أخطأ إذا بذل وسعه في الاجتهاد. والله أعلم^(١).

قال ابن اسحاق: (حاصرهم رسول الله -ﷺ- خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا بأن رسول الله -ﷺ- غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتُم قالوا: وما هي؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقّه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دماءكم وأموالكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا أبيتم علي هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٤٤٣/١٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا، إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ؟ قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً^(١).

فلما اشتد عليهم الحصار، وقذف الله الرعب في قلوبهم نزلوا على حكم سعد بن معاذ -رضي الله عنه-، فأرسل له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه-: "نَزَلَ أَهْلُ فُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: قُومُوا إِلَيَّ سَيِّدُكُمْ، أَوْ خَيْرُكُمْ. فَقَالَ: هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ. فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذُرَارِيَهُمْ، قَالَ: قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ. وَرُبَّمَا قَالَ: بِحُكْمِ الْمَلِكِ"^(٢).

قال العظيم أبادي: (قد أورد المؤلف في هذا الباب حديثين دالين على جواز القيام ثم ترجم بعد عدة أبواب بلفظ باب الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك، وأورد فيه حديثين يدلان على النهي عن القيام، فكأنه أراد بصنيعه هذا الجمع بين الأحاديث المختلفة في جواز القيام وعدمه بأن القيام إذا كان للتعظيم مثل صنيع الأعاجم فهو منهي عنه، وإذا كان لأجل العلم والفضل والصلاح والشرف والود والمحبة فهو جائز. وقال النووي في الأذكار: وأما إكرام الداخل بالقيام فالذي نختاره أنه مستحب لمن كان فيه فضيلة ظاهرة من علم أو صلاح أو شرف أو ولاية ونحو ذلك، ويكون هذا القيام للبر والإكرام

(١) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٥١٠/١).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٤٠٢/٥) برقم: (٥٩٠٥)، وأبو داود في "سننه"

مرجع سابق (٥٢٢/٤) برقم: (٥٢١٥)، والبخاري في "صحيحه" مرجع سابق (٦٧/٤) برقم:

(٣٠٤٣)، ومسلم في "صحيحه"، مرجع سابق (١٦٠/٥) برقم: (١٧٦٨).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

والاحترام لا للرياء والإعظام، وعلى هذا استمر عمل السلف والخلف، وقد جمعت في ذلك جزءا جمعت فيه الأحاديث والآثار وأقوال السلف وأفعالهم الدالة على ما ذكرته، وذكرت فيه ما خالفها وأوضحت الجواب عنه فمن أشكل عليه من ذلك شيء ورغب في مطالعته رجوت أن يزول إشكاله انتهى كلامه^(١).

وكان سعد بن معاذ -رضي الله عنه- قد أصيب في أكله في غزوة الخندق فكوى النبي -صلى الله عليه وسلم- جرحه رجاء أن يشفى، وكان يهود بني قريظة حلفاء للأوس، فلما نقضوا العهد دعاء سعد بن معاذ ربه أن لا يميته حتى يشفي غليله من هؤلاء الخونة، وبعد حكمه فيهم استجابة الله دعوته فقبضه إليه، أخبر بذلك جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، فقال: "رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْلِهِ، قَالَ: فَحَسَمَهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- بِيَدِهِ بِمَشْقَصٍ، ثُمَّ وَرِمَتْ فَحَسَمَهُ النَّبِيُّ"^(٢). وفي لفظ الإمام الترمذي قال جابر -رضي الله عنه-: "رُمِيَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَطَعُوا أَكْلَهُ أَوْ أَبْجَلَهُ، فَحَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِالنَّارِ فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ فَتَرَكَهُ فَتَزَفَهُ الدَّمَ، فَحَسَمَهُ أُخْرَى، فَانْتَفَخَتْ يَدُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَاسْتَمْسَكَ عِرْقُهُ فَمَا قَطَرَ قَطْرَةً حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَحَكَمَ أَنْ يُقْتَلَ رِجَالُهُمْ وَتُسْتَحْيَى نِسَاؤُهُمْ يَسْتَعِينُ بِهِنَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: أَصَبْتَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ. وَكَانُوا أَرْبَعَ مِائَةٍ فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ قَتْلِهِمْ انْفَتَقَ عِرْقُهُ فَمَاتَ"^(٣).

(١) ينظر: العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، مرجع سابق (٤/٤٢٢).

(٢) أخرجه النسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٨/٥٤) برقم: (٨٦٢٦)، وأبو داود في "سننه" مرجع سابق (٤/٤) برقم: (٣٨٦٦)، والترمذي في "جامعه" مرجع سابق (٣/٢٣٨) برقم: (١٥٨٢)، وابن ماجه في "سننه" مرجع سابق (٤/٥٣٥) برقم: (٣٤٩٤)، ومسلم في "صحيحه" مرجع سابق (٧/٢٢) برقم: (٢٢٠٨).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٣/٢٣٨) برقم: (١٥٨٢).

قال المباركفوري: (قوله: (رمي يوم الأحزاب) أي يوم غزوة الخندق (أكمله) أي أكمل سعد، والأكل عرق في وسط الذراع يكثر فصدّه (أو) للشك (أجله) الأجل بالموحدة والجيم عرق في باطن الذراع (فحسمه رسول الله - ﷺ - بالنار) أي قطع الدم عنه بالكي (فنزفه) أي خرج منه دم كثير حتى ضعف (فحسمه أخرى) أي مرة أخرى (فلما رأى ذلك) أي فلما رأى سعد عدم قطع الدم (اللهم لا تخرج نفسي) من الإخراج (حتى تقر عيني) من الإقرار وهو من القر بمعنى البرد. والمعنى: لا تميتني حتى تجعل قرة عيني من هلاك بني قريظة (فحكم أن تقتل رجالهم وتستحيى نساؤهم) وفي حديث أبي سعيد عند الشيخين: فإني أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم (يستعين بهن المسلمون) أي تقسم نساؤهم بين المسلمين فيستعينون بهن ويستخدمون منهن (وكانوا أربعمئة) اختلف في عدتهم فعند ابن إسحاق أنهم كانوا ستمائة وبه جزم أبو عمر بن عبد البر في ترجمة سعد بن معاذ، وعند ابن عائد من مرسل قتادة كانوا سبعمئة، وفي حديث جابر هذا كانوا أربعمئة فيجمع أن الباقيين كانوا أتباعاً. وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل: إنهم كانوا تسعمائة (انفتق عرقه) أي انفتح. وفي الحديث دليل على أنه يجوز نزول العدو على حكم رجل من المسلمين ويلزمهم ما حكم به عليهم من قتل أو أسر واسترقاق. قال ابن إسحاق: فخذقوا لهم خنادق فضربت أعناقهم فجرى الدم في الخندق وقسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، وأسهم للخيل، فكان أول يوم وقعت فيه السهمان لها^(١).

وقال النووي "قوله: (نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ) فيه جواز التحكيم في أمور المسلمين وفي مهماتهم العظام، وقد أجمع العلماء عليه، ولم يخالف فيه إلا الخوارج؛ فإنهم أنكروا على علي التحكيم، وأقام الحجة عليهم، وفيه جواز مصالحة أهل قرية أو حصن على حكم حاكم مسلم عدل صالح للحكم أمين على هذا الأمر، وعليه

(١) ينظر: المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، مرجع سابق (٣٩١/٢).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

الحكم بما فيه مصلحة للمسلمين، وإذا حكم بشيء لزم حكمه، ولا يجوز للإمام ولا لهم الرجوع عنه، ولهم الرجوع قبل الحكم. والله أعلم. قوله: (فأرسل رسول الله -ﷺ- إلى سعد، فأتاه على حمار، فلما دنا قريباً من المسجد) قال القاضي عياض: قال بعضهم: قوله: (دنا من المسجد) كذا هو في البخاري ومسلم، وأراه وهما إن كان أراد مسجد النبي -ﷺ-؛ لأن سعد بن معاذ جاء منه، فإنه كان فيه كما صرح به في الرواية الثانية، وإنما كان النبي -ﷺ- حين أرسل إلى سعد نازلاً على بني قريظة، ومن هناك أرسل إلى سعد ليأتيه، فإن كان الراوي أراد مسجداً اختطه النبي -ﷺ- هناك كان يصلي فيه مدة مقامه لم يكن وهما، قال: والصحيح ما جاء في غير صحيح مسلم، قال: فلما دنا من النبي -ﷺ-، أو فلما طلع على النبي -ﷺ-، كذا وقع في كتاب ابن أبي شيبة وسنن أبي داود، فيحتمل أن المسجد تصحيف من لفظ الراوي. والله أعلم. قوله -ﷺ-: (قوموا إلى سيدكم أو خيركم) فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا، هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام، قال القاضي: وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس، ويمثلون قياماً طول جلوسه، قلت: القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح، وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزء وأجبت فيه عما توهم النهي عنه. والله أعلم. قال القاضي: واختلفوا في الذين عناهم النبي -ﷺ- بقوله: (قوموا إلى سيدكم) هل هم الأنصار خاصة، أم جميع من حضر من المهاجرين معهم؟. قوله -ﷺ- لسعد بن معاذ: (إن هؤلاء نزلوا على حكمك)، وفي الرواية الأخرى: (قال: فنزلوا على حكم رسول الله -ﷺ-)، فرد رسول الله -ﷺ- الحكم فيهم إلى سعد) قال القاضي: يجمع بين الروایتين بأنهم نزلوا على حكم رسول الله -ﷺ- فرضوا برد الحكم إلى سعد، فنسب إليه، قال: والأشهر أن الأوس طلبوا من النبي -ﷺ- العفو عنهم؛ لأنهم كانوا حلفاءهم، فقال لهم النبي -ﷺ-: أما ترضون أن يحكم

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

فيهم رجل منكم؟ يعني من الأوس -يرضيهم بذلك- فرضوا به، فرده إلى سعد بن معاذ الأوسي. قوله: (وسبي ذريتهم) سبق أن الذرية تطلق على النساء والصبيان معاً. قوله -ﷺ-: (لقد حكمت بحكم الملك) الرواية المشهورة: (الملك) بكسر اللام، وهو الله سبحانه وتعالى، وتؤيدها الروايات التي قال فيها: (لقد حكمت فيهم بحكم الله) قال القاضي: رويناه في صحيح مسلم بكسر اللام بغير خلاف. قال: وضبطه بعضهم في صحيح البخاري بكسرها وفتحها، فإن صح الفتح فالمراد به جبريل ﷺ، وتقديره بالحكم الذي جاء به الملك عن الله تعالى^(١).

وبدأ الصحب الكرام بتنفيذ الحكم على يهود بني قريظة، فعن كثير بن السائب -ﷺ-، قال: "حَدَّثَنِي ابْنَا قُرَيْظَةَ أَنَّهُمْ عُرِضُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَمَنْ كَانَ مُحْتَلَمًا، أَوْ نَبَتَ عَانَتُهُ قَتْلَ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ احْتَلَمَ، أَوْ نَبَتَ عَانَتُهُ تَرَكَ"^(٢).

قال السندي: (قوله: (ومن لم يكن محتلماً إلخ) أخذ منه أن غير البالغ لا عبرة بطلاقه إذ لا عبرة بكفره وهو أشد من الطلاق، والله تعالى أعلم)^(٣).

(١) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق (٤٣٨/١٢).

(٢) أخرجه النسائي في "المجتبى" مرجع سابق (٦٧٧/١) برقم: (١/٣٤٢٩)، والنسائي في "الكبرى" مرجع سابق (٢٦٤/٥) برقم: (٥٥٩٣).

(٣) ينظر: السندي، شرح السندي على سنن النسائي، مرجع سابق (١٥٥/٦).

ومما يستفاد من غزوة بني قريظة:

(١) الثبت من الأخبار والإشاعات التي تنتشر، فالنبي -ﷺ- أرسل الزبير وغيره ليتثبتوا من خبر يهود بني قريظة هل لا زالوا على العهد أم نقضوا؟ وهكذا هي أخلاق أهل الإسلام.

(٢) اليهود أهل غدر وخيانة وقوم بهت، فليس لهم عهد ولا ميثاق، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

(٣) تعلمنا الغزوة أدب الخلاف الناتج عن اختلاف الأفهام والآراء، فالصحاباء -رضي الله عنهم- منهم من صلى العصر في الطريق خشية أن يفوتهم وقتها، ومنهم من لم يصلها إلا في بني قريظة، فكل فريق منهم فهم من رسول الله -ﷺ- فهماً وبني عليه حكماً فلم يعنف النبي -ﷺ- واحدة من الطائفتين؛ ولهذا فإن العلماء قد يختلفون وتتباين آراؤهم في المسألة الواحدة لكل منهما دليل ومستند فلا يجوز حينئذ أن نتعصب لهذا الرأي أو ذاك وهذا الاختلاف إنما يكون غالباً في المسائل الفقهية الاجتهادية أما مسائل العقيدة وأمور التوحيد فإنها أصول ثابتة لا خلاف فيها ولا يجوز الاختلاف عليها.

(٤) هذه الغزوة أظهرت محاسن الإسلام وأخلاقياته في الحرب؛ فالنبي ﷺ لم يقتل من يهود بني قريظة إلا الرجال وأما النساء والأطفال الذين لا علاقة لهم بالحرب والقتال فلم يتعرض لهم بسوء.

(٥) حسن امتثال الصحابة الكرام لأمر النبي -ﷺ- والتعجيل في المسير إلى يهود بني قريظة، وهذه رسالة لنا أن نكون مثلهم في الامتثال لأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ.

(٦) المؤمن لا يحابي ولا يجمال أحداً من أعداء الله الذين لا يحترمون العهد والميثاق والذين ينصبون العداوة والأذية لأهل الإسلام ولو كان بينه وبينهم صداقة أو غيرها، ويتمثل ذلك في حكم سعد بن معاذ على يهود بني قريظة.

(١) سورة البقرة الآية: (١٠٠).

الخاتمة

أولاً: النتائج:

- أن كتب السنن الأربعة قد حوت الكثير من سيرة النبي -ﷺ- الصحيحة فجزاها الله عنا كل خير.
- أن السيرة النبوية الصحيحة مليئة بالأحداث العظيمة التي لا بد أن تستفيد منها الأمة في حياتها اليومية لتطبيقها واقعاً عملياً، ولن يكون ذلك لها إلا باستخراجها من مصادرها الموثوقة.
- هناك جهود عظيمة قام بها العلماء قديماً وحديثاً لحفظ سيرة رسول الله -ﷺ- واهتموا بها شرحاً وتدریساً ونشراً.

ثانياً: التوصيات:

- يوصي الباحث بإكمال هذا المشروع واستخراج مرويات السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة من غزوة بني قريظة إلى وفاة النبي -ﷺ-.
- يوصي الباحث الباحثين بضرورة استخراج مرويات سيرة رسول الله -ﷺ- الصحيحة من أمهات كتب الحديث كمسند الإمام أحمد.
- الاهتمام بجهود العلماء قديماً الذين خدموا الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية ونقل جهودهم وتوضيحها للأجيال القادمة.
- استخراج الأحاديث الضعيفة والقصص الموضوعة التي جاءت في بعض كتب الحديث والسيرة وتنبيه الأمة منها، وخصوصاً بعض القصص التي أدخلها ونشرها بعض من يريد الطعن في سيرة النبي -ﷺ- وفي سيرة أصحابه، مثل (قصة مدح النبي -ﷺ- لأصنام كفار قريش).
- نشر جهود علماء الحديث وحسن اهتمامهم بالحديث النبوي بشكل خاص، والسيرة النبوية الصحيحة بشكل عام.

وختاماً فهذا جهدٌ مُقلٍ، وهو عمل بشري وبطبيعته فلن يسلم من الخطأ والنقص ولكن نرجو من الله تمامه وحسنه، وحسبي أنه حوى سيرة خير البشرية وأزكي البرية عليه (الصلوة والسلام)، وجزى الله خيراً من نبهنا وأكمل لنا نقصنا.

وجزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم، وشكر الله لكم حسن متابعتكم.

،،،،، والحمد لله رب العالمين،،،،،

الفهارس

- على النحو الآتي:

أ- فهرس الآيات القرآنية بحسب ترتيبها في القرآن الكريم.

ب- فهرس الأحاديث النبوية بحسب ذكرها في الرسالة.

ج- فهرس الأعلام وترتيبه ترتيباً أبجدياً.

د- فهرس المصادر والمراجع، بذكر اسم الكتاب، ثم المؤلف، ثم

عدد الطبعة، ثم بلاد النشر والطباعة، ودار النشر

والطباعة، وسنة الطباعة.

فهرس الآيات القرآنية^(١)

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلِيطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾	٧٤	٣٤٢ ، ١٩٨
﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ... ﴾	٨٩	١١٣
﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ... ﴾	١٠٠	٤٧٦
﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾	١٢٥	١٠٧ ، ١٠٦
﴿ سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ اللَّيَّ كَانُوا عَلَيْهَا ﴾	١٤٢	٢٤٩
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾	١٤٣	٢٥٢
﴿ قَدْ زَرَى ثَقَلَبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾	١٤٤	٢٥١
﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾	١٤٦	١١٢
﴿ وَلَا يُتِمُّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	١٥٠	٢٥٣
﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾	١٥٥	٢٦٥
﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾	١٥٦	٢٦٤
﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾	١٥٨	١١٦
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾	٢١٦	٢٧٦
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ... ﴾	٢١٧	٢٩٠
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٢١٨	٢٩٠
﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٤٤	٢٧٧
﴿ وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾	٢٥١	٤٦٥
﴿ تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾	٢٥٣	٦٥

(١) بحسب ترتيبها في القرآن الكريم.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	١١١
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾	٩٦	٩٤
﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾	٩٧	١٠٦
﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ لِلْقِتَالِ﴾	١٢١	٣٧٩
﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾	١٢٢	٣٥٣
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾	١٢٨	٣٩٣ ، ٣٦٣
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾	١٤٤	٦٩
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ﴾	١٥٩	١٦٦
﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	١٥٩	٣٠١
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ...﴾	١٦٦ ، ١٦٧	٣٥٠
﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ...﴾	١٧٩	٣٥٣
سورة النساء		
﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾	١٨	١٦٠
﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى﴾	٣٣	٢٣٦
﴿فَمَا لَكُمْ فِي النَّفَقِينَ فَتَتَيْنِ﴾	٨٨	٣٥٢

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾	٢٤	٣٠٢
﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾	٦٧	١٣٦
سورة الأنعام		
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾	١١٥	٤٥٤
﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾	١٢١	٣٣٩
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾	١٥٨	٣٦٧
سورة الأعراف		
﴿يَنْبَغِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	٣١	٥٠ ، ٥١ ، ٥٢
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾	١٥٧	١١٣
﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٥٨	١١٠
سورة الأنفال		
﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾	٧	٣١٠
﴿وَإِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾	٩	٣١٢
﴿وَإِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ...﴾	١٢	٣١٥
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾	٣٠	٢١٥

السيرة النبوية من كتب السنة الأربعة

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة - الآية
٣٦	٣٤٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾
٣٨	٧٣	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾
٤١	٣١٥	﴿ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ ﴾
٧٥	٢٣٧ ، ٢٣٧	﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ﴾
٦٩-٦٧	٣٣١	﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْتَرِيَ فِي الْأَرْضِ ﴾
سورة التوبة		
١٩	٦٢	﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٣٣	٧٣	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾
٣٩ ، ٣٨	٢٧٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ... ﴾
٤١	٢٧٧	﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٤٢	٢٧٧	﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾
٥٥	٤٠٦	﴿ فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ... ﴾
٧٣	٤٢٠	﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾
١٠٠	٣٨٩ ، ١٣١	﴿ وَالسَّيِّقُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾
١٠١	١٩٣ ، ١٩٠	﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾
١٠٧	٢٢٦	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾

السيرة النبوية من كتب السنة الأربعة

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَا نَقُتُّ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾	١٠٨	٢٢٦ ، ٢٢٧
﴿ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ... ﴾	١٠٩ ، ١١٠	٢٢٧
﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾	١١١	٢١٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠
﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى ﴾	١١٣	١٥٩ ، ١٦١
﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾	١٢٠	١٩٠ ، ١٩٣
سورة يونس		
﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾	٤	١٨٣
سورة يوسف		
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾	١٨	٤٢٥
﴿ ثُمَّ بَاقِيَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْسِنُونَ ﴾	٤٨	٣٩٤
﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾	٥٥	٢٤٨
سورة النحل		
﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ﴾	٧٦	٩٠
﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	٢١٩

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْنَاءِ﴾	١	١٧٤
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	٢٧٤
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾	٤٤	٣٤٢ ، ١٩٨
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾	٥٧	١٧٣
﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقْنَاهُ﴾	١٠٦	١٠٣
سورة الكهف		
﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرِ﴾	٦٣	١٩٨
سورة مريم		
﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾	٧٧	١٤٠
سورة الأنبياء		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	١٦٧ ، ١٦٦
سورة الحج		
﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾	١٩	٣١٧
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾	٤٠ ، ٣٩	٢٧٦ ، ٢٧٤
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾	٧٨	٢٧٧
سورة المؤمنون		
﴿وَأَوْثَقْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبِّهِ﴾	٥٠	١٩٨

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النور		
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾	١١	٤٢٥
﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾	١٢	٤٣٤
﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾	١٧	٤٣٥
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمُوا لِيَصْفَحُوا ...﴾	٢٢	٤٣٣ ، ٤٢٥
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	١١٠
سورة الشعراء		
﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٦٢	٢١٩
﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	١٩٧	١١٤
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	١٣٢
سورة النمل		
﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾	٦٣	٣٠٨
سورة القصص		
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾	٥٦	١٦١ ، ١٥٩
سورة الروم		
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٣٠٦

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحزاب		
﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾	٦	٢٧٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ...﴾	٩-١١	٤٤٥، ٤٦١
﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢	٤٥٢
﴿وَلِذَٰلِكَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَّهَلَّ يَتْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ...﴾	١٣-٢٦	٤٥٢
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٢
﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾	٢٢، ٢٣	٤٤٥، ٤٥٢، ٤٦٥
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾	٢٣	٣٧٥
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾	٢٥	٤٦٤
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾	٢٥	٤٦٦
﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾	٢٦	٤٠٤
﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾	٢٦	٤٦٧
﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾	٣١	٢٧٣

السيرة النبوية من كتب السنة الأربعة

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَمَّا فَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾	٣٧	٢٦٧
﴿ وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ ﴾	٣٧	٢٦٧
﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾	٤٠	٦٩
﴿ لَّيْن لَّرَبِّنَا يَنْهَى الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٦٠	١٩١
سورة يس		
﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾	٦٩	٤٤٠
سورة ص		
﴿ لَا تَلْمِزَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٥٨	١٧١
سورة غافر		
﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾	١٦	٦٥
﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا ﴾	٤٦	١٧٧
سورة الشورى		
﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	٤٣	٢٧٥
سورة الزخرف		
﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾	٨٩	٢٧٥
سورة الجاثية		
﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾	١٤	٢٧٥

السيرة النبوية من كتب السنة الأربعة

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ...﴾	٣٢-٢٩	١٦٧
سورة محمد		
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾	٢	٦٩
﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوا فَشُدُّوا الْوَتَاكَ﴾	٤	٢٧٧
﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾	٣٨	٣٠٧
سورة الفتن		
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾	٢٩	ب، ٢، ٦٩، ٧٣
سورة الطور		
﴿أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ...﴾	٣٧-٣٥	٣٣٣
سورة النجم		
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾	٣	٣٠٧
سورة القمر		
﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾	١	١٤٥
﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُم وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَأَمْرٌ﴾	٤٦، ٤٥	٣١٠
سورة الواقعة		
﴿وَبُئِتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾	٥	٤٥٧
﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَبِ﴾	٥٥	٤٤٢

السيرة النبوية من كتب السنة الأربعة

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المجادلة		
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾	٢٢	٣١٦
سورة الحشر		
﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾	٢	٣٩٧
﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴾	٥	٤٠١
﴿ وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ... ﴾	٦، ٧	٤٠٥
﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾	٩	١٩١
سورة الصف		
﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعَنِ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ... ﴾	٦	١١٠، ٦٩
سورة المنافقون		
﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾	١	٤١٨
﴿ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ ... ﴾	٨	١٩١
سورة الجن		
﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾	١، ٢	١٦٧، ١٦٨
﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ... ﴾	٨، ٩	١٧٠
﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾	١٠	١٧٠

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

السورة - الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المزمل		
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا﴾	١٤	٤٤٢
سورة المدثر		
﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	٥-١	١٢١، ١٢٣، ١٢٥
سورة البلد		
﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾	١٧	٧٣
سورة الضحى		
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾	١١	٦٥
سورة العلق		
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾	٥-١	١١٧، ١٢١
﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ. أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى. إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ...﴾	١٣-٦	١٣٥
﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ. كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ...﴾	١٦-١٤	١٣٦
سورة القدر		
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	١	٣٤٢
سورة الفيل		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الآيات	٥-١	٥٩

فهرس الأحاديث النبوية^(١)

م	طرف الحديث	الصفحة
١	(من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير...)	٥
٢	(كانت المرأة تطوف بالبيت...)	٥٠
٣	"بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي مَنْ يُؤَدُّنُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنْى..."	٥٢
٤	"جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَتِي تُؤَفِّي زَوْجَهَا عَنْهَا..."	٥٤
٥	"أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ..."	٥٧
٦	"قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ"	٥٨
٧	"لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَكَّةَ، قَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ"	٦٠
٨	"وَسَارَ النَّبِيُّ -ﷺ- حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشَّيْئَةِ الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ..."	٦٠
٩	"إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ..."	٦٣
١٠	"أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ..."	٦٤
١١	"أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ"	٦٥
١٢	سَلُّهُ كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فَيَكُمُ؟	٦٦
١٣	"إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي..."	٧٠
١٤	(ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يُعَافِيَنِي)	٧٠
١٥	"حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ نَبِيُّ التَّوْبَةِ -ﷺ-"	٧٢
١٦	"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُسَمِّي لَنَا أَسْمَاءً، فَقَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمَقْفِيُّ، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ"	٧٢
١٧	"لِلْإِسْلَامِ يَهْدُمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ"	٧٣

(١) بحسب ذكرها في الرسالة.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
١٨	"سُئِلَ - ﷺ - عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ؟"	٧٦، ١١٦
١٩	"ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ"	٧٩
٢٠	"كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَعْنِي الَّذِي بَيْنَ كَتَفَيْهِ غُدَّةٌ حَمْرَاءَ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ"	٨١
٢١	"ذَهَبْتُ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ..."	٨١
٢٢	"رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا..."	٨١
٢٣	"ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ يَبْقِيعُ الْغَرَقَدَ..."	٨٢
٢٤	"أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ..."	٨٣
٢٥	"كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - نَجْنِي الْكَبَاثَ..."	٨٩
٢٦	"مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَاعِيَ غَنَمٍ..."	٨٩
٢٧	"كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَ اللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا..."	٩٠
٢٨	"إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ..."	٩٢
٢٩	"أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ لَهَا: يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهَدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجُ مِنْهُ..."	٩٨
٣٠	"إِنَّ الْحِجَرَ بَعْضُهُ مِنَ الْبَيْتِ..."	٩٩
٣١	"قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ، فَبَنَيْتُهُ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ..."	٩٩
٣٢	"سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنِ الْحِجْرِ؟..."	١٠٠
٣٣	"لَمَّا احْتَرَقَ الْبَيْتُ زَمَنَ (بِزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ)..."	١٠١
٣٤	"قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حَيْثُ يَكْذِبُ عَلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ..."	١٠٤
٣٥	"لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مَكَّةَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَاسْتَلَمَ الْحِجَرَ، ثُمَّ مَضَى عَلَى يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثًا..."	١٠٦

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
٣٦	"يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ صَلَّيْنَا خَلْفَ.."	١٠٧
٣٧	"وَأَفْقَتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أَسَارَى بَدْرٍ"	١٠٨
٣٨	"اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"	١٠٩
٣٩	"فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ..."	١١١
٤٠	"كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ"	١١٦
٤١	"سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي ..."	١٢١
٤٢	"دثروني وصبوا علي ماء بارداً"	١٢٢
٤٣	(ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ)	١٢٢
٤٤	"كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ..."	١٢٦
٤٥	"رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَمَا مَعَهُ، إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبِدٍ، وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ"	١٢٨
٤٦	"أول من أظهر إسلامه سبعة..."	١٣٠
٤٧	"لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾..."	١٣٢
٤٨	"يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهُ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَ يَرِيأُ أَهْلَهُ..."	١٣٣
٤٩	"يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ..."	١٣٣
٥٠	"يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ..."	١٣٣
٥١	"يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ..."	١٣٤
٥٢	"قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟"	١٣٥
٥٣	"بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ..."	١٣٦
٥٤	"بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ....."	١٣٨
٥٥	"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ فُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ..."	١٣٩

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
٥٦	"أَنَّهُ كَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَنْقَاضَاهُ..."	١٤٠
٥٧	"شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ..."	١٤٠
٥٨	"لَا هِجْرَةَ الْيَوْمَ، كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى"	١٤١
٥٩	"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَيُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ"	١٤١
٦٠	"انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- شِقَتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- اشْهَدُوا"	١٤٣
٦١	"بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بِمِنَى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ"	١٤٣
٦٢	"انْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ"	١٤٤
٦٣	"أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً؟ فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ"	١٤٤
٦٤	"إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا -ﷺ- بِالْحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ"	١٥٣
٦٥	"أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ دَخَلَتْ عَلَى حَفْصَةَ..."	١٥٣
٦٦	"بَلَّغْنَا مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-، وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ..."	١٥٤
٦٧	"قَرَأَ وَالنَّجْمَ فَسَجَدَ فِيهَا، وَسَجَدَ مَنْ كَانَ مَعَهُ..."	١٥٥
٦٨	"أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَالنَّجْمَ..."	١٥٦
٦٩	"أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ"	١٥٦
٧٠	"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لِعَمَّةٍ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ..."	١٥٩
٧١	"نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ..."	١٦١
٧٢	"أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ"	١٦٢
٧٣	"لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ"	١٦٢
٧٤	"هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٍ؟..."	١٦٤

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
٧٥	"بَلْ أَرِجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"	١٦٦
٧٦	"مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى الْجَنِّ"	١٦٨
٧٧	"لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشَّعَابِ..."	١٦٨
٧٨	(وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة)	١٧٢
٧٩	"كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجَنِّ..."	١٧٣
٨٠	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَتَاهُ جِبْرِيلُ -ﷺ- وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَّامِ..."	١٧٨
٨١	"أُنْتَبِتُ فَأَنْطَلِقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَن صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ"	١٧٩
٨٢	"أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْفُرَى يَقُولُونَ: يَثْرِبَ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ"	١٩٠
٨٣	"إِنَّهَا طَبِيبَةٌ -يَعْنِي- الْمَدِينَةُ"	١٩١
٨٤	"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ"	١٩١، ٢٠٦
٨٥	"ثُمَّ أَقْبَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا وَادِي الْفُرَى..."	١٩٢
٨٦	"إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرُرُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرُرُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا"	١٩٣
٨٧	"إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ..."	١٩٤
٨٨	"إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أَحَرَّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا يُرِيدُ الْمَدِينَةَ"	١٩٤
٨٩	"إِنِّي أَحَرَّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا..."	١٩٥
٩٠	"وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ سُوءَ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ"	١٩٥
٩١	"قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: أَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْمَدِينَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا"	١٩٥
٩٢	"اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَكْيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ"	١٩٥
٩٣	"صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ"	٢٠٠

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
٩٤	"صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ"	٢٠٠
٩٥	"لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا..."	٢٠٢
٩٦	"إِنَّمَا يُسَافِرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ"	٢٠٣
٩٧	"رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ"	٢٠٥
٩٨	"أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ"	٢٠٦
٩٩	"إِنَّهَا طَيِّبَةٌ يَعْنِي الْمَدِينَةَ، وَإِنَّهَا تَنْفِي الْخَبَثِ..."	٢٠٦
١٠٠	"هَذِهِ طَيِّبَةٌ، هَذِهِ طَيِّبَةٌ، هَذِهِ طَيِّبَةٌ"	٢٠٦
١٠١	"قَدْ أَرَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، رَأَيْتُ (سَبَخَةَ)"	٢٠٧
١٠٢	"أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي"	٢٠٨
١٠٣	"وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ"	٢٠٩
١٠٤	"إِنِّي لَمِنَ النَّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-"	٢١٠
١٠٥	"أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-"	٢١٣
١٠٦	"أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- مُصْنَعُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَجَعَلَا يُقْرَأَانَا الْقُرْآنَ"	٢١٤
١٠٧	"فَلَمَّا دَنَا دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، فَسَاحَ فَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهِ"	٢١٧
١٠٨	"نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ"	٢١٨
١٠٩	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- لَقِيَ الزُّبَيْرَ..."	٢٢٠
١١٠	"قَدِمَ النَّبِيُّ -ﷺ-، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-"	٢٢٠
١١١	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَتَزَلَّ فِي عُلوِّ الْمَدِينَةِ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ"	٢٢١
١١٢	"فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- جَانِبَ الْحَرَّةِ"	٢٢١

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
١١٣	"أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - نَزَلَ عَلَيْهِ"	٢٢٢
١١٤	"نَزَلَتْ فِيهِ رِجَالٌ يَحْبُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا فِي أَهْلِ قَبَاءَ"	٢٢٦
١١٥	"قَالَتْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً"	٢٢٧
١١٦	"دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ"	٢٢٨
١١٧	"يَا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا"	٢٢٨
١١٨	"ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكْتَ"	٢٣٢
١١٩	"قَائِلُهُ لِيَحْدِثْ أَهْلُهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ"	٢٣٣
١٢٠	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَتَى بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةً قَدْ زَنِيَا"	٢٣٤
١٢١	"حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ"	٢٣٦
١٢٢	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَبَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ"	٢٣٧
١٢٣	"لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ"	٢٣٨
١٢٤	"أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - رَأَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَثَرَ صُفْرَةٍ"	٢٣٨
١٢٥	"قَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ - ﷺ -: ااقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفونا المئونة، ونشرككم في الثمرة"	٢٤١
١٢٦	"وَهِيَ وَبَيْتُهُ، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَاشْتَكَى بِلَالٌ"	٢٤٣
١٢٧	"اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ"	٢٤٤
١٢٨	"رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ"	٢٤٤
١٢٩	"أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعُكٌ بِالْمَدِينَةِ"	٢٤٥
١٣٠	"أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ، وَلَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ - ﷺ -"	٢٤٧
١٣١	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ"	٢٥٠
١٣٢	"صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا"	٢٥٠
١٣٣	"صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ"	٢٥٠
١٣٤	"بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءَ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ"	٢٥١

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
١٣٥	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ"	٢٥١
١٣٦	"مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مَسْلَاحِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ"	٢٥٦
١٣٧	"تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لِسِتِّ سِنِينَ"	٢٥٧
١٣٨	"أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ"	٢٦٠
١٣٩	"تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِي شَوَالٍ"	٢٦٠
١٤٠	"أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ قَالَ عُمَرُ"	٢٦٢
١٤١	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ"	٢٦٦
١٤٢	"لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لَزَيْدٍ: فَادْكُرْهَا عَلَيَّ"	٢٦٨
١٤٣	"وَجُمِعَ السَّبْيُ، فَجَاءَهُ دَحِيَّةُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ"	٢٦٩
١٤٤	"وَوَقَعَتْ فِي سَهْمٍ دَحِيَّةٌ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ، فَاشْتَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِسَبْعَةِ أَرُوسٍ"	٢٧٠
١٤٥	"تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَيْمُونَةَ وَهِيَ مُحْرِمٌ"	٢٧٠
١٤٦	"حَدَّثَنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- تَزَوَّجَهَا وَهِيَ حَالِلٌ"	٢٧٠
١٤٧	"إِنَّكُمْ سَتَقْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ"	٢٧٢
١٤٨	"سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَنِ الْهَجْرَةِ"	٢٧٨
١٤٩	"تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي"	٢٧٩
١٥٠	"وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"	٢٨٤
١٥١	"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا، أَوْ سَرِيَّةً دَعَاهُ فَأَوْصَاهُ"	٢٩٣
١٥٢	"عَزَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً"	٢٩٥
١٥٣	"عَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً"	٢٩٥
١٥٤	"لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ"	٢٨٩
١٥٥	"أَكْتُبُ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فُلْتُ: فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ إِلَّا حَقًّا"	٣٠٧

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
١٥٦	"أن يوم بدر كان يوماً حاراً"	٣٠٩
١٥٧	"لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةُ الْعَبِّ"	٣١٠
١٥٨	"فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي"	٣١٢
١٥٩	"بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ"	٣١٢
١٦٠	"هَذَا جَبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ"	٣١٣
١٦١	"فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً"	٣١٤
١٦٢	"أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارَ"	٣٢٠
١٦٣	"جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ -، فَقَالَ: مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرٍ فَيْكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا"	٣٢١
١٦٤	"بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ"	٣٢٢
١٦٥	"مَنْ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ؟ فَاَنْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ..."	٣٢٥
١٦٦	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -، تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا"	٣٢٧
١٦٧	"قَلَّمَا أَسْرَوْا الْأَسَارَى..."	٣٢٩
١٦٨	"مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى؟"	٣٢٩
١٦٩	"سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ"	٣٣٣
١٧٠	"هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أَحَدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"	٣٤١
١٧١	"نَظَرَ إِلَى أَحَدٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَدًا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"	٣٤٢
١٧٢	"مَا يَسْرُنِي أَنَّ جَبَلَ أَحَدٍ لِي ذَهَبًا..."	٣٤٢
١٧٣	"مَنْ حَفَرَ قَبْرًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ"	٣٤٣
١٧٤	"إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَعْظُمُونَ فِي النَّارِ..."	٣٤٣
١٧٥	"حَظَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا"	٣٤٣
١٧٦	"لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ"	٣٤٤
١٧٧	"رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَرْتُ سَيْفًا فَأَنْقَطَعَ صَدْرُهُ"	٣٤٥

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
١٧٨	"رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا..."	٣٤٥
١٧٩	"تَنَقَّلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ..."	٣٤٥
١٨٠	"رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرَةً مَنُحَوَّرَةً..."	٣٤٦
١٨١	"مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ أَنْ لَبِسَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ"	٣٤٦
١٨٢	"جَعَلَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى الرَّجَالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ..."	٣٥٥
١٨٣	"مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ"	٣٥٨
١٨٤	"لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَرَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -"	٣٥٨
١٨٥	"كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَخْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ"	٣٦٤
١٨٦	"اسْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -"	٣٦٤
١٨٧	"رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ سَلَاءَ وَقَى بِهَا النَّبِيُّ - ﷺ - يَوْمَ أُحُدٍ"	٣٦٦
١٨٨	"رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَعَنْ شِمَالِهِ يَوْمَ أُحُدٍ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ"	٣٦٧
١٨٩	"هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ"	٣٦٩
١٩٠	(جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُدٍ مُجَدَّعًا، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ - ﷺ -)	٣٧٨
١٩١	"كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مَنْ قَتَلَ أُحَدًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذَاً لِلْقُرْآنِ؟"	٣٧٩
١٩٢	"جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ -، فَقَالُوا: أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ"	٣٨٧
١٩٣	"بَعَثَ النَّبِيُّ - ﷺ - سَبْعِينَ رَجُلًا لِحَاجَةٍ"	٣٩٠
١٩٤	"أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - بَعَثَ خَالَهَ"	٣٩١
١٩٥	"قَنَتَ النَّبِيُّ - ﷺ - بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا"	٣٩٢
١٩٦	"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقِرَاءَةِ"	٣٩٣

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
١٩٧	"ما زال رسول الله - ﷺ - يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا"	٣٩٥
١٩٨	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ"	٤٠١
١٩٩	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَطَعَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ"	٤٠٢
٢٠٠	"أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ، وَفَرِيطَةَ، حَارَبُوا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -"	٤٠٣
٢٠١	"كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ"	٤٠٥
٢٠٢	"خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي غَزَاةٍ"	٤٠٩
٢٠٣	"أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ وَطَائِفَةٌ وَجَّاهُ الْعَدُوَّ"	٤١٠
٢٠٤	"أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَاعِ"	٤١٢
٢٠٥	إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، قَدْ أَغَارَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُونَ"	٤١٥
٢٠٦	"فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ - ﷺ - فَقَرَأَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ"	٤١٨
٢٠٧	"كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ"	٤١٩
٢٠٨	"خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْخَنْدَقِ..."	٤٣٩
٢٠٩	"جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَخْفِرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ"	٤٣٩
٢١٠	"رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ..."	٤٣٩
٢١١	"إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدَيْةٌ شَدِيدَةٌ"	٤٤٠
٢١٢	"يُؤْتُونَ بِمِلءِ كَفِّي مِنَ الشَّعِيرِ، فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سِنْحَةٌ"	٤٤٣
٢١٣	"لَمَّا حَفَرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ - ﷺ - خِمَصًا شَدِيدًا"	٤٤٣
٢١٤	"شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ حَجَرَيْنِ"	٤٤٤
٢١٥	"قُلْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ؟ فَقَدْ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ!"	٤٤٦

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	طرف الحديث	الصفحة
٢١٦	"لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَفُجُورَهُمْ نَارًا"	٤٤٧
٢١٧	"ثُمَّ صَلَّاهَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ"	٤٤٧
٢١٨	"أَنَّ الْمُشْرِكِينَ شَعَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ..."	٤٤٨
٢١٩	"أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَاءَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ..."	٤٤٩
٢٢٠	"اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ وَارْزُلْ بِهِمْ زَادًا"	٤٥١
٢٢١	"لَمَّا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ نَخْفِرَ الْخَنْدَقَ عَرْضَ لَنَا فِيهِ حَجَرٌ"	٤٥٣
٢٢٢	"سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَدَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ"	٤٥٦
٢٢٣	"سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: تُفْتَحُ الْيَمَنُ"	٤٥٦
٢٢٤	"يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ، وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ هَلُمَّ إِلَيَّ الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"	٤٥٧
٢٢٥	"سَمِيَ النَّبِيُّ -ﷺ- الْحَرْبَ خَدْعَةً"	٤٦٠
٢٢٦	"نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأَهْلِكْتُ عَادًا بِالدَّبُورِ"	٤٦١
٢٢٧	"لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ"	٤٦٢
٢٢٨	"كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ جُعَلْتُ..."	٤٦٧
٢٢٩	"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السَّلَاحَ"	٤٦٨
٢٣٠	"كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي رُقَاقِ بَنِي غَنَمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ"	٤٦٨
٢٣١	"لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ..."	٤٦٩
٢٣٢	"أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الظُّهْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"	٤٦٩
٢٣٣	"تَزَلْ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدٍ"	٤٧١
٢٣٤	"رُمِيَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَطَعُوا أَكْحَلَهُ أَوْ أَبْجَلَهُ، فَحَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِالنَّارِ"	٤٧٢
٢٣٥	"حَدَّثَنِي ابْنُ قُرَيْظَةَ أَنَّهُمْ عُرِضُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَمَنْ كَانَ مُحْتَلِمًا، أَوْ نَبَتَتْ عَانَتُهُ قُتِلَ..."	٤٧٥

فهرس الأعلام^(١)

م	العَلام	الصفحة
١	الآبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر	٥٥
٢	إبراهيم النخعي	٥١
٣	ابن أبي شَيْبَةَ عبد الله بن محمد العبسي	١٣٨
٤	ابن إسحاق هو محمد بن إسحاق بن يسار	٧٥
٥	ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد	١٤
٦	ابن القيم شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي	٦٧
٧	ابن جرير محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر	١٠٨
٨	ابن دُرَيْد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية	١٨٣
٩	ابن سعد محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البغدادي	١٦٥
١٠	ابن هشام هو عبد الملك بن هشام بن أيوب أبو محمد الذهلي	٢٨٥
١١	أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي	١٢٥
١٢	أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي	٣٠٤
١٣	أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي	١٨٣
١٤	أبو الروم بن عمير بن هاشم بن قصي	٣٦٠
١٥	أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف	٣٢٨
١٦	أبو أمانة الباهلي، واسمه الصدي بن عجلان	٣٦٥
١٧	أبو بردة بن أبي موسى الأشعري واسمه عامر بن عبد الله بن قيس	٤٠٩
١٨	أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم	١٧٥
١٩	أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي، الهمذاني	٣٠٣
٢٠	أبو جعفر الرازي عيسى بن ماهان	٣٢٣
٢١	أبو حبة الأنصاري الأوسي البصري	١٧٥
٢٢	أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف	٢٨٧

(١) فهرس الأعلام وترتيبه ترتيباً أبجدياً.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	العَلَم	الصفحة
٢٣	أبو حميد الساعدي الأنصاري، المدني	١٩٢
٢٤	أبو دجانة الأنصاري سماك بن خرشة بن لوزان	٣٦١
٢٥	أبو ذرّ جُنْدَب بن جُنَادَة الغفاري	١٧٤
٢٦	أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي	٦٦
٢٧	أَبُو سَلَمَةَ بن عبد الأسد بن هلال، بن عبد الله بن عمر	١٤٧
٢٨	أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث	١٢٣
٢٩	أبو عاصم قيس بن محمد بن إسماعيل الأصبهاني	١٨٤
٣٠	أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازِرِيُّ	١٧١
٣١	أبو عيس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة	٣٣٦
٣٢	أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي	٤٢٧
٣٣	أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدي	٣٣٣
٣٤	أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي	١٨٣
٣٥	أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصري	١٢٨
٣٦	أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم	٢٩٥
٣٧	أَبُو فَكِيهَة	١٢٧
٣٨	أبو قتادة الأنصاري السلمي الحارث بن ربيعي	٧٦
٣٩	أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين	١٨٢
٤٠	أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة	٥٥
٤١	أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار	٧٢
٤٢	أبو نائلة الأنصاري	٣٣٧
٤٣	أحمد بن علي بن بوبكر الرّازي الجصاص	٥١
٤٤	أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل	٤٢٣
٤٥	أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة ابن غنم بن مالك	٢١١
٤٦	أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيس بن معبد بن الحارث الخثعمية	١٤٨
٤٧	أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع	٣٦٠

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	العَلَم	الصفحة
٤٨	الأعمش سليمان بن مهران الكاهلي	١٣٢
٤٩	أكرم ضياء بن علي العمري	٧٥
٥٠	أم خالد أمة بنت خالد الأموية بن أبي أحيحة سعيد بن العاص	٨٠
٥١	أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب	٢٥٧
٥٢	أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي	٤٢٣
٥٣	أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر	٣٥٧
٥٤	الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى الأوزاعي	٤١٧
٥٥	البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة	٢١٤
٥٦	بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، أبو عبد الله	٢٩٣
٥٧	بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق	٤٢٤
٥٨	البزار أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري	٤٦٣
٥٩	بلال بن رباح	١٢٥
٦٠	البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى	١٥٥
٦١	الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي	١١
٦٢	تقي الدين السبكي، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي	٣١٤
٦٣	ثابت البناني	١٨٢
٦٤	جابر بن سمرّة بن جنادة بن جندب السوائي	٨٠
٦٥	جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ بن عدي بن عبد مناف بن قصي، أبو محمد	٧٠
٦٦	جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف	٥٧
٦٧	الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي	١٨٤
٦٨	الحارث بن أبي ضرار وهو حبيب بن الحارث بن عائد بن مالك	٤١٣
٦٩	الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبدول	٣٦١
٧٠	الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان الأنصاري	٣٣٦
٧١	حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي	٢٦٤
٧٢	الحافظ ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد	٤

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	العَلَم	الصفحة
٧٣	الحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير بن كثير	٧٧
٧٤	الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب	٣٦١
٧٥	حبان بن موسى بن سوار السلمي	٤٢٦
٧٦	حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي، اليماني	٥٨
٧٧	حرام بن ملحان، واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام	٣٨٦
٧٨	الحكم بن كيسان، مولى هشام بن المغيرة المخزومي	٢٨٩
٧٩	حمزة بن عبد المطلب	٩٣
٨٠	حمنة بنت جحش الأسدية	٤٢٦
٨١	حُميد بن نافع	٥٤
٨٢	خالد بن البكير بن عبد يا ليل بن ناشب الليثي	٢٨٨
٨٣	خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي	٣٥٤
٨٤	خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف	٢٦٣
٨٥	خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ بْنِ جَنْدَلَةَ بْنِ سَعْدِ التَّمِيمِيِّ	١٤٠
٨٦	خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجي	٢٧٠
٨٧	الخطَّابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي	٥٦
٨٨	خفاف بن إيماء بن رخصة بن خربة بن خلاف بن حارثة	٣٩٢
٨٩	دحية الكلبي هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد	٦٦
٩٠	الدواودي أحمد بن نصر الداودي الأسدي، أبو جعفر	٢٥٩
٩١	الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي	٤
٩٢	رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن يزيد الأنصاري، الخزرجي	١٩٤
٩٣	رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق	٣٢١
٩٤	الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري	١٤٥
٩٥	الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب	٥٢
٩٦	زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الخزرجي	٢٨٦
٩٧	زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد البياضي	٣٨٢

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	العَلَم	الصفحة
٩٨	زينب بنت أم سلمة	٥٤
٩٩	السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي	٢٨٥
١٠٠	السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي	٨٠
١٠١	السدي إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة	٣٧٩
١٠٢	سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك	٢٣٨
١٠٣	سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن حرام بن حزيمة بن ثعلبة	٣٠٢
١٠٤	سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأنصاري	٢٨٥
١٠٥	سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بن حزن القرشي المخزومي	١٥٨
١٠٦	سعيد بن جبير بن هشام الوالبي مولا هم	٣٥٠
١٠٧	سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التتوخي	٣١٦
١٠٨	سفيان بن عيينة بن أبي عمران	٣٣٦
١٠٩	سلمان الفارسي	٨٠
١١٠	سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي، أبو هاشم	١٤٢
١١١	سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون	٤٦٤
١١٢	سليمان بن يسار المدني	٣٧٢
١١٣	سمية بنت خياط	١٢٧
١١٤	سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن زهرة بن بديل بن سعد	٢٩٨
١١٥	السندي محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن	٥٠
١١٦	سهل بن بيضاء	٢٨٨
١١٧	سهل بن حنيف أبو ثابت الأنصاري الأوسي، العوفي	٣٦١
١١٨	سهل بن سعد بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الساعدي	٣٦٢
١١٩	سهل وسهيل أبناء رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم	٢٣١
١٢٠	سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار	٨٩
١٢١	شرحبيل ابن حسنة	٢٦٣
١٢٢	شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي المدني	١٨١

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	العَلَم	الصفحة
١٢٣	الشَّعْبِيَّ عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار	١٧٢
١٢٤	الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني	٧١
١٢٥	شيخ الإسلام ابن تيمية هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام	٦٨
١٢٦	صالح شقران	١٢٨
١٢٧	صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب	٤٢٢
١٢٨	صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح	٣٤٧
١٢٩	صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بن هاشم بن عبد مناف بن قصي	١٣٣
١٣٠	صهيب بن سنان أبو يحيى النمري	١٣٠
١٣١	الضحاك بن مزاحم الهلالي	٥١
١٣٢	طاووس بن كيسان	٥٢
١٣٣	الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود	٣٧٢
١٣٤	عاصم بن ثابت بن قيس بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة	٣٦١
١٣٥	عاصم بن سليمان أبو عبد الرحمن البصري الأحول	١٩٥
١٣٦	عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي	٣٨١
١٣٧	عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك أبو عبد الله العنزي	٢٨٨
١٣٨	عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق	١٢٧
١٣٩	عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء الأنصاري	٣٣٦
١٤٠	عبادة بن الصَّامِت بن قيس بن أصرم بن فهر بن قيس	٢١٠
١٤١	العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل	٩٢
١٤٢	عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق	٣١٧
١٤٣	عبد الرحمن بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب	٣٩٨
١٤٤	عبد العزيز بن صهيب البناني البصري	٣٩٠
١٤٥	عبد الله بن أبي أوفى	٤٥١
١٤٦	عبد الله بن أبي بكر الصديق	٢١٦
١٤٧	عبد الله بن أبي ربيعة	١٤٩

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	العَلَم	الصفحة
١٤٨	عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى	٩٧
١٤٩	عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك	٣٥٤
١٥٠	عبد الله بن حوالة	٤٥٥
١٥١	عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب المازني	١٩٤
١٥٢	عبد الله بن سرجس المزني	٨٠
١٥٣	عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي	١٠٤
١٥٤	عبد الله بن عدي بن الحمراء القرشي الزهري	٢٠١
١٥٥	عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم	٣٥١
١٥٦	عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم	٣٧٨
١٥٧	عبد الله بن عون بن أرطبان	٤١٥
١٥٨	عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب	٣٧٣
١٥٩	عبد الله بن أم مكتوم القرشي العامري	٢١٣
١٦٠	عبد الله بن داود الخريبي	١٢٩
١٦١	عبيد الله بن جحش بن رياح بن يعمر بن صبرة	١٤٨
١٦٢	عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن زهرة القرشي الزهري	٣٨٤
١٦٣	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي المدني	٤٢١
١٦٤	عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي	٢٨٣
١٦٥	عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب أبو غزوان المازني	٢٨٧
١٦٦	عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح	١٤٨
١٦٧	عروة ابن الزبير بن العوام	٢٣١
١٦٨	عروة بن أسماء بن الصلت السلمي	٣٨٦
١٦٩	العظيم آبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو الطيب	١٩٢
١٧٠	عقيل بن أبي طالب الهاشمي	٣٢٨
١٧١	عكاشة بن محصن أبو محصن الأسدي	٢٨٧
١٧٢	عكرمة أبو عبد الله القرشي مولا هم	٣٥٠

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	العَلَم	الصفحة
١٧٣	عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي	٣٤٧
١٧٤	علقمة بن وقاص بن محصن بن كعدة بن عبد ياليل بن طريف	٤٢١
١٧٥	عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة	١٢٧
١٧٦	عمارة بن زياد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد	٣٥٧
١٧٧	عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد	٤٦٧
١٧٨	عمر بن شبة بن عبدة أبو زيد النميري البصري النحوي	٣٧٣
١٧٩	عمرو بن أخطب أبو زيد الأنصاري، الخزرجي، المدني	٨٤
١٨٠	عمرو بن العاص بن وائل السهمي	١٤٩
١٨١	عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشرة	٣٨٣
١٨٢	عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي	٣٣٦
١٨٣	عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة السلمي	١٢٦
١٨٤	عياش بن أبي ربيعة واسمه عمرو ذو الرمحين بن المغيرة	١٤٢
١٨٥	عياض ابن مجاشع	٤٩
١٨٦	عيننة بن حصن الفزاري بن حذيفة بن بدر بن عمرو	٤٣٦
١٨٧	غالب بن عبد الله بن مسعر الكلبي الليثي	٢٩٤
١٨٨	الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي	١٦١
١٨٩	القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى	٧٨
١٩٠	القُبَاعُ الحَارِثُ بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي	١٠٣
١٩١	قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ بن قَتَادَةَ بن عزيز السدوسي	١٠٨
١٩٢	قتيبة أبو رجاء بن سعيد بن جميل الثقفي مولا هم البلخي	٤٠١
١٩٣	القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَح الأندلسي	٩٤
١٩٤	قيس بن أبي حازم أبو عبد الله البجلي الأحمسي	٣٦٦
١٩٥	قيس بن عباد القيسي الضبعي	٣١٨
١٩٦	كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب	٣٨٧
١٩٧	كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو	٢٠٩

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	العَلَم	الصفحة
١٩٨	لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر	٩١
١٩٩	الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي	٤٥٠
٢٠٠	مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأجر بن عوف بن الحارث	٣٦٥
٢٠١	مالك بن صعصعة الأنصاري المازني	١٨٦
٢٠٢	المباركفوري صفي الرحمن المباركفوري	٧٧
٢٠٣	المباركفوري عبد الرحمن بن عبد الرحيم الأعظم كدهي	٦٣
٢٠٤	مجاهد بن جبر	٥١
٢٠٥	محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي	٢٢٥
٢٠٦	محمد الخضري محمد بن عفيفي الباجوري	٧٧
٢٠٧	محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد	٣٧٥
٢٠٨	محمد بن رمح بن المهاجر التجيبي مولا هم	٤٠١
٢٠٩	محمد بن سيرين البصري	٣١٧
٢١٠	محمد بن عائذ أبو عبد الله القرشي	٣٥٩
٢١١	محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الخزرجي	٢٩٤
٢١٢	محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد ابن عدي بن مجدعة	٣٣٥
٢١٣	محمود باشا هو محمود أحمد حمدي باشا	٧٨
٢١٤	مرثد بن أبي مرثد الغنوي	٢٩٤
٢١٥	مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس	٦٠
٢١٦	مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي	٣١٩
٢١٧	المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب الزهري	٦٠
٢١٨	مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي	٢١٣
٢١٩	المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي القرشي، المدني	٣٥٩
٢٢٠	معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك	٣٢٢
٢٢١	معاذ بن عمرو بن الجموح بن كعب الخزرجي	٣٢٢
٢٢٢	المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي	١٣٠

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	العَلَم	الصفحة
٢٢٣	المنذر بن عمرو بن خنيس بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة	٢٩٤
٢٢٤	موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي، الأسدي	١٦٥
٢٢٥	نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي	٣٨٦
٢٢٦	نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب	٤١٥
٢٢٧	نبيه بن وهب بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان	٣٣٣
٢٢٨	النجاشي ملك الحبشة	٥٧
٢٢٩	نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي	٣٢٨
٢٣٠	همام بن يحيى بن دينار العوزي المحلي	٣٩١
٢٣١	وَاتِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ بن عبد العزى	٦٣
٢٣٢	واقد بن عبد الله بن عبد مناة بن عزيز بن ثعلبة	٢٨٨
٢٣٣	الواقدي محمد بن عمر بن واقد الأسلمي	٢٨٥
٢٣٤	وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة بن سفيان	١٤٠
٢٣٥	الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم	١٤٢
٢٣٦	الوليد بن عطاء بن خباب بن الأعرج المكي	١٠٤
٢٣٧	ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس	١٢٨
٢٣٨	يحيى شرف بن مري بن حسن الحزامي النووي	٥١
٢٣٩	يزيد بن الأصم واسمه عبد عمرو بن عدس بن عبادة	٢٧٠
٢٤٠	يزيد بن رومان القرشي الأسدي المدني	٩٨
٢٤١	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي	١٠١

فهرس المصادر والمراجع

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
❖	أولاً: القرآن الكريم:
❖	ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن:
١	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن)، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٢	أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٣	إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٤	محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الطبعة: (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٥	محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي، أحكام القرآن، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
❖	ثالثاً: كتب الحديث وشروحاته:
٦	ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية، (د.ب)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٧	أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
٨	أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي "السنن الكبرى" الطبعة: الأولى، مجلس دائرة المعارف العمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، ١٣٥٢/١٣٥٥ هـ.
٩	أبو بكر بن أبي شيبة "المصنف"، الطبعة: الأولى، دار القبلة - جدة - السعودية، مؤسسة علوم القرآن - دمشق - سوريا، ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦ م.
١٠	أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبو داود، عدد الأجزاء: (٤)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١١	أبو داود، السنن، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٢	أبو زكريا محي الدين، شرف بن مزي بن حسن بن حسين النووي الدمشقي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
١٣	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى للنسائي، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: (١٢)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١ م.
١٤	أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م.
١٥	أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨-٦٥٦ هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الطبعة: الأولى، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦ م، وحققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال.
١٦	أحمد بن عمرو البزار، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، الطبعة: الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٣٠ هـ/١٩٨٨، ١٤٠٩ هـ/٢٠٠٩ م.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
١٧	أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، (د.ب)، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، المحقق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي.
١٨	الألباني محمد ناصر الدين (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية -المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
١٩	الألباني محمد ناصر الدين (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صحيح وضعيف سنن الترمذي، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية -المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٢٠	الإمام مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ -، والمشهور بصحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت، لبنان.
٢١	البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، دلائل النبوة، الطبعة: الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، وبيروت، لبنان، ودار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢٢	الترمذي محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي، جامع الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م/١٩٩٨م.
٢٣	الحافظ ابن حجر العسقلاني "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية"، الطبعة: الأولى، دار العاصمة، دار الغيث-الرياض- السعودية، ١٤١٩: ١٤٢٠هـ/١٩٩٨: ٢٠٠٠م.
٢٤	الحافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة (بدون)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ/١٩٥٨م.
٢٥	الحاكم، المستدرک، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
٢٦	سليمان بن أحمد الطبراني "المعجم الأوسط"، الطبعة: الأولى، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢٧	سليمان بن أحمد الطبراني "المعجم الكبير"، الطبعة (بدون)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الأجزاء: (١٣، ١٤، ٢١)، فهي بتحقيق فريق من الباحثين بإشراف: سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي.
٢٨	الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.
٢٩	الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.
٣٠	عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، شرح سنن أبي داود، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net .
٣١	مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي.
٣٢	محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الطبعة: الثانية، عدد دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٣٣	محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، الطبعة: الأولى، دار طوق النجاة - بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.
٣٤	محمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، أفعال الرسول - ﷺ - ودلالاتها على الأحكام الشرعية، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
٣٥	محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، بدون طبعة، دار الجيل، بيروت.
٣٦	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، الطبعة: الأولى، دار القلم - بيروت - لبنان، ١٩٨٤م.
٣٧	محمد ناصر الدين الألباني "صحيح وضعيف سنن الترمذي" برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، الإسكندرية، مصر، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٣٨	محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الطبعة: الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، عام النشر: ج (١-٤): ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج (٦): ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، (٧): ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٣٩	محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صحيح وضعيف سنن أبي داود، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث.
٤٠	محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٤١	محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية.
٤٢	محمد ناصر الدين بن الحاج الألباني، صحيح سنن الترمذي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
٤٣	محمد ناصر الدين بن نوح بن نجاتي بن آدم الألباني، صحيح أبي داود، الطبعة الأولى، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٤٤	محمد ناصر الدين، بن الحانوح بن نجاتي الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٤٥	النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، "المجتبى" الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: (١)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
❖	رابعاً: كتب الفقه وأصوله:
٤٦	تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، الطبعة الأولى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٤٧	محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب بن القرشي المكي، كتاب الأم، الطبعة (بدون)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
❖	خامساً: كتب السيرة والشمال:
٤٨	إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، السيرة النبوية (من البداية والنهاية)، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م.
٤٩	أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة السادسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٥٠	صفي الرحمن بن عبدالله بن محمد أكبر بن محمد علي المباركفوري الأعظمي، الرحيق المختوم، الطبعة الأولى، دار العصماء، دمشق، سوريا، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
٥١	عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية لابن هشام، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
٥٢	محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، عدد الطبعة (بدون)، (د.ن)، بيروت، لبنان، (د.ت).
٥٣	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، الطبعة (٢٧)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٥٤	محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: (١)، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، تحقيق: سهيل زكار.
٥٥	محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي، المغازي، الطبعة الثالثة، دار الأعلمي بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٥٦	محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٥٧	محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٥٨	محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، مختصر الشمائل المحمدية، الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية، عمّان، الأردن، (د.ت).
٥٩	محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، صحيح السيرة النبوية، الطبعة (بدون)، المكتبة الإسلامية، عمّان، (بدون طبعة)، الأردن، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
❖	سادساً: كتب اللغة والمعاجم والشعر:
٦٠	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، الطبعة: الخامسة، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٦١	مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة: الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٦٢	محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، كتاب تهذيب اللغة، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٦٣	محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، بيروت لبنان، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٢م.
❖	سابعاً: كتب التاريخ والتراجم والطبقات:
٦٤	إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة (بدون)، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور.
٦٥	أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٦٦	أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن منجويّه، رجال صحيح مسلم، الطبعة الأولى، (د.ن)، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٥م.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
٦٧	أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.
٦٨	أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، التهذيب، الطبعة الأولى، الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ/١٩٠٥م.
٦٩	أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الطبعة الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
٧٠	إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٧١	الحافظ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ/١٩٠٤م.
٧٢	خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٧٣	شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، (د.ت).
٧٤	عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: ١٣٤١هـ)، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، الطبعة: الأولى، دار ابن حزم - بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٧٥	عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

السيرة النبوية من كتب السنن الأربعة

م	المؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم بيانات النشر
٧٦	علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، الطبعة الأولى، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، عمان - الأردن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٧٧	علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: (٨) (٧ ومجلد فهارس)، دار الكتب العلمية، (د.ب)، سنة النشر: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود.
❖	ثامناً: كتب البلدان:
٧٨	شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٥م.